مجلة علمية دورية
مختصة في دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية

تصدر عن جمعية إنكي العلمية ومركز الأبحاث
والدراسات الإستراتيجية في العراق

رئيس التحرير
الأستاذ الدكتور
عامر حسن فياض

مدير التحرير
الدكتورة
نور علي الكناني

العدد (٤) - ٢٨ أيار ٢٠٢٢

إنكي ENKI
مجلــة علميــة دوريــة

مختصة في دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية

تصدر عن جمعية إنكي العلمية ومركز الأبحاث والدراسات الإستراتيجية في العراق

الأيميل inky.publishing@gmail.com

الموقع الإلكتروني : www.enki.press

رقم الموبايل : 00964 783 6141 06

الرقم المعياري الدولي : ISBN:978- 9922- 91- 468- 8

© جميع الحقوق محفوظة
لدار إنكي للنشر والتوزيع

لا يُسمح بإعادة إصدار هذه المجلة ، أو أي جزء منها ، أو تخزينها في نطاق استعادة المعلومات ، أو نقلها بأي شكل من الأشكال من دون إذن خطيّ مسبق من جهة الإصدار .

تستند المجلة إلى ميثاق علمي و أخلاقي ومهني في ما تنشره من بحوث ، وتعتمد تقويم اللجنة العلمية الاستشارية المشكلة من داخل العراق وخارجه ، والمجلة غير مسؤولة عن الأفكار والآراء والمتبنيات الواردة في البحوث المنشورة في أعدادها

ISBN:978- 9922- 91- 468- 8
9 789922 914688

هيأة التحرير :

أ .د . **كامل القيم** - جامعة بابل / كلية الأداب

أ . د . **قاسم محمد عبد** -جامعة النهرين- كلية العلوم السياسية

أ .د . **شيرزاد أحمد النجار- جامعة صلاح الدين**- كلية العلوم السياسية

أ . د . **جمال عبدالمنعم الزوي**-أستاذ الإعلام والعلاقات الدولية-ليبيا

أ . د . **محمود حيدر** -مفكر وباحث في الفلسفة السياسية ولاهوت الأديان -لبنان

أ . د . **صابرين زغلول السيد شعبان** - جامعة عين شمس- كلية البنات- مصر

أ . د . **ثريا بن مسمية**- جامعة الزيتونة- المعهد العالي لأصول الدين- تونس

أ .د . **زهير محمد علي** / جامعة بغداد/ كلية التربية ابن رشد

أ .م .د . **عادل بديوي- جامعة بغداد**- كلية العلوم السياسية

أ .م .د . **علي فارس حميد**-جامعة النهرين-كلية العلوم السياسية

أ .م .د . **مصدق عادل طالب**-جامعة بغداد-كلية القانون

أ .م . د . **سهاد إسماعيل خليل**-جامعة النهرين-كلية العلوم السياسية

أ .م .د . **منتصر مجيد حميد**-جامعة بغداد-كلية العلوم السياسية

أ .م .د . **فراس عبدالكريم محمد علي البياتي**- جامعة النهرين ـ كلية العلوم السياسية

أ .م . د . **سلام جبار شهاب**/ الجامعة التكنولوجية/ قسم العلوم التطبيقية

م .د . **أحمد كريم علوان العلياوي** -مدير دار المخطوطات العراقية

م . د . **علي عيسى اليعقوبي** -كلية المنصور الجامعة - قسم القانون

التدقيق اللغوي :

أ .د . **زهير محمد علي** / جامعة بغداد/ كلية التربية ابن رشد (اللغة العربية)

أ .م . د . **سلام جبار شهاب**/ الجامعة التكنولوجية/ قسم العلوم التطبيقية (اللغة الإنكليزية)

مدير الإدارة :

كوثر حميد لطيف الغرابي

المشرف الإداري و المالي :

ضرغام محمد الجبوري

مارية بليغ ابو گلل

تصميم الغلاف :

نور فائز الأعرجي

مجلة (إنكي) للعلوم الإنسانية والاجتماعية

حرصًا منا على مواكبة التطور في مجال النشر العلمي، ورغبةً في توفير نافذة رصينة للنشر الأكاديمي، تسعى نحو العالمية، نعلن انطلاق المجلة العلمية (إنكي) المتخصصة بنشر البحوث الأكاديمية في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية على وفق الضوابط والمعايير المعتمدة عربيًا ودوليًا.

تسعى المجلة إلى توفير نافذة نشر رصينة للباحثين الأكاديميين، وإتاحة الفرصة لهم لنشر بحوثهم مع مراعاة الالتزام بقواعد التفكير العلمي منهجًا ولغةً في عرض الأفكار وتقديمها أو تحليلها وصولًا إلى إدراج المجلة ضمن قواعد البيانات العالمية للمجلات ذات معامل التأثير (Impact Factor).

رؤيتنا

التغيير يبدأ من الإنسان، وينطلق من رؤية علمية واقعية قادرة على تصحيح المسارات وبناء قاعدة رصينة توصل إلى الأهداف وتحقق الطموحات.

رسالتنا

تقديم محتوى يجعل المجلة مرجعًا علميًا أصيلًا للباحثين، ومنهلًا ثرًا لأبناء المجتمع.

أهدافنا

-استقطاب الباحثين المتميزين للنشر في المجلة، وتقديم نتاجاتهم العلمية، وما توصلوا إليه من نتائج تطور الرؤية العلمية وتلبي حاجات الباحثين على المستويات الوطنية والعربية والعالمية في مجال بحوث العلوم الإنسانية والاجتماعية.

- المشاركة في بناء مجتمع المعرفة من خلال نشر البحوث العلمية لمتخصصين رفيعي المستوى.

- توطيد العلاقة بين الأكاديميين وأبناء المجتمع، والإفادة من مخرجات البحث الأكاديمي في تطوير رؤية المجتمع وبنيته الفكرية.

- ترسيخ الثقافات المجتمعية التي تتواءم مع مخرجات البحوث الأكاديمية، وتعزيز وجودها في المجتمع.

قواعد النشر

لغة المجلة هي العربية والإنجليزية، على أن يراعى الوضوح وسلامة النص.

– تستقبل المجلة البحوث والدراسات الإنسانية النظرية والتطبيقية، المحليّة والخارجيّة التي تتناول قضايا تأريخية أو حالية أو مستقبلية على وفق الضوابط الآتية:

1. أن لا يقل عدد كلمات البحث عن (٥٠٠٠) ولا تزيد على (٨٠٠٠) مطبوعة بنسختين مرفقة مع قرص مرن (CD) بصيغة(word)
2. أن تعتمد الأصول العلمية المتعارف عليها في إعداد البحوث والدراسات وكتابتها ولا سيما التوثيق بحيث تتضمن بالنسبة للكتاب الآتي: اسم المؤلف، عنوان الكتاب، مكان النشر، الاسم الكامل للناشر، تأريخ النشر، أرقام الصفحات، أما بالنسبة للمقالة: فتتضمن اسم الكاتب، عنوان المقالة، اسم الدورية، مكان صدورها، عددها، تأريخها، وأرقام الصفحات، ويجب أن تثبت الهوامش في نهاية البحث.
3. أن تتصف البحوث والدراسات بالموضوعية والدقة العلمية.
4. أن تعتمد الترقيم العشري للعناوين الأساسية والفرعية أو التصنيف المعياري العام.
5. يرفق مع كل بحث مستخلصان، أحدهما باللغة العربية والآخر باللغة الإنجليزية، على أن لا يزيد عدد كلمات كل منهما على (٢٥٠)
6. يرفق مع كل بحث ودراسة سيرة ذاتية مختصرة للباحث.
7. تخطر المجلة الباحثين بإجازة بحوثهم أو دراساتهم بعد عرضها على محكمينِ مختصينِ على نحو سري.
8. يمكن للمجلة أن تطلب إجراء تعديلات شكلية أو شاملة على البحث أو الدراسة قبل إجازتها للنشر بما يتماشى مع أهدافها.
9. لا تلتزم المجلة بإعادة البحوث والدراسات التي تعتذر عن نشرها.
10. ترحب المجلة بالمناقشات الموضوعية لما يُنشر فيها أو في غيرها من الدوريات وبأية ردود فكرية أو تصويب، وكذلك ترحب بنشر التقارير عن المؤتمرات والندوات ذات العلاقة ومراجعات الكتب وملخصات الرسائل الجامعية التي تتم إجازتها على أن تكون من إعداد أصحابها.

المحتويات

الافتتاحية

أيها الساسة لنعقلن السياسة ٩

أ. د. عامر حسن فيّاض

بحوث العدد

الصين وخيارات المشاركة في إدارة النظام الدولي (الانفتاح والتعاون مع روسيا الاتحادية أنموذجا) ٩١

أ. د. منعم صاحي العمار – الباحثة ابتهال مظهر علي

الواقع الافتراضي وأثره في المجتمع المدني..... ٤٦

أ. د صابرين زغلول السيد

السيريالية: هرمنيوطيقا الهذيان..... ٦٤

الدكتورة: ثريا بن مسمية

في العلاقة بين عملية بناء الدولة وتحقيق الدولة القوية من منظور المفكر (فوكوياما) : العراق كدراسة حالةً ٨٨

بروفيسور شيرزاد أحمد أمين النجار

المشاركة السياسية و علاقتها بالسلوك السياسي لدى عينة من طلبة الجامعات ١٢٠

أ. د. فاطمة جمال السيد– م. م. رنا فاضل شمخي

(إشكاليّة المواطنة و الجنسية في الفكر السياسي الإسلامي المعاصر)..... ٦٣١
أ. م د. طارق عبد الحافظ الزبيدي

دور الإرشاد النفسي في الحد من السلوكيات غير المقبولة اجتماعيا لدى الأطفال العاملين وغير العاملين في الشارع ١٤٧
أ. م. د. حسين زيدان – م. د. يسرى حامد ناصر الياسري

دور التلفزيون في تعزيز الوعي المروري لدى الجمهور ١٧٣
أ. م. د. منتهى هادي التميمي– بلقيس محسن زيدان

تيار الحكمة الوطني والمعايير الدولية للحكم الصالح ٢٠٠
د. محمد عامر حسن

مدى تأثير الشغف الدراسي في مهارات طلبة الجامعة ٢١٥
د. هديل علي جبر

البعد القانوني لنظام التصويت في منظمة الأمم المتحدة ٢٢٩
د. سيف هادي عبد الله الزويني– د. محمد فاضل نعمة

لعبة القوة في أوكرانيا ٢٦٠
الباحثة: م. م. سارة شكر احمد

الحرب الروسية على أوكرانيا: رؤية استراتيجية في الطبيعة والانعكاسات ٢٧٦
الباحث كرار نوري حميد علي

البناء المؤسسي وتأثيرهُ على الدولة الرخوة ٣٠٠
بهاء عبد الكريم طاهر

آثار شخصنة السلطة على النظام السياسي
في العراق بعد عام (٢٠٠٣) ٤٢٣
م. م. هند أحمد عبد عليوي

عرض كتاب

مناهج البحث العلمي في الدراسات الإنسانية ٣٣٨
الدكتور كامل القيم

المعارضة السياسية الأحزاب، الرأي العام، المؤسسة الدينية ٣٤١
عمار جبار الكعبي

المقالات

مبادرات الحكيم. . وقفة تأمل..... ٣٤٣
د. علاء مصطفى

الترجمات

ماذا تعني الحرب الروسية في أوكرانيا بالنسبة للعراق؟..... ٣٤٦
مدل ايست انستيوت، صمويل راماني 4 نيسان 2022

لعبة الشطرنج..... ٣٥٠
ميسوب/ ديلاور علاء الدين 29 كانون الثاني 2022

أيها الساسة لنعقلن السياسة

أ.د. عامر حسن فيّاض

يشاع أن ما يحصل في العراق يوصف بأنه (انسداد سياسي) ؛ لأن الخطوة الأولى من الخطوات الثلاث بعد الانتخابات الأخيرة لم تؤدِ أوتوماتيكيًا إلى الخطوتين الثانية والثالثة بانسيابة كما كان الحال في ما بعد الانتخابات التي سبقتها ، بمعنى أن خطوة انتخاب رئيس مجلس النواب لم تنقل الحال إلى إتمام خطوتي انتخاب رئيس الجمهورية القادم ، وتسمية المكلف برئاسة مجلس الوزراء القادم .

وهذا الانسداد يعني أول ما يعني أن العلوية التوافقية التي غلبت العلوية الدستورية في كل مرة تعرّضت للثلم بعد أن تعرّضت صلابة البيوت الثلاثة (السُنية- الكُردية -الشيعية) للاهتزاز .

صحيح أن صلابة هذه البيوت غير مرغوبة للعقلاء في السياسة ، ولكن الصحيح جدًا أن لا يرغب ولا يقبل عقلاء السياسة أن تثلم صلابة بيت لحساب صلابة بيتين ؛ لأن صلابة ثلاثة بيوت هي أقل سوءًا من تبعثر بيت واحد ، وتصلب بيتين من ثلاثة بيوت .

وتلك هي واقعية عاقلة في السياسة ، أما الأحلام الوردية للعقلاء ، والأمنيات المطلوب تحقيقها عندهم فهي أن تتفتت صلابة البيوت الثلاثة معًا ، ليصبح المواطن والمواطنة

وليس البيوت والمكوناتية هي الأساس في الخروج من الانسداد السياسي القائم والقادم مرة واحدة وإلى الأبد.

إن عقلنة السياسة على ضوء ما يحصل وما سيحصل في العراق تقتضي الإجابة عن أسئلة أبرزها: كيف نكون دولة بحق؟ وكيف نتجنب اللادولة العميقة؟ وكيف نمارس لعبة الموالاة والمعارضة؟.

(1)

قصة التكوين: كيف نكون دولة بحق؟

إن قصص التكوين التي سردها العقل الإنساني على مر العصور هي قصص سجالية جدلية وليس تعاونية تنافسية، وهي قصص مسارات وصيرورات لا قرارات ونزوات، وهي قصص صبورة وليست مستعجلة، حيث تتمدد على ماض وحاضر ومستقبل.

والعراق كما نعرف ويعرف الجميع بلاد مقر ومستقر وليس بلاد معبر أو ممر، فقد شهد خمس حضارات، ما قبل الإسلام، والحضارة الإسلامية، والهيمنة العثمانية، والاحتلال الإنجليزي، والشمولية التسلطية الجمهورية، والاحتلال الأمريكي، وصولًا إلى حاضر الاستقلال الهش، والديمقراطية التي لم تكتمل بعد!

وفي هذا الرحم المجتمعي العراقي (التأريخي، الاجتماعي، الاقتصادي، السياسي الثقافي) تكونت ثلاث ثقافات (ثقافة تقليدية – ثقافة خضوع – ثقافة مساهمة) على وفق تصنيف عالم الاجتماع الألماني "ماكس فيبر". وكان أضعف أدوات التفكير هي أدوات ومناهج التفكير العلمي، حيث غلبت الأدوات الأسطورية ثم الدينية حتى دخول العراق عهد بناء الدولة الوطنية العشرينية أوائل القرن الماضي.

وعندما دخل العراق هذا الطور أصبحت خارطة الفكر والتفكير موزعة بين فكر وتفكير موروث وفكر وتفكير توفيقي بين الموروث والوافد.

ففي العهد الملكي كان الوافد التعددي المهين سياسيًا، والموروث المهيمن اجتماعيًا. وفي العهود الجمهورية كان الوافد التسلطي (القومي – اليساري) المهيمن سياسيًا، والموروث

المهيمن اجتماعيًا . وبعد العام (2003) كان الوافد التعددي بالصبغة الليبرالية والمضمون التعددي التقليدي متسيدًا سياسيًا ، والموروث التقليدي متسيدًا اجتماعيًا .

تلك هي خارطة الفكر والتفكير بخطوطها العامة وليس في دواخلها التفصيلية ؛ لأن التكوين سجالي والسجال لم يكن حواريًا تنافسيًا بل كان وما يزال تقاتليًا دمويًا في أكثر الأحيان لذلك فإن تأريخ الحاضر العراقي كما هو ماضيه هو تأريخ قسوة وألم !

كيف الخروج والانتقال بالعراق من بلاد السجال القتالي التقاتلي إلى عراق السجال الحواري التنافسي ؟

- إذا أراد العراق أن يكون له مكان تحت شمس المستقبل عليه أن يعمل على :
- اكتفاء ذاتي نسبي في القوت لتجاوز أمراض العقم الإنتاجي والخصوبة الاستهلاكية .
- اكتفاء ذاتي نسبي في الدواء (استهلاكًا وإنتاجًا) .
- اكتفاء ذاتي نسبي في المعرفة (استخدامًا وإنتاجًا) .

من هنا تبدأ رحلة تعبيد الطريق نحو بناء الدولة في العراق ، ومنها يبدأ مسار الانتقال بالعراق من كيان أو كيانات سياسية إلى دولة حقه . دولة تستحضر التأريخ لتغادره لا لتعيش فيه وتعتاش عليه ، دولة ترى أن كل القمم مدببة إلا ثلاث قمم هي غير مدببة وعريضة تتسع للجميع (قمة الإيمان — قمة المعرفة — قمة الوطنية) ، دولة تنتج مواطنين لا رعايا ولا أتباعًا ولا زبانية ، ومن رحم المواطنية يولد رجال الدولة .

عندها نعلم أنه يخدعنا من يقول إننا متنوعون ويعالج أو يدير التنوع أخلاقيًا أو عقائديًا بينما إدراة التنوع قضية حق دستوري مضمون لكل التنوعات وقانوني منظم لكل التنوعات ، ومؤسساتي ممكن لكل التنوعات .

أخيرًا نقول إن للعراق فكرًا وتفكيرًا وينبغي عدم التطير من تعددية اتجاهاته سواء الوافدة والتوفيقية وحتى الموروثة طالما أن السجال بينهما يصبح سجالًا تنافسيًا غير اقتتالي وغير دموي صالح لبناء دولة حديثة بعيدًا عن الفوضى الانتقالية ، والتسلط القمعي ، وهذا الأمر لا يخص العراق فقط ، بل يخص كل كيان سياسي في المنطقة يريد أن يكون دولة بحق .

(2)

حذار اللادولة العميقة

مهما تعددت تسميات الوحدات السياسية وتنوعت توصيفاتها فإن القاموس الدولتي المعاصر استقر على ثلاثية (الدولة، والدولة العميقة، واللادولة العميقة)، ولأننا نريد التحذير من الفوضى الاقتتالية المنظمة وغير المنظمة، ونريد الحذر من الشعبويات العاطفية غير المستنيرة والأقلويّات التسلطية بالسلاح أو المال، تعالوا نتعرف على ماهية اللادولة العميقة.

إن اللادولة العميقة وقبل تحديد ماهيتها علينا أن ندرك بأنها، من حيث الوجود، لاحقة وليست سابقة لوجود الدولة الدستورية. وبقدر تعلق الأمر بالعراق بوصفه كيانًا سياسيًا تأريخيًا لم يصل بعد إلى منصة الدول القائمة حقًا، فإن الحديث عن الدولة العميقة سابق لأوانه في العراق.

عليه يمكننا، على أساس ما تقدم، أن نتحدث عن (اللادولة) العميقة في العراق قبل الانشغال، بلا جدوى، بالحديث عن الدولة العميقة في العراق. ومن المفيد أن نتعرف على ماهية اللادولة العميقة بدلالة الحديث عن كل من مصطلحي الدولة العميقة والكيان الموازي للدولة العميقة من حيث المفهوم والخصائص ودوافع التشكيل.

فكيف تتغول الدولة العميقة والكيان الموازي على الدولة الدستورية ؟

الدولة العميقة تعني التحكم بوظائف المؤسسات الدستورية من قبل نخب سياسية وعسكرية وإعلامية واقتصادية واجتماعية تجمعها مصالح متشابكه لتجعل منها نخبة متسلطة على القرارات السياسية السيادية وغير السيادية. وقد تتدخل أطراف خارجية في صناعة أو دعم جماعات الدولة العميقة عندما ترغب تلك الأطراف الدولية الخارجية في محاربة المشاريع المحلية والدولية التي لا تخدم مصالحها في بلد مهم استراتيجيًا بالنسبة لها فتدعم أو تنشىء شبكات تنظيمية خارج الأُطر الرسمية للدولة. وقد يتوافق مع الدولة العميقة كيان موازي أو يتداخل معها، ويشير مصطلح الكيان الموازي للدولة إلى حركة اجتماعية تتأسس لتوليد التأثير الاجتماعي الشعبوي والدخول إلى ميدان الحياة السياسية على وفق رؤية بعيدة المدى تلتزم بموجبها على تكوين حاضنة اجتماعية واسعة تدور في

مسار قائد مؤسس. ويأتي إنشاء هذه الأرضية الحاضنة الأساسية للكيان الموازي للدولة بسبب عدم وجود منصة فكرية سياسية تدفع باتجاه أداء دور سياسي وطني، الأمر الذي يؤدي بسبب ضعف هذه المنصة أو غيابها إلى استقطابات محاصصاتية للمشهد السياسي.

عندها يدور الكيان الموازي في فلك قائده الأوحد الذي أسس هذه الحركة الاجتاعية ذات الامتدادات السياسية والاقتصادية والاجتماعية بعد أن بدأ باختيار الطريق الاجتماعي لتأسيس النفوذ داخل المجتمع أولًا زاحفًا نحو الدوائر السياسية عبر الإرشاد والتبليغ، والتربية والتعليم، والمؤسسات الخدمية الإسكانية والصحية والمالية والإعلامية.

ورغم النفوذ الاجتماعي والاقتصادي والإعلامي الشعبوي الهائل للقائد فإنه يأبى وكذلك بعض أبرز جماعته وأجنحته من غير السياسيين، يأبى العمل السياسي المباشر والمعلن ليقود حركة أو تيارًا واسعًا، ويصبح لأنصاره مشاركة مؤثرة في دوائر صنع القرار بعد أن يتمكن من تعبئة ساسة في مرافق ومؤسسات الدولة قاطبة وبعد أن يفتح أذرعه للتحالف مع أحزاب وقوى سياسية، ولكن سرعان ما يتخالف معها فيتحول التحالف إلى احتواء أو إلى مواجهة.

والكيان الموازي هنا يشكل بديلًا للدولة العميقة أو المرحلة الثانية للدولة العميقة، وبكل الأحوال فإن الدولة العميقة والكيان الموازي لم يتشكلا بعد في العراق؛ لأن الدولة لم تأتِ بعد ولأن البواعث لوجود اللادولة العميقة متوافرة بقوة من خلال المؤشرات الآتية:

- أن قوة اللادولة العميقة تتناسب عكسيًا مع ضعف المؤسسات الدستورية.
- أنها تتناسب في قوتها مع ارتفاع منسوب الفساد وانتشار السلاح المنفلت عن الشرعية.
- أنها تتزامن مع عسكرة السلطة أو السلطة المعسكرة.
- أنها تتواءم مع ارتفاع وشدة انتشار الشعبوية.
- أنها تتقوى عند ضعف أو غياب المعارضة السياسية الإيجابيّة.
- أنها تحيا وتنتعش عندما تكون للعلوية التوافقية غلبة وأولويّة على العلوية الدستورية.
- أنها تتأسس خارج رحم الدولة الدستورية، وعندما تغيب الدولة الدستوربة فإن رحم الكيان السياسي ما قبل الدولة يكون الرحم الخصب لحمل وولادة اللادولة العميقة.

- وأنها تنمو وتتصلب عندما لاتستقوي قوى الداخل ببعضها وطنيًا وتنزع إلى الاستقواء بقوى الخارج متناسية أو متجاهلة بقصد أو بدون قصد الوطن والوطنية والمواطنة وضرورة تقويتهم والاستقواء بهم.
- كذلك تكبر وتتجبر اللادولة العميقة عندما تنظر القوى السياسية إلى العراق من ثقوب مذاهبها أو قومياتها أو مناطقيتها الجهوية الضيقة دون أن تنظر لجهويتها المذهبية والقومية والاجتماعية والمناطقية من بوابة العراق الموحد المتحد العريضة الواسعة الجامعة.
- أخيرًا تتغول اللادولة العميقة عندما يركب الساسة مركب السلطة والحكم ويتنحى رجال الدولة عن قيادة هذا المركب أو تتم تنحيتهم.

ما العمل ؟

باختصار شديد، لا دعاء يخلصنا، ولا قائد ينقذنا، ولا براني يسعفنا، بل المخلص والمنقذ والمسعف نجده في الانتخابات وبالمزيد من مواصلة الانتخابات التي تقوم على قانون عادل وإدارة مستقلة حقًا، ومراقب منصف، ومرشح مواطن وناخب واع. دون ذلك فإن اللادولة العميقة باقية والدولة العميقة والكيان الموازي للدولة آتيان.

(3)

حكومة أغلبيّة ومعارضة إيجابيّة

في الحياة المجتمعية بأبعادها كافة (السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية) هناك مواقف تتنوع تسمياتها ومسمياتها، تعبّر عن الرضا أو عدم الرضا ولا تجمع بينهما.

مواقف تستوطن خندق الضد أو خندق الـ (مع) دون وجود جسر يربط بينهما، مواقف تميل إلى الخير أو إلى الشر ولا تلعب عليهما أو لا تتلاعب بينهما.

و في السياسة وأدبياتها وقواميسها، فإن الموقف من السلطة التنفيذية الحاكمة (الحكومة) يتوزع ما بين تسميتين لا ثالث لهما، أما موقف معارض أو موقف مساند، والموقف المعارض أما أن يكون إيجابيًا لا يخرج عن العملية السياسية وسياقاتها الدستورية، أو أن

يكـون سـلبيًا خارجًـا عـن العمليـة السياسـية وسـياقاتها الدسـتورية . أمـا الموقـف المسـاند فإنـه موقـف مشـارك فـي العمليـة السياسـية التنفيذيـة (الحكوميـة) مـن حيـث المشـاركة فـي التشـكيل وفـي البرنامـج الحكومـي ليعمـل علـى الدفـاع عـن نجاحاتهـا وتبريـر إخفاقاتهـا .

فـأي موقـف يليـق بالأطـراف التـي سـوف لـن تشـارك فـي حكومـة الأغلبيـة ، وعنـد اتخـاذه مـاذا نسـميه ؟

علينـا قبـل تحديـد تسـمية الموقـف المطلـوب تبنيـه مـن قبـل الأطـراف غيـر المشـاركة فـي الحكومـة القادمـة أن نـدرك أن المشـاهد (السـيناريوهات) التـي كانـت متوقعـة أو مرسـومة لمسـتقبل العـراق السياسـي قبـل اسـتقالة حكومـة السـيد (عـادل عبدالمهـدي) موزعـة بيـن ثلاثـة خيـارات سـيئة لكنهـا متفاوتـة فـي حجـم و وزن السـوء ، وهـي : -

سيناريو الفوضى الاقتتالية الدموية بين المكونات العراقية .

سيناريو الحكم الانقلابي الأقلوّي العسكري القمعي التسلطي .

سيناريو الانتخابات المبكرة .

وقـد تـم تحقـق السـيناريو الأخيـر بنتائجـه المعروفـة التـي مـا زالـت تداعياتهـا لا تخـرج كثيـرًا عـن دائـرة التشـاؤم حـول المسـتقبل السياسـي للعراق !

بيـد أن الواقعيـة فـي السياسـة تشـير إلـى أن الخيـار الأقـل سـوءًا كان خيـار الانتخابـات المبكـرة والقبـول بنتائجهـا ودون هـذا القبـول فـإن العـراق كان ذاهبًـا إلـى واحـد مـن الخياريـن الأكثـر سـوءًا (فوضـى اقتتاليـة دمويـة ، أو حكـم انقلابـي عسـكري قمعـي تسـلطي)

هنـا وأمـام كل ذلـك فـإن غيـر المشـارك فـي حكومـة الاغلبيّـة عليـه أن لا يتبنـى خيـار المعارضـة دون توصيـف خشـية مـن احتسـاب وتفسـير موقفـه هـذا (المعارضـة بـلا توصيـف) بأنـه موقـف منزلـق نحـو الخياريـن الأكثـر سـوءًا مـن (الانتخابـات المبكـرة) ليسـاند نجاحاتهـا إنْ تحققـت ويبـرر إخفاقاتهـا إنْ حصلـت .

إذًا ما الموقف الصائب لغير المشارك في حكومة الأغلبية مما يحصل ومما سيحصل ؟

الأفضـل اختيـار موقـف المعارضـة الموصوفـة (المعارضـة الإيجابيّـة) التـي تعمـل تحـت مظلـة السـياقات الدسـتورية . وإن مـن يختـاره تحـت هـذا المسـمى (المعارضـة الإيجابيّـة) وبـه سيسـاند النجاحـات التـي تحققهـا مؤسسـات الدولـة طالمـا أنهـا نجاحـات فـي خدمـة المواطـن والوطـن ،

وسيعارض ويراقب ويحاسب على الإخفاقات التي تسببها مؤسسات الدولة بحق الوطن والمواطن.

كما أن من يكون مع هذه الاصطفافات بهذا المسمى (المعارضة الإيجابيّة) سينأى بنفسه عن المعارضة السلبية وكذلك عن المساندة التبريرية، فيكون المعارض المنحاز إيجابيًّا للوطن والمواطن، والمعارض المنحاز إيجابيًّا للديمقراطية الحقة والاستقلال الوطني معًا.

(4)

سؤال الموالاة والمعارضة

إن المرحلة المقبلة في الحياة السياسية العراقية ينبغي أن تجيب عن سؤال الموالاة والمعارضة للحكومة القادمة، والإجابة عنه قد تكون صحيحة أو قد لا تكون، فكيف تصبح تلك الإجابة صحيحة ؟

ينبغي على كل جهة سياسية تحقق الأغلبيّة في ميدان الانتخابات النيابية أن تتفادى فكرة إطلاق يدها في شؤون البلاد والعباد؛ لأنها فكرة تدميرية غير ديمقراطية. لهذا من الضروري وضع حدود على الأغلبيّة، وبالمقابل على المعارضة ألا تتطير من نجاحات الموالاة عندما تنتهج الأخيرة نهجًا يخدم المستحقات الوطنية، وعلى المعارضة أيضًا ألا تتشمت بإخفاقات الموالاة بل تراقب الموالاة وترصد وتنتقد إخفاقاتها وتحاسبها بالطرق المسموح بها دستوريًا.

وإن المرحلة المقبلة للانتقال بالعراق من كيان سياسي إلى دولة حقة تؤكد مشاركة الجميع في إعادة تشييد البنى التحتية الأساسية السليمة للنظام السياسي، بما في ذلك سن القوانين الدستورية التأسيسية، وسد العوز التشريعي، ومغادرة العجز الخدمي، ومكافحة العبث بالأمن العام، وإيقاف هدر المال العام، وتقويم العوق المؤسساتي، وترميم العطب المعرفي.

كمـا أن المرحلـة المقبلـة تقتضـي إخـراج المشـترك الوطنـي مـن حلبـة التنافـس والصـراع والاختـلاف والخـلاف مـا بيـن المـوالاة والمعارضـة، فـلا يمكـن السـماح للطرفيـن بتوطيـن المشـكلات الدوليـة ولا بتدويـل المشـكلات الوطنيـة. .

ولعـلَّ أول المقتضيـات وآخرهـا فـي المرحلـة المقبلـة أن تكـون الغلبـة لتنافس البرامـج لا لتصارع الأشـخاص، وعلـى المـوالاة أن تتحاشـى طـرح برامـج حكوميـة محشـاة بشـعارات ورديـة مثاليـة لتقـدم وازدهـار وانتصـار مبالـغ فيهـا، وتكتفـي ببرنامـج إنجـاز بصمـة عنوانـه (إيقـاف التدهـور) وحشـوته برامـج عمليـة قابلـة للتطبيـق وغيـر قابلـة للتطبيـل بعـد أن تمزقـت طبـلات أذنـي العراقي بالوعـود الورديـة الانتخابيـة والحكوميـة.

إن طـرح برنامـج حكومـة (إيقـاف التدهـور) وإنجـازه سـيجعل مـن الحكومـة المقبلـة حكومـة أغلبيّـة مـوالاة حكيمـة، وكيمـا تكـون حكيمـة وقويـة أيضًـا عليهـا أن تعمـل علـى تقويـة المعارضـة تثبيتًـا لحقيقـة مفادهـا أن قـوة الأغلبيـة (المـوالاة) تتأتـى مـن تقويتهـا للأقليّـة (المعارضـة) وصـولًا، بالنتيجـة إلـى انخـراط المعارضـة فـي المشـروع الوطنـي العراقـي بـدلًا مـن الانعـزال عنـه أو تعطيلـه.

عندهـا سـيكون مـن السـهل علـى المعارضـة بـل مـن الواجـب عليهـا أن تتجنـب الانخـراط فـي الأنشـطة السياسـية وغيـر السياسـية المعطلـة وتقـدم نفسـها بوصفهـا معارضـة إيجابيـة تحمـل هـي الأخـرى مشـروعًا وطنيًـا بعيـدًا عـن النزعـات الشـخصية والفئويـة المتعارضـة مـع المشـترك الوطنـي للمـوالاة والمعارضـة الإيجابيّـة.

ولكـن إذا عملـت الأغلبيّـة (المـوالاة) بعصبيـة قوميـة أو مذهبيـة وبثقافـة إقصـاء وتهميـش تجـاه الأقليّـة (المعارضـة)، فـإن النتيجـة هي المزيد من تشـبث الأقليّـة (المعارضـة) بعزلتها كخط دفاع أخير عن الذات والتمايز عن الأغلبيّة.

وعلـى الجانـب المقابـل فـإن مـن الضـروري بمـكان أن تنفتـح الأقليّـة المعارضـة علـى محيطهـا، وتتفاعـل علـى نحـو إيجابـي مـع الفضـاء الوطنـي، وأن فعاليـة هـذا الانفتـاح مرهونـة بقـدرة الأغلبيّـة علـى تجـاوز عصبيتهـا والتعامـل مـع الأقليّـة المعارضـة علـى قاعـدة المواطنة المتسـاوية فـي الحقـوق والواجبـات، تلـك القاعـدة الذهبيـة التـي تؤكـد بـأن حكمـة وقـوة المعارضـة الإيجابيّـة تتأتـى مـن حكمـة وقـوة المـوالاة، وأن التنافـس الإيجابـيّ المتولـد عـن التقابـل بيـن المـوالاة والمعارضـة هـو مصـدر الانطـلاق لإيقـاف التدهـور.

أخيرًا على الموالاة والمعارضة أن تدرك جيدًا أن الشعوب الحقة هي الشعوب التي تُدار من عقلاء يمتلكون الإرادة والقدرة على تحويل التهديدات إلى فرص نجاح، والعراق ابتلى بمصائب جمة آخرها أنه بات مهددًا بمصيبة الزوال كدولة اسمها العراق، فلتجعل الموالاة والمعارضة من هذه المصيبة مشتركًا وطنيًا، ويسعى الموالي والمعارض إلى تحويلها من مصيبة (تهديد) إلى فرصة بقاء وطن لايستحق الزوال وبقاء مواطن يستحق العيش فيه بجدارة.

الصين وخيارات المشاركة في إدارة النظام الدولي (الانفتاح والتعاون مع روسيا الاتحادية أنموذجا)

أ. د. منعم صاحي العمار[١]* الباحثة ابتهال مظهر علي[٢]**

الملخص

حدثت تغيرات كبيرة في النظام العالمي خلال العقود الثلاثة الماضية، أدّت إلى انهيار الاتحاد السوفيتي (سابقًا) كقوة عظمى منافسة للقوة العظمى الأخرى وهي الولايات المتحدة الأمريكية، وأصبح هذا النظام يتحكم فيه قطب واحد بعد أن كان قطبان، وفي ظل هذه التغيرات برز الاتحاد السوفيتي من جديد متمثلاً بروسيا الاتحادية التي أصبحت قوة عظمى أخرى تنافس أمريكا، وساعدت هذه التغيرات تنامي وبروز قطب ثالث جديد ألا وهو الصين، فبعد أن كانت دولة منعزلة يحكمها نظام شمولي صارم ومنغلقة على نفسها، ومن خلال رؤى جديدة في المجالات السياسية والاقتصادية والاستراتيجية والعسكرية والتكنولوجية أصبحت دولة قوية من خلال تمتعها بمزايا جيوغرافية بالقرب من تايوان ومن بحر الصين، جعلها تتوسع كقوة عظمى على نطاق عالمي وليس مقتصرًا على شرق المحيط الهادي وتايوان وبحر الصين الجنوبي، وبدأت الصين تسعى للتنافس المباشر مع الولايات المتحدة في كل جوانب التطور العسكري والتكنولوجي وتعزيز قدرتها وقوتها العالمية، وتوسيع تأثيرها وسيطرتها في وسط آسيا، والمحيط الهندي، والبحر المتوسط، والخليج، والشرق الأوسط، وشمال أفريقيا، وأوربا، والقارة الأفريقية، وأمريكا اللاتينية، لا سيَّما التعاون والانفتاح مع روسيا الاتحادية كإحدى خياراتها للمشاركة في إدارة النظام الدولي.

الكلمات المفتاحية: الصين ـــ روسيا الاتحادية ـــ الانفتاح ـــ التعاون ـــ النظام الدولي

China and the Options of participation in Managing the International Order (Opening and Cooperation with the Russian Federation as a model)

Abstract**:**

Major changes have been done in the world order over the past three decades, these changes led to collapse of the Soviet Union (USSR) as a rival superpower of the other power, which is the United States of America, this international order became controlled by one pole after it was two poles, and under these changes the Soviet Union re-emerged represented through the Federal Russia, which became another superpower competing with America, and these changes helped the growth and emergence of a third new pole; China, after it was an isolated country. Governed by a strict and closed totalitarian regime and through new visions in the political, economic, strategic, military and technological fields, it has become a powerful country through its geographical advantages near Taiwan and the Sea of China, making it expand as a superpower on a global scale and not limited to the East Pacific, Taiwan and the South China Sea. African - Latin America, particularly cooperation and openness with the Russian Federation as one of its options for participating in the managing of the international order.

Keywords: China - Russian Federal - Opening- Cooperation -International Order.

المقدمة

إن أهـم مـا يتميـز بـه واقـع العلاقـات الدوليـة فـي التحليـل الاسـتراتيجي بأنـه ليـس حالـة جامـدة، بـل عمليـة متغيـرة ومتطـورة تتسـم بالحركـة والديناميكيـة، وتندفـع مـن سـعي الأطـراف الفاعلـة ذات العلاقـة إلـى الحفـاظ علـى أوضاعهـا ومصالحهـا النسـبية التـي تعكـس مـا تحـوزه مـن قـدرات وإمكانـات ومـوارد متاحـة، فعندمـا تتغيـر القـدرات بشـكل حاسـم لـدى

طرف ما من أطراف التفاعل، فإن باقي الأطراف يسعون إلى إعادة التوازن من جديد عبر تفعيل سياسات واستراتيجيات جديدة تتناسب مع مستجدات الواقع الدولي وتحولاته، إذ تدرك الأطراف الفاعلة في ذلك الواقع أنه في ظل بيئة دولية لا يحكمها إلا منطق التنافس والصراع والذي يتحول بدوره إلى سياسات وسياسات مضادة؛ أي حماية حدودها ومكتسباتها المعطاة، فضلًا عن تحقيق مصالحها واستراتيجياتها المبتغاة؛ انما هو رهن امتلاك القوة والسعي الدائم إلى زيادة هذه القوة وتعظيمها إلى أبعد مدى ممكن.

أهمية البحث: يعد الواقع الدولي متغيرًا فيما يتعلق بتراتبية الدول الكبرى والمؤثرة صعودًا وهبوطًا وفقًا لما تحوزه الفواعل من الدول من محددات ومرتكزات القوة والتي تقوم على أسس مادية ومعنوية، وترتبط بالنسق الدولي السائد في مرحلة زمنية ما وما يتضمنه ذلك النسق من عناصر ومحددات تشمل الوحدات والبنيان والمؤسسات والعمليات، أي واقع تلك الدول أيضًا لا يتسم بالثبات التام أو الجمود فيما يتعلق بسياساتها واستراتيجياتها و تفاعلاتها الدولية، الأمر الذي يجعل من الأهمية بحكم ما تتسم به العلاقات بين القوى الكبرى من عدم تكافؤ، سواء على صعيد عدم الانسجام في المكانة والذي يظهر غالبًا في مؤشرات القوة المختلفة.

هدف البحث: يهدف البحث إلى دراسة خيارات الصين للمشاركة في النظام الدولي عبر التعاون والانفتاح مع روسيا الاتحادية.

إشكاليّة البحث: تدور إشكاليّة البحث حول مقومات الصين وما مدى إمكانية تحقيق التوازن الاستراتيجي عبر سياسة الانفتاح و التعاون للمشاركة مع روسيا الاتحادية، ومن ثم تثير الإشكاليّة التساؤلات التالية:

ـ ما هي القدرات القومية والمقومات الأساسية للصين ؟

ـ ما هو السلوك الصيني تجاه روسيا الاتحادية (الانفتاح والتعاون) ؟

فرضية البحث: أن علاقات الصين الإقليمية قامت على أساس التعاون المتبادل وحسن الجوار الإقليمي، مع وجود التباين بين الدول المجاورة، إلا أنه غالبًا ما كانت العلاقة إيجابية مع روسيا الاتحادية لوجود العديد من المقومات بغية تحقيق طموحات الصين وبروزها قوةً إقليمية في آسيا ثم قوةً عالمية في القرن الحادي والعشرين

هيكلية البحث: يتضمن البحث بالإضافة إلى المقدمة محورين وخاتمة واستنتاجات.

إذ تناول المحور الأول القدرات القومية والمقومات الأساسية للصين، أما المحور الثاني فتناول السلوك الصيني تجاه روسيا الاتحادية (الانفتاح والتعاون).

أولًا: القدرات القومية والمقومات الأساسية للصين

هنالك دول كثيرة تحتل مكانة مرتفعة في مؤشرات القوة العسكرية الاستراتيجية، ومكانة منخفضة نسبيًا في مؤشرات القوة الاقتصادية، وفي المقابل دول أخرى تتمتع بمكانة مرتفعة في مؤشرات الاقتصاد دون أن تتمتع بمكانة مماثلة من جانب مؤشرات القوة العسكرية، وهذا ما يبدو على فروض عدم الانسجام بالمكانة بين القوى الدولية الكبرى الذي يعد عاملًا لبناء حالة تكافؤ في العلاقات الدولية، الأمر الذي يستدعي البحث عن خيار الشركات الاستراتيجية كبديل لتحريك ديناميكية النظام الدولي وتغير مساراته انطلاقًا من المصالح التي يحملها أطرافه. [٣]، وإنَّ الدور الذي تؤديه الدولة إقليميًا ودوليًا يعتمد على تفاعل مجموعة المتغيرات المادية والمجتمعية التي تشكل عناصر القدرات القومية والتي بدورها تشكل المقومات الأساسية للدولة [٤]، وأبرزها:

١- المتغير الاجتماعي:

إن المتغير الاجتماعي له أهمية كبرى ومؤثرة في الصين، إذ يتمثل هذا المتغير بـ«السكان» الذي يُعدّ المصدر الرئيسي لقوة الدولة، ويُقصد بالسكان مجموعة من الأشخاص الذين يسكنون في منطقة ما خلال فترة زمنية معينة [٥].

لقد أثار النمو السكاني السريع في الصين قلق الكثير من دول الغرب [٦]، فهم يتوزعون على أرض مساحتها (٩، ٥٩٦، ٩٦١) كم٢ [٧]، و يصل عدد سكان الريف قرابة (٨٥٠) مليون إنسان، وعدد سكان المدن (٤٥٠) مليون إنسان، أما عدد الصينيين في الخارج فيشكل نسبة (٤٪) من سكان الصين أي قرابة (٥٠) مليونًا، لذا احتلت الصين للمرة الأولى في عناصر القدرة الحيوية المركز الأول، إذ بلغ عدد السكان (١، ٣٠٨) مليار نسمة، [٨]، فأهمية العدد الكبير للسكان له جوانب مختلفة، إذ تدعم قوة الدولة وتدعيم القدرات الاقتصادية والعسكرية الصينية وانعكاسات ذلك على حركة سياسة الصين الخارجية هذا من جانب [٩]، ومن جانب آخر فإن الحكومات المتعاقبة أبدت قلقها بشأن النمو السكاني وحاولت تنفيذ سياسة صارمة لتنظيم الأسرة بنتائج متباينة، وكانت تهدف

إلى تحقيق الاستقرار في النمو السكاني مع بداية القرن الحادي والعشرين وأن تبقى على الاستقرار[١٠] .

و تؤثر الأصول العرقية للصين في المتغير الاجتماعي ، إذ يتواجد على الرقعة الجغرافية للصين عدد من الأصول العرقية المختلفة ، فالصين مجتمع متعدد الأعراق ، إذ يتكون من (٥٦) جماعة إثنية ، ومن بين سكان البلاد البالغ عددهم (١ . ٣) مليار نسمة تشكل قومية الهان نسبة (٩٢٪) من مجمل سكان الصين ، فيما تشكل القوميات الأخرى نسبة (٨٪) من السكان ، ومن بين تلك الأقليّات يوجد (١٨) قومية يزيد عدد أفراد كل منها على المليون نسمة ، بينما هناك (١٥) قومية يتراوح عدد أفراد كل منها ما بين (١٠٠- مليون نسمة) ، وتحتل هذه الأقليّات مساحة جغرافية تتراوح ما بين (٥٠-٦٠٪) من مساحة الصين ، ويتركز (٩٤٪) من سكان الصين في الأجزاء الجنوبية الشرقية من البلاد التي تحتل (٤٣٪) من مساحة الصين الكلية ، فيما لا يعيش في المناطق الشمالية الغربية التي تشكل (٥٧٪) من مساحة البلاد الكلية سوى (٦٪) من السكان ، وتبلغ الكثافة السكانية (١٣٠) شخصًا في الـ (كم٢) الواحد ، ويعيش أقل من ثلثي سكان الصين في المناطق الريفية ، وتقسم الصين إداريًا إلى (٢٣ مقاطعة) و (٥) مناطق ، حكم ذاتي (التبت وشينجيانغ ومنغوليا والداخلية وقوانغشي و نينغشيا) و (٤) بلديات تدار بشكل مباشر من الحكومة المركزية (بكين وشونغكنغ و تيانجين وشنغهاي) ، ومنطقتين إدارية خاصة (هونغ كونغ ومكاو) . [١١]

٢- المتغير السياسي:

تبني الصين قاعدة استراتيجية شاملة لقوة اقتصادية وعسكرية وسياسية ، إذ يؤكد الجانب السياسي على وسيلة التفاهم والثقة المتبادلة بين الدول كلها عن طريق التعاون وحل النزاعات بينها بالطرق السلمية[١٢] . وسياسة الصين تجري في إطار اشتراكي يحكمها الحزب الشيوعي وهي في حالة تغير مستمر والتنافس بين نخبها قائم وفي تزايد [١٣] ، غير أن الحزب الشيوعي الصيني يحافظ على السلطة ويتصدى لأي محاولة لزعزعة النظام[١٤] لذا ينص دستور البلاد على أن القيادة ترجع إلى الحزب الشيوعي الصيني وتمارس سلطة الدولة في جمهورية الصين الشعبية بواسطة الحزب والحكومة الشعبية ونظيراتها الإقليمية والمحلية[١٥] . والمهمة الأساس للحزب الشيوعي الصيني في الوقت

الراهـن تتركـز علـى توحيـد الشـعب الصينـي بجميـع قومياتـه للعمـل الجـاد والاعتمـاد علـى النفـس مـن أجـل التحقيـق التدريجـي لتحديـث الصناعـة والزراعـة والدفـاع الوطنـي والعلـوم والتكنولوجيـا وبنـاء الصيـن دولـة اشـتراكية متطـورة الثقافـة وديمقراطيـة .

ويمكن تحديد أبرز سمات النظام السياسي الصيني قبل الإصلاح بما يأتي : [١٦]

أ . تركيز السلطة بيد عدد محدود من الأفراد .

ب . التدخل السلبي للحزب في النشاطات الإدارية الحكومية .

ت . عدم وضوح الخطوط الفاصلة بين مختلف المؤسسات والأفراد .

ث . البيروقراطية والفساد الإداري .

ولقـد حدثـت تغييـرات مهمـة فـي القيـادة الصينيـة ، إذ تغيـرت القيـادة بعـد وفـاة الزعيـم التاريخـي «مـاو تسـي تونـغ» ، ثـم تولـى قيـادة الحـزب الشـيوعي والدولـة الزعيـم الجديـد ومؤسـس الصيـن الحديثـة «دنـغ شـياو بينـغ»[١٧] ، الـذي رأى أن الإصـلاح السياسـي ضـروري وعاجـل[١٨] ، وقـام بحملـة تطهيـر شـملت أجهـزة الدولـة والحـزب[١٩] و أكـد علـى أن حقـوق الإنسـان والديمقراطيـة أفـكار وعـادات أجنبيـة دخلـت علـى البـلاد[٢٠] ، لـذا قامـت الحكومـة بإصـدار «كتـاب أبيـض» عـن مفهـوم حقـوق الإنسـان يتعـارض تمامًـا مـع المفهـوم الغربـي[٢١] ، ونظـرت الصيـن إلـى حقـوق الإنسـان علـى أنهـا اختيـار الشـعب لنظامـه السياسـي باسـتقلال وأن يـؤدي هـذا النظـام أهدافـه ووسـائله بحريـة[٢٢] ، ولقـد عُـدت مسـألة حقـوق الإنسـان مـن مدخـلات النظـام الدولـي الجديـد[٢٣] و كذلـك تـم تأكيـد «دنـج» علـى الديمقراطيـة الليبراليـة التـي تقـوم علـى التعدديـة الحزبيـة وتقسـيم السـلطات التـي كانـت تهـدد احتـكار الحـزب للسـلطة بصـورة مباشـرة[٢٤] ، إذ يعتنـق الحـزب الشـيوعي الصينـي مبـدأ (الديمقراطيـة المركزيـة) التـي تجعـل كل عضـو فـردًا فـي تنظيـم[٢٥] ، ونظـرت الصيـن إلـى الديمقراطيـة التـي شـملت الهيـكل السياسـي والإصلاحـات الزراعيـة والصناعيـة علـى أنهـا السـبيل إلـى التخلـص مـن أنظمـة الحكـم والثقافـة القديمـة تمامًـا ، والوصـول إلـى المجتمـع الاشـتراكي[٢٦] ، وتؤكـد الصيـن علـى أن الديمقراطيـة الفعالـة والدائمـة تحتـاج إلـى عـدد مـن العناصـر الأساسـية منهـا إيجـاد نظـام قانونـي متطـور يؤكـد سـيادة القانـون أكثـر مـن الحاكـم ، ومنـح الأفـراد بعـض الاسـتقلال الشـخصي فـي مواجهـة الدولـة[٢٧] ، وأكـد رجـال الدولـة الصينيـون علـى أن الديمقراطيـة كانـت دائمًـا

«الطموح المشترك» للشعب الصيني، وأكدوا أن الشعب الصيني مصمم على أن يحصل عليها بالطريقة الصحيحة[٢٨].

فضلاً عن ذلك، فقد جاء تأكيد الرئيس الصيني «جيانغ تسه مين» الذي انتخب بعد وفاة «دنغ شياو ينغ» عام (١٩٩٧م) في المؤتمر الخامس عشر للحزب الشيوعي[٢٩]، على مكافحة الفساد بعد أن انتشر في الصين محذرا من أن الفساد يمكن أن يدمر الحزب إذ لم يتم التصدي له على الفور[٣٠] ولذلك قام الحزب الشيوعي الصيني بحملات متعددة ضد الفساد، وأكبرها تلك التي أطلقها الرئيس الصيني بنفسه أمام الدورة الكاملة الثانية للجنة المركزية للفحص والانضباط، داعيًا إلى أن النضال ضد الفساد هو العمل السياسي العاجل للحزب و مشيرًا إلى ((أن الفساد بات ينتشر في جسم الدولة والحزب كفيروس مؤذٍ، وأن فشل مهمة محاصرته تعني سقوط سلطة الدولة))[٣١]. وتدل البيانات الرسمية والصحفية على حجم هذا الفساد، إذ أعلنت الدولة حملة ثانية ضد الفساد اعتقل فيها (٢٤٥) ألفًا منهم وصدرت أحكام في (٢١٩) ألف قضية، وتم إخضاع أكثر من (١١٥١) من كبار المسؤولين في الحزب للتحقيق، وتم إعدام عدد منهم[٣٢]. ولا تزال القوى الوطنية في الحزب الشيوعي الصيني تقاتل من أجل حكومة وحزب نظيف في المدن والريف، ومما يلاحظ أن هناك من يتصدى لهذه الحملة داخل الحزب الشيوعي الصيني، وهناك ثلاثة تيارات تتصارع داخل الحزب ولكل منها امتدادته الجماهيرية وجذوره الشعبية خارج الحزب[٣٣]. ويمكن تحديد هذه التيارات وأبرزها هي[٣٤]:

أ- (التيار المعتدل):

وهو التيار الذي يدعو إلى مساندة التحديث والإصلاحات دون التخلي عن المبادئ الماركسية، واستطاع هذا التيار أن ينهض بالصين من دوله متخلفة إلى قوة اقتصادية سياسية كبرى لها وزنها في الساحة الدولية، وحظي هذا التيار بشعبية كبيرة في الصين و داخل الحزب، وكان يتزعم هذا التيار «دنغ شياو بينغ»، واتفق هذا التيار على استخلاف «جيانغ تسه مين» ليتزعمه[٣٥]، وأهم توجهاته (الاستمرار في الإصلاحات، والتأكيد على وحدة الأراضي الصينية ومنها (تايوان)، ومحاولة طمأنة الدول المجاورة للصين، والدعوة إلى الديمقراطية التي تأخذ في الاعتبار الواقع الصيني)[٣٦].

ب - (التيار الليبرالي) :

نشأ هذا التيار داخل الحزب كنتيجة للنجاحات الاقتصادية المذهلة التي قادها التيار المعتدل[٣٧] ، ويبدي هذا التيار قلقًا مما يعده تلكؤًا في الإصلاحات ، وينادي بتوسيعها وتسريعها ، ويؤكد على ضرورة مسايرة الإصلاح السياسي والاقتصادي ، وقد نجح هذا التيار في إدخال بعض الإصلاحات على الحريات والحقوق المدنية ، ودعا لإنشاء الأحزاب وهو أمر لم يتلق استجابة من القاعدة الحزبية ولا من بعض القوى داخل التيار نفسه[٣٨] .

ت- (التيار المحافظ) :

هذا التيار يحذر من أن الإصلاحات قد تقود إلى تدمير البنية الاجتماعية الصينية والقيم الاشتراكية ويستند هذا التيار إلى بعض المثقفين ، وإلى القيادات المسنة[٣٩] .

٣- المتغير الإقتصادي:

يؤثر المتغير الاقتصادي في السياسة الخارجية الصينية ، و أن أول هدف لسياسة الصين الخارجية هو نجاح عملية (الإصلاح والتحديث) الداخلي التي بدأت سنة (١٩٧٨م) في سبيل تحقيق الرفاهية للشعب[٤٠] ، وهذا يجعل للصين مكانة بارزة في المحيط الإقليمي والدولي ، وهذه المكانة جاءت بها قيادة «دنغ شياو بينغ» التي جاءت معها توجهات للمستقبل تختلف عن التوجه الماوي[٤١] . و لقد أطلق الزعيم الصيني «دنج» الإصلاحات الاقتصادية وما يترتب عليها من نمو اقتصادي[٤٢] ، هذه الإصلاحات الاقتصادية الطامحة في الصين وصفها «دنج» بـ (المعجزة الاقتصادية) [٤٣] وأعطت سياسة الإصلاح والانفتاح التي جاء بها الأولويّة للنمو الاقتصادي بوصفه متقدمًا على الاعتبارات الأيديولوجية[٤٤] ، وأن الأهداف الاستراتيجية لقوة كبرى مثل جمهورية الصين الشعبية تنطوي على تحقيق الإنماء الاقتصادي للمجتمع والفرد حسبما تمليه الأيديولوجية السياسية والأخذ بضرورة التكيف مع الواقع الداخلي والبيئة الدولية[٤٥] . قال «ماوتسي تونغ» : (إن الصين قد عانت أسوأ محنة في القرن العشرين لتصبح واحدة من القوى القائدة في القرن الحادي والعشرين ، فقبل مائة وستين عامًا قال نابليون في الصين : « وهناك يرقد تنين فدعه نائمًا ؛ لأنهُ حين يستيقظ فسيحرك العالم ، إن التنين صاحي ، وقد حان زمانهُ ، وإنه جاهز لتحريك العالم»[٤٦] ، لذلك اعتمدت الصين التخطيط الاقتصادي واعتبرته الدعامة الأساسية لتحديد

المسارات التنموية المستقبلية[٤٧] ، وأكدت على نظام اقتصاد السوق[٤٨] ، وقام التخطيط على أساس الملكية العامة المتكونة من الاقتصاد العام والملكية الفردية والاقتصاد الخاص والاستثمار الأجنبي ، وشجعت الصين القطاع غير الحكومي بدلًا من تحول المؤسسات الحكومية إلى القطاع الخاص مع تشجيع النمو السريع للمؤسسات الجماعية والفردية في القطاع غير الحكومي[٤٩] . وأعلن «دنج» : ((أن الاقتصاد المخطط ليس مرادفًا بالضرورة للاشتراكية ؛ لأن التخطيط موجود أيضًا في ظل الرأسمالية ، كما أن اقتصاد السوق ليس وقفًا على الرأسمالية ؛ لأن الأسواق موجودة في ظل الاشتراكية أيضًا))[٥٠] . و لقد اتبعت عملية الإصلاح في الصين سياسات اقتصادية دافعة ، و عالجت آثار المعدلات العالية لعرض النقد لتوفير السيولة النقدية الكافية للنمو الاقتصادي السريع ، واستهدفت السياسة الاقتصادية كبح جماح التضخم من أجل تفادي عدم الاستقرار الاقتصادي[٥١] ، إذ بذلت الصين جهودًا لتقليص مشكلة التضخم بخفض معدلاته إلى ما دون (١٠٪) وهو المستوى القريب نسبيًا من مستويات التضخم في الدول المتقدمة[٥٢] ، وكذلك فرضت إصلاحات اقتصادية ومؤسسية للحد من هذا التضخم عبر سيطرة السلطات المركزية على السياسات الاقتصادية الكلية من جانب وتوسيع نطاق أدوات السياسة الموجهة نحو السوق من جانب آخر[٥٣] لذلك أكدت الحكومة الصينية على شعارات : ((تعجيل الإصلاح ، والانفتاح والتحديث ، وتحقيق المزيد من الانتصارات الاشتراكية الصينية الطابع !))[٥٤] ، مثلها في ذلك (اليابان) ، وبذلك أصبح لديها الحافز لدعم الاستقرار في المنطقة أكبر مما لديها قبل انطلاقها الاقتصادي حتى تضمن التوسع في التجارة وزيادة الرفاهية[٥٥] ، وهذا يعكس درجة انتشار وتنوع الصادرات وقدرتها على اختراق الأسواق الدولية ومع ضخامة حجم الواردات الصينية ، فإن الصين تحتفظ بفائض تجاري كبير[٥٦] و يستند النمو الاقتصادي الصيني الذي يؤدي لتحسن مستويات الحياة على تغييرات في جوانب عدة منها ((الزراعة والاستثمار والتقنية والصناعة)) .

أ. **الزراعة** : حيث يقوم النمو الاقتصادي على صياغة برنامج للإصلاح الزراعي من أجل مساعدة فقراء الفلاحين وتوفير قاعدة للحفاظ على الموارد بصورة منسقة[٥٧] ، وبذلك احتلت الصين المركز الثاني بعد الولايات المتحدة الأمريكية من حيث معدل النمو[٥٨] ، وقال الرئيس الأمريكي «بيل كلينتون» لـ «جيانغ تسه مين» : (إن الولايات المتحدة تخشى صينًا ضعيفة أكثر مما تخشى صينًا قوية)[٥٩] .

ب. **الاستثمار**: إن المتابعة الحكومية والتشديد على دعم الانفتاح الصيني، أحدث ازدهارًا لا مثيل لهُ [٦٠]، ولذلك أقرّ نواب الشعب الصيني سنة (١٩٩٦م) خطة التنمية البعيدة المدى لسنة (٢٠١٠م) وذلك لتحقيق الرخاء المشترك كما أسماهُ «دنغ شياو ينغ» [٦١]، والخاصة في توجيه القروض الأجنبية إلى الأقاليم الفقيرة [٦٢].

ت. **الصناعة والتقنية**: تنبأ المجتمع الدولي أن للصين مركزًا جديدًا للصناعات العالمية على ضوء زيادة صادرات المنتجات الصناعية وارداتها [٦٣]، فقد احتلت الصين المركز الثاني بعد روسيا وقبل ألمانيا واليابان وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية من حيث نسبة القوة العاملة في الصناعة [٦٤].

ومن جانب آخر حققت الصين أعمالًا مذهلة ومتطورة على مستوى الاستعمال السلمي للذرة، فقد قامت بإنتاج أسلحة ذرية لأغراض الطاقة السلمية [٦٥]، وكان للصين بوقت أقل من أية دولة أخرى أي ((الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا وفرنسا)) . عملت في الحقل النووي أن تنتقل من القنبلة الذرية إلى القنبلة الهيدروجينية، وعلى مستوى (الفضاء) نجحت الصين في إطلاق قمرين في مدار الأرض فيما يزال الفشل حليف اليابان أو المركز الأوروبي لبناء المركبات الفضائية وإطلاقها [٦٦].

المتغير العسكري: يؤثر الجانب العسكري تأثيرًا مهمًا في السياسة الخارجية الصينية، إذ يتمتع هذا المتغير بأهمية كبرى في السياسة الدولية [٦٧]، وتعطى هذه الأهمية للقدرة العسكرية الصينية من أجل الارتقاء بقدراتها العسكرية لمستوى يؤمن لها حماية ذاتية ضد احتمالات هجوم قد تشنه ضدها قوى خارجية [٦٨]، وسعت الصين لتطوير قدراتها العسكرية انطلاقًا من الدور العالمي الذي رسمتهُ لنفسها والقائم على تحقيق أهدافها وطموحاتها [٦٩]، إذ ترتبط المكانة الصينية بقضية تقويم القوات العسكرية التي تلعب دورًا مهمًا وتجعل من الصين قوة كبرى [٧٠]، لذلك أعلنت الصين رغبتها في رفع موازنتها العسكرية بشكل كبير [٧١]، وأن القوة العسكرية الصينية معدة لأغراض دفاعية مرتبطة برؤيتها الأمنية وأن طبيعتها الرادعة لمهام إقليمية أكثر من كونها عالمية [٧٢]، ولهذا تأثير في السياسة الخارجية الصينية وفي تحقيق أهدافها الإقليمية والدولية، فقد حرصت الصين منذ البداية على امتلاك السلاح النووي [٧٣]، أي منذ أول تفجير نووي للصين سنة (١٩٦٤م) وأول تجربة للقنبلة الهيدروجينية للصين وعام (١٩٦٧م) والتي استغرق الإعداد لها (سنتين

وثمانية أشهر) [٧٤] ، وذلك لكي تعتمد على نفسها في تأمين حدودها وتفرض نفسها قوة مؤثرة ومستقلة [٧٥] ، فقد رسمت سياسة الدفاع الصينية طريق الأمن العسكري للبلاد [٧٦] ، وسعت إلى بناء جيش أصغر حجمًا لكنه أفضل في إمكاناته وقدراته [٧٧] ، إذ يبلغ تعداده نحو (٢٢٥ ، ٠٠٠ ، ٢) مليون جندي [٧٨] ، وهو الأكبر عالميًا من حيث العدد [٧٩] ، لذا احتلت الصين المرتبة الأولى من حيث حجم القوات المسلحة قبل أمريكا وروسيا وألمانيا واليابان وبريطانيا [٨٠] ، والصين بوصفها قوة عسكرية كبرى تحتوي من التنظيم القتالي من الوحدات والأفراد والدبابات والطائرات أكثر مما لدى أية مؤسسة عسكرية في أي مكان آخر [٨١] ، ولقد أبدت بعض البلدان موافقتها على تقديم احتياجات الصين الدفاعية ومنها «روسيا وإسرائيل» وغيرهما إذ اشترت الصين مجموعة كاملة من الأسلحة الروسية المتقدمة من طائرات وقاذفات ودبابات وأنظمة رادار وغواصات وصواريخ وغيرها ، بينما زودتها إسرائيل بشكل رئيسي بتكنولوجيا الحرب الإلكترونية والاتصالات وغيرها . [٨٢]

ثانيًا: السلوك الصيني تجاه روسيا الاتحادية (الانفتاح والتعاون)

شهدت العلاقات الصينية- الروسية تطورًا وازدهارًا غير مسبوق بعد انهيار الاتحاد السوفيتي سنة (١٩٩١م) ، فقد جرت مفاوضات ثنائية بين البلدين لحل مشاكل الحدود واستطاع البلدان حل (٩٩٪) من مشاكل الحدود المشتركة التي أزالت الكثير من أسباب التوتر بينهما [٨٣] ،

إذ اتفق البلدان على إعادة روسيا إلى الصين أراضي مساحتها أربعة آلاف فدان تتضمن بعض الجزر الصغيرة في نهر (توماتايا) [٨٤(*)][٨٥] ، وقد عقدت أول قمة صينية- روسية سنة (١٩٩٢م) في بكين وتم التوقيع فيها على وثيقة نصت على بيان المبادئ المشترك ، إذ أشار البيان إلى : (أن هذه العلاقات تدور في إطار الصداقة وليس العداء) [٨٦] . لذا اتخذت العلاقات الثنائية أبعادًا متعددة منها : موقف البلدين من السياسة الأمريكية السلبية ورفضهما لوجود قوة واحدة مهيمنة في النظام الدولي ، ومعارضة مشروع الدرع الصاروخي ، والتعاون في مجال التقنيات العسكرية والتنسيق الأمني بين البلدين في منطقة آسيا الوسطى ، وتأكيد عدم تدخل كل طرف في الشؤون الداخلية للطرف الآخر واحترام وحدته وسيادته الإقليمية [٨٧] .

وجاءت زيارة (فكتور تشيرنورمردين) رئيس الوزراء الروسي الأسبق إلى الصين سنة (١٩٩٢م) ، الذي أكد على إقامة مشروعات لإنتاج الطائرات المقاتلة وتحسين طرق النقل البحرية وسكك الحديد بين البلدين ، ونتيجةً للزيارات المتبادلة للطرفين تطورت العلاقات الثنائية في مجالات التكنولوجيا والعلوم والتجارة وغيرها[٨٨] . إذ تم توقيع عدد من الإتفاقيات بين البلدين في مجالات عدة أهمها ما تم سنة (١٩٩٣م) توقيع اتفاقية عسكرية بين الدولتين لمدة خمس سنوات لتبادل الخبراء والمشاورات بين كبار المسؤولين في البلدين وتنسيق المواقف الخاصة بقضايا الحدود[٨٩] ، ومن جانب آخر فقد اشترت الصين من روسيا بعد محادثات البلدين غواصات روسية من طراز كيلو[٩٠] ، وصواريخ (أس ٣٠٠) المضادة للصواريخ البالستية[٩١] .

ثم دخل التعاون الصيني- الروسي في هذة المدة مرحلة جديدة ، إذ أظهرت الزيارات المتبادلة بين البلدين في سنة (١٩٩٥م) النموذج الجديد للعلاقات الذي عمل على إعطاء حافز لتطوير العلاقات الثنائية في مجالات التكنولوجيا والعلوم والتجارة[٩٢] ، لذلك اتفق البلدان على تبادل البعثات بين الأكاديميات العسكرية ومناقشة المشكلات الأمنية في منطقة آسيا والمحيط الهادي[٩٣] .

لذا فإن العلاقات الصينية- الروسية سعت إلى إقامة خط ساخن بينهما والبحث في إمكانية إمداد الصين بالغاز الطبيعي[٩٤] ، بالإضافة إلى التوقيع على أربع عشرة اتفاقية للتعاون المشترك[٩٥] ، إذ تم توقيع اتفاقية بين الصين و روسيا وثلاث جمهوريات من آسيا الوسطى هي طاجكستان وكازاخستان وقرغيزستان[٩٦] ، بشأن تقليص التواجد العسكري عند الحدود ، وهو ما يعد تطورًا كبيرًا في مسار العلاقات بين البلدين والرغبة الجدية في إيجاد قوة موازية ومواجهة للسيطرة الأمريكية في آسيا ، وعرفت هذه الاتفاقية بـ (اتفاقية شنغهاي)[٩٧] . وقد عززت هذه الاتفاقية روابط التعاون الإقليمي ، لكونها الأكثر تأثيرًا في الأمن الآسيوي[٩٨] .

وقد حققت العلاقات الصينية-الروسية إنجازات ملحوظة في التبادل الثنائي والتعاون في المجالات كافة[٩٩] ، إذ تجمعهما معارضة السياسات الأمريكية[١٠٠] ، والعمل على إقامة علاقات دولية على أسس جديدة بعيدًا عن هيمنة قوة عظمى واحدة[١٠١] .

ومن جانب آخر ، وقّع الرئيس الروسي (بوتين) في مدينة شنغهاي الصينية سنة (٢٠٠١م) على إعلان تأسيس (منظمة مشنغهاي) التي انتمت إليها (أوزبكستان) بعد أن كانت سنة

(١٩٩٦م) تضم (الصين وروسيا وطاجيكستان وكازاخستان وقيرغيزستان) ويأتي إنشاء هذه المنظمة تتويجًا لجهود الدول الأعضاء في مواجهة المشكلات الحدودية ولتحقيق مزيد من التعاون الأمني في المنطقة، وقد وقّع زعماء مجموعة شنغهاي سنة (٢٠٠٢م) على الميثاق التأسيسي لتحويل المجموعة إلى منظمة دولية واسعة وعلى اتفاقية بشأن إيجاد مؤسسة إقليمية لمناهضة الإرهاب في إطار المنظمة تهدف إلى تنسيق الجهود المشتركة في هذا المجال[١٠٢] ، ولذلك حرصت الصين على تعزيز علاقاتها الاقتصادية والعسكرية مع روسيا، إذ قام وزير الدفاع الروسي بزيارة بكين سنة (٢٠٠٤م) وتم الاتفاق على تزويد الصين بأسلحة متطورة بحرية وجوية[١٠٣] .

و شهدت العلاقات الثنائية بين الطرفين بعد سنة (٢٠٠٤م) حتى سنة (٢٠١٠م) تناميًا ملحوظًا في الشراكة الاستراتيجية بين البلدين كونها تستند إلى مبادئ التكافؤ الحقيقي والمنفعة المتبادلة ووحدة المصالح، وهي تخلو من الأشكال الأيديولوجية مما يمنحها قوة في المستقبل[١٠٤] ، وأصبحت مسألة تسوية الحدود انطلاقة قوية لتأسيس العلاقات الثنائية وخاصة أن الطرفين يتلاقيان في السياسة الدولية التي تقوم على مبدأ (عالم متعدد الأقطاب) لمواجهة التفرد الأميركي[١٠٥] .

من جانب آخر، تعد مسألة تسوية الحدود انطلاقه قوية لتأسيس علاقات سياسية و تجارية متبادلة تكون بمثابة الحجر الأساس لبناء علاقات استراتيجية (صينية – روسية) . ونلحظ في السنوات الأخيرة نشوء تعاون وثيق بين روسيا والصين، ومواقف البلدين في منظمة الأمم المتحدة وخاصة في مجلس الأمن، وغالبًا ما تكون متقاربة. فكلا الطرفين يدعوان إلى عالم متعدد الأقطاب لمواجهة التفرد الأمريكي وإلى تعزيز دور الأمم المتحدة في حل النزاعات القائمة بالطرق السلمية، وأيضًا تقفان ضد انتشار السلاح النووي، [١٠٦] وفي السياق ذاته إنّ عدم ثقة روسيا في الدول الفاعلة في النظام الدولي وفقدان الشعور بالأمن دفعها إلى تأكيد مصالحها الحيوية. ومن خلال تفاعلها مع الدول بما يضمن تحقيق مصالحها. وتجلى ذلك بشكل واضح من خلال وثيقة مفاهيم السياسة الخارجية الروسية لعام (٢٠١٦) ، والتي أكدت أن الفوضى والاضطراب في النظام الدولي بسبب الدول الغربية التي تنتهج سياسة الإقصاء وعدم الرغبة في التعاون وقيامها بزيادة قوتها العسكرية والتوسع، مما يزيد من حدة التوتر في العالم. وعليه فإن روسيا ضمن هذه البيئة تسعى للعمل من أجل الحفاظ على مصالحها الوطنية والاستراتيجية. [١٠٧]

وسعي روسيا لتغيير بنية النظام الدولي نحو التعددية التقى مع رغبة الصين في تحقيق ذلك، وهو ما دفع كلتا الدولتين للتقارب من أجل تحقيق مصالحها ومواجهة محاولات الولايات المتحدة الأمريكية بالتفرد بإدارة العالم. وبذلك قرر الطرفان التعاون فيما بينهما، وقد بدأ هذا التقارب منذ تسعينيات القرن الماضي وذلك لامتلاكهما الإمكانيات اللازمة للتغيير وإن اتحادهما يشكّل قوة تمكنهما من التحالف وعقد اتفاقيات مع الدول الأخرى. (١٠٨)

وقد حذرت أدبيات أمريكية من وجود استراتيجية صينية تهدف إلى بسط السيطرة على العالم. وتقوم على التقارب الاستراتيجي بين روسيا والصين، واقترحت أن تقوم بعدة إجراءات لمواجهة هذا التوجه، ومن بينها العمل على تقوية التحالفات السياسية والعسكرية للولايات المتحدة الأمريكية، وإقامة دفاع مضاد للصواريخ يضمن سلامة أراضي الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها والعمل على منع وصول التكنولوجيا العسكرية المتطورة بطرائق غير مشروعة إلى روسيا والصين، كما طالبت أدبيات أخرى بضرورة تشجيع إدخال تحولات إيجابية داخل كل من روسيا والصين ربما يؤثر بشكل إيجابي في سلوكها على البيئة الدولية. (١٠٩) وعملت الصين على زيادة نفقاتها الدفاعية، وهي في الوقت الحالي تأتي في المرتبة الثالثة من بعد الولايات المتحدة وروسيا، وتوجد تقديرات بأنّ الصين ستصبح ثاني أكبر منتج للأسلحة في العالم خلال عشر سنوات القادمة. (١١٠) وأن زيادة الميزانية العسكرية للصين تتم بشكل محدود خشية تعرضها لتأثير سلبي في النمو الاقتصادي، ولذلك توجد فرص أمام الولايات المتحدة لبناء ثقة وضم الصين بدرجة أكبر إلى المعسكر الراضي، كما أنّ تداخل الاقتصادين الأمريكي والصيني وأسلحة الدمار الشامل التي تمتلكها الدولتان، تضعان كوابح أمام حدوث صراع عسكري بين البلدين. لكن ذلك لا ينفي أن التسابق بين البلدين للحصول على المزيد من وسائل القوة وأدواتها. (١١١)

ومن الممكن أن يصبح الوفاق (الروسي الصيني) أقوى في أعقاب جائحة فيروس كورونا. في مواجهة صراع متزايد من الولايات المتحدة الأمريكية، وتنجذب روسيا والصين إلى بعضهما البعض عن طريق قانون «توازن القوى»، ومن الطبيعي أن يتحد قطبان ضد اللاعب الغالب في النظام الدولي، من منظور توازن القوى، و فضلاً عن ذلك موقفها الموحد في رفض هيمنة الولايات المتحدة وتأييد هيكل متعدد الأقطاب. (١١٢)

وإنّ شخصيةُ كلٍّ من الزعيم الروسي، (فلاديمير بوتين) و (شي جين بينغ)، تعُدان عاملاً رئيسًا آخر في الاصطفاف الروسي الصيني، فمن جانب فلسفتهما السياسية فإنهما يشتركان في الميل إلى السياسة الواقعية في الشؤون الدولية، مع جانب محافظ وقومي في السياسة الداخلية. وقد يستمر الزعيمان في السلطة لفترة طويلة. إذ تنتهي ولاية (بوتين) الرئاسية في عام (٢٠٢٤)، لكن التعديلات الأخيرة على الدستور الروسي تسمح له بالبقاء حتى عام (٢٠٣٦). وفي المقابل يمكن أن يبقى الزعيم (شي جين بينغ) على رأس السلطة حتى بعد انتهاء ولايته في عام (٢٠٢٢). وتأملت روسيا أن تحقق التكامل بين مبادرة الحزام والطريق والاتحاد الاقتصادي الأوراسي، إذ صرح الرئيس الروسي (بوتين) لوسائل الإعلام في (١١ كانون الأول ٢٠٢٠)، قائلاً: « نتحدث بشكل أساس عن ربط أنشطة الاتحاد الاقتصادي الأوراسي بتنفيذ مبادرة الحزام والطريق الشهيرة ». [١١٣]

كما أنّ التقارب الصيني الروسي الناشئ في ظل الضغط الأميركي، على الجانبين لا يُشير لتحولات جذرية واستراتيجية في طبيعة العلاقة، إذ يقود إلى تشكل تحالف متماسك في مواجهة الولايات المتحدة. [١١٤]

وخلاصة القول أن العلاقات الصينية – الروسية مستقرة ومزدهرة ويرجع ذلك إلى [١١٥] :

أ. الدرجة العالية من الثقة المتبادلة.

ب. التطلع إلى مستقبل للعلاقات المتبادلة يحقق المنافع للطرفين.

ت. الاحترام المتبادل والأخذ بالاعتبار المصالح الوطنية والسعي للعثور على حلول للمشكلات من خلال المباحثات.

ث. التوصل إلى مفهوم جديد للأمن بين البلدين يقوم على الثقة والمصالح المتبادلة والمساواة والتنسيق. وبذلك تمكنت القوتان من خلق ثقة متبادلة عسكرية أدت إلى نزع السلاح على طول الحدود بينهما، وكذلك إلى التعاون داخل منظمة (شنغهاي)، وهو ما جعل هذا الفضاء سلميًا ومستقرًا.

الخاتمة والاستنتاجات:

إن علاقات الصين الإقليمية قامت على أساس التعاون المتبادل وحسن الجوار الإقليمي، مع وجود التباين بين الدول المجاورة، إلا أنه غالبًا ما يساهم بشكل إيجابي في تحقيق طموحات الصين لبروزها قوةً إقليمية في آسيا ثم قوةً عالمية في القرن الحادي والعشرين. وأيضًا حظيت دراسة الأدوار الإقليمية باهتمام متزايد بالتزامن مع التطور الحاصل في الدراسات الإقليمية وبروز أحداث على الساحة الدولية أظهرت الدور المتعاظم للقوى الإقليمية فيما يخص التأثير في مجرى الأحداث على الساحة الدولية، وانفرادها في التحكم بالتفاعلات والعلاقات ضمن حدود الإقليم والنظم الإقليمية التي تنتمي إليها مع عجز ملحوظ للقوى الخارجية عن تلك النظم الإقليمية في التأثير على الطبيعة الداخلية للعمليات السياسية الإقليمية، من دون إرادة الأطراف الإقليمية الفاعلة، وإن توزيع القوة في النظام العالمي يشكّل الآن، والاتجاه نحو ظهور عالم متعدد الأقطاب زاد من التنافس على النفوذ من جانب عدد من الأقطاب الإقليمية القائمة والمحتملة، وسعي كل قطب إلى إنشاء أو وضع حدود للإقليم الخاص به، وأحد جوانب هذه المحاولة رسم خطوط فاصلة جديدة على يد القوى الإقليمية الكبرى بوصف منطقتها كمجال نفوذ لها، وهي تضفي المشروعية على تلك المحاولات بالحديث عن أسباب عدة تتراوح بين التأريخية والثقافية أو تلك المتعلقة بالمكاسب الاقتصادية المتوقعة. ولهذا فإن دولًا كثيرة تسعى الآن للقيام بدور جديد، فهي تريد أن تضع نفسها في موقع جديد على المسرح الجيوستراتيجي المتغير، ونتيجة هذه المحاولات هي زيادة درجة إقليمية دور تلك الدول، وسواء أدت الدول المهيمنة المحتملة أم القوى الإقليمية المحورية دورًا تجميعيًا أم تفريقيًا، فإنها سوف تبعث دائمًا ديناميكية جديدة في عمليات التوجه الإقليمي حيثما ظهرت.

المصادر

١. مصطفى شفيق علام، تغير السياسات في الفكر الاستراتيجي الأنماط والمحددات، ((القاهرة: المركز العربي للدراسات الإنسانية، يونيو ٢٠٠٩)) وأيضًا متوفر على الرابط التالي: http: /www. arab-center. org/

٢. علي حسين حميد عزيز، القوى الإقليمية والقوى الكبرى، دراسة في استراتيجيات الشراكة والتوظيف دراسة حالة ((العراق والولايات المتحدة الأمريكية))، أطروحة

دكتواه غير منشورة ((جامعة النهرين : كلية العلوم السياسة ، ٢٠٠٧ ،))

٣ . مهدي حسن زويلف : تخطيط القوى العاملة بين النظرية والتطبيق ، ط٢ ، (بغداد : مطبعة الزمان ، عام١٩٨٦م) ،

٤ . هليدا هوخام : تأريخ الصين منذ ما قبل التأريخ حتى القرن العشرين ، ترجمة : أشرف محمد كيلاني ، ط١ ، (القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة ، عام٢٠٠٢م) .

٥ . نوار جليل هاشم : قياس قوة الدولة : إطار تحليلي لقياس قوة الصين مقارنة بدول كبرى ، المجلة العربية للعلوم السياسية ، مجلة دورية محكمة تصدر عن الجمعية العربية ، العدد (٢٥) ، عام ٢٠١٠ .

٦ . أحمد عبد الأمير الأنباري ، : السياسة الخارجية الصينية وكيفية التعامل مع الأزمات الدولية ، الأزمة العراقية للفترة (١٩٩٠ــ٢٠٠٣) أنموذجًا ، مركز الدراسات الدولية ، بغداد ، ٢٠٠٧م .

٧ . ابتسام محمد عبد العامري : التحديث في الصين دراسة في الأبعاد الأساسية ، أطروحة دكتوراه ، جامعة بغداد ، ، العلوم السياسية ، ٢٠٠٦ .

٨ . كاظم هاشم نعمة : الصين في السياسة الآسيوية بعد الحرب الباردة ، ط١ ، (طرابلس : الجماهيرية العظمى ، منشورات دار الأكاديمية للطباعة والتأليف والترجمة والنشر ، عام٢٠٠٧م) .

٩ . محمد نعمان جلال : الركائز الاستراتيجية لسياسة الصين الخارجية الذكرى الستون للثورة الصينية ، مركز الجزيرة للدراسات-تقارير ، ٩/ ١/ ٢٠٢٢ . .www. aljazeera. net

١٠ . محمد جواد علي ، اليابان ونموذجها الجديد في تحقيق توازنها الاقتصادي العالمي ، مجلة آفاق ، بغداد ، العدد (٩) عام ١٩٩٢م .

١١ . مينا حاتم محمد : مستقبل الدور العالمي للصين ، رسالة ماجستير ، جامعة النهرين ، كلية العلوم السياسية- قسم الاستراتيجية ، ٢٠٠٨م .

١٢ . عبد الحسن الحسيني ، التنمية البشرية وبناء مجتمع المعرفة - قراءة في تجارب الدول العربية وإسرائيل والصين وماليزيا ، ط١ ، (بيروت : الدار العربية للعلوم ناشرون ، ٢٠٠٨م) .

١٣ . جعفر كرار أحمد : الصين بعد رحيل دينج شياوينج-دراسة : حول الوضع الراهن واحتمالات المستقبل ، السياسة الدولية ، العدد (١٢٨) ، أبريل-١٩٩٧ .

١٤ . عبيده نحاس ، مستقبل الصين بعد دينغ ، شؤون دولية ، العدد (٣٧٥) ، السنة الثامنة ، مارس-١٩٩٨م .

١٥ . محمد علي القوزي : العلاقات الدولية في التأريخ الحديث والمعاصر ، ط١ ، (بيروت-لبنان : دار النهضة العربية ، عام٢٠٠٢م) .

١٦ . محمد عبد الوهاب الساكت : الموقف العربي من القضايا الصينية ، مجلة الفكر السياسي ، العدد (٧) ، عام ١٩٩٩م .

١٧ . سعد حقيق توفيق : النظام الدولي الجديد ، ط١ ، (عمان : الأهلية للنشر والتوزيع ، عام ١٩٩٩) .

١٨ . عنتر محمد أحمد عبد العال : إدارة التعليم في كل من الصين وكوريا الجنوبية وماليزيا وإمكانية الإفادة منها في مصر ، كلية التربية-جامعة سوهاج ، عام٢٠٠٧م .
www. jedu. sohag. sci. eg. com

١٩ . وي وي زانج ، الإصلاح الاقتصادي في الصين ودلالاته السياسية ، (أبو ظبي : دراسات عالمية ، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، العدد (١١) ، ١٩٩٤م .

٢٠ . جون ثورنتون وآخرون : الصين المتغيرة واحتمالات الديمقراطية في الداخل والدبلوماسية الجديدة تجاه : الدول المارقة ، دراسات عالمية ، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، ط١ ، (أبو ظبي : دولة الإمارات العربية المتحدة ، عام٢٠٠٩م .

٢١ . نزار عبد المعطي زيدان : العلاقات الأمريكية- الصينية أوجه التقارب وأوجه التباعد ، مجلة سياسية دولية ، العدد (١٣٢) ، عام ١٩٩٨م .

٢٢ . وليد سليم عبد الحي ، مصدر المكانة المستقبلية للصين في النظام الدولي (١٩٧٨-٢٠١٠) م ، ط١ ، (أبو ظبي : مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، ٢٠٠٠م) .

٢٣ . توماس ويلبون : السياسة الدولية في شمال شرق آسيا-المثلث الاستراتيجي (الصين ، اليابان ، الولايات المتحدة الأمريكية) ، (أبو ظبي ، دراسات عالمية ، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، العدد (١٢) ، ١٩٩٤ .

٢٤ . إليزابيث إكونومي : القفزة الكبرى إلى الوراء ! تكاليف أزمة الصين البيئية ، ط١ (أبو ظبي : دراسات عالمية ، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، العدد (٧٥) ، ٢٠٠٨م) .

٢٥ . يامن خالد يسوف : واقع التوازن الدولي بعد الحرب الباردة واحتمالاته المستقبلية ، ط (بلا) ، (دمشق : وزارة الثقافة-الهيأة العامة السورية للكتاب ، ٢٠١٠م .

٢٦ . عبد العزيز مصطفى عبد الكريم ، ود . رشاد مهدي هاشم : التخطيط الصناعي ، ط (بلا) ، (الموصل : مديرية دار الكتب للطباعة والنشر ، ١٩٨٩م .

٢٧ . مغاوري شلبي علي : التنسيق يخرج من القمم لقيادة العالم ، قضايا اقتصادية . اقتصاديات دولية ، إسلام إون لاين ، عام٢٠٠١م .

٢٨ . أحمد السيد النجار : الصين والقفزة الاقتصادية العملاقة ، كراسات استراتيجية ، السنة السابعة عشرة ، العدد (٩٧٩) ، ٢٠٠٧م .

٢٩ . عبد القادر محمد فهمي : دور الصين في البنية الهيكلية للنظام الدولي ، ط١ ، (أبو ظبي : مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، دراسات استراتيجية ، العدد (٤٢) ، ٢٠٠٠م) .

٣٠ . نوار جليل هاشم : قياس قوة الدولة : إطار تحليلي لقياس قوة الصين مقارنة بدول كبرى ، المجلة العربية للعلوم السياسية ، مجلة دورية محكمة تصدر عن الجمعية العربية ، العدد (٢٥) ، عام ٢٠١٠ .

٣١ . اللجنة العالمية للبيئة والتنمية ، مستقبلنا المشترك ، ترجمة : محمد كامل عارف ، مراجعة : د . علي حسين حجاج ، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، عالم المعرفة (١٤٢) ، تشرين الأول ، ١٩٨٩م .

٣٢ . براد روبرتدس وآخرون : الصين : القوة المنسية ، ترجمة : سميرة إبراهيم عبد

الرحمن، سلسلة دراسات مترجمة، مركز الدراسات الدولية، العدد (٤٣)، جامعة بغداد، ٢٠١٠م.

٣٣. سعد التميمي: بعد ماكاو: هل تعود تايوان إلى الصين، أوراق آسيوية، مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد، العدد (٣٦)، السنة الثانية، ٢٠٠٠م.

٣٤. ليوشي لينغ: قوة الصين التقنية لا تتماثل وقوتها الصناعية، دراسات استراتيجية، المركز العربي للمعلومات،

www. arabsino. com.

٣٥. عبيده نحاس: مستقبل الصين بعد دينغ، شؤون دولية، العدد (٣٧٥)، السنة الثامنة، مارس-١٩٩٨م، .

٣٦. زلمي خليل زاد: التقييم الاستراتيجي، ط/١، مركز الإمارات للدراسات الاستراتيجية، ١٩٩٧م.

٣٧. محمد علي رضا آل جاسم: القواعد الأساسية في الاقتصاد الدولي، ط٢، (بغداد: مطبعة التضامن، جامعة بغداد- كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ١٩٦٧م).

٣٨. جان ماري شوفالييه: معارك الطاقة الكبرى، ترجمة: لميس عزب، ط١، (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية- كتاب العربية-الترجمة (٤) ٢٠١٠م).

٣٩. آلان بيرفيت: يوم تنهض الصين يهتز العالم، ترجمة: هنري زغيب، (بيروت، باريس: منشورات عويدات، ١٩٧٨م)، ص١٥٩.

٤٠. مدحت أيوب: الآسيان بين بكين وواشنطن، السياسة الدولية، (مركز الأهرام للدراسات والبحوث الاستراتيجية، العدد (١٨٣)، عام ٢٠١١م.

٤١. هاني إلياس الحديثي: اتجاهات أساسية في سياسة الصين الإقليمية، دراسات استراتيجية، مركز الدراسات الدولية، العدد (٢)، جامعة بغداد، عام ١٩٩٧م.

٤٢. بيير هاسنر وجوستان فاييس: واشنطن والعالم معظلة القوى العظمى، ترجمة: د. قاسم مقداد، ط١، (دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠٠٨).

٤٣. «التوازن العسكري للعام٢٠٠٧م» أمريكا لا تزال مهيمنة على صياغة الأجندة الدولية، دراسات استراتيجية، المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية، قدس

برس-الوسيط التونسية.

wwww. tunisalwosat. com

٤٤. عبد الوهاب عبد الستار القصاب: المحيط الهندي وتأثيره في السياسات الدولية والإقليمية، ط (بلا)، (بغداد: شركة السرمد للطباعة المحدودة، ٢٠٠٠م).

٤٥. محمد عبد السلام: القدرات العسكرية الصينية والتوازن الإقليمي، السياسة الدولية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، العدد (١٨٣)، المجلد (٤٦)، السنة السابعة والأربعون، ٢٠١١م.

٤٦. وليد سليم عبد الحي، ((التحديات الاستراتيجية للفكر الصهيوني، منشورات قضايا))، (الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات والبحوث، فبراير ٢٠١٢).

٤٧. علي سيد النقر: السياسة الخارجية للصين وعلاقاتها بالولايات المتحدة الأمريكية، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٩م.

٤٨. معتز محمد سلامة: توسيع الناتو وهموم الصين الآسيوية، مجلة السياسة الدولية، العدد (١٢٩)، القاهرة، عام ١٩٩٧.

٤٩. نورهان الشيخ: روسيا. الشريك الطبيعي للصين، السياسة الدولية، العدد (١٨٣)، السنة السابعة والأربعون، كانون الثاني، ٢٠١١م.

٥٠. كوثر عباس: مستقبل النظام الأمني الأمريكي في شرق آسيا (الصين واليابان والكوريتين)، دراسات دولية، مركز الدراسات الدولية، العدد (٢٣) بغداد، شباط-٢٠٠٤م.

٥١. هاني إلياس خضر الحديثي: اللقاء الروسي الصيني ومستقبل التوازن، أوراق آسيوية، مركز الدراسات الدولية، العدد (٤٧)، السنة الثانية، آب-٢٠٠٠م.

٥٢. أمير جبار لفتة: الصين في عالم متغير، بإشراف: د. محمد جواد علي، متابعات دولية، مركز الدراسات الدولية، العدد (٥٧)، بغداد-٢٠٠١م.

٥٣. نزار إسماعيل عبد اللطيف الحيالي: الجديد في: الاستراتيجية النووية الصينية، بإشراف: د. محمد جواد علي، أوراق استراتيجية، مركز الدراسات الدولية، العدد (٨)، السنة الأولى، آب، ١٩٩٩م.

٥٤ . سميرة إبراهيم عبد الرحمن : المثلث الروسي الصيني- الهندي ، الأهداف المشتركة ، أوراق آسيوية ، مركز الدراسات الدولية ، العدد (٧) ، السنة الأولى ، تموز-١٩٩٩م .

٥٥ . عبد السلام إبراهيم بغدادي : أنسحاب الولايات المتحدة من معاهدة الحد من انتشار الصواريخ البالستية A . B . M ، أوراق آسيوية ، مركز الدراسات الدولية ، العدد (٩٧) ، جامعة بغداد ، السنة الرابعة ، عام٢٠٠٢م .

٥٦ . علي حسين باكير : العلاقات الروسية- الصينية تحت المجهر ، مجلة العصر ، www . alaser . ws . com

٥٧ . محمد عطية محمد ، التجربة الاقتصادية الصينية وتحدياتها المستقبلية ، رسالة ماجستير منشورة ، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية ، جامعة الأزهر ، غزة ، ٢٠١٢ .

٥٨ . فيروز سلامة ، مستقبل دور روسيا في النظام الدولي ، مدونة طلاب ماجستير الدراسات الدولية ، معهد إبراهيم أبو لغد للدراسات الدولية ، جامعة بيرزيت ، فلسطين ، ص٦ . مقالة متوفرة عبر الرابط التالي : http edu . birzeit . ialiis/// .

٥٩ . علاء عبد الحفيظ محمد ، تأثيرات الصعود الروسي والصيني في هيكل النظام الدولي في إطار نظرية تحول القوة ، مجلة العربية للعلوم السياسية ، العدد٤٧__٤٨ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، لبنان ، ٢٠١٥م .

٦٠ . حيدر زهير جاسم الوائلي ، التنافس الصيني - الياباني في إقليم آسيا الباسفيك ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، ، كلية العلوم السياسية ، جامعة النهرين ، ٢٠٠٨ .

٦١ . موقع الجزيرة نت ، متوفر على شبكة المعلومات التالية ، تأريخ زيارة الموقع ٢٣/ ١/ ٢٠٢٢ : https: //www. aljazeera. net .

الهوامش:

١ * كلية العلوم السياسية ـــ جامعة النهرين

٢ ** ماجستير العلوم السياسية، جامعة النهرين، قسم الإستراتيجية. Ebtihaltot6658@gmail.com

٣ علي حسين حميد عزيز، القوى الإقليمية والقوى الكبرى، دراسة في استراتيجيات الشراكة والتوظيف دراسة حالة ((العراق والولايات المتحدة الأمريكية)) ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ((جامعة النهرين: كلية العلوم السياسة، ٢٠٠٧) ص١٩٤.

٤ المصدر نفسه، ص ٨٣.

٥ مهدي حسن زويلف: تخطيط القوى العاملة بين النظرية والتطبيق، ط٢، (بغداد: مطبعة الزمان، عام١٩٨٦م) ، ص ص (٥٨، ٥٩)

٦ هليدا هوخام: تأريخ الصين منذ ما قبل التأريخ حتى القرن العشرين، ترجمة: أشرف محمد كيلاني، ط١، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، عام٢٠٠٢م) .

٧ الصين، ويكيبديا-الموسوعة الحرة، www.ar.wikipedia.org

٨ نوار جليل هاشم: قياس قوة الدولة: إطار تحليلي لقياس قوة الصين مقارنة بدول كبرى، المجلة العربية للعلوم السياسية، مجلة دورية محكمة تصدر عن الجمعية العربية، العدد (٢٥) ، عام ٢٠١٠، ، ص٨٥.

٩ أحمد عبد الأمير الأنباري، : السياسة الخارجية الصينية وكيفية التعامل مع الأزمات الدولية، الأزمة العراقية للفترة (١٩٩٠ـــ٢٠٠٣) أنموذجًا، مركزالدراساتالدولية، بغداد، ٢٠٠٧م، ص٤٧.

١٠ الصين، مصدر سبق ذكره، www.ar.wikipedia.org.

١١ ابتسام محمد عبد العامري: التحديث في الصين دراسة في الأبعاد الأساسية، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، ، العلوم السياسية، ٢٠٠٦، ص٥

١٢ كاظم هاشم نعمة: الصين في السياسة الآسيوية بعد الحرب الباردة، ط١، (طرابلس: الجماهيرية العظمى، منشورات دار الأكاديمية للطباعة والتأليف والترجمة والنشر، عام٢٠٠٧م) ، ص١٣٤.

١٣ محمد نعمان جلال: الركائز الاستراتيجية لسياسة الصين الخارجية الذكرى الستون للثورة الصينية، مركز الجزيرة للدراسات-تقارير، ٩/ ١١/ ٢٠٠٩م. www.aljazeera.net

١٤ محمد جواد علي، اليابان ونموذجها الجديد في تحقيق توازنها الاقتصادي العالمي، مجلة أفاق، بغداد، العدد (٩) عام ١٩٩٢م، ص١٥.

١٥ الصين، ويكيبديا-الموسوعة الحرة. www.ar.wikipedia.org.

١٦ مينا حاتم محمد: مستقبل الدور العالمي للصين، رسالة ماجستير، جامعة النهرين، كلية العلوم السياسية- قسم الاستراتيجية، ٢٠٠٨م، ص٧٩.

١٧ عبد الحسن الحسيني، التنمية البشرية وبناء مجتمع المعرفة – قراءة في تجارب الدول العربية وإسرائيل والصين وماليزيا، ط١، (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠٠٨م) .

، ص318.

١٨ جعفر كرار أحمد: الصين بعد رحيل دينج شياوينج-دراسة: حول الوضع الراهن واحتمالات المستقبل، السياسة الدولية، العدد (١٢٨) ، أبريل-١٩٩٧، ص١٨.

١٩ عبيده نحاس، مستقبل الصين بعد دينغ، شؤون دولية، العدد (٣٧٥) ، السنة الثامنة، مارس-١٩٩٨م.

٢٠ كونراد زايتس، مصدر سبق ذكره، ص٣٧٠.

٢١ محمد علي القوزي: العلاقات الدولية في التأريخ الحديث والمعاصر، ط١، (بيروت-لبنان: دار النهضة العربية، عام٢٠٠٢م) ، ص٣١٤.

٢٢ محمد عبد الوهاب الساكت: الموقف العربي من القضايا الصينية، مجلة الفكر السياسي، العدد (٧) ، عام ١٩٩٩م، ص ص (١٣٦ ، ١٣٨) .

٢٣ سعد حقيق توفيق: النظام الدولي الجديد، ط١، (عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، عام ١٩٩٩) ، ص٥٢.

٢٤ كونراد زايتس، مصدر سبق ذكره، ص٣٧١.

٢٥ عنتر محمد أحمد عبد العال: إدارة التعليم في كل من الصين وكوريا الجنوبية وماليزيا وإمكانية الإفادة منها في مصر، كلية التربية-جامعة سوهاج، عام٢٠٠٧م. www. jedu. sohag. sci. eg. com

٢٦ هليدا هوخام، مصدر سبق ذكره، ص٣٧٧.

٢٧ وي وي زانج، الإصلاح الاقتصادي في الصين ودلالاته السياسية، (أبو ظبي: دراسات عالمية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، العدد (١١) ، ١٩٩٤م) ، ، ص٤٩.

٢٨ جون ثورنتون وآخرون: الصين المتغيرة واحتمالات الديمقراطية في الداخل والدبلوماسية الجديدة تجاه: الدول المارقة، دراسات عالمية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط١، (أبو ظبي: دولة الإمارات العربية المتحدة، عام٢٠٠٩م) ، ص٢٦.

٢٩ وليد سليم عبد الحي، مصدر سابق، ص١٠٥.

٣٠ وي وي زانج، مصدر سابق ص٣٥.

٣١ محمد جواد علي، مصدر سبق ذكره، ص٣٢.

٣٢ وليد سليم عبد الحي، مصدر سابق، ص١٠٨.

٣٣ محمد جواد علي، مصدر سبق ذكره، ص٣٢.

٣٤ المصدر نفسه، ص٣٢.

٣٥ المصدر نفسه، ص٣٢.

٣٦ وليد سليم عبد الحي، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٩.

٣٧ محمد جواد علي، مصدر سابق، ص٣٣.

٣٨ وليد سليم عبد الحي، مصدر سابق، ص١٠٩.

٣٩ وليد سليم، المصدر سابق، ص١٠٩.

٤٠ أحمد عبد الأمير الأنباري، مصدر سبق ذكره، ص٣.

٤١ محمد جواد علي، مصدر سبق ذكره، ص١٥.

٤٢ توماس ويلبون: السياسة الدولية في شمال شرق آسيا-المثلث الاستراتيجي (الصين، اليابان، الولايات المتحدة الأمريكية) ، (أبو ظبي، دراسات عالمية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، العدد (١٢) ، ١٩٩٤) ، ص١٦.

٤٣ اليزابيث إكونومي: القفزة الكبرى إلى الوراء! تكاليف أزمة الصين البيئية، ط١ (أبو ظبي: دراسات عالمية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، العدد (٧٥) ، ٢٠٠٨م) ، ص ٣١.

٤٤ يامن خالد يسوف: واقع التوازن الدولي بعد الحرب الباردة واحتمالاته المستقبلية، ط (بلا) ، (دمشق: وزارة الثقافة-الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١٠م) ، ص٢٦٩.

٤٥ كاظم هاشم نعمة، مصدر سبق ذكره، ص١٢٩.

٤٦ المصدر نفسه، ص١٢٥.

٤٧ عبد العزيز مصطفى عبد الكريم، ود. رشاد مهدي هاشم: التخطيط الصناعي، ط (بلا) ، (الموصل: مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٨٩م) ، ص٢٨٣.

٤٨ هشام ياس شعلان: آليات التحول من نظام التخطيط المركزي إلى نظام اقتصاد السوق (تجربة الاقتصادات المتحولة) ، ط١، (العراق- بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ٢٠٠٤م) ، ص١٥٩.

٤٩ مينا حاتم محمد: مصدر سبق ذكره، ص٦٣.

٥٠ وي وي زانج: الإصلاح الاقتصادي في الصين ودلالاته السياسية، (أبو ظبي: دراسات عالمية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، العدد (١١) ، ١٩٩٤م) ، ص٩.

٥١ أحمد عبد الأمير الأنباري، مصدر سبق ذكره، ص٥٧.

٥٢ هشام ياس شعلان، مصدر سبق ذكره، ص٧٣.

٥٣ هناء عبد الغفار: الاستثمار الأجنبي المباشر والتجارة الدولية-الصين إنموذجًا، ط١، (العراق-بغداد: بيت الحكمة، ٢٠٠٢م) ، ص٣٢١.

٥٤ كونراد زايتس، مصدر سبق ذكره، ص٣٦١.

٥٥ توماس ويلبون، مصدر سبق ذكره، ص١٤.

٥٦ مغاوري شلبي علي: التنسيق يخرج من القمم لقيادة العالم، قضايا اقتصادية. اقتصاديات دولية، إسلام اون لاين، عام٢٠٠١م.

.www. Islamoinlien. com

٥٧ اللجنة العالمية للبيئة والتنمية، مستقبلنا المشترك، ترجمة: محمد كامل عارف، مراجعة: د. علي حسين حجاج، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عالم المعرفة (١٤٢) ، تشرين الأول، ١٩٨٩م، ص٢٠٩.

٥٨ يامن خالد يسوف، مصدر سبق ذكره، ص٢٦٧.

٥٩ براد روبرتدس وآخرون: الصين: القوة المنسية، ترجمة: سميرة إبراهيم عبد الرحمن، سلسلة دراسات مترجمة، مركز الدراسات الدولية، العدد (٤٣) ، جامعة بغداد، ٢٠١٠م، ص٨٢.

٦٠ كونراد زايتس، مصدر سبق ذكره، ص ص (٣١٢، ٤١٧) .

٦١ محمد جواد علي، مصدر سبق ذكره، ص٢٤.

٦٢ وليد سليم عبد الحي، مصدر سبق ذكره، ص٦٦.

٦٣ ليوشي لينغ: قوة الصين التقنية لا تتماثل وقوتها الصناعية، دراسات استراتيجية، المركز العربي للمعلومات، ١٨/ ١٠/ ٢٠٠٣م

.www. arabsino. com

٦٤ نوار جليل هاشم، مصدر سبق ذكره، ص٩٣.

٦٥ اللجنة العالمية للبيئة والتنمية، مستقبلنا المشترك، مصدر سبق ذكره، ص٢٦٤.

٦٦ نقلاً عن: آلان بيرفيت: يوم تنهض الصين يهتز العالم، ترجمة: هنري زغيب، (بيروت، باريس: منشورات عويدات، ١٩٧٨م) ، ص١٥٩.

٦٧ عبد الأمير الأنباري، مصدر سبق ذكره، ص٤١.

٦٨ عبد القادر محمد فهمي، مصدر سبق ذكره، ص ٥٠.

٦٩ هاني الياس الحديثي: اتجاهات أساسية في سياسة الصين الإقليمية، دراسات استراتيجية، مركز الدراسات الدولية، العدد (٢) ، جامعة بغداد، عام ١٩٩٧م، ص٣٣.

٧٠ بيير هاسنر وجوستان فاييس: واشنطن والعالم معظلة القوى العظمى، ترجمة: د. قاسم مقداد، ط١، (دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠٠٨) ، ص ص (١٩١، ١٩٢) .

٧١ "التوازن العسكري للعام٢٠٠٧م" أمريكا لا تزال مهيمنة على صياغة الأجندة الدولية، دراسات استراتيجية، المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية، قدس برس-الوسيط التونسية.

wwww. tunisalwosat. com

٧٢ عبد القادر محمد فهمي، مصدر سبق ذكره، ص ٩.

٧٣ كاظم هاشم نعمة، مصدر سبق ذكره، ص٢٢٩.

٧٤ المصدر السابق، ص٢٩٥.

٧٥ نفس المصدر أعلاه، ص٢٢٩.

٧٦ المصدر نفسه، ص١٣٨ .

٧٧ عبد القادر محمد فهمي، مصدر سبق ذكره، ص ٥١ .

٧٨ عبد الوهاب عبد الستار القصاب: المحيط الهندي وتأثيره في السياسات الدولية والإقليمية، ط (بلا)، (بغداد: شركة السرمد للطباعة المحدودة، ٢٠٠٠م)، ص٢٩٦ .

٧٩ محمد عبد السلام: القدرات العسكرية الصينية والتوازن الإقليمي، السياسة الدولية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، العدد (١٨٣)، المجلد (٤٦)، السنة السابعة والأربعون، ٢٠١١م، ص٦١ .

٨٠ نوار جليل هاشم، مصدر سبق ذكره، ص٩٧ .

٨١ توماس ويلبون، مصدر سبق ذكره، ص٥١ .

٨٢ فولفجانج هيرن، مصدر سبق ذكره، ص٢٣٥، وانظر أيضًا: أحمد عبد الأمير الأنباري، مصدر سبق ذكره، ص٤٣ .

٨٣ (*) توماتايا: نهر يقع عند ملتقى الحدود بين روسيا والصين وكوريا الشمالية .

علي سيد النقر: السياسة الخارجية للصين وعلاقاتها بالولايات المتحدة الأمريكية، (القاهرة: الهيأة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٩م)، ص ص (٩٤، ٩٥)، وأنظر أيضًا، أحمد عبد الأمير الأنباري، مصدر سبق ذكره، ص١٨ .

٨٤

٨٥ وليد سليم عبد الحي، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٨ .

٨٦ أحمد عبد الأمير الأنباري، مصدر سبق ذكره، ص١٨ .

٨٧ معتز محمد سلامة: توسيع الناتو وهموم الصين الآسيوية، مجلة السياسة الدولية، العدد (١٢٩)، القاهرة، عام ١٩٩٧، ص١٢٤

٨٨ ابتسام محمد العامري، مصدر سبق ذكره، ص٨ .

٨٩ عبد القادر محمد فهمي، مصدر سبق ذكره، ص ٤١ .

٩٠ كاظم هاشم نعمة، الصين في السياسة الآسيوية بعد الحرب الباردة، مصدر سبق ذكره، ص٢٧٨ .

٩١ حسين علي البطاوي: الصين وتحديات الأوضاع العالمية الراهنة في ضوء محاولات الصين للانضمام إلى منظمة التجارة العالمية، أوراق استراتيجية، مركز الدراسات الدولية، العدد (٢١)، السنة الأولى، تشرين الثاني ١٩٩٩م، ص٣ .

٩٢ ابتسام محمد العامري، مصدر سبق ذكره، ص٨ .

٩٣ وليد سليم عبد الحي، مصدر سبق ذكره، ص ص (١٦٧، ١٦٨)

٩٤ وليد سليم عبد الحي، مصدر سبق ذكره، ص ١٦٨ .

٩٥ أحمد عبد الأمير الأنباري، مصدر سابق، ص١٨ .

٩٦ كوثر عباس: مستقبل النظام الأمني الأمريكي في شرق آسيا (الصين واليابان والكوريتين)، دراسات دولية، مركز الدراسات الدولية، العدد (٢٣) بغداد، شباط-٢٠٠٤م، ص٤٢ .

٩٧ عبد الأمير الأنباري، مصدر سبق ذكره، ص١٩ .

٩٨ هاني إلياس خضر الحديثي: اللقاء الروسي الصيني ومستقبل التوازن، أوراق آسيوية، مركز الدراسات الدولية، العدد (٤٧)، السنة الثانية، آب-٢٠٠٠م، ص٢ .

٩٩ أمير جبار لفتة: الصين في عالم متغير، بإشراف: محمد جواد علي، متابعات دولية، مركز الدراسات الدولية، العدد (٥٧)، بغداد-٢٠٠١م، ص ٧ .

١٠٠ علي سيد النقر، مصدر سبق ذكره، ص٩٥ .

١٠١ نزار إسماعيل عبد اللطيف الحيالي: الجديد في: الاستراتيجية النووية الصينية، بإشراف: د. محمد جواد علي، أوراق استراتيجية، مركز الدراسات

الدولية، العدد (٨) ، السنة الأولى، آب، ١٩٩٩م، ص٢ .

١٠٢ أحمد عبد الأمير الأنباري، مصدر سبق ذكره، ص٤٣ . وانظر أيضًا، كوثر عباس الربيعي، مصدر سبق ذكره، ص٤٣ .

١٠٣ كاظم هاشم نعمة، الصين في السياسة الآسيوية، مصدر سبق ذكره، ص٢٧٣ .

١٠٤ علي حسين باكير: العلاقات الروسية- الصينية تحت المجهر، مجلة العصر، ٢٢/ ٣/ ٢٠٠٦م، ص٢، www. alaser. ws. com .

١٠٥ علي حسين باكير: العلاقات الاستراتيجية الصينية- الروسية، أبحاث الصين وروسيا، العدد (٥٦) ، قضية الدفاع الوطني اللبناني، الصادر عن وزارة الدفاع، ١/ ٤/ ٢٠٠٦م. www. maktooblog. com

١٠٦ محمد عطية محمد، التجربة الاقتصادية الصينية وتحدياتها المستقبلية، رسالة ماجستير منشورة، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، جامعة الأزهر، غزة، ٢٠١٢، ص ١١٧__١١٨ .

١٠٧ فيروز سلامة، مستقبل دور روسيا في النظام الدولي، مدونة طلاب ماجستير الدراسات الدولية، معهد إبراهيم أبو لغد للدراسات الدولية، جامعة بيرزيت، فلسطين، ص٦ . مقالة متوفرة عبر الرابط التالي: http ialiis. birzeit. edu //

١٠٨ المصدر نفسه، ص٧ .

١٠٩ علاء عبد الحفيظ محمد، تأثيرات الصعود الروسي والصيني في هيكل النظام الدولي في أطار نظرية تحول القوة، مجلة العربية للعلوم السياسية، العدد٤٧__٤٨، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ٢٠١٥م، ص١٦ .

١١٠ المصدر نفسه، ص١٦ .

١١١ المصدر السابق، ص ١٦- ١٧ .

١١٢ حيدر زهير جاسم الوائلي، التنافس الصيني- الياباني في إقليم أسيا الباسفيك، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، ٢٠٠٨، ص ٢٢٦ .

١١٣ المصدر نفسه، ص٢٢٧ .

١١٤ موقع الجزيرة نت، متوفر على شبكة المعلومات التالية، تأريخ زيارة الموقع ٢٣/ ١/ ٢٠٢٢: https: //www. aljazeera. net

١١٥ كاظم هاشم نعمة، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧٣ .

الواقع الافتراضي وأثره في المجتمع المدني

أ. د صابرين زغلول السيد

جمهورية مصر العربية- جامعة عين شمس/ كلية التربية للبنات

المستخلص:

يشهد عالمنا المعاصر الكثير من الفوائد التي قدمتها لنا الميديا المختلفة والتقنيات التكنولوجية الحديثة ولا سيَّما فيما يعرف بالواقع الافتراضي الذي نشأ بدافع الحوار وتبادل الآراء بالدرجة الأولى، مما يؤكد سعي الأفراد إلى إثبات الذات ونشر الأفكار، وأصبحت الهوية الافتراضية عند غالبية الأفراد انعكاسًا لهوياتهم الحقيقية، وهو ما يفسر تصريحهم ببياناتهم الحقيقية حول السن والجنس والمواصفات ووضع صورهم الحقيقية، كما يحاول البعض ربطها بالهوية الحقيقية عن طريق الاسم المستعار الذي يكون له دلالات شخصية غالبًا، وكذا وضع صور رمزية واتخاذ شعارات تحمل التوجه الفكري أو توجه آخر، وقد ساعد على ذلك عوامل عملت على زيادة فعالية الأفراد داخل الواقع الافتراضي وزودت تمسكهم به، كما عملت على إثبات هويتهم وإظهار قدراتهم، منها تقلدهم منصب في هذه المجتمعات وحصولهم على تقدير أو وسام اعترافًا بجهودهم، حيث يرى الغالبية أنهم عن طريق الهوية الافتراضية يكونون أكثر تفاعلًا ونشاطًا ومشاركة وأحسن تصرفًا في الواقع الافتراضي عنه في الواقع الفعلي، وذلك لخصائص الواقع الافتراضي الذي يركز على التواصل الفكري وليس على المظهر والانطباعات الأولى مثلما هو موجود في الواقع الفعلي، كما أنه أكثر تلقائية وصراحة لانعدام تعقيدات الاتصال المباشر الاجتماعية كالقيام ببعض الترتيبات أو العادات والمراسيم أو النفسية كالشعور بالخجل أو الارتباك وغيرها، إلا أن القدرة على إخفاء الهوية أدّى وبشكلٍ سلبيّ إلى عدم مصداقية الهويات الافتراضية التي شجع بعضها على اختراق الحدود الدِّينية والأخلاقية والسياسية ...

Virtual Reality and Its Impact on Civil Society

Abstract:

Our contemporary world is witnessing a lot of benefits provided to us by the various media and modern technological technics, especially in what is known the virtual reality, which arose out of dialogue and exchange of views in the first place, and confirms the efforts of individuals to prove themselves and disseminate ideas, and the virtual identity of the majority of individuals has become a reflection of their true identities, which is What explains their declaration of their real data about age, gender, specifications, and putting their real pictures, as some try to link them to the real identity through a pseudonym that often has personal indications. As well as, putting symbolic pictures and making slogans holding the intellectual orientation or another orientation, and this was helped by factors that worked on increasing the effectiveness of individuals within virtual reality and increasing their adherence to it. In addition, working to prove their identity and demonstrate their capabilities, including holding a position in these societies and obtaining an appreciation or a medal in recognition of their efforts. About it in actual reality, due to the characteristics of virtual reality that focuses on intellectual communication and not on appearance and first impressions as it exists in actual reality, and it is more spontaneous and explicit due to the lack of social complexities of direct communication, such as making some arrangements, customs, ordinances, or psychological, such as feeling ashamed or confused and others, but the ability to hide identity negatively led to the lack of credibility of virtual identities that encouraged Some of them penetrate the religious, moral and political borders. . . etc.

Keywords:

المقدمة:

ان انقلاب الوسائل والتقنيات التكنولوجية وعكسها عن مسارها الصحيح وأصبحت تمثل منعطفًا خطيرًا داخل المجتمعات المدنية وذلك بسبب توغل هذه الوسائل والتقنيات إلى صميم حياتنا اليومية أكثر من اللازم فأصبحت جزءًا لا يتجزأ من واقعنا المعاش لدرجة أننا خلقنا من خلالها عالمًا بعيدًا كل البعد عن واقعنا المادي الملموس، الذي يتميز بصيرورته وكينونته، فأصبحنا فريسة لفقد كثير من القيم الحقيقية في وضع جديد مليء بالفراغ الروحاني كان من نتيجته صعود كثير من موجات الشك المعرفي والوجودي وأصبحنا لا نميز بين ما هو حقيقي ملموس وما هو مصطنع محاكى لنبني من جديد كهفًا أفلاطونيًا لا تمييز فيه بين عالم الأوهام والظلال والعالم الحقيقين، وأصبحنا نتساءل: هل الحقيقة هي العالم المصطنع الافتراضي أم عالمنا المادي الواقعي؟، هل ندرك أننا نعيش داخل عالم مصطنع افتراضي أم أن الميديا جعلت ما هو مصطنع حقيقيًا؟، كيف نقهر الاغتراب الذي فقدنا بسببه هويتنا و ذواتنا الحقيقية داخل عالم مصطنع مفرط ؟

أسئلة كثيرة تصدى لها بعض الفلاسفة على رأسهم جان بودريار «١٩٢٩-٢٠٠٧م» الفيلسوف والسوسيولوجي الفرنسي الذي طرح هذه الإشكاليّة بقوله « ما الذي تبقى إذن من الواقع المادي ونحن نشهد في كل مكان حقنًا هائلاً ومتواصلاً للواقع بالصورة والمتخيل والافتراضي »[١] ومن أجل ذلك حاول «بودريار» في كثير من أعماله وكتاباته التصدي لما سماه بعصر موت الواقع أو نهايته، الذي كان أبرز سماته نشأة العوالم الافتراضية، فقام بتحليل المبدأ المادي للواقع من صراع وتناقض وجدلية ونفي وقطعية ومجاوزة وثورة والذي كان من نتاجهم جدليات هادمة نتيجة القطعية التي خلقتها العوالم الافتراضية بين الإنسان ومجتمعه فأصبح مغتربًا حتى في وطنه وأصبح يعيش بعيون المغترب بين عالمين مختلفين لم يجتمعا على حافة التماس إلا وقد افترقا، وهما العالم الواقعي والعالم الافتراضي، ومن أجل ذلك كان لابد لنا من الوقوف على موقف (بودريار) من الواقع الافتراضي من خلال العديد من المفاهيم التي طرحها في محاولة للوقوف على تلك الهوّة الكبيرة التي حدثت بين العالم الواقعي والآخر الافتراضي من أجل إعادة الذات المستلبة التي فقدت هويتها داخل هذا العالم ذلك العالم الافتراضي.

الواقع الافتراضي Virtual reality

في ظل التأثيرات التكنولوجية الحالية انطلق (بودريار) في طرحه لمفهوم الواقع الافتراضي من خلال طرحه لفكرة الواقع المفرط (Hyper-Reality) ، والذي يعني عدم قدرة الوعي على التمييز بين الواقع ومحاكاة الواقع ، وخاصة في المجتمعات ما بعد الحداثية التي شهدت تقدمًا تكنولوجيًا هائلًا ، وينظر إلى الواقعية المفرطة بوصفها حالة يمتزج فيها الحقيقي والخيالي معًا بسلاسة حتى لا يكون هناك تمييز واضح يحدد أين ينتهي أحدهما وأين يبدأ الآخر ، مما يتيح الاختلاط بين الواقع المادي و الواقع الافتراضي والذكاء البشري والذكاء الاصطناعي و قد يجد الأفراد أنفسهم لأسباب مختلفة ، أكثر انسجامًا أو تورطًا مع عالم الواقع المفرط مقارنة بالعالم الحقيقي المادي لذلك يرى (بودريار) « أن الواقع الحقيقي لم يعد ما كان عليه من قبل ، حيث أثرت وسائل التكنولوجيا في تشكيل الوعي الاجتماعي الجديد في العصر الحاضر ومع تطور وسائل الاتصال والثورة التكنولوجية التي شهدها عصر ما بعد الحداثة أصبحت وسائل الإعلام تمارس دورًا جوهريًا في إثارة اهتمام الجمهور بالقضايا والمشكلات المطروحة» [٢] حيث تعد وسائل الإعلام مصدرًا رئيسيًا يلجأ إليه الجمهور في استقاء معلوماته عن كافة القضايا ، بسبب فاعليته الاجتماعية وانتشاره الواسع فهو - الإعلام - بقدرته على الحراك ومخاطبة القسم الأعظم من التكوين المجتمعي ، يمتلك تلك الإمكانية على التأثير لا سيَّما الفضاءات الافتراضية ، التي تقوم بتشكيل الوعي الاجتماعي بصورة غير مباشرة ، ، وقد ذهب «بودريار» إلى أن المعلومات والاتصالات ، أصبحت يستعاض عنها بما يعرف بالواقع المفرط الذي يحاكي الواقع الفعلي وذلك من خلال الإثارة واختراع الأكاذيب التي تجعل من حقيقته ، هي الأفضل وقد تم ذلك عند نقطة تحول حاسمة من خلال الانتقال من الإشارات التي غطت على الأشياء ، إلى علامات تخفي وجود هذه الأشياء ، وعلى ذلك أصبح الواقع المفرط يعرف بأنه ثقافة مليئه بالنماذج الحقيقية التي لم تكن موجودة ، مما ترتب عليه عواقب بفقدان « التمييز بين الحقيقي والمتخيل» [٣] وأصبحنا نخاطر بأن الحقيقي لا يحتاج لأن يكون عقلانيًا ؛ لأنه لم يعد لدينا المقاييس نفسها التي نحكم من خلالها على المثال الأعلى أو السلبي . ولذلك ساد منطق المحاكاة أو الاصطناع الذي ليس له أي علاقة بمنطق الحقائق أوالترتيبات العقلانية [٤] ويعتبر مصطلح الاصطناع أو المحاكاة من المفاهيم المهمة والضرورية لفك ألغاز الواقع المفرط عند (بودريار) ، ولذلك لا بُدَّ لنا من تسليط الضوء على هذا المفهوم .

الاصطناع Simulation

لعب مفهوم الاصطناع دورًا أساسيًا في تشكيل منظومة العالم المفرط في فلسفة بودريار، ولكي نفهم مفهوم الاصطناع عنده لا بُدَّ من إظهار التباين بين مصطلح الاصطناع (Simulation) والإخفاء (dissimulation) ، وقد ذهب «بودريار» إلى أن الإخفاء يلزمه وجود الشيء أولًا ليتم إخفاؤه، فهو على حد قوله يعني «التظاهر بعدم امتلاك ما نملك» [٥] ، لذا فإن ذلك المصطلح يعني (بما نملك) فنحن لا نخفي شيئًا ليس بحوزتنا، لأنه لا يمكن إخفاء اللاشيء أو العدم، كما أنه ليس بمقدورنا حجبه طالما أنه غير موجود، فلزم وجوب وجوده وملكه.

أما الاصطناع فهو «التظاهر بامتلاك ما لا نملك» [٦] ، وهو بهذا يعني الذي لا نملكه مدعين امتلاكه واستمرارية ذاك الامتلاك، أو بمعنى أخر ادّعاء حضور الغائب، وذلك لأن موضوعاته ليست واقعية وغير حقيقية نظهرها على أنها وقائع طبيعية، لذلك كانت مكانة الغياب متباينة بين المصطلحين، ففي مصطلح الإخفاء مكانة الغياب ثانوية؛ لأنها تأتي بعد الحضور أو الوجود والملكية، أما فيما يخص مصطلح الاصطناع فتلك المكانة – الغياب – أساسية تدخل في بنيته وصلب تكوينه لأنه يقوم عليها فهي مرجعيته الاستراتيجية، ومع ذلك فالاصطناع ليس بهذه البساطة والوضوح والتميز، لأنه أكثر تعقيدًا وتركيبًا وتضليلًا، ذلك «لأن الاصطناع غير التظاهر» [٧] ، أو التمثيل، بل بالعكس هو معارض له ذلك أن العلامة و الرمز يمثلان الحقيقة في التظاهر وهما متكافئان مع الحقيقة الواقعية، في حين أن الاصطناع يبدأ من يوتوبيا هذا التكافؤ، من خلال الارتداد بالعلامات والرموز عن كل مرجعيّة وبالتالي الحكم عليها بالإعدام، كذلك نجد التظاهر يحاول امتصاص ماهو مصطنع ومحاكى عن طريق تفسيره على أنه تمثيل كاذب، ولذلك فالتظاهر بالشيء لا يعني اصطناعه، على سبيل المثال من يتظاهر بالمرض – كما يقول بودريار – يمكنه ببساطة أن يستلقي على سريره ليوهم الآخرين بأنه مريض، أما من يصطنع المرض فإنه يعمل على أن يعين في ذاته بعض الأعراض، ولذلك فإن الاصطناع متباين تمامًا عن التظاهر والإخفاء ومؤثر في الواقع على نحو مغاير لهما، حيث إن تأثيره يخل بالتوازن في الواقع، بل إنه يشوه الواقع ويمزق مبادئه في حين تأثير التظاهر والإخفاء لا يؤثر أو يغير من توازن الواقع، ولذلك فالاصطناع لا يعبُر ثم يمضي ويزول؛ لأنه ليس استراتيجية سطحية ثانوية وإنما موجه بالضرورة ضد مبادئ الواقع ومقولاته، فالاصطناع إذًا يضع الواقع في زلزلة

قوية مفادها فقدان ثنائياته وتناقضاته مما يعمل على زيادة الهشاشة لمبدأ الواقعية، ويرمي بظلاله على أي إمكانية للتمييز بين الحقيقة والزيف والصدق والكذب، الخير والشر، بين الواقع والخيال. . . إلخ، وهذا بدوره يؤدي إلى زلزلة عمق المعاني من خلال عدم التمييز بين حدودها ونظيراتها ونقيضتها، فيحدث ما يمكن أن نسميه بالدمج بين الواقع والمصطنع، لذلك فإن الاصطناع بكونه موجهًا بالضرورة ضد مبادئ الواقع، فإنه يسعى إلى خلق ابستمولوجية فوضوية جرثومية أساسها التمويه والتضليل وانعدام الشفافية، مما يؤدي إلى سقوط مبادئ الواقعية وحدودها لحدوث هذا الدمج حيث لم يكن هناك ما يميز ذلك الحد الفاصل بين ما هو واقعي وخيالي أو حقيقي وسراب زائف؛ لأن جميع تلك المصطلحات قد أزيلت الحدود بينها وبين نقيضها « بحيث لم يعد هناك بُعد خيالي مستقل عن الواقع » [٨] ولن يبقى إلا الزيف المنفصل عن الحقيقة، لقد اختلطت الأوراق والعناصر والأشياء، وفي هذا المستوى نلمس تشابهًا بين نظرة بودريار للعالم ونظرة ديريدا للعالم كنص، فديريدا كذلك يقر بالطابع «المتردد واللايقيني indécidabl للعالم.

ولذلك يتساءل بودريار: بما أن المصطنع يخلق أعراضًا حقيقية فهل هو مريض أم لا ؟ ويجيب بقوله: « لا نستطيع أن نتعامل معه موضوعيًا لا كمريض ولا كسليم هنا يتوقف الطب وعلم النفس أمام حقيقة مرض صارت غير معروفة » [٩]

إذن فما هي نتيجة هذا الاصطناع على الواقع ؟ النتيجة أن الواقع بعدما أصبح مصطنعًا ومفبركًا أصبح عصيًا عن الفهم ما دمنا لا نستطيع تمييز مظاهره الحقيقية عن المصطنعة، لذلك يقول بودريار «لقد انخرط الجميع في اللعبة، لعبة الإيهام، ذلك أن الاصطناع جعلنا « لم نعد نتوقف على معيار أو مقياس أو إطار أو مرجع أنطولوجي أو قاعدة ابستمولوجية أو ضوابط أخلاقية نهائية أو يقينيات دينية تصلح للتمييز بين الأشياء ورسم الحدود وتحديد المسارات وتثبيت الأسماء وضبط الآفاق وطرد الأشباح والأوهام والتناقضات [١٠]، والمثال الذي يشرح ويوضح به بودريار ذلك الاصطناع «هو مثال ديزني لاند Disney Land» حيث يؤكد أن ظاهرة ديزني لاند ليست حقيقية وليست بالمزيفة كذلك، إنها آلة تعمية (حجب، إخفاء. . .) غرضها الأساسي إعادة توليد وهم الواقع.

ومن هنا – يقول بودريار – بهزال التخيّل وسخريته وانحطاطه، ذلك أن عالم «ديزني لاند» يريد أن يكون طفوليًا ليوهم الناس أن عالم الكبار هو في مكان آخر – أي– في العالم الواقعي» [١١] وأن هذا العالم هو مجرد عالم ديزني لاند، ليخفي حقيقة أن الطفولة

الفعلية هي في كل مكان، وأنه لا فرق بين ديزني لاند والعالم الواقعي»، وواقع الولايات المتحدة الأمريكية بالخصوص، ديزني لاند هي طفولة الكبار بأنفسهم الذين يلعبون هنا دور الأطفال لخداع الناس وتوهيمهم وإخفاء طفولتهم الواقعية [١٢] ، فديزني لاند نموذج مقولب (Stérétype) يعبّر عن الواقع الأمريكي دون التعبير عنه، وأساس هذه الصورة المقلوبة هي النمنمة أو التصغير (miniaturization) ولا شك في ذلك طالما أن عصر الاصطناع هو عصر النمنمة بامتياز، على حسب تعبير بودريار، وقد ساعد على ذلك أن تحولت كل الكلمات إلى إشارات ورموز تنتقل بفعلها الدلالات عبر فضاءات لتصبح كلمات ورموز للخطاب، لذلك أصبح الواقع في نظر بودريار مجرد وهم يتميز بالاختفاء كلما أردنا الاقتراب منه، فمثله في ذلك مثل سراب أنشأنا من خلاله واقعًا افتراضيًا [١٣] جاء نتيجة لاصطناع مفرط تمثل فيه الأشياء لتحل محل الأشياء الممثلة، وأصبح التمثيل أكثر أهمية من «الشيء الحقيقي» [١٤] وقد انتقد بودريار العلاقة بين الدال والمدلول عند» فرديناند دي سوسير ١٨٥٧-١٩١٣ م « [١٥] حيث أنكر مثل «جاك ديريدا» وجود أي معنى واضح، و قال بالدلالات العائمة أو المعنى المغيب، وبالتالي « رفض التمييز بين المظاهر والحقائق الكامنة وراء هذه المظاهر» [١٦] وبالنسبة له، انهارت أخيرا الفوارق بين الدال والمدلول، ولم تعد العلامات تشير إلى مدلولات بأي معنى معقول، حيث يتكون العالم الحقيقي من الدلالات العائمة. ولذلك ذهب مثل الفيلسوف الألماني نيتشه، بوجود الحقيقة مادامت ترتبط ارتباطًا وثيقا باللغة والخطأ والظن والمبالغة المجازية والبلاغة التخييلية ووسائل الإعلام، وقد ذهب بودريار إلى أبعد مما ذهب إليه نيتشه بصياغته لمفهوم «ما فوق الحقيقة، حيث يكون شيء ما حقيقيًا فقط عندما يتحرك ضمن نطاق وسائل الإعلام، وتولد تكنولوجيات الاتصال في ما بعد الحداثة الصور العائمة بشكل حر، حيث لايمكن لأحد أن يعيش أي تجربة إذا لم تكن بصيغة مشتقة، وقد أخذت تجربة العالم للعبث مكان أي ثقافة مميزة، وأصبح للعبث لهجة واحدة فقط: تلك التي تمتلكها الولايات المتحدة الأمريكية.

وهذا ما قاد العديد للشك في أن بودريار نفسه بمفهومه مافوق الحقيقة، لم يعد يسكن جسدًا دنيويًا [١٧] ، حيث تحولت كتاباته إلى إستراتيجيات فادحة حيث أصبحت العلامات والرموز بلا معنى بسبب تكرارها واختلافها، وعلى الرغم من هذا التكرار والاختلاف البيّن لكل من العلامة والرمز إلا أنهما شكلا الجوهر الجذري الذي صاغ به بودريار اتجاهاته الأيدولوجية والإستراتيجية الفادحة، ويتضح ذلك من عبارته الشهيرة

والأكثر إثارة للجدل « أن حرب الخليج عام (١٩٩١م) لم تكن حقيقية، بل كانت حدثًا إعلاميًا « إنها غير حقيقية، إنها حرب دون أعراض الحرب « [١٨] فهي في نظره عبارة عن وهم، لأنها لم تعد موجودة بقدر ما، إن الذي أصبح موجودًا هو فقط الوهم الذي فيه تم التعويض بالعلامات والرموز الحربية، فنحن لم نكن أمام حرب حقيقية بقدر ما أننا كنا أمام علامات ورموز حربية وهمية ومضللة وهي نفس الحرب التي مارسها الأمريكان على الرأي العام العالمي من خلال وسائل الإعلام خاصة أنها حرب لا معنى لها؛ لذلك فما أشارت إليه وسائل الإعلام يمكن أن ينتمي إلى الواقع بقدر ما أنه يمكن أن ينتمي إلى الزيف، فنصبح بذلك أمام الشك أي عدم اليقين والارتياب، ولذلك يرى بودريار أن القول بأن الحرب لها وجود واقعي هو قول من قبيل الوهم؛ فالقول بالحرب هو تمثيلية، نجاحها ارتبط بالقدرة التي تمت ممارستها على ما يسمى «بالرأي العام» بفعل قوة تغطية وسائل الإعلام التي عملت على نشر وهم مساندة الجميع للحرب وكذا المبررات التي تم تقديمها للرأي العام على أنها مبررات صحيحة؛ وبذلك حلت عملية الحدث الإعلامي عن الحرب محل الحرب ذاتها؛ وبمعنى آخر، يرى بودريار، أننا لم نعد أمام اختلاف بين حرب هي حرب الكلمات أو الوهم الذي أسست له وسائل الإعلام بتوجيه من اليمين المحافظ خاصة الأمريكي منه لترويض الرأي العام، وبين حرب التي هي الحدث ذاته الذي لن يحدث إلا في مخيلة هذا الأخير بفعل قوة الإعلام التلفزيوني خاصة فترة حشد القوات العسكرية قبل فترة وجيزة عن انطلاق الحرب؛ ويتابع بودريار قوله «بأن مرجعية مجمل المسؤولين من رؤساء دول وسياسيين وعدد من الجنرالات والخبراء تتجسد في الإعلام التلفزي الذي هو آلية تمدهم بكثافة من الصور المزيفة والأخبار المعدة قبلاً في الموضوع» [١٩] لذا لم يعد بمقدور الرأي العام المحلي والإقليمي والعالمي التمييز بين الحرب الحقيقية والحرب الوهمية، لقد أصبحنا أمام تمثيلية مسرحية محبوكة موقعها شاشات التلفزيون، تمثيلية لم يعد بإمكان الرأي العام التمييز فيها بين ما هو حقيقي وما هو وهمي، ولا شكَّ أن تصور بودريار هذا هو تصور يندرج تحت استراتيجية منحطة لخطابات التحرر السياسي نظرا أولًا لعبثيتها المتمثلة في كون أن الأحداث السياسية وغيرها هي أحداث لا معنى لها وما على الرأي العام إلا أن يقتنع بذلك مادام هو الدائرة الوحيدة التي يتحرك من داخلها دون رفضها، وبطبيعة الحال، فهذا القول هو تعبير أيديولوجي عن أزمة النظام الرأسمالي الذي أصبح لكي يتجاوز أزماته، مضطرًا إلى أن يصور الواقع كما يريد، وكما تقتضيه مصلحته الاقتصادية؛ وهذا يتطلب تعبئة المستوى السياسي الذي

أفرغ سلوكيات الرأسمالية من المضمون السياسي المتوحش وإعطائه المضمون الغامض والشديد المرونة لاتقاء احتجاجات وتظاهرات وثورات الشعوب وهو نفس التنظير والتوجه الأبسيتمولوجي والأيديولوجي، لذلك أصبح التحقق من حرب الخليج غير ممكن إلا من خلال شاشات التليفزيون، فالصورة التلفزية هي نفي لأية إحالة واقعية أو حدثية أو لنقل إنها الصورة الافتراضية التي تتميز بالتوالد والتكاثر لكن بعيدًا عن أي إحالة على الواقع؛ ولذلك عندما تصبح الصورة رمزًا لغويًا يتحدد مدلوله في نفي الواقع، أو لنقل عندما يتم تحويل الإعلام، وأهمه التلفاز، إلى فضاء افتراضي للحدث، فهنا نصبح أمام خلق شروط مشروعية الاستعمار والغزو وبالتالي الحصول على مشروعية إبادة الواقع وإحلال واقع افتراضي تقوم وسائل الإعلام بالدعاية لمشروعية وجوده ليصبح المشاهد شخصًا مسجونًا أمام الشاشة لذلك يرى بودريار أنه لم يعد للواقع مرجع أو أي سلطة وبالتالي لم يعد معقولًا «لقد غدا واقعًا استراتيجيًا على وجه التحديد» [٢٠] لقد أصبح الإستوديو والشاشة كما يذهب إلى ذلك بودريار هما مركز القيادة في ميدان الحدث وبالتالي تغييب الميدان الحقيقي لصالح الميدان الافتراضي للحدث، وهذا يؤكد كما يذهب بودريار قصد تزكية المصداقية على غزو العراق وغيره من دول الشرق الأوسط بل وغيره من باقي دول العالم – مثال رومانيا وقصد محاكمة وإعدام تشاوسسكو (١٩١٨ – ١٩٨٩م) [٢١] وعلى ذلك يرى بودريار أن الخبر والصورة لم يعودا في قبضة مبدأ الحقيقة والواقع» [٢٢] بل أصبحا في قبضة المحاكاة أو الاصطناع الحاكم على كل أفعالنا من خلال انخراطنا في العوالم الافتراضية، ووفقًا لما ذكره بودريار انعكس هذا على الفرد و المجتمع، حيث فقد الفرد هويته في ما يسمى بالشتات الذهني للشبكات» [٢٣] ولم تعد الأفكار الفردية ذات صله بالموضوع، واُستعيض عنها بالأصوات والأفعال التي تتردد أصداؤها في الشبكات بتضخيمها وتشويهها، و هو ما أدى إلى نتائج عشوائية غير متوقعة و لا يمكن لأحد أن يتحكم فيها حيث استبدلت الهوية الفردية بالهوية المفرطة (للشبكة أو المجموعة)، ويتساءل بودريار: أليس هذا غريبًا على عكس ما نشكو منه، من أنانية مفرطة، وهوس بالذات والنرجسية الفردية؟ فهل يكون شيئًا جيدًا أن يوجه الناس أنفسهم أكثر نحو المجتمعات الافتراضية؟

هنا يذهب بودريار إلى أنه إذا لم يكن هناك واقع مشترك خارجي يختبر فيه الناس أفكارهم، فلن يوجد بذلك أساس لالتقاء الأفكار، وبالتالي تتلاشى الهوية شيئًا فشيئًا، وقد ساعد على ذلك وجود أشياء في الواقع الافتراضي من شأنها أن تساعد على

الاغتراب النفسي والاجتماعي للفرد، فلم يعد المرء في الواقع الافتراضي يتفاعل مع أشخاص آخرين (مؤلف، فنان) فأصبح التفكير ينشط من خلال أدوات جاهزة تُعرض، وأصبح الفرد من خلال العالم الافتراضي يبني عالمًا هو أشبه بالمعبودات التي يفضلها، كذلك أصبحت الشبكات الاجتماعية، مثل الفيسبوك عالمًا منغلقًا على نفسه حيث يتم اختيار الآخرين وفقًا للتشابه االذي يتجمع حوله الناس فيغلقون تفكيرهم على أنفسهم في شبكات أو مجموعات، ونتيجة لذلك فإنه نادرًا ما يستطيع المرء مساعدة نفسه على التحرر من الاندماج، و بدلًا من ذلك يحدث النقيض حيث يدمر المرء قيم التسامح والتعاطف والفهم للآخرين الحقيقيين، من خلال انغلاق العقول التي تنحصر في المرسل والمتلقي فتصبح مماثلة دون أي إبداع، ووفقًا لما يسميه بودريار يحدث نوعًا من الالتواء يؤدي إلى فقدان المعلومات والتنوع في الحياة، ولذلك تؤدي الزيادة في المعلومات إلى نتيجة عكسية، حيث ينتج عنها ضآلة القيمة المعلوماتية ولذلك يؤكد بودريار من خلال عبارته المشهورة «بأن ما يزدهر بنفس الطريقة سيهلك بنفس الطريقة «[٢٤] وقد ساعد على ذلك سببان:

أولًا: مع تكنولوجيا الاتصالات يحدث انفجار من الرسائل والصور التي نلتقي حولها والتي كثيرا منها ينشأ نتيجة التكرار، والازدواجية، والتضخيم من خلال صدى شبكة الإنترنت نظرًا لسهولة انخفاض تكلفه الاتصالات، و ذلك يسمح ببذل جهد أقل مما ينتج عنه تفكك المعلومات في نهاية الأمر.

ثانيًا: إن ما يرسله الناس ويختارونه، عبارة عن ثرثرة ينتج عنها انخفاض للقيمة المعرفية، التي تؤدي لفقدان القيمة المعرفية في بعض الفئات الاجتماعية، وبالتالي فقدان التفرقة بين الآراء والأفكار، وهذا الأمر يتعارض مع طبيعة الحياة ذاتها، ويشكل شكلًامن أشكال الانحلال و الموت، نتيجة لتعصب تلك العقول المغلقة، التي تساعد على قتل الحياة الثقافية، ولذلك ومن أجل بقاء الحياة من خلال الاتصالات، فإن ذلك يحتاج إلى كسر وفتح هذه المجتمعات المغلقة، من أجل استيعاب الحياة والعيش فيها، ومن أجل ذلك طالب بودريار بضرورة استيعاب أن عالمنا هو عالم الواقعية المفرطة أو الواقع الفائق، الذي هدم حدود الواقع لينفتح على أضداده لتصبح هذه الأضداد مندمجة فيه، كذلك لا بُدَّ من فهم أن استراتيجية الاصطناع تعني الاختلاف بين الحقيقي والمزيف فمن منا سيقول مثلًا إن الصور المنقولة على شاشة القنوات الإخبارية بالخصوص غير واقعية

أيضًا؟ صحيح أنها نسخ عن الواقع، لكنها استطاعت أن تحل محله من حيث القيمة وأصبحت أكثر واقعية منه، لذلك لا ينبغي النظر إلى الافتراضي والاصطناعي من جهة أخرى «كشيئين متعارضين أو كقطبين متناقضين» [٢٥]، ذلك أن الافتراضي والاصطناعي هما بالفعل أكثر واقعية من الواقعي ذاته، ونتساءل الأن كيف أثّر الواقع المفرط الافتراضي على منظومة المجتمع المدني ؟ يطرح بودريار ذلك التأثير من خلال مفهوم المجتمع الاستهلاكي الذي سنعرض له بإيجاز في السطور التالية.

المجتمع الاستهلاكي

كان من مظاهر التكنولوجيا المعاصرة ما يعرف بظاهرة المجتمع الاستهلاكي، الذي بدأ في الدول المتقدمة الغنية كتطور طبيعي، ونتيجة لارتفاع مستوى الدخل، بعد أن أشبع معظم الناس حاجاتهم الأساسية، وقد ساعد على ذلك ضغط الحكومات والمؤسسات الكبرى لفتح أبواب الاقتصاد، قبل أن يشبعوا الحاجات الضرورية لمعظم الناس، وقد نظر بودريار لظاهرة المجتمع الاستهلاكي على أنها نهج سوسيولوجي لمجتمع الرأسماليه الاستهلاكية، جاء مع ذُرْوة المفاهيم المعاصرة بين ما ذهب إليه إميل دور كايم (١٨٥٨- ١٩١٧ م) لتقسيم العمل وتغييير التصنيع للمجتمعات من البساطة والاتساق إلى التخصص والاختلاف، وبين ماذهب إليه ماكس فيبر (١٨٦٤- ١٩٢٠ م) في التفرقة بين الأخلاق البروتستانتية و أخلاقيات الرأسمالية، وبالنسبة لبودريارد، كان الاستهلاك هو السمة الرئيسية للمجتمعات الغربية، من حيث إنه «الاستجابة العالمية التي ترتكز عليها المنظومة الثقافية بأكملها [٢٦]، ويطرح بودريار مفهوم الاستهلاك على أنه أصبح وسيلة للتفرقة، وليس للترضية، وهو نتيجة طبيعيه لتولي الهيئات والأفراد هذه المسألة حيث تلاشى العالم الحقيقي الواقعي واستعاض عنه بعلامات وهمية من العالم الحقيقي

وقد دعم ذلك موجات الدعاية والإعلان لسلع تافهة وغير ضرورية، مع تصويرها بأن الحياة لا يمكن أن تستمر بدونها، حيث أصبحت السلع نتيجة للتواصل الإعلامي والإعلاني عبارة عن منتجات من الممارسات البشرية، مثل «الشالات الهندي، والمسدسات الأمريكية، والخزف الصيني والتوابل من المناطق المدارية ... إلى آخره». [٢٧] وقد نتج عن ذلك توترات شديدة، تفوق بكثير ما أنتجته ظاهرة المجتمع الاستهلاكي من توترات في البلاد التي أبدعتها، وقد نظر بودريار إلى مجتمع الاستهلاك من خلال

كيفية التحول من الليبرالية باعتبارها الصورة التي يرى عليها الغرب الرأسمالي نفسه إلى مجتمع الاستهلاك الذي هو الواقع الحالي و النهاية الأخيرة التي وصل إليها هذا الغرب، وقد عبّرت دراسات بودريار عن مدى تحول القيم و المثل البورجوازية و الأيديولوجيا الليبرالية إلى قيم و معايير استهلاكية تتحكم بها المؤسسات الكبرى ووسائل الإعلام من خلال نسق من الرموز و العلامات التي لها منطقها الخاص و حياتها الخاصة التي تلغي الحياة الواقعية للبشر، كما عبّرت دراساته أيضًا عن الكيفية التي يصنع بها الإعلام و الاتصال عالمًا صناعيا يمثل واقعًا أكثر واقعية من الواقع نفسه [٢٨] حيث يتحول المجتمع الاستهلاكي المعاصر بهذه الوسائل الإعلامية إلى أسطورة، ولهذا فهو ليس بحاجة إلى إنتاج الأساطير حسب ما يؤكده بودريار بقوله «يمكن القول إن عصر الاستهلاك بوصفه المآل التأريخي لكل المسار الإنتاجية المتصاعدة تحت برج الرأسمالية، وهو أيضًا عصر الارتهان الجذري، فقد شاع منطق السلطة وعمَّ، إذ إنه يسيّر اليوم سيرورات العمل والمنتجات المادية، مثلما يسيّر الثقافة بأسرها والحياة الجنسية والعلاقات الإنسانية، وصولًا إلى النزوات الفردية، وهذا المنطق استرجع كل شيء، لا بمعنى أن كل الوظائف وكل الحاجات قد تموضعت واستعملت لأغراض الربح وحسب، بل أيضًا بالمعنى الأعمق، حيث تمسرح كل شيء، أي تبرمج في خيلات، في علامات، في نماذج قابلة للاستهلاك [٢٩]

ويرى بودريار أن ثقافة المجتمع الاستهلاكي في المجتمعات المعاصرة قد وصلت إلى النقطة التي اختفى فيها الحقيقي واستعيض عنها بنماذج «مصطنعة والتي هي جوهر الواقعية المفرطة، ولذلك يتمحور قلق بودريارد حول مشكلة السلعة ودورها في المجتمع والثقافة، وقد أسس ذلك من خلال الرجوع لفلسفة ماركس العامة في «رأس المال» حيث جادل ماركس بأن المنطق الأساسي للمجتمعات الرأسماليه هو تراكم الثروة من خلال «الجمع الهائل للسلع الأساسية الذي تظهر في شكلها الأول كسلع فردية [٣٠] وقد حاول بودريار تحرير هذا المفهوم الذي ساد في القرن (١٩) من خلال فلسفة ماركس وبخاصة أن حقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية كان فيها التقدم في مجال العلم والتكنولوجيا ممهدًا للأشكال الجديدة لتحليل السلع الأساسية، و هذا الأمر ينطوي على إشكاليه خاصة في مجال الاتصالات، ولذلك كان تحليل بودريارد متتبعًا للمشكلة الأساسية للسلع الأساسية بوصفها «المشكلة الهيكلية لجميع المجتمعات» [٣١] ، وكان بودريار يتوقع أهمية دور الاتصال في تحليل السلعة، وبالتالي كان ينظر في تحليله لنموذج السلع الأساسية من

خلال عدسة «شبه اللغويات» حيث توقع أهمية الاتصال في تحليل الظاهرة الاجتماعية التي لم يتمكن ماركس من القيام بها، ولذلك وجد بودريار أن ماركس لم يكن قادرًا على فهم شكل أبسط مفهوم للسلع الأساسية، ولذلك رأى أن تحرير التكنولوجيا في الثورة الصناعية لم يكن تحريرًا لقوة محضة، لكنه كان تطورًا تحت سيطرة الجماعات السياسية والعسكرية الحاكمة السابقة، كأداة للهيمنة والتمييز.

وقد عزز هذه الفكرة أن مجتمعنا الحالي عبارة في الواقع عن معنى من الرموز والعلامات، وأن التجربة البشرية هي محاكاة للواقع، حيث المفاهيم الحالية للدخل ورأس المال وما إلى ذلك لم تعد تشير إلى الأشياء الحقيقية وأن الأحداث لم تعد وفقًا لمنطق التمثيل الشفاف أو اقتصاد المعلومات [٣٢] وقد جادل بودريارد بأن الزيادة في العلامات والرموز في أواخر القرن العشرين للمجتمع العالمي قد سببت في كثير من المفارقات المتناقضة.

وفي الواقع لم يعد يعتقد في الليبرالية ولا الماركسية، وأصبحنا نعيش في حالة من الجدل نظرًا لأن العالم الدولي يعمل على مستوى تبادل العلامات والسلع الأساسية، فقد أصبح أعمى أكثر من أي وقت مضى للأفعال الرمزية مثل الإرهاب، و تفلت القوة من سيطرة الشركات، و تدخل في الأساطير الاجتماعية بوصفها هي المورد المفتوح للجميع، وبريئًا، ومتميزًا عن العملية السياسية، ولذلك أصبحت التكنولوجيا ليست مجرد أداة للهيمنة على الطبيعة بل هي أداة للاتقان الاجتماعي. وقد ساعد على ذلك ما يعرف بـ (الفكر الجذريّ) ذلك المصطلح الذي نحته بودريار، فماذا يقصد بهذا الفكر ؟

الفكر الجذريّ

الفكر الجذريّ عند بودريار ليس فكرًا نقديًا أو جدليًا، بقدر ما أنه فكر تأرجحي يقوم على التسليم بفكرة العلاقة المتوفرة بين الفكر والواقع بمعنى عدم إحلال الواحد محل الآخر أو النيابة عنه؛ وهذا راجع في نظره إلى عجز الفكر عن امتلاك الواقع الفعلي لصالح الواقع الوهمي أو المتخيل أو بمعنى آخر الافتراضي، وبلغة أخرى «فالفكر الجذري» حسب بودريار هو موت الواقع، إنه الفكر الذي يتبنى ويحتضن المعنى واللامعنى أو الحقيقة والزيف في نفس الوقت، نظرًا لاستحالة تجاوز حالة التوتر الذي صنعه الواقع المفرط، ويطرح بودريار تساؤلات متكررة حول ما سمته ما بعد الحداثة بميتافيزيقا

الواقـع ، نظـرًا لنتائـج التطـور التكنولوجـي والمعلوماتـي التـي عملـت علـى تغييـب الواقـع والدعـوة لنقيضـه مـن خـلال الواقـع الافتراضـي الـذي يتميـز بإيقـاع زمنـي سـريع يفـوق قـدرة الإنسـان علـى متابعتـه ومسـايرته ؛ لذلـك تمكـن مـن الإحـلال محـل وعينـا وقدراتنـا الإدراكيـة وأصبـح ينـوب عنـه فـي ممارسـة مهامـه وهـو فـي واقـع الحـال أصبـح يعنـي تخلـي الإنسـان نفسـه وبشـكل طوعـي عـن أدوات إدراكـه ؛ فعلـى سـبيل المثـال لـم يعـد يثـق فـي حواسـه الطبيعيـة التـي منهـا العيـن بمـا تـراه وتبصـر ، لأن شاشـات التلفـزة وتقنيـات المعلوميـات أصبحـت تمـده بمـا لا تسـتطيع عينـه رؤيتـه ، وقـد أنتـج ذلـك لنـا وضعًـا علـى مسـتوى آخـر هـو تجـاوز المـكان لصالـح الزمـن ؛ لذلـك اختفـت أهميـة المـكان بفعـل سـرعة إيقـاع السـرعة ، فلـم يعـد مفيـدًا التمييـز بيـن الماضـي والحاضـر والمسـتقبل ، ولـم يعـد مفيـدًا التمييـز بيـن هنـا وهنـاك ؛ لأن ذلـك أصبـح عبـارة عـن وهـم بصـري .

ومـن هنـا تـم تدميـر الأزمنة الثلاثـة السـابقة الذكـر ، لصالـح زمنيـن اثنيـن هما : الزمـن الحقيقي وهـو بالـذات زمـن البـث المباشـر ، والزمـن المؤجـل وهـو بالـذات زمـن البـث اللاحـق ، ويقصـد بودريـار بذلـك أن قيمـة الفكـر لـم تعـد تُسـتمد مـن تطابقهـا مـع الحقيقـة بقـدر مـا أنهـا أصبحـت تُسـتمد مـن اختلافـه الجـذري عنهـا ، بمعنـى أن موقعـه ووجـود وعينـا قـد أصبـح خـارج الزمـن الواقعـي أو لنقـل إن وجـوده أصبـح دومًـا وجـودًا مؤجـلاً ؛ وفـي هـذا يقـول بودريـار إننـا لا نوجـد واقعيـا إلا فـي مـا سـماه «باللاوعـي والنـوم والمـوت» [٣٣] فالوعـي أصبـح هـو الإيمـان بالوجـود الوهمـي للعالـم الـذي اعتبـره أسـاس الوجـود لا الإيمـان بالواقـع ، وفـي هـذا يقـول بودريـار : « إن الغريـزة الأهـم بالنسـبة للإنسـان هـي غريـزة الصـراع ضـد الحقيقـة وبالتالـي ضـد الواقـع ، فالإيمـان بالواقـع هـو بمثابـة الحلقـة الأكثـر ضعفًـا فـي فهـم الواقـع أو العالـم الـذي لا يعـدو كونـه قـد أصبـح ، حسـب تعبيـر بودريـار» المـأوى الأخيـر لحـراس العقيـدة [٣٤] ويـرى بودريـار أن العلاقـة التـي تربـط الفكـر بالواقـع لـم تكـن ولا يمكـن أن تكـون علاقـة تطابـق بقـدر مـا هـي علاقـة توتـر مسـتمر وأبـدي ؛ ومـن هنـا فأهميـة ووظيفـة الفكـر الجـذري تكمـن فـي إبـراز الهـوة القائمـة بينهمـا ؛ وهـذا ليـس بتيئيـس بقـدر مـا هـو كذلـك بالنسـبة للنقـد السياسـي الـذي يتجاهـل أهميـة الكتابـة التـي هـي المعنـى واللغـة أو لنقـل إنـه نقـد يتجاهـل الخطـاب الـذي هـو عبـارة عـن تحويـل لمواضيـع العالـم إلـى وهـم يسـمى «بالمعنـى» الـذي هـو فـي هـذه الحالـة معنـى شـقي ؛ ولكـن لغـة هـذه الكتابـة تبقـى دومًـا سـعيدة ، فـي نظـر بودريـار ، علـى الرغـم مـن إحالتهـا إلـى عالـم بـلا أمـل ؛ وهـذا بالضبـط هـو تعريفـه لمفهـوم الفكـر الجـذري : «معرفـة سـعيدة وفهـم بـلا أمـل [٣٥] إنـه مفهـوم يشـير إلـى وصـف المعنـى وهمـه فـي نفـس الوقـت ، وعمومـا ، فبودريـار

يحدد موضوع الفكر الجذري في فكرة الوهم؛ وخلفيته في ذلك هي إبراز أن المفهوم يكون غير قابل للفهم، والظاهرة غير قابلة للقراءة؛ أما الطرح المزيف للواقع فيكون أكثر وضوحًا؛ لذلك يقول: «على الفكر أن يكون ممارسة سرية، تماما كبيع مادة ممنوعة. أما القاعدة المطلقة فهي جعل العالم غير قابل للقراءة، بل وأكثر من ذلك جعله لا مقروءًا» (٣٦)

خاتمة

من خلال هذه المفاهيم السابقة التي عرضها بودريار نلاحظ أنها مفاهيم تساعد على اختلاط الهوية باللاهوية الافتراضية اللذين أصبحا نتاجًا لانتفاضة الذات على نفسها ودخولها في حالة من الاغتراب، لذلك يصبح الانسحاب والتبديل وجهين يتجانسان بوفرة في تلك الذات المغتربة، حيث تنسحب الذات من العالم الواقعي لتتبدل جزئيا أو كليًا، اجتماعيًا أوعقائديًا أو سياسيًا أو ثقافيًا أو جميعهم، فتُنشئ هويتها الخاصة في أرض افتراضية جديدة حيث يحكم اللاقانون، وفوضى الحرية التي تعد النظام الأساسي فيه، فتصبح تلك التربة هي الأرض الخصبة لإنبات تلك الهويات المستحدثة للذات بديلًا عن هويتها الواقعية. مما ينعكس أثره على العالم الواقعي في شتى اتجاهاته الاجتماعية والدينية والأخلاقية ...إلخ، ولعلّ هذا الانسحاب المتسارع من العالم الواقعي للعالم الافتراضي دليل على عظم الهوّة بينهما، وحجم التباين بين العالمين حيث عالمنا المعاصر يميل إلى أحدهما ويدعمه بدعائم التطور التكنولوجي والسرعة، فالعالم الافتراضي على سبيل المثال هو عالم يعتمد على التكنولوجيا المتطورة والتي بدورها لا تحتاج الى تعقيدات أو روتين في إبداء الرأي، أو إثبات الحجة، أو أذونات عدّة لتقديم هذا الرأي لأحدهم أو لجماعة ما، بل يمكنك بقبسة زر واحدة أن ترسل رأيك ومضمون فكرك لمئات أو ألوف أو يزيد، معلنًا به على الملأ أن العالم الواقعي لن يستطيع مجاراة تلك السرعة او التطور التكنولوجي التي توغلت إلى صميم حياتنا فأصبحت ناقوس خطر يدق باستمرار ليخبرنا أننا نعيش في وجود افتراضي بعيدًا كل البعد عن العالم الحقيقي، ليتكون هذا الواقع المفرط بعد دمج الواقعين الحقيقي والافتراضي، والذي لا نتيجة له إلا موت الواقع الحقيقي، حيث الاصطناع هو الذي يقول الكلمة التي تسمعها الآذان وتعيها العقول، وحيث كلمته هي الكلمة الأخيرة.

المراجع

المصادر الأجنبية

1- Baudrillard, Jean, The Mirror of Production, trans. Mark Poster, St Louis: Telos. , 1975, p,

2- Baudrillard, for a Critique of the Political Economy of the Sign, trans. Charles Levin, St Louis: Telos, 1981

3 -Baudrillard, Jean. Simulacra and simulation (S. F. Glaser, Trans.) . Ann Arbor, MI: University of Michigan. (Original work published 1994

4- Baudrillard, The Illusion of the End, trans. Chris Turner, Cambridge: Polity, 1994,

5- Baudrillard, Gulf War will did not take place, Translated and with introduction Paul Patton, Bloomington and Indianapolis, Indian university press, 1995

6- Baudrillard, Jean, Symbolic Exchange and Death, trans. Iain Hamilton Grant, London, Sage. , 1998,

7- Baudrillard, America, trans. ChrisTurner, London & NewYork: Verso. , 1988,

المصادر العربية

١- جان بودريار: الفكر الجذري، أطروحة موت الواقع ترجمة منير الحجوجي وأحمد القصوار، دار توبقال للنشر العام ٢٠٠٦

٢- جان بودريار: المجتمع الاستهلاكي ـ دراسة في أساطير النظام الاستهلاكي وتراكيبه، تعريب خليل أحمد خليل ـ دار الفكر اللبناني/ بيروت، ط/ ١٩٩٥ .

المراجع العربية

- ديفيد كارتر: ترجمة باسل المسالمة، دمشق، التكوين للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٠

مواقع الإنترنت

١- أشرف منصور: من الليبرالية إلى مجتمع الاستهلاك موقع الحوار المتمدن:
http: //www. m. ahewar. org/s. asp? aid=85418&r=0
2- http: //mohammed-boujnal. blogspot. com. eg/201109//blog-post_3742. html

الهوامش:

1.Baudrillard, Jean. Simulacra and simulation (S. F. Glaser, Trans.) . Ann Arbor, MI: University of Michigan. (Original work published 1994, p, 1

2. Ibid, p, 22

3. Ibid, p, 44

4. Ibid, p, 45

5. - Ibid, p, 48)

6. Ibid, p 55

7. Ibid, p 55

8. Ibid, p, 66

9. Ibid, p, 66

10. Ibid, p, 67

11. Ibid, 88

12. Ibid, 89

13. Ibid, 89

14. - Baudrillard, for a Critique of the Political Economy of the Sign, trans. Charles Levin, St Louis: Telos, , 1981, p, 45

١٥. فرديناند دي سوسير ولد في ٢٦ نوفمبر ١٨٥٧ وتوفي في ٢٢ فبراير ١٩١٣، عالم لغوي سويسري شهير. يعتبر بمثابة الأب للمدرسة البنيوية في علم اللسانيات. فيما عدّه كثير من الباحثين مؤسس علم اللغة الحديث. عُني بدراسة اللغة الهندية، الأوروبية.

١٦. Baudrillard, for a Critique of the Political Economy of the Sign, p٧٦,

١٧. ديفيد كارتر: ترجمة باسل المسالمة، دمشق، التكوين للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٠، ص١٣٣

18.Baudrillard, Gulf War will did not take place, Translated and with introduction Paul Patton, Bloomington and Indianapolis, Indian university press, 1995, p 87

19. Ibid, p, 90

٢٠) - جان بودريار: الفكر الجذري، أطروحة موت الواقع[1]. ٢٠ ترجمة منير الحجوجي وأحمد القصوار دار توبقال للنشر العام ٢٠٠٦ ص١٣

٢١. نيكولاي تشاوتشيسكو هو سياسي روماني راحل، وكان الأمين العام للحزب الشيوعي الروماني في الفترة من ١٩٦٥ إلى ١٩٨٩، وكان هو الزعيم الشيوعي الثاني والأخير في البلاد.

22.Baudrillard, Jean, Symbolic Exchange and Death, trans. Iain Hamilton Grant, London, Sage. , 1998, p, 122

٢٣. جان بودريار: لفكر الجذري، أطروحة موت الواقع، ص ١٣

24. - Baudrillard, Jean,] The Mirror of Production, trans. Mark Poster, St Louis: Telos. , 1975, p, 120

٢٥. Ibid, p, 120

26. Baudrillard, America, trans. ChrisTurner, London & NewYork: Verso. , 1988, p, 122

27. Ibid, p, 136

٢٨. – أشرف منصور: من الليبرالية إلى مجتمع الاستهلاك: موقع الحوار المتمدن http: //www. m. ahewar. org /s. asp? aid=٨٥٤١٨&r=٠

٢٩. جان بودريار «المجتمع الاستهلاكي- دراسة في أساطير النظام الاستهلاكي وتراكيبه» تعريب خليل أحمد خليل- دار الفكر اللبناني/ بيروت، ط/ ١٩٩٥. ص٢٥٧.

٣٠. المرجع السابق: ص ٢٥٧

٣١. المرجع السابق: ص، ٢٥٨

٣٢. المرجع السابق: ص ٢٥٨

33. Baudrillard, The Illusion of the End, trans. Chris Turner, Cambridge: Polity, 1994, p, 22 Ibid, p, 33

34. Ibid p, 33

35. Ibid, p, 33

36. http: //mohammed-boujnal. blogspot. com/09/2011/eg-blog-post_3742. html

السيريالية: هرمنيوطيقا الهذيان

الدكتورة: ثريا بن مسمية

المستخلص:

ربما كانت السريالية من أهم الظوهر الثقافية والفكرية التي نشأت في أوروبا مع بدايات القرن العشرين المنصرم، لكن هذه الظاهرة وإن جاءت ولادتها حصيلة الفضاء الرمادي والمتشائم الذي أعقب الحرب العالمية الأولى، وما نجم عنها من كوارث اجتماعية ونفسية وفكرية، إلا أنها اتخذت لنفسها منحىً مفارقًا في ممارسة احتجاجها إلى حد استغراقها في الهذيان.

كان الفن والتنظير الفكري غير المألوف هو السمة المميزة للمنتمين إلى المذهب السرياني، سوى أن هذه المغايرة في الأداء ومناهج التفكير ولّدَ جدالًا واسعًا في البيئات الأوروبية، وخصوصًا في فرنسا وألمانيا و إسبانيا إلى درجة أن النصوص و الأعمال الفنية للسيرياليين، باتت حقلًا خصبًا للتأويل.

هذه الدراسة تلقي الضوء على السريالية بوصفها ظاهرة هرمينوطيقيه أوّلت المجتمع الحديث على طريقتها الساخطة والمتشائمة، لكنّها ستنتهي إلى العدمية الصمّاء وإنكار القيم الأخلاقية والدينية.

Surrealism: Delirium Hermeneutics

Abstract:

Surrealism may has been one of the most important cultural and intellectuel phenomena that arose in Europe at the beginning of the last twentieth century, but this phenomenon, although its birth came as a result of the gray and pessimistic space that followed the World War I, and the resulting social, psychological, and intellectual disasters, but it took a paradoxical course in the practice of its protest to the extent that it took it in delirium.

Unfamiliar art and intellectual theorizing was the distinguishing feature of those affiliate to the Syriac doctrine, except that this difference in performance and methods of thinking generated widespread controversy in European environments, especially in France, Germany, and Spain to the extent that texts and artworks of the Surrealists became a fertile field for interpretation.

This study sheds a light on surrealism as a hermeneutic phenomenon that characterized modern society in its discontent and pessimistic way, but it will be finished in deaf nihilism and the denial of moral and religious values.

المقدمة:

لـو كان مـن توصيـف أكثـر تناسبًا للظاهـرة السـيريالية التـي نشـأت فـي المجتمـع الأوروبـي فـي بدايـات القـرن الماضـي ، لقلنـا إنهـا ظاهـرة تترجـم السّـخط علـى مـا جنتـه الحداثـة الرأسـمالية مـن ويـلات علـى شـعوبها . ولئـن بـدت السـريالية احتجاجًـا صارخًـا علـى سـلوك العقـل الحديـث ، فقـد كان مـن أهـم مظاهـر وخصائـص هـذا الاحتجـاج هـو مواجهـة العقـل بمعنـاه الاسـتعمالي الأداتـي باللاعقـل المفتـوح علـى التّيـه .

ومـن خصائصـه أيضًـا التصـدّي للواقـع بمجـاوزة الواقـع نفسـه ، حتـى إذا كانـت هـذه المجـاوزة خـارج كل منطـق . علـى هـذا المسـار المركّـب مـن الاحتجـاج العبثـي راحـت

السيريالية تكتب مضامينها من الاسم الذي خلعته على نفسها أو جرى خلعه عليها، وهو تنشيط التفكير ما فوق الواقعي. وهذا ما سيؤدي بها - كما سنرى لاحقا. إلى الغربة عن واقعها الحي والهروب إلى فضاء الخيال والوهم. وليس من قبيل المبالغة حين نقول إن السيريالية هي الظاهرة التي مارست أقصى الاحتجاج السلبي على النمطية الاستبدادية التي حكمت المجتمعات الرأسمالية في أوروبا بين القرنين التاسع عشر والعشرين. ذلك بأنها إلى جانب المدارس النقدية والساخطة على مآلات الحداثة وأنماطها السلطوية لعبت دورًا وازنًا في إطلاق حركة ما بعد الحداثة، وخصوصًا في الجانب المتعلق بتقويض المباني المعرفية والقيمية للحداثة. وبقطع النظر عمّا فعلته السريالية من نقد صارم لقيم الحداثة في الفنّ والأدب والسياسة والاجتماع، إلا أنها وبسبب تأويليتها القائمة على الشغب الفكري وعلى الهذيان كسبيل لرؤية العالم لم تستطع أن تشق طريقها إلى إحداث تغييير بنيوي في حضارة الغرب الحديث.

لم يقتصر النظر إلى السيريالية في بعدها التأويلي على غرابة أطروحاتها التي اتخذت منحىً مفارقًا للتيارات التي ظهرت في أوروبا أوائل القرن العشرين، بل تعدّاها ذلك إلى المصطلح ودلالاته. وكأي مصطلح فلسفي، تختلف وتطول التعاريف والدراسات الباحثة في دلالة مفهوم السيريالية، لكننا نستطع أن نورد تعريفًا موجزًا لـ «أندريه بريتون ١٨٩٦-١٩٦٦»، والذي جاء في إعادة البيان السريالي سنة (١٩٢٤)، ويكون اكتفاؤنا به من باب أن «بريتون» هو أبو السريالية، وهو أدرى بوليده: (السريالية هي إملاء الذهن في غياب أي رقابة يمارسها العقل، وخارج أي اهتمام جمالي أو أخلاقي)، أو هي (آلية نفسية تلقائية محضة)، للتعبير عن ماهيّة عمل التفكير البشري وطبيعته، متجاوزة الوعي إلى اللاوعي، وكاسرة قيود المنطق لتهيم في أرجاء اللامنطق الرحبة. هكذا آمنت االسيريالية بوجود عالم على خلاف الذي نعيشه، عالم ينهار فيه المعقول وتتلاشى قواعد العقل، ويتبخر الواقع، أو بعبارة أخرى مختصرة: (بدل العالم العرضي الذي يتبنى في صورة كون محكم التنظيم والمنطق، يوجد عالم متوار عن الأنظار، والسيريالية مهمتها التعرية عن الوجه الحقيقي للعالم بجنونه وعبثيته [١]. وما يجدر ذكره أن السيريالية تأثرت كثيرًا بما طرحته التيارات الفكرية والفلسفية التي راجت في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، والمتمثلة أساسًا في الفرويدية والهيغيلية والماركسية، وبعض الفلسفات ما بعد الحداثية.

إضافة إلى ذلك فقد ساعدت على ظهورها الأحداث السياسية التأريخية والسياقات الظرفية ، إضافة إلى التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي عرفتها المجتمعات الرأسمالية آنذاك ، وقد حمل الفنّ السيريالية نزعة ثوريّة تجاه النظام الاجتماعي الأوروبي المتمثل خاصة في البورجوازية ، وحمّلها مسؤولية إشعال الحرب العالمية الأولى ، وهكذا ظلّت السيريالية تتهم البورجوازية أنها تقود العالم إلى الدمار ركضًا وراء أطماعها الاقتصادية والسياسية . وكثيرًا ما كانت تعمد للتعبير عن تذمرها من النمط الأوروبي الحديث إلى اتخاذ أسلوب تهكمي ساخر يصور الواقع المغضوب عليه في قالب هزلي ؛ لذلك اتفقت السيريالية مع الاشتراكية • في حربها الضروس ضد القيم البورجوازية ، كما اتفقت مع «نيتشه» في نقده للحداثة الأوروبية ، واتفقت مع «فرويد» في معالجة مفهوم اللاوعي ، والقول بأن الوعي ليس إلا حالة عرضية للذات ، وأن اللاوعي هو الذي يمثل حقيقة النفس البشرية ، وعن طريق اللاوعي وحده يمكن للإنسان التعبير عن نفسه . [٢]

والآن . ، ما هي السيريالية وما العوامل التأريخية التي أدّت إلى ظهورها؟

١- ماهيّة السبريالية

السيريالية هي حركة أدبية وفنّية ظهرت في أعقاب الحرب العالمية الأولى ، إلى درجة أراد فيها من آمن بها تسجيل الصور اللاشعوريّة للحالة الإنسانيّة في إطار فنّي يعتمد عالم الرّؤى والأحلام ، وبشكل ما خرج من عالم الواقع إلى عالم الهلوسة والهذيان معتمدا الرمز والغموض . ولعله لهذا السبب بالذات عرّف أندريه بريتون السيريالية بالقول (سيريابة) : اسم مذكّر في غير العربيّة ، آلية [٣] نفسية ذاتية خالصة نستهدف بواسطتها التعبير ، إمّا قولًا ، أو كتابةً ، أو بأية طريقة أخرى ، عن السّير الحقيقي للفكر الذي أملاه الذّهن في غياب كلّ رقابة من العقل ، وخارج أي انشغال جمالي أو أخلاقي [٤] .

بهذا تكون السيريالية تعبيرًا عن الموضوعات الرمزية المستعصية ، أي إنّها تعبير عن حالات الفكر وعن الصورة اللاشعوريّة للإنسانيّة . وهذا أمر بديهي بالنسبة لتيّار فنّي جاء نتيجة اكتشافات وأبحاث علم النّفس التحليلي مع فرويد . فلقد بينت الاكتشافات الفرويدية أنّ ما كان شائعًا في الفنون البدائية والفنون المصرية القديمة من رسوم رمزية هي صور لا شعورية ظهرت من خلال رموز غامضة وأشكال مشوّهة . وعلى هذا النحو انتهجت السيريالية مبدأ الحرية المطلقة في الإنتاج الفنّي ، بمعنى أنّها لم تحدّد الشّكل أو الأسلوب

وخرجت عن التقليد الفنّي بالتجديد في المواضيع وفي أسلوب التعبير عنها حيث جعلت اللاواقع هو المعبّر عن الواقع ، والخيال بديلاً من الحقيقة ، كما جعلت عنصر المفاجأة و اللامنطق هو ركيزة الإبداع و الإنتاج الفنّي ، و بذلك راحت تحوّل الأشكال إلى معانٍ مجرّدة ، والمعاني التجريدية إلى أشكال . وبهذا نرى أنّ » مبدأ التمشي السيريالي هو الحرّية « [٥] . وقد قادت هذه الحركة في توجه الفنّان السيريالي إلى الاستلهام من حالاته النفسيّة الخاصّة ، والفنانين السرياليين إلى شبه الإجماع بأنّ مرجع إبداعهم لا علاقة له بالموضوعية مطلقا ، وأنّه على العكس يوجد في الأعماق الباطنية للنّفس ، وهو أمر يؤكده متزعّم هذه الحركة ووالدها الرّوحي «أندري بريتون» بقوله »لكي يستجيب العمل التشكيلي إلى ضرورة مراجعة القيم الواقعية والتي جمع عليها العقول اليوم ، عليه أن يعود إلى نموذج باطني خالص أو لا يكون [٦] « .

لا عجب في هذا المنحى الفكري للسيريالية متى عرفنا أنّ من لقب بأبي السيريالية هو الشّاعر والطبيب والفيلسوف الفرنسي (أندريه بريتون) الذي يؤكّد ضرورة الإبداع الفنّي من خلال التجديد الفكري ، وقد انضمّ إليه عدد كبير من الفنّانين ، أشهرهم (سلفادور دالي) والذي يُعدّ من زاوية نقدية أحد أقطاب هذا الاتجاه من الوجهة التطبيقية ، إلى جانب (رني ماغريت) وكذلك (بيكاسو) . هكذا ظهرت السيريالية لكي تردّ للفنّ وللأدب دورهما البنّاء كما يقولون . وقد حمل لواء هذا المذهب جملة من الأدباء والشعراء مثل أندريه بريتون ولويس أراغون وبول إلوار وفيليب سوبول ، وفي سنة (١٩٢٤) نشر برتون البيان السيرياني الأول ، ثم نشر سنة (١٩٢٩) البيان الثاني وظهرت آراء السرياليين واضحة في جريدة «الثورة السيريالية» ومجلّة «الوضوح» ومجلّة «اللّعب الكبير» [٧]

٢- التلازم بين السيريالية و الدادائيّة

لم تبدأ السيريالية من فراغ إنمّا أتت كخلاصة لتفاعل العديد من التيارات الفلسفية والفنّيّة والأدبيه السابقة لها . وتعتبر «الدّادئية» من أكثر التّيارات الفنّيّة قربا من السيريالية حتّى أنّه يمكن اعتبار هذه الأخيرة امتدادا للأولى . والدادائية هي مجموعة من الأفراد الثّائرين والمرتبطين فكريّا ، غير أنّ الطابع الفوضوي العبثي للدّادائية وكونها أساسًا ردّ فعل على ظروف آنيّة أي الظّروف التي ولدتها الحرب ، ورؤيتها المشوّشة كانت كلّها عوامل

ساهمت في توقّف هذه الحركة باستثناء بعض المحاولات الفردية التي بقيت قائمه هنا وهناك .

يشير «بيبكا» أحد ممثّلي الدّادائية إلى أن كلّ نشاط فعلي لها قد توقّف سنة (١٩١٩) . ومع توقّف الدّادائية ، من حيث هي حركة متماسكة في أواخر سنة (١٩٢٤) ، عمد «بريتون» في مبادرته لنقل الحركة من مرحلتها هذه إلى المرحلة السيرياليّة فجمع بقايا الدّادائيين ، وأصدر أول بيان للسرياليّة (١٩٢٤) بعد أن تأكّد من مساهمة عدد من الفنّانين أمثال : «آرب» و «إرنست» . لكن رغم السّمات المشتركة التي جمعت بين الحركتين السيرياليّة والدّادئية في بادئ الأمر ، فإنّ تطور السيرياليّة قاد «بريتون» ومعه «بيبكا» للابتعاد عن الخط الّذي اتبعه «تزارا» [٨] وجماعته ، ولم تعد الدّادئية في نظر «بريتون» شيئًا آخر غير صورة فجة لحالة ذهنية لم تسهم أبدا في الخلق الفنّي . وأمّا الانتقال من الدّادائية إلى السيرياليّة فيجسّده بوضوح تّام العمل الفنّي «لماكس إرنست» الّذي كان قد انتسب إلى حركة الدّادائية ، وأسهم في تأسيس جماعة في ألمانيا . ومع تحوّله إلى السيرياليّة نقل إليها الوسائل والتقنيات الجديدة التي استخدمها في عمله التصويري تبعا للآليّة التي طالب بها «بريتون» .

كانت للدّادائية جذور وبوادر منذ أواسط القرن التاسع عشر ، ولا سيَّما مع الشاعر رامبو ؛ لكنّها لم تتّضح إلا في مناخ الحرب العالمية التي دمّرت أوروبا وكثيرًا من أنحاء العالم ، وذهب ضحيّتها الملايين من البشر ، واستعملت فيها الأسلحة الفتاكة ، وتكشفت عن انسحاق الإنسان تحت عجلات هذه الآلية الرهيبة ، حيث رأوا فيها إخفاق القرن العشرين في جلب السعادة والسلام لبني البشر .

وكان من أول بدئها أن تعارف عدد من الأدباء و الفنّانين من مختلف الجنسيات ، في مدينة زيورخ السويسرية ، وقد وجدوا أنفسهم في منجاة من شرور الحرب ، فأخذوا يجتمعون في ملهى فولتير ويتذاكرون ويتبادلون آراءهم النقدية في جوّ من الصراحة والحريّة ، فإذا بهم يلتقون عند نقطة الرفض واليأس والشعور بالعبثيّة والفرار السلبي من هذا العالم إلى عالم مبهم متخيّل . وكان أبرز هؤلاء الكاتب الروماني «تريستان تزارا» الذي التف حوله عدد من الأدباء وانضم إليهم بعض الفنانين مثل «بيكايا»و»دوشاب» . وقد اختاروا لحركتهم اسم «دادا» ، أو يقال إنّ الّذي اقترح التسمية هو «تزارا» إنّها كلمة فرنسية الأصل تعني : العصا الفَرَسِيَّة ، وهي عصا يلهو الطفل بالركوب عليها وكأنّها

حصـان ، فاشـتقّوا منهـا الدّاديـة أو الدادائيـة ؛ لأنّهـا تذكّـر بالطفولـة البريئـة التـي ليـس لديهـا مـوروث ، بـل كان مـا فـي عالمهـا جديـدًا و وديعًـا . ويذكـر أيضًـا أكثـر مـن سـبب للتسـمية ، ومـن ذلـك أنّهـا تسـمية عبثيـة لا معنـى لهـا .

هكـذا تولـد «دادا» مـن واقـع الاحتيـاج إلـى الاسـتقلالية ، و مـن عـدم الثّقـة بالجميـع . ذلـك بـأنّ أولئـك الذيـن ينضمّـون إليهـا يحتفظـون بحرّياتهـم . و بعـد الحـرب العالميـة الأولـى تخطّـت الدادائيـة حـدود سويسـرا إلـى فرنسـا ، فلقيـت إقبـالًا معظمـه مـن قبيـل الاسـتطلاع و التّطلـع إلـى الجديـد ، و انضـمّ إليهـا الشـاعر الفرنسـي المعـروف «بـول إيلـوار» [٩] .

لعـل أبـرز مـا آمنـت بـه الدادائيـة وبتأثيـر مـن الحداثـة العلمانيـة ، رفضهـا للكنيسـة المسـيحية ، التـي سـاهمت برأيهـم فـي زعزعـة القيـم ، وواجهـت الإفـلاس الروحـي ، وتركـت الإنسـان الغربـي حائـرًا تجـاه مصيـره . هـذا المسـار الفكـري الـذي أسـفر عنـه سـلوك الدادائييـن وعبّـروا عنـه مـن خـلال مواقفهـم كان بالأصـل ضربًـا مـن الاحتجـاج علـى صمـت الكنيسـة وتحالفهـا مـع السـلطات الرأسـمالية فـي أوروبـا . وبهـذا المعنـى تلاقـت الدادائيـة والسـيريالية علـى خـط واحـد ومنهـج مشـترك فـي تفسـير بنيـة الرأسـمالية والشـرور الناجمـة عنهـا . لـذا يجـب أن ننظـر إلـى الدادائيـة والسـيريالية بوصفهمـا رؤيـة تأويليـة شـديدة الخصوصيّـة والغرابـة للمجتمعـات الحديثـة ، بـل ذهبتـا إلـى أبعـد مـن هـذا لتُقيمـا الحـدّ علـى عقـل الحداثـة نفسـه . مـن أجـل ذلـك فقـد شـكلتا سـعيًا لاستكشـاف العوامـل الأكثـر أثـرًا فـي تكويـن النفـس الحداثـة وعقلهـا الجائـر . لقـد رأت الدادائيـة نفسـها معنيّـة بإعـادة تمثيـل الاضطـراب النفسـي الناجـم عـن الحـرب العالميـة الأولـى ، بينمـا يمكـن النّظـر إلـى اللاعقلانيـة التـي تَحْتَفِـي بهـا السـيريالية كقبـول تـامّ للقـوى الفاعلـة وراء كواليـس الحضـارة . يشـير ذلـك إلـى المضمـون الإجمالـي الـذي انطـوت عليـه السـجلّات التأريخيّـة المتضاربـة لكلتـا الحركتيـن ، ولكـن مـا التوجّـه الـذي يربـط بينهمـا وبيـن الحـركات الفنيـة الأخـرى التـي ظهـرت فـي أوائـل القـرن العشـرين [١٠] ؟

فـي عـام (١٩١٨) ، امتـدت الدادائيـة إلـى برليـن نتيجـة للحمـاس الجدلـي لـ «ريتشـارد هيولسـنبك» الـذي وصـل إلـى برليـن مـن زيوريـخ العـام المنصـرم . كانـت ألمانيـا فـي تلـك المرحلـة قـد خسـرت الحـرب ، وكانـت تشـهد انهيـارًا اقتصاديًّـا نتيجـة للتعويضـات التـي طالبـت بهـا فرنسـا وبلجيـكا . وعـلاوة علـى اختـلال توازناتهـا الاقتصاديـة ، كانـت ألمانيـا تتأرجـح علـى شـفير ثـورة اجتماعيـة فـي أعقـاب الثـورة البلشـفية فـي روسـيا عـام (١٩١٧) . واجهـت الحكومـة الاشـتراكية المحافظـة نسـبيًّا معارضـة قويـة مـن الشـيوعيين ، وخاصـة مجموعـة سـبا

رتاكويس ، واستجابت بعمليات قمع وحشية ، وليس من العجب إذن أن أتباع الدادائية في برلين تم تسييسهم بقدر كبير .

بدأ انشغال السيرياليين بالسياسة في عام (١٩٢٥) ، عندما عارضوا الحرب الفرنسية الاستعمارية في المغرب ، وبحلول عام (١٩٢٧) أفضت معارضتُهم الشديدة ليس لحكومة اليمين الفرنسية فحسب ، بل وللرأسمالية عموما إلى انضمامهم إلى الحزب الشيوعي الفرنسي ، ولكن ثبت لهم من البداية أنّه من الصعب التوفيق بين ميولهم السياسية وغاياتهم الفنيّة . إذ كيف للروح الجماعية السياسية ، حسبما تساءل نقّادُ النزعة الباطنية أمثال «بيار نافيل» ، أن تنسجم مع الفردية المتطرفة للشعر والفنّ السرياليّن؟ هل ينبغي أن تسبق ثورة العقل الثورة الاجتماعية؟ أم العكس هو الصحيح؟ بعد عمليات التطهير التي شهدتها جماعة بريتون عام (١٩٢٩) ، والتي كانت عينها تستند جزئيًا إلى المزاعم النسبية المتعلّقة بتضامن الجماعة وفرديتها ، أمست تلك الأسئلة تحديدًا مُلّحًا .

لقد صار السيرياليون الآن مجبرين على الاستجابة لمتطلبات نظام ستاليني جديد في روسيا ، وتأزمت الأوضاع عام (١٩٣٢) عندما تخلى الشاعر والمفكر الفرنسي «لويس أراغون» رسميًا عن السيريالية مفضّلاً عليها الحزب الشيوعي ، وبمرور الوقت في ثلاثينيات القرن العشرين ، أصبحت «الواقعية الاشتراكية»- وهو فنّ واقعيّ مقروء للعامّة - الفنّ المعترف به رسميًا لدى الشيوعية ، وقد أدّى التزام «بريتون التروتسكي» نسبة ليون تروتسكي [١١] - بثورة ثقافية- سياسية إلى إبعاد السيرياليين بشكل حاسم عن التقليد السوفياتي المتشدّد .

شهدت السنوات التالية من الثلاثينيات انتشار السريالية ، كمجموعة من المذاهب ، في دول أوروبية أخرى وقارات أخرى أيضًا . في العشرينيات ، اجتنبت السيريالية شخصيات بارزة من دول مثل إسبانيا وألمانيا وباريس . وبينما أمسى العالم أكثر اضطرابًا من الناحية السياسية في الثلاثينيات - حيث تأثرت عدة دول بدرجات متفاوتة بالاستقطابات السياسية كشيوعية والفاشية - راقت مبادئ الحركة وقيمها لفنانين وكُتّاب يساريين ومناوئين للفاشية في مجموعة من السياقات الجديدة . من هذا الجانب ، عادة ما حققت الحركة في أماكن أخرى قوة سياسية لم تستطع تحقيقها في فرنسا .

تألّفت المجموعة الفرعية الكبيرة الأولى في بلجيكا عام (١٩٢٦) بمعرفة الكاتب «بول نوج» ، وشملت فنانين أمثال «إيه إل في ميسينز» ، و «رينيه ماغريت» ، ولاحقًا

«بـول ديلفـو» والمصـوّر الفوتوغرافـي «راؤول أوبـاك»، وبحلـول منتصـف الثلاثينيـات، كانـت السيريالية قـد أمسـى لهـا موطـئ قـدم فـي شـرق أوروبـا. وكان الرومانيـان «فيكتـور برونـر وجـاك هيرولـد» إضافتيـن عظيمتيـن لمجموعـة باريـس فـي أوائـل الثلاثينيـات، لكـن الأهـمّ تحديـدًا فـي تلـك المرحلـة كان تشـكّل مجموعـة بـراغ فـي عـام (١٩٣٤)، وأبـرز رجالاتهـا «كاريـل تيـج»، ورسَّـامُ الكـولاج «جيندريـن ستيرسـكي»، والرسّـامان «جوزيـف سـيما وتيـون مـاري سيرنونوفا». وكانـت علاقـات الجماعتيـن، البلجيكيـة والتشيكوسـلوفاكية، أكثـر ودًّا بحزبيهمـا الشـيوعيَّين الوطنيَّيـنِ مـن علاقاتهمـا بجماعـة باريـس. [١٢]

مـن أيـن اسـتقت السـيريالية أصولهـا الكبـرى؟ ومـا هـي أبـرز المبـادئ التـي اعتمدتهـا فـي مجـال الفكـر والفـن

٣- المباني المعرفيّة للهرمنيوطيقا السيريالية

تقـوم مبـادئ السـيرياليّة كحركـة فنيـة علـى رفـض الواقـع، فكانـت فنًّـا يـدور حـول مـا فـوق الواقـع ويعتبـر اللاّوعـى عندهـا مصـدرًا للحقيقـة المطلقـة. لـذا جـاءت أعمـال السـيرياليين مزيجًـا مـن العبقريـة والجنـون، فقـد عرّفهـا «أندريـه برتـون» بكونهـا: «آليـة نفسـية خالصـة تسـتهدف بواسـطتها التعبيـر إمـا قـولًا أو كتابـةً، أو بأيـة طريقـة أخـرى، عـن السـير الحقيقـي للفكـر الـذي أمـلاه الذهـن فـي غيـاب كلّ رقابـة مـن العقـل، وخـارج أي انشـغال جمالـي أو أخلاقـي [١٣]»

علـى هـذا النحـو يكـون الفـنّ السـيريالي تأويـلًا صارخًـا للحـالات اللاّشـعورية للـذّات الإنسـانية، وعلـى هـذا الأسـاس أنتجهـا مبـدأ «الحريـة» المطلقـة وخرجـت عـن التقليـد الفنـي بـأن جعلـت اللاّواقـع تعبيـرًا عـن الواقـع والخيـال بـدلًا للحقيقـة، فلقـد بـان للسـيريالي جلّيًـا أنّ العالـم الواقعـي يعايـش أزمـة معنـى وإفـلاس إبـداع، فاتّخـذ مـن اللاّوعـي بديـلًا للوصـول لفـنّ نقـيّ وحقيقـة مطلقـة.

ويمكننا إجمال المباني المعرفية للسيريالية بالدوائر التالية:

أولًا: «اللاوعـي حيـال هـذه الدائـرة، يقـول أندريـه بريتـون: أضحـى منطـق الإبـداع لديهـم ومنهجـه بـل وصـل درجـة النفـور مـن الوعـي، ويضيـف: أحسـب أنّ سـلوكي القلـق أفضـل بكثيـر مـن السـلوك المنطقـي البديهـي «لـذا كان «الحلـم» مـن أهـمّ تقنيـات السـريالية فـي الإبـداع

الفنّي فَلِمَ لا يكون حلمنا يقظتنا؟ ولمَ لا يكون الحلم أهمّ نشاطات العقل وأحد مناهج المعرفة بدلًا من التفكير؟ (١٤)

ثانيًا : «الجنون» رأى فيه بريتون مصدر الحكمة ، فالمجنون لا يستعمل عقله ليتعقّل الأمور بل يكشف بكلّ حرية من خلال جنونه عن كل الحقائق المخفية للطبيعة الإنسانية ، لذا كان الهذيان والهلوسات مبتغى السرياليين ومنهجهم في إبداعهم الفنّي . بل أصبحت السيريالية تمجّد أعمال المنحرفين • والمرضى العقليين والنفسيين» (١٥) .

على هذا الأساس ، تنكشف تقنية أخرى للسيريالية تبرز قوّة حضور اللاوعي في الفنّ السيريالي وهي «العجيب» فالسيريالية بما هي ظاهرة ثقافية فوق واقعية ينعدم فيها الحدود الواقعية للزمان والمكان ، كما يغيب فيها الفكر النقدي للموضوعات الحسية ليجسد رغبة الانفلات لدى الرسام السيريالي من عالم محدود ومؤطّر إلى عالم الخيال بما يحويه من إبداع .

فالعجيب عند السرياليين هو ذلك العالم الخيالي المتجاور للعالم الواقعي ، إنّه رفض لما هو كائن محاولة جسورة لتشييد ما ينبغي أن يكون «بالرغم من أن العجيب هو نقيض المألوف إلا أنّه يمتزج بالعادي اليومي بطريقة طبيعية جدّا فالأحداث غير الواقعيّة تصير هنا واقعية ، ويدرك السرياليون أنّ التعبير عن أعمق الانفعالات في الكائن لا يتحقق إلا بالاقتراب من العجب والمدهش ، حيث تجلّى ما وراء الواقع حين يفقد المنطق فاعليته ، ويتمّ التحرّر من كل ضغط» (١٦) .

ثالثا : »الدعابة» إنّها أهم المبادئ السريالية فهي وسيلة للتمرّد والمقاومة والتحرّر من حدود الواقع ، فنتوقّع الدعابة من المعنى الاجتماعي المتداول لتكون منهجًا ثوريًا سياسيًا وكسرًا للعقلانية وللأعراف الاجتماعية ، فالضحك يعتبر أفضل سلاح للتمرد على العالم بنواميسه المعقلنة والنظر إليه بلا مبالاة واستهزاء كما صوّرته الرسوم السيريالية خصوصًا مع «رينيه ماغريتو سلفادور دالي» . و«الدعابة» تكسر كل علاقة بالمألوف ، تخلق جرأة على الواقع وتلحق به صورًا واقعيةً خياليةً له ، لذا إنكار الواقع ومزجه بلا واقع هي لعبة الرسم السيريالي لخلق عالم جديد من خلال الدعابة إذ تحطّم الواقع وترفضه ، وتخلق عالمًا خياليًا فوق واقعيٍّ لتقدمه بديلًا للواقع ، هذه الوظيفة المزدوجة لتقنية الدعابة في الفنّ السريالي ترتكز بالأساس على صور لا واعية وصدمات غير متوقعة من خلال رسوم هيستيرية عنيفة ، لذا وحدها الدعابة بمزيج من الواقعي و غير الواقعي ، وخارج كل حدود

الواقعية اليومية والمنطق العقلي ، تعطي كل ما حولها حدّة مضخمة وطابعًا هلوسيًّا من اللا موجود في المألوف ، كما تعطي أهمية لمظلم إلى جانب حسّ فائض ، فريد ، عام وشامل [١٧] .

رابعًا : «الرغبة» التي تعتبر مبدأ ثوريًا لدى السرياليين ، بما أن مصادرها تتعلق بالأساس باللّذة لا بالحقيقة ، هي حالة وسطى ما بين الحلم واليقظة ، تترك مجالًا عضويًّا للاوعي من أجل أن يبدع رسومات مفتوحة على عالم مجدّد يحارب عالم النّسق ، ومحدودية الأشياء بكل عنف إبداعيّ .

خامسًا : «الحب»و هو ما يجعل الحواس أكثر حدّة واتقادًا ، كما يفتح المجال للمخيلة للتعبير عن أعماق الشخصية ا الإنسانية . لذا اتّخذ الفن السيريالي من الحبّ مبدأ أساسيًّا في الإبداع

كل هذه التقنيات والمبادئ التأويلية جعلت من الفنّ السيريالي فنا ينتهج اللاّوعي كقوة إبداع فنّية فهو تأثّر بالتحليل النفسي الفرويدي ووجد فيه الخلاص من الواقع بخيباته المتكرّرة ، وكذلك الخيبات النفسية التي رتّبتها الحروب على المعنى الإنساني للحياة . فلقد أراد الفنّ أن يمسك بلحظة هي نهاية اللّحظة القصوى للوجود حين يمتزج الحلم بالواقع ، الموت بالحياة ، الألم بالعادة ، كما الجميل بالقبح ، المحسوس بالمجرد ، و المحدود بالمطلق .

وإذا كان لنا أن نترجم نقطة الجاذبية في الفكرة السيريالية لوجدنا « أنّها تبدأ من الرّوح حيث يكفّ فيها الواقعي والخيالي ، الماضي والمستقبل ، وما يقال وما لا يقال ، والأعلى والأسفل ، عن التجلّي بمظهر التناقض . ومن العيب أن نبحث عن دافع آخر للنشاط السريالي كما يقول «بريتون» غير أمل تحديد هذه النقطة الروحية [١٨] . غير أن الغاية القصوى للإبداع السيريالي هي إنشاء فلسفة روحية وجودية تجمع النفسي بإدماج اللاوعي في الوعي ، والعكس صحيح ، ويؤكد «بريتون» هذا المسار بقوله « كل ما أحبه و كان ما أفكر فيه أو أشعر به يقترب بي من فلسفة خاصة في المحابية ، وتبعا لهذه الفلسفة فإنّ ما بعد الواقعي متضمن في الواقعي نفسه ، ولن يكون لا مترفّعًا ولا خارجًا عنه ، وبالتماثل ؛ لأن المحتوي يصير المُحتوى ، إنّ الأمر يتعلق تقريبا بإطار واصل بين المتضمن و المضمون [١٩] .

وعلى نحو ما ذكرنا سابقًا، فقد اتّخذ التجديد الفكري لدى السريالية من اللاوعي آلية للتغيير، وعمد إلى إبداع رسوم تلغي كل علاقة بالوعي الواقعي لتفرض الخيال والجنون والهلوسات كبديل كأسلوب فني، يعود بالأشكال في صور قوالب جديدة. و بهذا خرجت السيريالية عن محاكاة المظهر المرئي للموضوع الفني، و قدّمته في إطار نفسي، حيث استخدمت في ذلك عدّة مبادئ وتقنيات أبرزها:

أ- فكرة «الحركة الذاتية الدائمة في الرسوم» و هي خير مثال على خروج الإبداع الفنّي من إطار الزمان والمكان. فرسم اللوحة الواحدة قد يكون عبر عدّة لوحات إذ لا يكتمل العمل الفنّي و لا يتأطّر في لوحة واحدة، بل يمكن أن ينفتح على أطر زمانيّة و مكانيّة متعدّدة فيبدأ بلوحة معيّنة لينقطع ويتواصل مع لوحة أخرى، و بهذا نخرج التجربة الإبداعيّة عن كلّ الأطر الواقعيّة حتى إطار اللوحة ذاته.

ب- كذلك تقنية «المنظور المخادع» وهي من أهم التقنيات الفنية التي ابتدعها الرسام العالمي «سلفادور دالي»، وهي تعبّر عن هذا التجديد الفكري للفنّ السيريالي من خلال خلق عدة أبعاد ومستويات للرسم، فتظهر على سطح اللوحة رسم في حين تبرز عدّة رسوم في عمقها تبدو وكأنها السطح الأصلي للوحة، وبهذا تنفتح هذه الرسوم على قراءات متعدّدة وتأويلات مختلفة، إذ يعترف سلفادور دالي بأن لا غرابة في أن لا يفهم الجمهور لوحاته إذ هو نفسه لا يفهمها، فهو يبحث عن صورة الهذيانيين. وهكذا كانت لوحاته مجهولة لديه، وطابعها هلوسيًّا عجيبًا وينتفي أي شرح لها. . . . وكأن كلّ مشهد يرى للوحة تفسيرًا مختلفًا، وفق مزاجه ورؤيته، كما تختلف أحاسيس المستمعين إلى سمفونية ما من واحد لآخر».

٤- الأصول الكبرى لهرمنيوطيقا الفن السيريالي

يشكل التلاعب بنظام الأشياء، وبمدلول العلامات، وبمعنى الكلمات، البنية الأساسية للهرمنيوطيقا السيريالية. وما من ريب في القول إذ العنف الإبداعي في الفن السيريالي يعود إلى تأويل الفكر الفرويدي الذي كشف أن الوعي ما هو إلا مظهر لحقيقة الإنسان، في حين تكمن حقيقته الفعلية في أحلامه ولا شعوره كما أفعاله الغريزية «فقد جاء فرويد بمنظومته في التحليل النفسي ليضع الإنسان أمام نفسه، في عري حاد بكل ما فيه من صغائر وحقارات وخلع القناع عن صورته حيث نزع عنه طلاءه الاجتماعي، وجرده من

مظاهره الحضارية، ومعه صارت الرغبة هي المحرك السري الأول للإنسان، الواجب التحديق إليه في قسوة حتى اللجوء وإلى الشكّ العقيم [٢٠]».

يؤخذ على السيريالية في عنف اللاوعي الإبداعي، أنها جعلت من حضور اللاوعي حضور مفتعلاً في لوحاتها. فالسرياليون لم يعبّروا بلاوعي تلقائي عن نقدهم للواقع بل كان المخدر والكحول لاصطناع الخيال، والهلوسات أسلوبهم في الإبداع. وقد انتقدهم «فرويد» في ذلك وبيّن أن التحليل النفسي غايته في كشف اللاوعي وتحليله البحث عن مصدر العقدة بغية حلّها في الحالات المرضية فقط؛ أما السريالية فهي عكس ذلك؛ إذ إنّ غايتها من اللاوعي اعتماده كأسلوب إبداعي في الفنّ من خلال ممارسة كل أشكال «تعنيف» الإظهار عليه.

يعتبر كثير من مؤرخي الرسم المعاصر أنّ السريالية هي أسلوب فني خرج عن محاكاة المظهر المرئي للموضوع الفنّي بالعودة إلى عالم الأشكال في معان ذات صور وقوالب جديدة. إنها تقترح صورًا تنقلنا من العالم الواقعي إلى علم الرّؤى والأحلام. وقد قامت على نفس أساس هذا الشكل الفنّي التّعبيرية التجريديّة، بما أن السيريالية كانت في فترة ما بين الحربين من أقوى الحركات الفنّية وأهمّها. وكان «جورجيو دي شيركو» [٢١] من أهم الشّخصيات الفنّية التي أضافت للمنهج السيريالي من خلال فكرة «الحركة الذاتية الدائمة» في الرّسم، أي أنه يرى بأن العمل الفنّي لا ينقطع بانتهاء رسم اللوحة، بل يمكن أن تتواصل هذه اللّوحة من خلال عدة لوحات أخرى. وفي المقابل يمكن أن يتوقف الفنّان عن رسم لوحة من دون أن تستكمل كل أبعادها الفنّية. وفي هذا تعبير عن الحرية الفنّية؛ إذ إن الفعل الفنّي لم يعد مقترنًا لا بالزّمان ولا بالمكان، بل خرج عن كلّ الأُطر الواقعية ليكون له إطاره الخاصّ، الإطار الإبداعي الذي يمتلك أساليبه التعبيرية وأطره الزّمنية المختلفة عن كلّ الأساليب والأطر الواقعية. وقد تأكد هذا المنهج أكثر مع الرّسام السريالي سلفادور دالي من خلال استخدامه «للمنظور المخادع». فعندما تشاهد اللوحة الفنّية التي تحتوي على المنظور المخادع تشّعر بأنّه يخلق فراغًا غامضًا، ومع أنّ سطح اللوحة واضح، إلا أنّ هذا الرسم الذي على السّطح يبدو وكأنه معلّق على مسافة ما وخلفه تبرز عدة رسومات هي السطح الأصلي للوحة [٢٢]. وهذه الطريقة في التعامل مع اللوحة تؤكد توصل المنهج السريالي إلى أسلوب في الرّسم يجعل من اللوحة الفنية أرضًا خصبة للتجريد الفنّي من خلال حضور الأشكال الفنّية في أبعاد لا واقعية، إذ يعترف

«سلفادور دالي» أنّ لا غرابة في ألا يفهم الجمهور لوحاته، إذ هو نفسه لا يفهمها، فهو يبحث عن استعادة صورة الهذيانّيين. لذا فلوحاته مجهولة لديه، طابع هلوسي عجيب، وينتفي لها أي شرح. . . اللّوحة تكتمل وتصير ظاهرة في ذاتها. من هنا، في إحدى لوحاته، ثمة ست صور متشابهة

دون أن يصيب أية منها تشويه تعبيري: جسم إنسان ورأس أسد، ورأس قائد جيش حصان، ونصف راعية، رأس ميت وكان كلّ مشاهد يرى في اللّوحة تفسيرًا مختلفًا، وفق مزاجه ورؤيته، كما تختلف أحاسيس المستمعين إلى سمفونيّة، من واحد لآخر [٢٣].

يتأكد هذا المنهج الفنّي السّريالي بأسلوبه التّرميزي أو اللاواقعي من خلال أعمال «سيلفادور دالي» في لوحته «الانطباعات الثّابتة للذّاكرة»، ويمثّل هذا الرّسم أوضاعًا رمزيّة سرياليّة يقترن فيها الزّمان بالمكان، ويؤكّد سيلفادور دالي أنّ هذه اللوحة كانت رُسمت على مرحلتين؛ في البداية رسم المشهد الأصلي و به جذع لشجرة على سطح أرض يختلط فيها المشهد بالفضاء الواقعي، ثمّ في مرحلة ثانية أضاف فيها رسم «الساعات الرّخوة» وكأن المشهد إيذان بغفوة أصابت المكان والزّمان فكان المكان جافًا قاسي الملامح، وكان الزّمان رخو السّاعات وكأنّها نائمة على أشكال ميتة.

ولا غرابة في ذلك أيضًا وقد تأثر بريتون بآراء «فرويد» في التّحليل النفسي الكاشف عن البنية اللاّواعية في تكوين الذّات الإنسانيّة. ففي النّظرية الفرويدية لا يعني المضمون الظّاهري إخفاءً تامًا للرّغبة الدّاخليّة اللاواعية، كما أنّه لا يمثّل إشباع خيال مقهور، فهناك قضّيتان أساسّيتان في بنية النّفس: إحداهما واعية والأخرى مقهورة، وهذه الفكرة كانت مهمّة جدًا عند «فرويد» حتى أنّه لوقت طويل افترض أنّ الخيال اللاوعي قد اتّخذ مكانًا بالفعل في الواقع.

أمّا آخر هذه الحقائق فهي تلك المفارقة المتضمّنة في دعوة بريتون للسرياليّين بأن يتجرّدوا من أي شيء له صلة بالوعي بما في ذلك موضوع الوعي ذاته. غير أنّ المفارقة هنا تنشأ من الاستحالة العملية التي تواجه كلّ من يحاول أن يلتزم بحرفية تعاليم بريتون السريالية، وليس أدلّ على ذلك من عبارات «بريتون» نفسها التي تبدأ دائما بكلمات من قبيل «هيّئوا»، «اجعلوا»، «أكّدوا»، «اكتبوا» وهي كلّها أفعال ترتبط بالوعي أكثر ممّا ترتبط باللاّوعي، وكأنّ الطّريق إلى اللاّوعي لا بُدَّ وأن يمرّ بالوعي وهي قمّة المفارقة،

وهو ما كشف عنه «فرويد» نفسه عندما صرّح لسلفادور دالي حين زاره هذا الأخير في لندن بقوله: »إذ ما أراه طريفًا في فنّك ليس هو اللاّشعور، بل الشّعور«.

وبالرّغم من هذه المفارقة الصّارخة التي يمكن أن تزعزع السيريالية من أساسها إلا أنّ البعض يرى أنّ هذه المفارقة ذاتها هي أهمّ نتيجة حقّقتها السّريالية، وتأتي أهمّيتها من أن «فنًا يقوم على العقل الصّرف، و الشّعور الواعي اليقظ الموضوعي المنظّم، لن يُبصر الحقيقة إلاّ من جانب واحد، هذا فضلاً عمّا يتمثّل فيه عندئذ من جفاف وخشونة. وكذلك الفنّ الذي يقوم على الحلم الصّرف بكلّ ما فيه من انطلاق وتفكّك وتشتّت وتنافر، يكون مثيرا للدّهشة والغرابة ولكنّه مع ذلك أجوف، فضفاض، هلاميّ، غامض (٢٤).

والحقيقة أنّ هذه العلاقة المتوتّرة بين الوعي واللاوعي ومحاولة السرياليين الدّائمة لتغليب اللاوعي على الوعي، والحلم على الواقع، والنفسس على الجسد، هو ما حدا بالبعض إلى القول بوجود عامل مشترك بين السيريالية والتّصوّف يتمثّل فى فكرة «الخلاص» أي كلّ محاولة للخلاص من سجن الجسد الواقع واستكشاف آفاق جديدة فوق الواقع مثل المذاهب الآسيوية وبخاصّة الهنديّة كالبوذية، وبعض الطّرق مثل اليوجا.

كما ينبغي أن نلاحظ أنّ ثمّة فارقًا جوهريًّا بين السيريالية والتّصوفّ لا يجوز تجاهله، فالسّرياليّة في النّهاية هي مذهب في الأدب وفي الفنّ بمعنى أنّ ليس ثمّة موقف سريالي بدون إبداع، حتّى لو أتى هذا الإبداع معبّرًا عن موقف من الحياة، وهو بخلاف التّصوّف الّذي هو بالأساس موقف من الحياة وإن ارتبط في بعض الأحيان بالإبداع في الشّعر على وجه الخصوص. وفي هذا السياق يقول الباحث «باتريك فالدبارخ» في كتابه السيريالية «كاسبار دافيد فريدريك»، رسّام لا يوصف، وصاحب إشراقات صوفيّة، صاغ للمرّة الأخيرة الوصيّة الأولى للفنّان السّريالي: أغمض عينك الفيزيائيّة بغرض أن ترى لوحتك بعين روحك. بعد ذلك أخرج للنّور ما رأيته في ظلمائك (٢٥)«

٥- السيرياليّة والفكر الفلسفي

يتجلّى تأثير الفلسفة على السيريالية في احتفاء السّرياليّين الشّديد بالفكر الألماني عمومًا وبفلسفة هيغل على وجه الخصوص، التي استعان بها السرياليون كثيرًا، فأفضت بهم إلى إدراك نشوء وتطوّر الوجود المّادي والفكري. كما اشتغلوا على إعادة استجواب مفاهيم

الواقع القديمة في محاولة تعطيل التّضاد ما بين المادّة والعقل ، الّذي كان مسلّمًا به لمدّة طويلة ، وهكذا وجد السّرياليّون الدّعم الّذي يبحثون عنه عند هيغل . ففي البيان السّريالي الثّاني ، أعلن بريتون أنّ المفهوم الهيغلي عن تغلغل العالم الخارجي داخل الوجود الذّاتي قد ظلّ دون تقيّد أو ارتياب في صحّته . كما كان لتأكيد هيغل برفضه تفوّق المادّي على التّجريدي ، وإيمانه بالوحدة الدّاخلية للحالات والظّواهر المتناقضة ، خصوصًا تحديده للمعرفة بوصفها مزاوجة للفكر ومادّته ، كان من شأنه أن يلعب الدّور الأكبر في توضيح فكرة السّرياليّين عن العالم الإنساني .

وبهذا الاعتبار يعود لهيغل الفضل في تحقيق التّوازن الذي كان مفقودا بين الذّات والموضوع وبين الفكر والواقع ؛ »فالتجربة الميتافيزيقية إذن يمكن بلوغها ليس عبر التّخطي بل عبر التّناغم النّاجح بين العقل والمادّة [٢٦] « . وعلى أساس هذا المنهج يطوّر بريتون بعض المفاهيم الهيغليّة على النّحو الّذي يجعل منها جزءًا من النّسيج السّريالي فيحدثنا في البيان السّريالي الثّاني سنة (١٩٣٠) عمّا أسماه «النّقطة العليا» وهي منطقة في الفكر عند بلوغها نقطة الذروة ينعدم الإحساس بالتّناقض بين الحياة والموت ، والواقع والخيال والماضي والمستقبل ، والأعلى والأسفل ، ليس هذا فحسب ، بل إنّه يختصر كلّ النّشاط السيريالي في البحث عن هذه النّقطة .

و يأتي علم النّفس الفرويدي كأحد أهمّ المنطلقات الفكريّة الّتي أثّرت في الحركة السّريالية ، فإذا كان السيرياليّون قد عثروا على التّوازن بين العقل والمادّة عند هيغل ، فإنّهم قد عثروا على هذا التّوازن نفسه بين الحلم والواقع عند «سيجموند فرويد» . وفي البيان السيريالي الأوّل نسب بريتون إلى فرويد الفضل الكبير ، بسبب اكتشافاته لتأويل الحلم ولمنهجه في الاستقصاء والحقوق الجديدة التي منحها لملكة الخيال البشري . فقد اتّضح للسّرياليّين – بفضل نظريات فرويد– أنّ الوعي ليس سوى المظهر السطحي الّذي يخفي تحته صراعًا محتدمًا في الأعماق ، وأنّ حقيقة الإنسان ورغباته إنما تتكشّف في أحلامه ولا شعوره ، وفي أفعاله الغريزية الصّرفة ، على نحو أصدق وأدقّ ممّا يبدو في السّلوك اليومي الظاهري ، لقد «جاء فرويد ، مؤسس التّحليل النّفساني في الغرب الحديث ، ليضع الإنسان أمام نفسه ، في عريّ حادّ ، بكلّ ما فيه من صغائر وحقارات ، وسلخ القناع عن صورته الخبيثة و المحلاّة فهو نزع عنه طلاءه الاجتماعي وجرّده من مظاهره الحضاريّة ،

ومعه صارت الرّغبة هي المحرّك السّري الأوّل للإنسان، الواجب التّحديق إليه في قسوة حتّى اللّجوء إلى الشكّ العقيم» (٢٧) .

وعلى الرّغم من نقاط الاتّفاق الكثيرة بين السيريالية والفرويدية، إلاّ أنّ كلّ منهما لم يسلّم تماما بكلّ ما قدّمه الآخر، فغاية السيرياليين لا تتماثل مع غاية التّحليل النّفسي الّذي يقف عند حدود البحث عن مصدر عقدة ما بغية حلّها. من ناحية أخرى لم يهتم السيرياليون بتحليل واقع اللاّوعي - على نحو ما فعل فرويد - قدر اهتمامهم بالوصول إليه وتصويره. كذلك رفض السّرياليون الطّبيعة العلاجية لمنهج فرويد، وأخذوا على فرويد اهتمامه بالأحلام المتّصلة بالحالات المرضية فقط، وليس الحلم وفق مفهومهم من حيث هو تعبير عن جانب مهم في حياة الإنسان يخصّ الحالات المرضية فقط. وفي المقابل اعترف فرويد بأنّ ماهيّة السيريالية وأهدافها غير واضحة بالنّسبة له.

وعلى أي حال يمكن القول إنّه «لم يكن بإمكان السرياليين إبداء التأييد الكلي لطريقة هيغل، ولا مشايعة فرويد على نحو كلّي، لكن عبر هذين المؤثرين الهامّين كان بوسع السيرياليين التخلّص من عدميّتهم الأوليّة، وتبنى عقيدة أمل مبنية على الإيمان بالقدرة الكامنة للعقل البشري على الجمع بين الحلم الإنساني والواقع المادي» (٢٨) .

لقد وجد السرياليون حسب زعمهم ضالّتهم من جديد في التّحليل النّفسي. فقد كشف فرويد في تحليله للجهاز النّفسي أنّ منطقة اللاوعي ليست ذاتيّة تمامًا، ومتفرّدة على نحو يمنع أي تواصل مع الآخرين من خلالها. بل بالعكس هناك تشابه كثير في نظامنا النّفسي، وحتى في مناطقه الأكثر حميمية هناك دائما المشترك. إن الآليّات النّفسية نفسها تتكرّر بين الأفراد، والظّواهر نفسها تحدث بالطريقة نفسها مع الجميع. إنّنا نعيش الواقع ونعيش الحلم. ونعيش امتداد الحلم إلى واقعنا. فعوامل الكبت وآلياته نفسها وعوامل التّعويض والإشباع متقاربة. إنّنا نعيش تجربة الواقع بكلّ أبعادها الشّعورية المؤلمة والسعيدة، وتترك فينا آثارها. وحينما نتداعى للحلم في النّوم أو في اليقظة، وحينما تضعف مراقبة سلطان الوعي يخرج ما بداخلنا من مكبوت ليتجلى في الأحلام. والتأويل الفرويدي الأقرب لها هو أنّ الأحلام إشباعات وهميّة تؤدّي دور التّعويض، وهي صحّية وضروريّة. بلّ قد يتحول عالم الحالم إلى جنّة من الإشباعات الحرّة البعيدة عن جمع أنماط الرّقابة. ومن هنا يجد الفنّان السيريالي نفسه يسبح في عالمه الذّاتي من الأحلام والخيال لينقل جماليته « التي صادفها فيه» إلى الجمهور. بل ومن هنا أيضًا قد يحدث أن يتقاسم معه الجمهور

جماليّته [٢٩] ومن هذا المنطلق نفسه اعتبر البعض أنّ السريالية هي «رومنطقية جديدة» أو مشروع استعادة «الأسطورة» على حساب العقل الأنواري. بل إنّ السريالية ذهبت عمدًا إلى إحياء الأسطورة القديمة، لمواجهة صعوبة الواقع الحالي، وتوظيف المخزون الاحتياطي للبشرية من أجل المعالجة الذّاتية، حتى انتهت السيريالية نفسها إلى أسطورة. وفي هذا المجال يوضّح «هنري بيهار» الأستاذ بجامعة السّوربون هذا المعنى قائلًا: «إذا قامت السيريالية بالعودة إلى الأساطير القديمة من أجل فضيلتها اليوم، فإنّها صنعت لنفسها أساطيرها الذاتية، حتّى انتهت بأن تكون هي نفسها أسطورة في عيون جمهورها» [٣٠].

على هذا النّحو ينسحب الفنّان السريالي إلى الحدود اللاّواقعية للواقع، معتقدا أنه بانسحابه هذا هو في الواقع يقترب أكثر ما يكون من الحقيقة نفسها. ويبدو من الزّاوية النّفسية أنّ مثل هذا السلوك يؤشر على حلم طفولي، فغالبا ما يهرع الطفل والمصدوم إلى البحث عن حقيقة أخرى غير الواقعية يمكن أن يجدا فيها سكينته لآماله المحطمة واقعيًا. ولا مفرّ من الإقرار بأنه سواء للطّفل أوالمصدوم أو السريالي فإن ذلك الانسحاب للبحث عن نقطة ضوء أخرى غير المظلمة أمامه، يصاحبه نوع من الصراخ العميق من الألم. ويعبر هذا الموقف في عمومه عن ثورة حقيقية ترفض الواقع كما هو معطى، وتبحث له عن تحريف وتشويه مقصود، بغرض التّخلص منه.

٦- نقد مآلات الهرمنيوطيقا الساخطة

لجأ السيرياليون معتمدين على نظريات فرويد النفسية إلى الحلم واللاشعور من دون رقابة العقل. ولو كان ذلك هروبا من الواقع. وإذا كان هناك تشابهات كثيرة بينها وبين الرؤية الصوفية إلا أنّ الدوافع والغايات مختلفة تمامًا. فالمنهج الصوفي الذي يتبدّى من خلال التجارب المعنويّة في التأريخ الإسلامي يؤكّد على العقل ولا يُجيز الهروب من الواقع، بل يواجهه ويقوده نحو الارتقاء ولا يترك الجانب المادي من الحياة على حساب الجانب الروحي. لكن السيريالية سعت إلى تقويض كل شيء، من إنكار الدين والمقدّسات، إلى التنكّر للتراث والمذاهب الأدبية التي سبقتها.

إلاّ أنّها لم تستطع الإتيان ببديل لها. كما نظرت إلى العقل نظرة احتقار ودأبت على الخلاص من سيادته بمختلف الطرق، منها التنويم المغناطيسي، والمجون، والدعابة والسخرية وتعاطي المخدرات الأمر الذي أدّى إلى إغراق الانتلجنسيا الغاضبة على قيم

الرأسمالية الدائرة في بحر متلاطم من العبثية والوهمية واليأس. إلى ذلك اجتازت السيريالية كلّ الحواجز بين الحب والجنس ما أدى إلى شيوع الإباحية في الأدب والفنّ وإفساد الأخلاق وانحراف العواطف. وهكذا فإن الولوج في عوالم اللاشعور والدنيا الحالمة والتِّيه في أودية الخيالات والرؤى المظلمة ستقود السريالية إلى عدمية الحياة وعبثيتها التي لا تنتهي بصاحبها إلاّ إلى الانتحار [٣١].

٧- السيرياليّة و إنكار المقدّس الدّيني

لقد تبيّن لنا أنّ المبادئ التي دعا إليها السرياليون في المطاف الأخير تركّز على تقويض الأسس القيميّة والدينية والأخلاقية للحضارة الإنسانية، وفوق هذا راحوا ينكرون كلّ ما عداهم، ولا يقرّون بصحّة أي مبدأ. أما أبرز هذه المبادئ التقويضيّة فيمكن إجمالها بما يلي:

أولًا: تقويض الإيمان والمقدّس الدّيني

يرفض السرياليون الأديان وتعاليمها و»ينادون بالتحرّر المطلق من كلّ القيود، والرفض اللامشروط لموازين النّاس وأحكامهم ومقدساتهم». كان هذا الرّفض والهدم من قبل السرياليين مبنيّا على ادّعاء «أنّ مجتمعات الحرب العالمية الأولى قد أفسدت قوانينها وأنظمتها ومذاهبها (بما في ذلك المذاهب الأدبية)، وأنّ الخلاص الحقيقي هو رفض كل شيء، والكفر بكلّ مبدأ؛ لأن الواقع البشري قد فسد لفسادها وبعدها عن الحقيقة. فالسيريالية تحتقر الأديان والأعراف والمنطق والعقل، وهي دعوة إلى «الكفر بالعقل والمنطق، والنظم الاجتماعية، والتقاليد، والأخلاق الذي يعني - في نظرهم - البحث عن عالم جديد أكثر إنسانية» [٣٢]. وحسب كثير من الباحثين أنّ السريالية تشكّل موجة من موجات الفكر الإلحادي التي تتباهى بإلحادها وترى فيها الخلاص للإنسان من العبودية والأغلال التي تقيّده بها الأديان والأعراف والتقاليد» [٣٣].

يجب أن نقول في الرّد على هذا الادّعاء بأن الحضارة التي لا يوجد فيها أي قيد وميزان وتفتقد اليقين الديني، لن تستطع أن تمنح الإنسان الطمأنينة والسعادة. وأن تمنح الإنسان كلّ ما يريد، وأن الإنسان إنْ لم يجد نفسه تتعامل معه كإنسان، بكلّ مكوناته، وأشواقه، ومنازعه، فإنّه سيتمرد، والدعوة إلى رفض كل القيود وهدم كل ما يوجد في الجوامع من

موازين كانت بمثابة حرب ثقافية هوجاء شنّتها على الأديان والمقدّسات والقيم الأخلاقية السيريالية والروحية في الحضارات الإنسانية جميعها [٣٤] .

ثانيًا : تقويض العقل

لقد شنّت السيريالية هجومًا على سيطرة العقل والاتكاء عليه وهاجمت الاستخدام الحصري للعقل ، وسعت إلى الخلاص من سيادة العقل بواسطة أشكال المعرفة اللاّواعية كالصدفة الموضعية ، والدعابة السوداء ، واللّعب ، والحلم ، والمخيّلة الشعريّة ، وتعاطي المخدرات و . . . ، والعقل في نظرة أصحاب السيريالية يصور «الأحمق الذي يدنّس باحتراسه الواقعي كل شيء» ، وهم يعتقدون أنّ الإنسان فرض كوابح اجتماعيّة وجنسيّة وعقليّة على نفسه وعلى أشباهه . والسيريالية تريد أن تقتلع الحواجز الاصطناعيّة لخلق عالم ستكون للرغبة فيه الكلمة الأولى والأخيرة [٣٥] .

يمكن القول : إنّ اللاعقلانية السيريالية أو هجومه على العقل ماهيّة عقيمة ، وهذا الهروب من العقل في الحقيقة هو نوع من الحرب في المأزق ؛ لأنّ النضال مع العقل الجديد ومعارضته ينتهي إلى التعالي والنّمو كلّما يعتمد على الفكر الديني والاعتقاد بالوحي وإلا فلا ينتهي إلى شيء سوى الدخول في دوّامة العبثيّة والوهميّة واليأس .

إنّ موقف الإسلام إزاء العقل البشري ومكانته في الكون والحياة وفي الأدب والاجتماع واضح وبيّن قد أشار إليها القرآن الكريم في معظم سوره ومقاطعه وآياته ، حيث يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [٣٦] . «و إنّ دلّ هذا على شيء فإنّما يدلّ على أنّ الأفكار والعقائد التي يقبلها العقل أو يرفضها يجب أن تترك للعقل نفسه ، و ألاّ يعتمد على الأساليب والوسائل ما يتجاوز مكانة العقل البشري وينزل بها إلى مستوى القسر والإرغام على تحوير قناعاتها ، أو تفريغها ، لتقبل أفكار أو معتقدات لا تقوم عليها الحجّة ولا يسندها جدل أو برهان» . ومعروف أنّ القرآن الكريم أعطى الحواس ، التي هي إحدى مداخل المعرفة العقلية ، مسؤوليتها الكبيرة عن كلّ خطوة يخطوها الإنسان في مجال البحث والنظر والتأمّل والمعرفة والتجريب ، فقال تعالى : ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنّ السّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [٣٧] . «وطلب من المؤمنين أن يحرّكوا بصائرهم وعقولهم للوصول إلى الحّق الذي لا يقوم الكون إلاّ به» فاحتقر السرياليون العقل أيما احتقار ، ولكن الإسلام كرّمه أيما تكريم [٣٨] .

ثالثًا: تقويض التراث

أطاحت السيريالية بكثير من الموروث حيث أحدثت فوضى عارمة في المجتمعات الأوروبية تناولت أنماط الحياة وتقاليد الشعوب ناهيك عن مقدساتهم. فالسيريالية بهذا الموقف الرفضي أرادت أن تردّ الإنسان إلى حالته الوحشية التي أدّت إلى الإخلال بالموازين الأخلاقية والأدبية. فقد اجتازت حدود الحريّة وتكلّمت في الأدب بلغة غريزية وأطلقت العنان للنفس لتفعل كلّ ما تشاء من دون أي رقابة وقيد. كما أكّدت السيريالية على الحرية بلا قيد وعلى الشهوة المطلقة واعتبرتها أساس الوجود بل الوجود كلّه.

خلاف هذا المسار الهذياني للسيريالية وتفلّته من القيم الحاكمة على المجتمع الإنساني، أخذت الرؤية الإسلامية بمنهج الاستيعاب الخلاّق للتراث، فهي ليست رؤية تقليدية، والأدب الإسلامي لا يفرض التراث على الواقع دون أيّ نقد. ومن جانب آخر لا يرفضه كلّ الرّفض كما فعل السرياليون. إنّ الأدب الإسلامي ينبع من القرآن والسنّة النبوية الشريفة كما يلاحظ عدد من الباحثين ممن نقدوا السيريالية. وكثيرًا ما نرى أنّ إشكاليّة الأصالة والمعاصرة أو القديم والجديد تُطرح من قبل المثقفين؛ إذ يختارون الأنموذج الغربيّ بوصفه أنموذجًا أصيلاً يجب أن نهتمّ به، وهذا ما لا يمكن قبوله حيث ذات الأديب المسلم النابع من عقيدته معارض مع دعارة الأدب الغربي وكشفه. فعلينا أن لا نغضّ النّظر عن وجود غنى معرفي في التراث وتوفّر مساحات واسعة مفيدة فيه [٣٩].

إنّ هذه الرؤية الوهميّة والنظرة المظلمة إلى الحياة والواقع أدّت إلى استغراق السيرياليين في عوالم اللاشعور بعيدة عن الحياة اليومية، كما أدّت إلى استشراء رؤية تشاؤمية لمستقبل الإنسانية. إنّنا عندما نعالج هذه القضية انطلاقًا من الفضاء الثقافي الإسلامي نرى أنّ «القرآن الكريم، والتجربة الإيمانية عمومًا، يشكلان صراطًا للهداية والتبصّر في المستقبل القريب والبعيد، الأمر الذي يمنح الإنسان فرصة لمدّ حياته وإغنائها، وكسب رصيد زمني تتضاءل فيه أثقال الزمان والمكان. فالإنسان في الثقافة الروحانية يعيش في زمن مفتوح، ممتدّ في الأبدية، لا تقطّع فيه ولا حواجز ولا زوال [٤٠]. . .

على هذا الوجه سوف يتبيّن لنا أنّ ظاهرة السيريالية جاءت أشبه بالثمرة المُرّة لشجرة الحداثة. وعليه فقد مضت بعيدا في التأويل، لتحكم بالبهتان على حداثة غادرت مبادئها المعلنة في التنوير لتتحوّل إلى توتاليتارية حضارية في غاية القسوة. إلا أنّنا من وجه آخر، نرى أنّ الغلوّ السيريالي في الاحتجاج على الواقع التأريخي للحضارة الغربية الحديثة

وما ترتّب عليه من عيوب وإخلالات فكريّة ونفسيّة واجتماعيّة وثقافيّة دفع بأتباعها نحو الانعزال واللاّ انتماء. أمّا ما يجري تداوله في الأوساط الفكرية والثقافية من كون السريالية حركة ثوريّة فقد كشفه سقوطها في العبثيّة والعدميّة إلى الحدّ الذي جعلها محلّ إنكار التيّارات الاحتجاجية الكبرى في أوروبا بما فيها الفرويدية الجديدة نفسها.

الهوامش :

١. مريم وفيق – السيريالية ثورة اللاوعي في مواجهة بشاعة العالم – نقلاً من موقع ساسا بوست – ٩/ ٨/ ٢٠١٨

٢. مريم توفيق – المصدر نفسه

٣. نميل أيضا إلى الاعتماد بأن المقصود بعبارة، في هذا السياق أقرب الى معنى اللاإرادية منه إلى الآلية. رغم أننا عثرنا على ترجمات في سياقات أخرى تعربها بعبارة الآلية. L'automatisme و مع ذلك نحتفظ بالعبارتين مع وعينا بالاختلاف الدّلالي للسياق

4. Surréalisme n. m automatisme physique pur par lequel on se propose d'exprimer soit verbalement soit par écrit, soit de toute autre maniére, le fonctionnement réel de la pensée, dictée de pensée, en dehors de toute préoccupation esthétique ou morale. André Breton, manifeste du surréalisme, Gallimard, Paris 1924, P37

5. Le principe de la démarche surréaliste c'est la liberté. A. Breton, manifeste du surréalisme, op. cit. P115

6. André Breton » l'œuvre plastique, pour qu'il répondre à la nécessité de révision absolue des valeurs réelles sur laquelle aujourdh'ui tous les esprits s'accordent, se référera à un modèle purement intérieur, ou ne sera pas » Patrick Waldberg, le surréalisme, éditions d'Art Albert Skira, Genéve, 1962, P25.

٧. عفيف البهنسي، الفنّ و الاستشراق، دار الرّائد اللّبناني، دار الرّائد العربي، بيروت، ١٩٨٣، ص ١٨٦

٨ Tristan Tzara ١٨٩٦-١٩٦٣. أديب ومنكر وفنان من أصل روماني، عاش معظم حياته في باريس، يعتبر أب الحركة الدادائية باعتباره أول من أطلق عليها هذا الاسم الذي لا يقابله في الواقع اي مدلول. اسم تزارا الحقيقي هو موانيسى، عرف بكتابته بالفرنسية وبالرومانية.

٩. ديفيد هوبكنز – الدادائية و السريالية – ترجمة: أحمد محمد الروبي –ط-١ مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة – القاهرة -٢٠١٦ ص ١٨

١٠. هوبكنز – المصدر نفسه –ص ٢٠

١١. أحد أبرز قادة الثورة الروسية عام ١٩١٧ و مهندس الجيش الأحمر و صاحب نظرية الثورة الدائمة، و قد اغتيل في منفاه البرازيلي بسبب معارضته لنظام ستالين

١٢. المصدر نفسه – ص ٢١

13. Surréalisme n. m automatisme psychique pur par lequel on se propose d'exprimer soit verbalement soit par écrit, soit de toute autre manière, le fonctionnement réel de la pensée, dictée de pensée, en dehors de toute préoccupation esthétique ou morale.

14. André Breton, manifeste du surréalisme, Gallimard, Paris 1924, P37

١٥ . عفيف البهنسي ، الفنّ و الإستشراق ، دار الرّائد اللبناني ، دار الرائد العربي ، بيروت . ١٩٨٣ . ص ١٨٨

١٦ . أمين ، صالح ، السوريالية في عيون المرايا ، القاهرة : الهيئة العامّة لقصور الثّقافة ، ٢٠٠٨ . ص ١٣٧

١٧ . أمين ، صالح ، السوريالية في عيون المرايا ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٣٠

18. LA ROUSSE » certain point de l'esprit d'où la vie et la mort, le réel et l'imaginaire, le passé et le futur, le communicable et l'incommunicable, le haut et le bas cessent d'être perçu contradictoirement. Or, ajout breton, c'est en vain qu'on cherchait à l'activité surréaliste un autre mobile que l'espoir de détermination de ce point ». Dictionnaire de la peintre, sous la direction de Michel Laclotte & Jean Pierre Guzin avec la collaboration d'Arnould Pierre. Larousse, Bologne 1999

19. André BRETON « Tout ce que j'aime, tout ce que je pense et ressens, m'incline à une philosophie particuliére de l'immanence d'après laquelle la surréalité serait dans la réalité méme, et ne lui serait ni supérieure ni extérieure. Et réciproquement, car le contenant serait aussi le contenu. Il s'agirait presque d'un vase communicant entre le contenant et le contenu. » André BRETON, , le Surréalisme et la Peinture, éditions Gallimard**,** Paris ١٩٧٩ .

٢٠ . الوحشية Le Fauvisme ، هي حركة فنية في الرسم في بداية القرن العشرين . و يحدّد النّقاد ظهورها بمعرض خريف ١٩٠٥ بباريس . يعتبر الرسام هونري ماتيس ١٨٦٩-١٩٥٤ رائد هذه الحركة ، و هي تتميز أساسًا بتحريرها للون . كان لها تأثيرها في الرّسامين التجريديين و التكعيبيين

٢١ . Giorgio de Chirico ، فنان و رسّام و كاتب إيطالي ولد سنة ١٨٨٨ و توفي سنة ١٩٧٨ في روما من أبرز وجوه التيار السريالي إلى فترة متأخرة

٢٢ . لوحة « الانطباعات الثابتة للذّاكرة»

٢٣ . موريس سيرولا ، السوريالية ، مرجع سبق ذكره ، ص ٧١ .

٢٤ . عزّ الدين إسماعيل ، الفن و الإنسان ، القاهرة : الهيأة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٣ ، ص ص ٢٣١-٢٣٢

25. Patrick Waldberg « Casper David Friederich, peintre ineffable, illumine de grâce mystique, a formulé une fois pour toutes le premier commandement de l'artiste surréaliste: « Clos ton œil physique afin de voir d'abord ton tableau avec l'œil de l'esprit. Ensuite, fais montrer au jour ce qui tu as vu dans ta nuit ». Patrick Waldberg, le surréalisme, éditions d'Art Skira, Genève, 1962, P25

٢٦ . أمين صالح ، السيريالية في عيون المرايا ، القاهرة : الهيأة العامة لقصور الثقافة ، ٢٠٠٨ ، ص ٦٣ .

٢٧ . أمين صالح ، المصدر نفسه – ص ١٠٦

٢٨ . أمين صالح ، السيريالية في عيون المرايا ، مرجع سبق ذكره ، ص ٧١

29. H. W. JANSON, histoire de l'art, édition cercle de l'art, Paris, 1993, pp723724/

30. Henri Béhar, in Preface de « le surréalisme et le Mythe » Annette Tamuly, Peter Lang, New York, 1995

٣١. خليل بروينـي – المدرسـة السـريالية و مبادؤهـا دراسـة نقديـة مـن رؤيـة إسـلامية – مصـدر سـبق ذكـره- ٢٠١٨

٣٢. خليـل بروينـي، المدرسـة السـريالية و مبادؤهـا، دراسـة نقديـة مـن رؤيـة إسـلامية، مجلـة «إضـاءات نقديـة»، العـدد التاسـع عشـر، آذار، ٢٠١٨

٣٣. إبراهيـم قصـاب، المذاهـب الأدبيـة الغربيـة، رؤيـة فكريـة و فنيـة، مؤسسـة الرسـالة، بيـروت ن ٢٠٠٥ ص ٧٥

٣٤. محمـد عيّـاد شـكري، المذاهـب الأدبيـة و النقديـة عنـد العـرب و الغربيـين، المجلـس الوطنـي للثقافـة و الفنـون و الآداب، الكويـت، ١٩٩٣ ص ١٩٨

٣٥. أدونيـس، الصوفيـة و السـريالية، دار السـاقي، الطبعـة الثالثـة، بيـروت، لنـدن، ١٩٩٨ ص ٩٨

٣٦. سورة البقرة، الآية ٢٤٢

٣٧. سورة الإسراء، الآية ٣٦

٣٨. عماد الدين خليل، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٥

٣٩. خليل بروينب، مصدر سبق ذكره

٤٠. عمـاد الديـن خليـل، التفسـير الإسـلامي للتأريـخ، دار العلـم للملايـين، بيـروت، ١٩٨٤، ص ١١٤

في العلاقة بين عملية بناء الدولة وتحقيق الدولة القوية من منظور المفكر (فوكوياما) : العراق كدراسة حالةً

بروفيسور شيرزاد أحمد أمين النجار*

الملخص

إن الدول الضعيفة – الفاشلة تواجه مشكلة « فشل عملية بناء الدولة» فيها وبالتالي فهي تمثل مصدر العديد من أكثر مشاكل العالم خطورة، ولذلك فإن عملية بناء الدولة تشكل اليوم إحدى أهم قضايا ومشاكل المجتمع الدولي.

والعراق كدولة لا يشكل استثناءً لهذا الوضع، وإن طرح موضوع «تحقيق الدولة الفاعلة» يمثل انعكاسًا لحالة «القلق» الذي ينتاب النخبة المثقفة الواعية من أبناء العراق، حول مصير بلدهم ومستقبله. هذا «القلق» هو نتاج التطورات الخطيرة المحيطة بالدولة العراقية منذ الاحتلال الأمريكي عام (٢٠٠٣).

إذن، الوضع في العراق «مقلق» جدًا، وهو نتاج عوامل متعددة، لذا يبرز في صدده التساؤل الآتي: كيف يمكن دراسة الحالة العراقية وتحليلها وفي ضوء أي من المقاربات المنهجية في علم السياسة يتم هذا العمل ؟

العديد من الدراسات قُدِّمت بهذا الشأن ووصفت العراق بكونه: دولة هشّة، دولة فاشلة، دولة ضعيفة، دولة مُذلَّة، دولة عقيمة. ولكل من هذه المُسميات تبريراتها وحُججها. والآن نتساءل: كيف يمكن خلق دولة فاعلة وقوية في إطار هذا الوضع المتشابك المعقد؟ وهل أصلاً ما زال العراق « يحلم « بأن يكون دولة، وأي شكل من الدول؟

هذه الدراسة تحاول معالجة هذا الوضع المتشابك، ما هو عليه العراق فعلاً، وأي نوع من الدول يمكن تصنيفه وفي أي مرحلة من «بناء الدولة» يجد العراق نفسه؟.

عليه، ومن خلال الربط ما بين (عملية بناء الدولة) و (الدولة الفاعلة القوية) تهدف الدراسة إلى إعطاء إجابة عن إشكاليَّة وضع العراق كدولة. وفي هذا الإطار تلجأ إلى مناقشة آراء المفكر (فرنسيس فوكوياما) بصدد كيفية بناء الدولة وتحقيق الدولة القوية من خلال بناء مؤسسات فعالة وحكم القانون وزيادة قدرة وكفاءة الدولة.

On the Relationship between the State-Building Process and the Achieving the Strong State through Thinker Perspective "Fukoyama": Iraq Case Study

Abstract:

Weak-failed states face a problem of "the failure of the state-building process" in it, and therefore they represent the source of many of the world's most dangerous problems. Therefore, the state-building process constitutes today one of the most important issues and problems of the international community.

Iraq as a state is not an exception to this situation, and raising the issue of "achieving an effective state" is a reflection of the state of "concern" that the conscious educated elite of the sons of Iraq have, about the fate and future of their country. This "concern" is a product of the dangerous developments surrounding the Iraqi state since the US occupation in 2003.

Therefore, the situation in Iraq is very "worrying", and it is the result of multiple factors, so the following question arises in its connection: How can the Iraqi case be studied and analyzed, and in light of any of the methodological approaches in political science this work is done?

Several studies were presented in this regard and described Iraq as: a fragile state, a failed state, a weak state, a humiliating state, and a sterile state. Each of these names has its justifications and arguments.

Now we ask: How can an effective and strong state be created in the context of this complex intertwined situation? Is Iraq still "dreaming" of being a state, and what form of states?

This study attempts to address this intertwined situation. What is Iraq really like, what kind of countries can be classified and at what stage of "state building" does Iraq find itself?

Therefore, and by linking between (the process of state building) and (the strong active state) , the study aims to give an answer to the problem of Iraq's status as a state. In this context, it resorts to discussing the views of the thinker (Francis Fukuyama) regarding how to build the state and achieve a strong state through building effective institutions, the rule of law and increasing the capacity and efficiency of the state.

Keywords: Ruling of the Law, Construct Institutions, Size and State Power, State Building, Legitimacy, Sovereignty, Democratic Transition.

الكلمات المفتاحية: حكم القانون، إقامة المؤسسات، حجم وقوة الدولة، بناء الدولة، الشرعية، السيادة، التحول الديمقراطي

١- مدخل تمهدي

منطقة الشرق الأوسط تواجه « تحولات بنيوية كبرى» جدّية تُركز على « تفتيت دولها « ، حيث بدأت حدود البعض من دول المنطقة تفقد أهميتها ، وبدأت جماعات هَيمنة جديدة تتشكل ، وبدأت صراعات الدول وصراعات القوميات العابرة للحدود تتداخل وتتشابك . وهنا تبرز ظاهرة جديدة في العلاقات الدولية وهي : أن القوى الدولية الكبرى ، خلافًا لما كان سائدًا منذ ما يقرب من مائة سنة ، بدأت لا تُظهر رغبة لتأخذ على عاتقها "إعادة تنظيم" المنطقة ، بل تحاول الدفاع عن بعض مصالحها المباشرة وبالتالي صد المخاطر الأمنية المؤثرة على تلك المصالح . وبالمقابل لا تبدي الدول الإقليميَّة الرئيسية تقديم - على الأقل حتى الآن - أي مبادرات لتحقيق الاستقرار أو على بناء جديد لنظام إقليمي . هذا الوضع يشكل حالة يمكن القول عنها أنها حالة «اللانظام وعدم اليقين» .

في رأي الباحث الأكاديمي الألماني (فولكر بيرتس – مدير المعهد الألماني للسياسة الدولية والأمن) في كتاب له بعنوان: نهاية الشرق الأوسط، كما نحن نعرفه، الصادر (٢٠١٥) [١] إن العالم امام تفكك البنية الداخلية للعديد من دول العالم العربي وبالتالي أمام تدمير قيم مجتمعاتهم (في سوريا و العراق و ليبيا) ، دون أن يكون واضحًا ودون أن تظهر مؤشرات حول انبثاق نظام جديد يحل محل القديم، أو حتى مَن سوف يُشّكل هذا النظام. التجارب التأريخية تؤشر أن شعوب منطقة الشرق الأوسط وعلى الرغم من كل تجارب الحرب و القمع والعنف، لها تأريخ من العيش المشترك بغض النظر عن الانقسامات العرقية والطائفية والسياسية. ولكن هذا لم يعد مناسبًا الآن حيث إن مستوى العنف الذي يمارسه الفاعلون الحكوميون أو غير الحكوميين ضد شعوبهم قد وصل إلى مستوى عالٍ يحتاج الأمر إلى طرح أفكار جديدة حول كيفية العيش المشترك.

يبدو أن العنف والحرب الأهلية الطائفية لا علاقة لها بمطالب الحرية والكرامة وتحقيق العدالة والتي قامت على أساسها الاحتجاجات. لذا فالتساؤل هنا هو: كيف يمكن فهم ما يجري في الشرق الأوسط منذ بداية الاحتجاجات والاضطرابات العربية في عام (٢٠١١) ؟ هل نحن نواجه دولًا فاشلة، وحروبًا إقليميّة وأهليّة، إرهابًا وعنفًا طائفيًا كوضع عادي جديد؟ في رأي (بيرتس) ، أن المنطقة تواجه بداية فترة طويلة من الاضطرابات، وأن الشرق الأوسط اليوم، هو بالفعل لم يعد هو الشرق الأوسط الذي نعرفه، إنه يمر حاليًا بمراحل انتقالية بنيوية.

وعليه نتساءل: هل أن العراق يُمثل استثناءً على هذا الوضع أم أنه سيتفاعل ضمن هذه المرحلة الانتقالية؟

الدراسة هذه تحاول إعطاء توضيح حول هذا التساؤل المهم.

٢- جوهر الدولة ووظائفها

يرتبط جوهر الدولة بقوة الدولة التي اُعتبرت عاملًا مهمًا لضمان و تعزيز الديمقراطية [٢] ، وسيادة القانون [٣] ، والنمو الاقتصادي. [٤]

عمومًا تأسست الدولة لأجل إنجاز وظيفتها الرئيسية الأساسية: تأمين الحماية للمواطنين وحماية بعضهم من البعض الآخر وبالتالي تأمين الدفاع عنهم ضد الأعداء

الخارجيين (وهذا ما حدده الفيلسوف أرسطو – المتوفي ٣٢٢ ق. م. – في كتابه الشهير «السياسة») [٥]

تحديد هذه الوظائف لا يعني أن الدولة ستقف عندها وتعتبرها قيودًا عليها، بل أنها تتجاوز هذه التحديدات باللجوء إلى استخدام العنف الشرعي وعند الضرورة العنف غير الشرعي. الدولة لا تمارس العنف فقط لأجل استتاب الأمن والهدوء، ولكنها تمارس هذا العنف أيضًا وعلى نطاق واسع ضد مواطنيها عند وجود تهديد حقيقي ضد السلطة السياسية، وبالتالي ستنقلب وظيفة الدولة من حماية المواطنين إلى « العداء» تجاههم أو على الأقل تجاه « مجموعة معينة» منهم وخلال « فترة معينة»، وبذلك أصبحت الدولة عدوة شريرة لأولئك الذين كان عليها أن تحميهم والذين أصبحوا « غير ملائمين « للدولة، لذلك ظهر في تحليل الدولة تناقض حدده بروفيسور (بول دو موشيل [٦] (Paul Dumouchel في كتابه المهم (التضحية غيرالمجدية Le Sacrific inutile) بقوله: « الفضيحة الناشئة عن التناقض بين ما يشكل الوظيفة الرسمية للدولة، أي حماية أفرادها، والسياسات الهادفة إلى اجتثاث عدد كبير منهم» [٧]

في رأي عالم الاجتماع الألماني الشهير) ماكس فيبر Max Weber) [٨] في دراسته المهمة) السياسة كمهنة (Politik als Beruf أن وظيفة الدولة هي حماية المواطنين وأن واجبها منع الانتقام الشخصي، وأن الدولة تتمتع لوحدها بحق حل المنازعات ولذلك وعن طريق احتكار القوة الشرعية، فإنها تدافع عن المواطنين [٩]، ولكن عندما تمارس الدولة العنف الشديد ضد مواطنيها فإنها تمهد لظاهرة خطيرة في حياة الدولة وهي ظاهرة انحراف النظام السياسي عن واجباته وبذلك تتحول الدولة إلى فاعل actor عدائي ضد الذين يجب عليها أن تحميهم، وبالتالي تجعل من « تدميرهم «هدفًا لها [١٠]. هنا تُقام علاقة خطيرة جدًا بين العنف والسياسة. [١١] هذه الظاهرة تُوَلِد ظاهرة « تدمير المواطنين من قِبل الدولة «، وهذا يعني فشل السياسة وانقلاب جذري سلبي في الوظائف الجوهرية للدولة [١٢].

إن أشكال العنف الممارس من قبل الدولة تجاه مواطنيها هي ليست بحوادث عَرضية تأتي من خارج النظام السياسي، إنما هي أحداث احتمالية ظهورها ووقوعها متجذرة بعمق في بنية الدولة. هذا العنف يُبرر تحت مفهوم) التضحية (Le Sacrific، والتي تكون إما للحزب، للطبقة، للفرد، للطائفة، للأمة، أو للشعب. ولكن هذه التضحية أصبحت

اليوم « غير نافعة» ؛ لأنها غير قادرة على الحماية من العنف وغير قادرة على إيجاد نظام مستقر .

إن وجود الدولة فرضته ظاهرة « حرب الكل ضد الكل every ones war against every one » كما حددها (توماس هوبز Hobbes ١٥٨٨ - ١٦٧٩) في كتابه الشهير (ليفاياثان أو اللوياثان Leviathan ١٦٥١) ، الذي يؤكد أن الدولة وعن طريق العنف واحتكار القوة والسلطة ستحمي مواطنيها . (١٣)

إن العنف الشرعي للدولة هو جيد لكونه يهدف إلى إحلال السلام في المجتمع ، وهذا يكون منطقيًا ضد العنف السيئ الذي يُنتِج الفوضى .

وهكذا فإن امتلاك العنف الشرعي يعني امتلاك سلطة أخلاقية والقدرة على التمييز ما بين العنف الجيد والعنف الشرير والذي (أي التمييز) هو أمر جوهري للدولة الحديثة لكونه يعطي القدرة لحماية المواطنين والمجتمع والدولة ، وهكذا تُبنى أيضًا المؤسسات السياسية الحديثة للدولة ، وبالتالي تنبثق السلطة الأخلاقية للدولة حيث يكون الحاكم وتكون السلطة السياسية بجانب المواطنين وقد تستخدم السلطة العنف للدفاع عنهم وهذا العنف هو عنف شرعي ويهدف (إضافة إلى حماية المواطنين) إلى إنهاء الفوضى ويعتبره الفيلسوف الفرنسي (كلود بروييرClaude Bruaire) (١٤) في كتابه (جوهر السياسة (La reason politique بمثابة بادرة سياسية بلا منازع لأنه يُنهي ويقضي على الفوضى ، وحسب رأيه ، فإن هذه البادرة السياسية هي أصل كل نظام سياسي ، لأنها تعني احتكار السلطة السياسية للقوة الشرعية والذي يعطي الدولة الإمكانيّة لحماية مواطنيها من العنف غير المؤسسي و حمايتهم من الفوضى . (١٥)

وهنا تظهر علاقة جديدة في المجتمع ما بين الجماعات الصديقة والجماعات العدوة ، وهذه العلاقة تمثل جوهر السياسة حسب مفهوم المفكر الألماني (كارل شميت Carl Schmitt ١٩٨٨-١٩٨٥) في كتابه (مفهوم السياسة Begriff des Polititischen) هذه العلاقة تؤسس علاقة التضامن - العداوة في المجتمع وفي الدولة أيضًا . (١٦)

٣- نموذج فوكوياما في عملية بناء الدولة

إن عملية بناء الدولة تشكل اليوم احد أهم قضايا المجتمع العالمي ، حيث إن الدول الضعيفة / الفاشلة والتي لم تُكتمل فيها عملية بناء الدولة وبالتالي فشلت تلك العملية ، تبقى مصدر العديد من أكثر مشاكل العالم خطورة ، لما تعانيه من مشكلات كالفقر والمرض وانتشار المخدرات والإرهاب .

ولغرض معالجة هذه القضية المهمة في حياة الدول والمجتمعات ، يطرح المفكر فوكوياما في كتابه (بناء الدولة)[١٧] نموذجه الخاص حول كيفية البدء في عملية بناء الدولة ويشير إلى مسألتين مهمتين هما :

- إن تآكل مبدأ السيادة[١٨] كان نتيجة «التدخلات الإنسانية»[١٩] في كوسوفو ورواندا والصومال والكونغو وتيمور الشرقية وباقي مناطق العالم التي شهدت مجازر دموية وانتهاكات خطيرة لحقوق الإنسان ، وإن أزمات الدول الضعيفة والفاشلة والمضطربة تشكل اليوم تهديدًا أمنيًا جديًا للدول القوية والغنية .[٢٠] ولقد كان من واجب المجتمع الدولي التدخل لحماية مواطني تلك الدول لأسباب إنسانية حتى لو كان ذلك على حساب السيادة الوطنية ، وكذلك كان من حقه وواجبه التدخل لحماية مواطنيه لأسباب أمنيّة .[٢١] هذه الحجج تعطي تبريرًا لتدخل الدول الغربية في الشؤون الداخلية للدول الضعيفة ويبيح انتهاك سيادتها طالما أنها عاجزة عن أداء وظائفها الأساسية كدولة مستقلة . إن هذا التدخل أخذ شكل التدخل العسكري المباشر في حالة أفغانستان والعراق أو شكل تدخل غير مباشر من خلال عملية بناء الدولة أو بناء الأمة .[٢٢]
- القيام بعمليات بناء الدولة من الداخل عن طريق الإصلاح الإداري والمؤسسي .[٢٣]

٣-١ عملية بناء الدولة

تحاول العديد من دول العالم النامي (وهي دول لا تُعد قوية جدًا ، بل هي دول ضعيفة جدًا)[٢٤] البدء بعملية بناء الدولة عن طريق فصل الإصلاح الإداري والمؤسساتي عن الإصلاح السياسي والمجتمعي . إن هذا التوجه يعني العمل على إقامة مؤسسات قوية لها القابلية في تنفيذ الإصلاحات ، وفي رأي فوكوياما أن « هناك ثلاثة أسباب رئيسة لاستحالة

وجود مواصفات منهجية مثلى للمؤسسات الرسمية وفق قواعد وأصول ثابتة، وبالتالي استحالة وجود صيغة تنظيم مؤسساتي أمثل، خصوصًا بالنسبة لهيئات القطاع العام»[٢٥]، وهذه الأسباب هي كالآتي[٢٦] :

- عدم وضوح أهداف المؤسسات
- الكُلفة العالية لنظم المراقبة والمحاسبة المنهجية في الإدارة العامة[٢٧] .
- التفاوت في تحديد الدرجة المناسبة من السلطة والصلاحية المفوضة للوكلاء من مؤسسة إلى أخرى والتي يجب أن تفوض إلى الذين يمتلكون المعلومات الكافية لاتخاذ القرارات الملائمة .

أولًا : المشكلات التي تواجه الدولة

يركز فوكوياما على المشكلات التي تعاني منها الدول الضعيفة/ الفاشلة، والتي هي بحاجة ماسة لعملية إعادة بناء الدولة كما يلي :

- **مشكلة تضخم دور الدولة**[٢٨] :

يشير فوكوياما إلى أن القرن العشرين شهدت زيادة هائلة في دور وحجم نشاطات وظائف الدولة (سواءً في الدول ذات الأنظمة الشمولية، أو ذات الأنظمة التسلطية، أو ذات الأنظمة الديمقراطية) واستمرت إلى الثمانينات من القرن. وقد رافق ذلك انعدام كفاءة الحكومات وعدم قدرة الدولة على إنجاز وظائفها الأساسية، فقد وصل استهلاك بعض الحكومات من الناتج المحلي الإجمالي إلى نسبة أكثر من (٥٠٪) وفي السويد وصلت النسبة إلى (٧٠٪)[٢٩] . ولكن في فترة الثمانينات والتسعينات من القرن العشرين برزت الحاجة إلى تقليص دور الدولة وخصوصًا أن هذا الدور بدأ بالتضخم و»التورم» في الدول النامية وغيرها، لذا سعت المؤسسات الدولية (كالبنك الدولي وصندوق النقد الدولي) إلى العمل على اتخاذ مجموعة تدابير وإجراءات للحد من تدخل الدولة في الشؤون الاقتصادية .[٣٠]

يعتقد فوكوياما أن قطاعات العام في الدول النامية شكلت عقبات حقيقية أمام عملية البناء المؤسساتي للدولة، لذا فهو دعا إلى البدء بعملية الإصلاح من خلال النموذج الليبرالي وتقليص دور الدولة. [٣١]

- **مشكلة الشرعية** [٣٢]

الشرعية تشكل موضوعًا جوهريًا من مواضيع علم السياسة ولها علاقة عضوية مع النظام السياسي، وذلك لارتباطها بقضايا لها علاقة بكيفية وطريقة ممارسة السلطة السياسية وبالعلاقة بين الحكام والمحكومين.

علماء علم السياسة قدموا تعاريف مختلفة للشرعية، نقتبس أهمها:

«لوشيان باي» يحدد الشرعية بكونها « صفة للنظام السياسي وتتعلق بإنجازات الهيكل المحكومين ولهذا فإنها جوهرية في تحديد كفاءة النظام» [٣٣]، بينما يرى سايمور «مارتن ليبست» أن الشرعية هي « اعتقاد المحكومين بأن مؤسسات النظام السياسي القائم في مجتمعهم أفضل ما يمكن تمويته» [٣٤]، وأن هذه المؤسسات هي « الأكثر ملاءمة وصلاحية للمجتمع» [٣٥]. وحسب رؤية «روبرت دال» فإن الشرعية تعني « الاعتقاد السائد في ملاءمة الهياكل والإجراءات والقرارات السياسية، بحيث يتعين قبولها أو الامتثال لها باعتبارها توافر صفة الملاءمة هذه. » [٣٦]

إن اكتساب المؤسسات للشرعية تعد ذات أهمية بالنسبة لعملية بناء الدولة. فهي لا يكفي أن تعمل كما ينبغي بالمفهوم الإداري بل ينبغي أن ينظر إليها كمؤسسات شرعية من قبل القاعدة الشعبية. وفي ضوء ذلك يرى فوكوياما أن الديمقراطية تشكل المصدر الوحيد للشرعية في العالم، [٣٧] ولذلك تعاني الدول الشمولية والاستبدادية من مشكلة الشرعية. وحتى عندما حاول قادتها اكتساب الشرعية عن طريق التنمية الاقتصادية، سرعان ما تلاشت تلك الشرعية بسبب التدهور الاقتصادي وفشلها في تحقيق التنمية. في حين إن الدول الديمقراطية «أكثر قدرة على البقاء وتجاوز الأزمات الاقتصادية لأن شرعيتها تتأتى من الديمقراطية ذاتها»، [٣٨] حيث إن « الديمقراطية، برغم وجود أشكال مختلفة للشرعية على مر التأريخ، تبقى اليوم المصدر الجدي الوحيد للشرعية في العالم. » [٣٩]

وعليه فإن شرعية أي نظام سياسي مرتبطة بإنجازاته وبإحساسات المواطنين نحوه. هذا الدور المهم للشرعية يجعلها مرتبطة بالمشكلات الجوهرية الأخرى للنظام السياسي

كمشكلات الاندماج الوطني، الهوية الوطنية، المشاركة السياسية، توريع الموارد. ومع تتمتع الشرعية بذلك الدور الحساس والخطير، فإنها لا تتمكن من إعطاء صفة الاستقرار للنظام السياسي وللدولة[٤٠]، لأن « استقرار النظام لا علاقة له بالشرعية» حسب رؤية البروفيسور الألماني فيلهلم هينز[٤١]، لأن الشرعية تشير إلى مطلب النظام السياسي للاعتراف به كنظام صحيح وعادل، لذا فالشرعية تعني قيمة الاعتراف لدى نظام سياسي ما، إذن، فالشرعية، كما يؤكد هابرماز، هي مطلب متنازع عليه وعلى الاعتراف الفعلي به، يتوقف أيضًا استقرار النظام السائد، ويضيف بأنه يمكن الكلام عن الشرعية بكونها مشكلة دائمة للدولة الحديثة[٤٢]، لأنها تتعرض بين فترة وأخرى لـ « هزات في الشرعية « تتطلب من الدولة تنظيمها. [٤٣]

- **مشكلة إقامة المؤسسات**[٤٤]

إن عملية بناء الدولة بحاجة إلى خلق شعور بالحاجة إلى مؤسسات قوية، والبت بالإصلاح من الداخل، حيث إن قدرة القوى الخارجية على إيجاد مثل هذه الرغبة وتحريك الطلب الداخلي نحو مؤسسات قوية محدودة، كما أن القدرة للمساعدة على الإصلاح في الدول النامية محدودة أيضًا، [٤٥] بل يصل فوكوياما إلى رأي مهم وخطير وهو: « أن المجتمع الدولي ليس ببساطة محدودًا في كم القدرة التي يستطيع بناءها، بل متواطئًا عمليًا على تدمير القدرة المؤسساتية في العديد من الدول النامية». [٤٦]

يعتقد فوكوياما أن المساعدات المشروطة التي تقدمها الدول المانحة يمكن أن تضعف التطوير المؤسساتي في الدول الضعيفة/ الفاشلة، لأن طبيعتها غالبًا ما تكون مادية وملموسة وقصيرة الأمد، في الحين إن عملية الإصلاح المؤسساتي تحتاج إلى وقت أطول لكي تتحقق على المدى البعيد. [٤٧]

يؤكد فوكوياما بأن معرفتنا حول احتمالات نجاح طريقة توجيه طلبات للخارج بصدد إقامة المؤسسات تبين أنها شاملة وغير مشجعة، وأنها لا تؤدي إلى النتائج المرجوة بغياب دور النخبة الوطنية فيها. [٤٨]

لذا فإن المساعدات المالية الدولية قد تساهم بشكل أو بآخر في ضعف أو انهيار القدرة المؤسساتية نتيجة السياسات المتناقضة والأهداف المرّاد تحقيقها. ويكمن التناقض أعلاه في سياسات الدول المانحة في أنها تود زيادة القدرة المحدودة لحكومة الدولة النامية

على توفير خدمات، ولكنها في نفس الوقت تريد أن تقدم الخدمات بنفسها مباشرة إلى السكان، وهذا يؤثر بوضوح على قدرة تلك الحكومة في توفير تلك الخدمات بعد انتهاء برنامج المساعدات الخارجية، وإن القوى الدولية المانحة تأهيل وتدريب الكوادر والبنى التحتية للدولة النامية، ووضع موارد إضافية تحت تصرفها. إلا أن المشكلة هي أن العمل من خلال مؤسسات الدولة النامية قد يأتي بنتائج ايجابيّة محدودة وربما سلبية مقارنة بتقديم الخدمات مباشرة من قبل الدولة المانحة. فقد تكون البنية التحتية للدولة غير متوفرة أصلاً، أو قد تكون غير كفوءة أو فاسدة، حيث تنتهي المساعدات الدولية التي خصصتها الدول المانحة في أيدي البيروقراطيين بدلاً من ذهابها إلى المواطنين مباشرة. وعلى العكس فإن تقديم الخدمات إلى المواطنين مباشرة يعني كفاءة وسرعة أكبر في وصول المساعدات إلا أنه قد يؤدي الأمر إلى تهميش وإقصاء الحكومة عن عملية صنع القرار وتنفيذه. (٤٩)

بناءً على ذلك، لا بُدَّ أن يكون هدف الدول المانحة هو المساعدة في بناء القدرة المؤسساتية للدول النامية وليس فقط تقديم الخدمات التي يفترض أن توفرها مباشرة للمستفيدين. (٥٠)

ثانيًا: عملية بناء الدولة من الداخل

العديد من دول العالم النامي تحاول البت بعملية بناء الدولة من الداخل عن طريق فصل الإصلاح الإداري والمؤسساتي عن الإصلاح السياسي والمجتمعي، ولكن، وكما يعتقد فوكوياما، لا توجد هناك مجموعة ممارسات نموذجية يمكن اعتمادها في تصميم المؤسسات، وهذا راجع إلى ثلاثة أسباب رئيسة شرحناها أعلاه. (٥١)

٣-٢ آلية بناء الدولة

يعتقد فوكوياما أن الفشل في تحقيق الإصلاح المؤسساتي وبناء الدولة لا يعود إلى نموذج الليبرالية الغربية، وإنما يعود إلى الإجراءات التي تم اتباعها، وسوء فهم لأبعاد عملية بناء الدولة. (٥٢)، إضافة إلى ضرورة مراعاة الخصوصية الثقافية للدول المراد بناؤها. (٥٣)

إن عملية بناء الدولة عند فوكوياما لها بُعدان أساسيان هما (٥٤) :

١ –قـوة الدولـة (State Strength) فـي تفعيـل حكـم القانـون وحـق احتـكار شـرعية اسـتخدام القـوة وتنفيـذ سياسـاتها .

فالقـوة هنـا تُمثـل مـدى فعاليـة القـدرة المؤسسـية للدولـة ، والتـي تختلـف مـن دولـة إلـى أخـرى ، وتسـتند علـى الإدارة الحكوميـة الشـفافة ، والفسـاد المنخفـض ، إنفـاذ القانـون ، والمسـاءلة .

١ – مـدى وحجـم ونطـاق قـدرة ونشـاطات الدولـة (State Scope) ويتمثـل فـي اتسـاع نشـاطات ووظائـف الحكومـة . يعتمـد النطـاق علـى طبيعـة الوظائـف التـي تسـعى الدولـة جاهـدة لإنجازهـا . أولًا ، هنـاك «الحـد الأدنـى مـن العمليـات» ، مثـل القانـون والنظـام ، وإدارة الاقتصـاد الكلـي ، والصحـة العامـة . ثانيًـا «وظائـف وسـيطة» ، مثـل حمايـة البيئـة ، وتنظيـم مكافحـة الاحتـكار ، والتعليـم . ثالثًـا «وظائـف ناشـطة» مثـل السياسـات الصناعيـة وإعـادة توزيـع الثـروة . كلمـا اقتـرب عـدد أكبـر مـن الـدول مـن الوظائـف الناشـطة ، اتسـع نطاقهـا .

تأسيسًـا علـى مـا جـاء أعـلاه ، يناقـش فوكوياما إمكانيـة تقليـص مـدى حجـم ونشـاطات الدولـة مقابـل زيـادة قوتهـا مـن أجـل توسـيع مسـاحة الديمقراطيـة . ففـي الوقـت الـذي يتـم فيـه تقليـص مـدى الدولـة في بعـض المجـالات لصالـح زيـادة دور القطـاع الخـاص والمجتمـع المدنـي ، ينبغـي أن يتزامـن ذلـك مـع زيـادة قدرتهـا ودورهـا فـي مجـالات أخـرى مـن خـلال حكـم القانـون والقـدرة علـى رسـم السياسـات العامـة . فـي حيـن أن المشـكلة فـي العديـد مـن دول العالـم النامـي هـي فـي عـدم التماثـل والتزامـن فـي البُعديـن المذكوريـن ، حيـث تـم التركيـز علـى تقليـص مـدى الدولـة دون أن يتزامـن معهـا زيـادة قوتهـا . [٥٥]

اسـتنادًا إلـى المعياريـن الأساسـين (القـوة والنطـاق) يصنـف فوكوياما دول العالـم إلـى أربـع مجموعـات كالآتـي [٥٦] :

- الـدول المتقدمـة وفيهـا مـدى وحجـم نشـاطات الدولـة محـدودة ، بينمـا قوتهـا وقدرتهـا عاليـة .
- الدول التي فيها مدى وحجم ونشاطات الدولة واسعة ، وأن قوة مؤسساتها قوية .
- الـدول التـي فيهـا مـدى وحجـم نشـاطات الدولـة محـدودة ؛ ولكـن قـوة مؤسسـاتها ضعيفـة .

- الـدول التـي فيهـا مـدى وحجـم نشـاطات الدولـة واسـعة، ولكـن قـوة مؤسسـاتها ضعيفـة.

والمـكان الأخيـر هـو المـكان الأسـوأ الـذي يمكـن أن تتوجـد فيـه الدولـة وهـو المـكان الـذي تصنـف فيهـا الـدول المتخلفـة أو الناميـة، لـذا التسـاؤل هـو: إلـى أي مـكان أو مجموعـة يجـب أن تتوجـه تلـك الـدول فـي إطـار عمليـة بنـاء الدولـة؟ هـل عليهـا أن تحـاول الوصـول إلـى المجموعـة الثانيـة التـي مـن خصائصهـا: مـدى وحجـم نشـاطات الدولـة شـاملة وهـل لهـا قـوة مؤسسـاتية كبيـرة، أم عليهـا أن تحـاول الوصـول إلـى المجموعـة الثالثـة التـي مـن خصائصهـا: أن مـدى وحجـم نشـاطات الدولـة محـدودة، وأن القـوة المؤسسـاتية لديهـا ضعيفـة؟

كان الـرأي فـي بدايـة التسـعينات مـن القـرن العشـرين أن مكانـة الدولـة هـي ضمـن المجموعـة الثالثـة، ذلـك أن المؤسسـات وقـدرات الدولـة تتوجـه نحـو الاهتمـام بشـؤونها الخاصـة، وبالتالـي تتوجـه نحـو تقليـص مـدى الدولـة بأقصـى سـرعة ممكنـة مـن خـلال سياسـاتها فـي دعـم الخصخصـة وخفـض الدعـم الحكومـي. إلا أن المشـكلة بالنسـبة للعديـد مـن الـدول أنهـا أثنـاء تقليـص مـدى الدولـة عملـت أيضًـا علـى تحجيـم قـوة الدولـة وبـدل أن تتحـول نحـو المجموعـة الأولـى، غَيّـرت طريقهـا نحـو المجموعـة الرابعـة. [٥٧]

لذلـك يعتقـد فوكوياما أن نمـوذج الديمقراطيـة الليبراليـة يشـكل منتهـى التطـور الأيديولوجـي للإنسـانيّة والشـكل النهائـي للحكـم وهـو بذلـك يشـكل نهايـة التأريـخ. [٥٨] لكـن ذلـك لا يعنـي أن المجتمعـات الليبراليـة – الديمقراطيـة لا تعانـي مـن مشـكلات، ولكـن تمتلـك القـدرة علـى معالجـة وحـل تلـك المشـكلات، التـي ليسـت مـن الخطـورة بحيـث تـؤدي إلـى انهيـار المجتمـع والدولـة كمـا حـدث للمجتمعـات الشـيوعية فـي نهايـة الثمانينـات. [٥٩] وعليـه، الدولـة الليبراليـة هـي دولـة قويـة، علـى الرغـم مـن أن الحفـاظ علـى الحقـوق الفرديـة، التـي اُعتبـر جوهـر الليبراليـة، يحـد مـن سـلطة الدولـة. [٦٠]

وفـي هـذا التوجـه الليبرالـي، يؤكـد فوكوياما علـى ضـرورة مراعـاة الخصوصيـة الثقافيـة للمجتمعـات، [٦١] وعلـى ضـرورة توفـر القـدرة لـدى المؤسسـات للتعايـش مـع الثقافيـة التقليديـة المتمثلـة فـي العـادات والتقاليـد. [٦٢] ومـع ذلـك يـرى فوكوياما أن تلـك الثقافـات لا تتمكـن مـن تحقيـق الازدهـار والرخـاء والتحـول إلـى الرأسـمالية لوحدهـا، بـل عليهـا تبنـي مبـادئ الاقتصـاد الليبرالـي المعاصـر ودمجهـا فـي أنظمتهـا الثقافيـة الأصيلـة التقليديـة. [٦٣]

٤- حالة العراق: سؤال مفتوح. . . ! ! [٦٤]

العديد من الباحثين الغربيين طرحوا أفكارًا عن العراق تتمحور حول «إنهاء العراق كدولة» من أمثال : غالبريث (نهاية العراق) [٦٥] ، فوللر (هل يبقى العراق موحدًا حتى عام ٢٠١٠) [٦٦] ، ستانسفيلد (مستقبل العراق : دكتاتورية ، ديمقراطية ، أو تقسيم) [٦٧] أو حسب رؤية رافائيل فايت فإن العراق «دولة فاشلة» [٦٨] ، أو حسب رؤية البعض من الباحثين العراقيين أن العراق دولة مخطوفة أو مسروقة Kleptocracy ، [٦٩] أو دولة عقيمة . [٧٠]

ولكن ولحد الآن لم تتحقق تلك «الأمنيات» ، حيث أخذت الأوضاع في العراق بعد (٢٠٠٣) تأخذ منحنًا مغايرًا لما فكر بها هؤلاء الباحثون ، بل إن العراق ، حسب البروفسور عامر حسن فياض ، ما زال لديه « حلم الدولة » [٧١] ، وأنه (أي العراق) ما يزال سؤالاً مفتوحًا ، كما يؤكد فوكوياما [٧٢] .

بعد ٢٠٠٣ بدأ العنف الشرعي والاحتكار الشرعي للقوة والسلطة في العراق يفقد ملامحه الرئيسية ؛ لأنه لم يعد العنف الوحيد في الدولة العراقية وبالتالي بدأ العنف كظاهرة يؤسس لملامح جديدة كانت غير معروفة في العراق : العنف الطائفي ، العنف الحزبي ، العنف الفردي ، العنف العشائري .

هل يمكن أن يكون هذا التحديد مدخلًا لفهم واستيعاب ما يجري في العراق الآن؟

الذي يجري في العراق هو : صراعات وتناقضات بين أنواع مختلفة من العنف (سواء أكان عنفًا جيدًا أم سيئًا) [٧٣] . وفي هذا الوضع نلاحظ « اختفاء « ظاهرة احتكار العنف الشرعي من قبل السلطة السياسية في العراق ، مما أدّى إلى فسح المجال للأشكال المتصارعة من العنف للهيمنة على الوضع وفشل السلطة السياسية في تبرير عنف « الأصدقاء» على « الأعداء» الذي أدّى إلى تمزيق صفوف عنف « الأصدقاء» و أعطى مجالاً رحبًا لـ « جماعة أصدقاء» السلطة إلى استغلال العنف السياسي من مصالحهم الخاصة ومصالح الحزب أو الطبقة أو الطائفة . [٧٤]

هنا يبرز تساؤل : ماذا عن دور العقل والعقلانية في مجرى أحداث العراق الراهنة؟

إن دور العقلانية في حل النزاعات من خلال التسويات والحلول العادلة والمُنصفة يتوقف أساسا على وجود حالة من السلم الأهلي في البلاد المُؤسس عن طريق العنف الشرعي . هذا الوضع مفقود في العراق في الوضع الحالي وأدّى إلى ضعف واضح لمدى

تأثير الاتجاه العقلاني على مجرى السياسة العامة ، ولذلك لم يتمكن احتكار العنف الشرعي من التغلب على الأحداث الصاخبة المواجهة للنظام السياسي ولم يتمكن من تقديم حلول عقلانية للمواطنين .

السلطة السياسية في العراق قدمت ما تراها « حلولًا « لمعالجة المطالب المقدمة من المواطنين ، ولكن عند التدقيق في هذه الحلول يظهر مدى « عجز» النظام السياسي العراقي في الأداء وتحقيق منجزات يستطيع من خلالها أن يؤسس لـ « شرعية النظام السياسي» الذي بدا وكأنه « يترّنح « أمام ضغوطات داخلية وخارجية هائلة ، مما أفقده حالة «التوازن» الضرورية لاستقراره وبقائه ، وكان يفترض به أن « يعرف و» يحدد « احتياجات الشعب والمواطنين قبل حركة الاحتجاجات الأخيرة ، لأن هذا التحديد هو من صلب واجبات السلطة السياسية التي تتركز على تهيئة الخدمات الضرورية للمواطنين .

إذن ، خطوات السلطة السياسية جاءت متأخرة جدًا وكأنها كانت « غائبة « عن الميدان أو الفضاء العام في المجتمع والدولة .

ولذلك نتساءل : ما هي طبيعة النزاع الجاري في العراق الآن؟

ابتداءً يمكن القول إن النزاع بين الأفراد (كأفراد) هو ليس بنزاع سياسي ، لأنهم يتكلمون ويتصرفون باعتبارهم أفرادًا في مجموعة معينة داخلة في نَزاع مع مجموعة أخرى ، وبشكل لا يتطور هذا النزاع إلى نزاع سياسي ، ولكن بالعكس إذا أخذ النزاع الطابع العُنفي – الصِراعي سيكون له بُعد سياسي و سيؤثر على الفعل الذي يمكن أن يصدر عن هذا النِزاع .

في رأي الفيلسوفة هانا آرندت Arendt ، فإن الفعل (action) يكشف عن الشخصية الفردية للفرد [٧٥] ، ولكن في الوقت نفسه يُبين خصوصية بعض الانتماءات (الاجتماعية ، الطائفية ، الدينية ، الثقافية) ، ولأجل أن يصبح هذا الفعل فعلًا جماعيًا فإنه يجب أن يكون بين المشاركين في العمل إجماع على محتوى الفعل والذي يُعَبر عن مجموعة منسجمة ملتحمة مُتَسّلِحة بقيم ومصالح مشتركة وبشكل يجعل الأفراد واعيين لخصوصياتهم كي يتجاوزوها . هنا نتساءل : هل أن هذه الخصوصية تمثل هدفًا بذاته أو أنها تمثل « لحظة نزاع «؟ [٧٦] .

هذه الخصوصية تمثل نزاعًا يضع المجموعات المختلفة المتصارعة في مواجهة بعضها البعض ويصبح النزاع نزاعًا سياسيًا وتصبح السلطة السياسية عنصرًا حاسمًا في حل النزاع، وهذا يعني أن واجب ووظيفة الدولة أن تتدخل في النزاع والصراع بين الجماعات المتضادة، ويأخذ هذا التدخل أشكالاً مختلفة: الدولة قد تكون وسيطة أو قد تلعب دور الحاكم، أو تكون طرفًا في النزاع لأجل حسمه. إن مستوى التدخل سيحدد مستوى ودرجة « تسييس « النزاع، وأن التعمق في النزاع يعني أن مؤسسات الدولة تقوم بتلبية مصالح وآراء شريحة أو طائفة اجتماعية. (٧٧)

يؤكد فوكوياما أن الولايات المتحدة الأمريكية بعد انتهاء العمليات العسكرية، أصبحت لديها مسؤوليات جديدة أساسية تتعلق ببناء الدولة في العراق وكان على رأس هذه المسؤوليات « دعم قدرات ومؤسسات الدولة المفقودة أو إعادة تشكيلها من صفر »(٧٨) ويضيف أن «العراق كان بلدًا أكثر تطورًا، وتوفرت فيه موارد مادية وبشرية أكبر بكثير. المشكلة هنا أن مؤسسات الدولة العاملة انهارت أو جرى تفكيكها فور انتهاء الحرب، وأصبحت بحاجة إلى إعادة بناء، مع ضياع كم هائل من القدرة الإدارية في أعمال النهب والفوضى العارمة التي أعقبت التدخل العسكري. »(٧٩)

ولكن الولايات المتحدة لم تتمكن من الاضطلاع بهذه المسؤولية، لذلك شهد العراق تطورات مضادة لعملية بناء الدولة من خلال إضعاف فعالية القدرة الإدارية البيروقراطية المتراكمة وإحلال قليلي الخبرة في إدارة مؤسسات مهمة، وهو ما أنتج وضعًا مأسويًا للدولة العراقية وقللت من إمكان استرجاع قوتها وقدرتها السابقة وفسحت المجال لبروز «هويات محلية، دينية و إثنية، لكأن العراق عاد القهقري إلى عام (١٩٢١) . »(٨٠)

نظام الحكم الذي أقيم في العراق عام (٢٠٠٣) عانى وإلى الآن من مشاكل بنيوية حادة، تمثلت بحالة عدم الانسجام ما بين الأحزاب المؤتلفة في الحكومة، والتي أدّت إلى تباينات مختلفة ومتناقضة في صدد برامج الحكومة وكيفية تنفيذها، وفي حالات كثيرة أصيبت الحكومة بحالات شلل، جراء استقالات عدد من الوزراء ولم تَنجُ السلطة التشريعية من هذه «المشكلة». ولذلك كانت أعمال هذه السلطة تتأثر إلى أقصى حد ممكن بالصراعات السياسية بين القوى والأحزاب السياسية. إلا أن الموضوع لا يقف عند هذا الحد، بل إن كل هذه الإشكاليّات والتعقيدات لم تكن خالية من التأثيرات الخارجية،

بل على العكس، تؤدي الضغوطات الخارجية دورًا مؤثرًا وواضحًا في المسيرة السياسية في العراق. [٨١]

إذن، تواجه عملية بناء الدولة في العراق مشكلة حقيقية وخطيرة، حيث لم تجرِ محاولات لتحديد توجه تلك العملية، ومنذ استخدام مصطلح «بناء الدولة» تم إفرازَ اتجاهين رئيسيين في عملية البناء، هما [٨٢] :

- الاتجاه المؤسسي الذي يرى أن «بناء المكوّن السياسي أو بناء الدولة ذات السيادة يحتل الأولويّة، وأن الدولة هي التي تبني الأمة». [٨٣] وهكذا فإن مأسسة السلطة السياسية تتطلب شيئًا جوهريًا يتعلق بعملية تمايز البنى السياسية عن البنى الاجتماعية عبر «إبطال سلطة النخب التقليدية وتحرير الأفراد من هيمنتها، وتعامل الدولة بشكل مباشر مع المواطنين، وفرض سيادة الدولة وسلطتها على كامل إقليمها، أو على أي جماعة من سكانها» [٨٤]. ويرى هذا الاتجاه أن المواطنين لهم الحق في اختيار حكامهم وهذا هو مفهومهم للديمقراطية [٨٥].
- الاتجاه التعاقدي: وهذا الاتجاه يؤكد أن الأولوية هي لعملية بناء الأمة حيث إن عملية بناء الدولة تحتاج إلى تحولات وتغييرات ثقافية عن طريق التحول من المجتمع الأهلي إلى المجتمع المدني المؤسس على أساس المصلحة المشتركة. [٨٦] وهنا تؤدي فكرة الديمقراطية دورًا مهمًا في التأكيد على المشاركة السياسية والحقوق السياسية المدنية والسياسية للأفراد وحقهم في المشاركة في القرارات التي تتعلق بهم. [٨٧]

وفي هذه العملية من الضروري دمج عمليتي «بناء الدولة» و«بناء الأمة» معًا لخلق توازن مطلوب يؤدي إلى تفاعل مستمر ما بين الدولة والمجتمع. إن التركيز فقط على عملية بناء الدولة يؤدي إلى قيام دولة قوية ولكنها تأخذ اتجاهًا تسلطيًا يحول المجتمع إلى مجتمع جماهيري. هذه الدولة تكون قوية إلا أنها تحمل في أحشائها بذور فنائها لكونها تتحول إلى دولة هشة بفقدانها للشرعية الضرورية لإدامة حكمها. [٨٨] على العكس، وكما ذكرنا أعلاه، فإن بناء دولة قابلة للاستمرار يتطلب أمرين مهمين وهما: السيادة والشرعية [٨٩].

٤-١ الانقسام والتجزؤ حول عملية بناء الدولة في العراق [٩٠]

النخبة التي صعدت إلى الحكم في العراق عام (٢٠٠٣) لم تكن نخبة موحدة أو متفقة على نقاط مشتركة تحقق المصلحة والمنفعة العامة المشتركة، حسب المفهوم الأرسطو طالي، بل إنها لم تستلم السلطة بفعل عملية ديمقراطية تستند إلى الانتخابات، وإن حكمها استند إلى مبدأ المحاصصة الطائفية – المذهبية – القومية، ولكن اختلفت رؤية تلك النخبة ما بين الدينية، والليبرالية، والطائفية، وبالتالي انحسرت أو خفت الرؤية العلمانية وتجلت هذه في تشكيلة مجلس الحكم الذي أنشأه الحاكم المدني «بريمر». وضع الأمريكان ثقلهم في إصدار قرارات لهدم البنية التحتية للدولة العراقية (حل الجيش، الأمن) وهو ما أفسح المجال لإحداث فوضى في البلد، وكذلك نجحوا في فرض دستور جديد باسم «قانون إدارة الدولة للمرحلة الانتقالية» في (٨ أذار/ مارس ٢٠٠٤ [٩١].)

الأمر اللافت للنظر في هذا القانون (الذي هو بمثابة دستور) أن شكل الدولة العراقية قد تغير من دولة بسيطة إلى دولة فدرالية من دون أن يكون للشعب العراقي أي دور فيه، وهذا يعني أن هذا القانون (أو الدستور) قد فُرِض على العراق، ولذلك يُسميه الخبير الدستوري الأمريكي فيلدمان (الذي صاغ القانون) بـ «الدستور المفروض» Imposed Constitution [٩٢]

وبعد أن فرض الأمريكان هذا الشكل الجديد للدولة العراقية سلموا «السيادة» للعراقيين يوم (٢٨ حزيران/ يونيو ٢٠٠٤) . وفي إثر ذلك ووفقًا لما جاء في قانون المرحلة الانتقالية بدأت الاستعدادات لكتابة مسودة دستور جديد، . لذلك أثار تطبيقه جملة من المشاكل بحيث بقيت العديد من مواده من دون أن تدخل حيز التنفيذ.

إضافة إلى تلك العقبات فإن الدستور نفسه قد أُحيط بمواد تعتبر بمنزلة «ألغام» ومنها ما يتعلق بالمواد: ٦٥ (تشكيل مجلس الاتحاد) ، و١١١و١١٢ (النفط والغاز) ، و١١٦ (بنية النظام الاتحادي) ، و١٤٠ (تكملة مستلزمات تطبيق المادة ٥٨ من قانون إدارة الدولة للمرحلة الانتقالية والمتعلقة بالمناطق المتنازع عليها) ، ١٤٢ (تعديل لدستور) .

كل هذه تبين عدم اتفاق أطراف القوى السياسية على المصلحة العامة المشتركة لبناء الدولة.

لذا واجه النظام السياسي بعد (٢٠٠٣) العديد من المشاكل الخطيرة التي عصفت وما تزال تعصف بالدولة العراقية.

٤-٢ مظاهر عدم قابلية النظام السياسي العراقي [٩٣]

النظام السياسي بصورة عامة لديه هدف محدد ودقيق وهو العمل على إيجاد التزام وترابط في داخل المجتمع ، وهذا يعني خلق ولاء والتزام مجتمعي تجاه النظام السياسي بما يؤدي إلى توحيد المجتمع عن طريق إصدار قرارات مُلزمة متعلقة بتوزيع القيم المادية والمعنوية سلطويًا[٩٤] . وعليه فإن النظام السياسي لم يأتِ من أجل تفرقة المجتمع ، بل على العكس وجد بسبب ضرورة تحقيق وحدة المجتمع . إذن النظام السياسي أقيم لإنجاز وظيفة مهمة هي وظيفة خلق الالتزام العام من قبل المواطنين تجاه القيم والمبادئ المتجسدة في الدستور ، وهذا سيؤدي إلى خلق الطاعة وخلق ثقافة سياسية موحدة ، وبالتالي سيؤدي إلى الدعم السياسي وزيادته . وحين ينجز النظام السياسي هذه الوظائف فإنه سيخلق التزامًا عامًا من جانب المواطنين بالقرارات الصادرة عنه . إذن على النظام السياسي أن يخلق أجواء تؤدي إلى طاعة وخضوع «أوتوماتيكي» من قبل المواطنين ، وهذا مرتبط بمسألة توفير أجواء ديمقراطية . هنا تصبح الديمقراطية معيارًا للحكم على القرارات بكونها جيدة أو سيئة من خلال التساؤل هل أنها صدرت في إطار العملية الديمقراطية أم لا ؟ فإذا كانت قد صدرت بفعل تلك العملية فالمتوقع أن تكون الاستجابة للقرارات إيجابية . وبالتالي يكون النظام السياسي قد أنجز وظائفه من خلال تقبل طوعي للمواطنين لتلك الإنجازات . [٩٥]

يوضح البروفيسور الألماني مانفريد شميت في دراسة مهمة له بعنوان (المنجز السياسي وأصناف الديمقراطية ، ٢٠٠٢) ، أن منجزات النظام السياسي لها ثمانية أبعاد هي : المحافظة على النظام ، توفر قابلية الانسجام والتكيّف ، المشاركة السياسية ، الدعم السياسي ، العدالة ، الرفاهية ، الأمن ، الحرية . [٩٦]

حين نتأمل نظام الحكم العراقي من عام (٢٠٠٣) سنلاحظ افتقاده الشديد للأبعاد أعلاه ، وهو ما أدى إلى عدم تمكنه من إنجاز وظائفه وبالتالي دخوله في دائرة الأزمة السياسية الحادة التي تبدو ملامحها واضحة في النقاط الآتية :

- عدم تطبيق كامل مبادئ ونصوص الدستور الصادر في عام ٢٠٠٥ .
- اندلاع النزاع الداخلي الطائفي وخصوصًا في فترة ٢٠٠٦-٢٠٠٧ .
- تباينات جذرية في مفهوم الفدرالية .

- توتر العلاقات مع إقليم كردستان العراق في ما يتعلق بـ: السياسة النفطية وحل مسألة «المناطق المتنازع عليها حسب المادة ١٤٠ من الدستور»، قطع حصة الإقليم من الميزانية العامة وهو ما أثر مباشرة في وضع المواطن في الإقليم.
- البروز المفاجئ لتنظيم الدولة (داعش) وسيطرتها على ما يقارب من (٤٠٪)
- من مساحة العراق.
- تباطؤ العملية التشريعية وانشغالها بمشاكلها الداخلية.
- تفاقم هجرة المواطنين الداخلية (نحو ٤ ملايين) .
- زيادة أعداد المواطنين العراقيين الذين اختاروا الهجرة إلى الخارج.
- شلل أعمال الحكومة جراء استقالة البعض من الوزراء.
- زيادة أعمال التفجيرات.

كل هذه المؤشرات تعطينا الحق في التساؤل المشروع حول: العراق. . . إلى أين؟ (٩٧)

أدّت التراكمات التأريخية، الاجتماعية، السياسية، إضافة إلى الحروب والنزاعات والاحتلال، إلى تكوين حالة فريدة في نوعها في العراق تتعلق بنشوء وبروز حاد للهويات الفرعية (محليّة، دينيّة، إثنيّة) حيث «صحا» العالم على عراق «جديد» مختلف وغير معروف بتلك الخصائص التي برزت في عام (٢٠٠٣) وما بعده، وهو ما أثر بحدة في الهوية الجامعة والموحدة للعراقيين، فقد أصبحت الطائفة أو المذهب أو الإثنية «بديلاً» للوطنية والولاء للوطن.

هذه الظاهرة خطيرة جدًا وتلامس خط «انفجار» الوحدة الوطنية، لذلك نعيد طرح التساؤل أعلاه: العراق. . . إلى أين؟ (٩٨)

إن هذه المشكلة متعددة الأبعاد ومن أهمها هل يمكن إحلال مبدأ «التوافق» (٩٩) كحل للإشكالية الخطيرة المهددة للكيان العراقي؟ وهل يقبل القابضون على القوة الكبرى (السلطة السياسية) مشاركة الآخرين في ممارسة السلطة؟

تحاول القوى المسيطرة على الحكم التحكم في المفاصل الرئيسية للدولة وعدم فسح المجال للقوى الأخرى بالمشاركة في صنع القرارات الحاسمة وبالتالي بروز ظاهرة التهميش في الساحة العراقية .

بقاء مثل هذا التوجه يُبعد السياسة العراقية عن العقلانية التي تكلم عنها ماكس فيبر كأساس لإدارة الدولة ، [١٠٠] وبالتالي سيؤدي إلى انتكاسات حادة ويحتمل عدم إمكان التحكم في نتائجها التي ستؤدي إلى بروز ملامح « التفكك» في العراق .

وتأسيسًا على ما جاء أعلاه ، فإن العراق (إذا لم يعطَ دور للعقلانية في السياسة العراقية) مُقبل على وضع أقل ما يمكن وصفه بأنه وضع «صوملة العراق» ولفترة غير محدودة إلى أن تتفق المصالح الدولية والإقليمية (ما دام العراقيون لا يقبلون الاتفاق على المصلحة العليا) على «تقاسم النفوذ في العراق والمنطقة» ، وحينذاك سيحدد هل أن العراق سيبقى على حاله الراهن أم سيتغير (سواء بصورة سلبية أم إيجابية) . [١٠١]

٤-٣ تحديات عملية التوجه نحو الديمقراطية في العراق

ارتباطا بمسألة العقلانية في السياسة العراقية ، فإنه يتم هنا التطرق إلى مسألة الديمقراطية مع بدء نظام حكم جديد في العراق عام (٢٠٠٣) .

إن المسألة الديمقراطية هي عملية معقدة لأنها تتعلق بالعمل على تحقيق التغييرات في البنية السياسية والاقتصادية والاجتماعية تؤثر على كيفية ممارسة السلطة في الدولة [١٠٢] . ولتحقيق هذه المتطلبات فإن الحاجة تكون ضرورية لمرحلة انتقالية للوصول إلى دولة دستورية ديمقراطية .

العديد من العراقيين حلموا و ما زالوا يحلمون بـ « الديمقراطية « ولكن الذي حصلوا عليه منذ عام (٢٠٠٣) كان « الاحتلال Occupation « و» الفوضى Chaos»

إن هذا يعني أن هناك في وضع العراق صعوبات فكرية وعملية تطبيقية تواجه عملية « التحول الديمقراطي Transition to Democracy « أو بصورة أدق « التوجه نحو الديمقراطية» .

إن الديمقراطية هي شيء أكثر من أن تكون محصورة فقط بـ»إجراء انتخابات» .

الديمقراطية هي نظام للحياة الاجتماعية والسياسية يتنافس فيه السياسيون للحصول على تأييد وثقة الناخبين لكي يستندوا على دعم المحكومين في الحكم ويحصلون بالتالي على الشرعية.

ولكن يلاحظ أن «المكونات العراقية «[١٠٣] المختلفة تريد أن تكون لها مشاركة في السلطة السياسية ولا تريد أن تلعب دور المعارضة، وهذا ما يعقد قضية الديمقراطية حيث إن أهم مرتكز للديمقراطية هو وجود مجموعة تحكم وبالمقابل مجموعة تعارض وتراقب.

ولكن العراقيين و الأمريكان الذين « يشجعون « الديمقراطية يواجهون المعضلة الآتية :

كيف يمكن الاختيار ما بين :

- السياسيين الذين يستندون في قوتهم السياسية على سمعتهم بأنهم يقدمون الخدمات إلى المواطنين.
- السياسيين الذين في قوتهم السياسية يستندون على سمعتهم بأنهم يقودون المقاتلين وبالتالي يؤمنون بالقوة المادية للسيطرة على السلطة

السياسية.

إن القادة السياسيين الديمقرطيين لديهم هدفان في ممارسة السلطة السياسية واستخدام الأموال العامة :

- تقديم خدمات عامة جيدة للمواطنين
- مكافأة الداعمين النشطين لهم بالمنافع المادية عن طريق العقود العامة

ولكن القادة غير الديمقراطيين يركزون فقط على الهدف الأخير.

وهذه إحدى المعضلات الأساسية لبناء الديمقراطية في العراق.

لقد فشل العراق لحد الآن في إجراءاته لبناء ديمقراطية أو على الأقل في التحول نحو الديمقراطية، ولذلك وحسب تقرير مجلة (Foreign Policy) الأمريكية فإن العراق هو من ضمن أكثر عشرة دول فاشلة في العالم. وقبل ذلك أكدّ البروفيسور (اسطيفن زوينس Stephen Zunes) من جامعة سان فرانسيسكو الأمريكية في دراسة له [١٠٤] بأن عملية ال «دمقرطة « في العراق فاشلة.

إن الإدارة الأمريكيـة كمـا يؤكـد ذلـك البروفيسـور (لاري دايمونـد Larry Diamond) فـي دراسـة لـه [١٠٥] بـأن الإدارة الأمريكيـة لـم تسـلك سياسـة صحيحـة ولـم تكـن تريـد الالتـزام بضـرورة خلـق أمـان فـي العـراق وأنهـا لـم تفهـم أبـدًا هـذا البلـد ولـم تكـن تريـد ذلـك . [١٠٦]

ولكن ماذا كانت نتيجة هذه السياسة والتخبط والخطأ الفاضح؟

النتيجـة كانـت كمـا يقـول (دايمونـد) أن المسـتقبل الديمقراطـي فـي العـراق معلـق فـي الميزان hangs in the balance . [١٠٧]

إذن ما هي المشاكل الضاغطة نتيجة تلك السياسة الفاشلة ؟

هـذه المشـاكل تتجلـى فـي الظواهـر الآتيـة : اقتصـاد غيـر فعـال ، العنـف المسـتمر ، مجتمـع متعـب غيـر فَعّـال ، عـدم فعاليـة أو نجاعـة الدسـتور ، عـدم احتـرام الإجـراءات الديمقراطيـة ونتائـج الانتخابـات ، عـدم حـل المشـاكل العالقـة بيـن الحكومـة المركزيـة الفيدراليـة وحكومـة إقليـم كُردسـتان ، بـروز مشـاكل الفسـاد وعـدم النزاهـة .

إن العـراق بهـذا الزخـم الكبيـر مـن المشـاكل والأزمـات وتراكماتهـا بعيـد «جـدًا» عـن مـا وعـدت بهـا الإدارة الأمريكيـة (الديمقراطيـة ، الأمـن ، النمـو الاقتصـادي . . . إلـخ) ،

وأن سلسـلة طويلـة مـن الحسـابات الخاطئـة لـلإدارة الأمريكيـة تركـت العـراق فـي وضـع سـيئ للغايـة يشـكل عقبـة رئيسـية أمـام « التوجـه نحـو الديمقراطيـة» .

إن العـراق بهـذا الحجـم مـن المشـاكل مـن الممكـن أن يكـون أكثـر قربًـا للحـرب والاقتتـال الداخلـي منـه للسـلم والأمـان .

إن التسـلطية الناعمـة (Soft Authoritarianism) التـي مارسـتها الحكومـات العراقيـة منـذ (٢٠٠٣) لـم يحـرر العـراق مـن السـلوك الشـمولي لممارسـة السياسـة ، بـل عمقـت أكثـر مـن هـذا التوجـه . هـذه الحكومـات يشـبهها الباحـث (روزن N . Rosen) فـي جامعـة نيويـورك بكونهـا « فاسـدة وعنيفـة وتحـاول فـرض نفسـها بالقـوة» ، ويضيـف الصحفـي الأمريكـي (باتريـك كوكبـورن Kockporn) فـي صحيفـة (الإنديندينـت) البريطانيـة فـي (آذار ٢٠١٠) بـأن العـراق مـا زال غيـر مسـتقر ومنقسـم إلـى حـد كبيـر ولذلـك يصـف الكاتـب السياسـيين العراقييـن بأنهـم « طبقـة سـيئة مـن السياسـيين» .

إن هـذا الوضـع قـد تدهـور كثيـرًا ، بـدا هـذا واضحًـا فـي عـدم احتـرام نتائـج الانتخابـات وعـدم الاهتمـام بـرأي الناخـب العراقـي الـذي أبـداه فـي الانتخابـات التـي جـرت فـي أوقـات مختلفـة والتـي عكسَـت بوضـوح ظاهـرة « العـزوف عـن الانتخابـات» لـدى الناخـب . وهـذا الوضـع يوضحـه البروفيسـور (جـاك سـنايدر Jack Snyder) فـي كتابـه المشـترك Electing to Fight : Why Emerging Democracies Go to War») الصـادر ٢٠٠٥ [١٠٨] بـأن الانتخابـات تمهـد للحـرب بفعـل تراكـم كل العوامـل أعـلاه . وهكـذا فـإن الانتخابـات تصبـح « عذابًـا « كمـا جـاء ذلـك فـي دراسـة للباحثيـن (ايلشـنر Elischner وبيكـر Becker) بعنـوان عـذاب الاختيـار (Die Qual der Wahl)

إن عـدم اكتمـال عمليـة التحـول الديمقراطـي يزيـد مـن خطـورة اقتـراب الوضـع مـن حالـة الاقتتـال الداخلـي ؛ وذلـك لأن المؤسسـات فـي الدولـة ستتسـم بالضعـف ، وأن النخـب السياسـية سـتكون مهـددة بهـذه الحالـة المتسـمة بالضعـف . إن فشـل عمليـة التحـول الديمقراطـي سـتؤدي إلـى فشـل فـي بنـاء المؤسسـات الديمقراطيـة والـذي سـيؤدي إلـى :

- تغليب المصالح الخاصة على المصالح العامة الوطنية
- ضعف الدولة وعدم قدرتها للاستجابة لمطالب الجماهير
- سد الفراغ المؤسساتي والسياسي عن طريق الأيديولوجيات الشمولية والدينية .

في هذه الحالة ستبرز منافسة ما بين :

- النخب السياسية القديمة
- المجموعات السياسية الجديدة
- الجماهير

فـي الحالـة العراقيـة يلاحـظ أن الجماهيـر قـد ادّت دورهـا فـي الانتخابـات ولكـن مـاذا كانـت النتيجة ؟

إن النخـب السياسـية القديمـة والجماعـات السياسـية الجديـدة تحـاول «الالتفـاف» علـى نتيجـة الانتخابـات بمـا يـؤدي إلـى تحقيـق مصالحهـا الخاصـة وإهمـال رأي الجماهيـر ولذلـك يدخـل العـراق فـي نفـق الأزمـة السياسـية الحـادة .

وعليه لبناء ديمقراطية حقيقية في العراق يجب :

- احترام نتائج الانتخابات
- وجـود نخبـة سياسـية تتسـم بالنزاهـة والوطنيـة وتغليـب المصلحـة العامـة علـى أيّـة مصلحـة خاصـة
- عدم تركيز السلطة السياسية في يد شخص واحد أو هيأة واحدة
- الاهتمـام بإيجـاد أرضيـة لتحقيـق الشـروط المسـبقة للديمقراطيـة : التعليـم وزيـادة الرفاهيـة الاقتصاديـة
- التعـاون والرقابـة بيـن السـلطات الرئيسـية (علـى الأخـص بيـن السـلطة التشـريعية والسـلطة التنفيذيـة) بمـا يضمـن مسـألة فـرض رقابـة الشـعب علـى

أعمال الحكومة

- – الاهتمام بالثقافة السياسية المستندة إلى المفاهيم الأساسية للديمقراطية

بـدون هـذا الإطـار العـام فإنـه مـن الصعـب الحديـث عـن التحـول الديمقراطـي أو التوجـه نحـو الديمقراطيـة فـي العـراق .

ولكن من يتمكن من التمهيد لهذه العملية الضرورية لبناء الديمقراطية في العراق؟

وهذا هو السؤال المفتوح الموجه للعراق . !

٥- الخاتمة

انتهينـا مـن الموضـوع بإثـارة سـؤال مهـم وخطيـر : أن حالـة العـراق تمثـل سـؤالاً مفتوحًـا ، وهـو سـؤال أثـاره أصـلاً فوكوياما .

لماذا هو سؤال مفتوح؟

لأن العـراق مـا زال يبحـث عـن « محـرج» مـن وضعـه « المُقلِـق» و « المُزعـج» و « المُـذِل» ، ولكـن لا يعـرف كيـف؟

إذن تأخـذه « تيـارات» مختلفـة بحيـث يتيـه « بوصلتـه» ولا يعـرف بـأي اتجـاه صحيـح يجـب أن يتوجـه .

هناك اتجاه واحد صحيح يجب على العراق أن يسلكه وهو يتمثل في عملية بناء الدولة والتي تتطلب شيئين أساسيين هما :

- إقامة مؤسسات وتقويتها
- تطبيق حكم وسيادة القانون

وبهذه العملية ونجاحها سيتحول العراق من المرتبة الرابعة من تصنيف الدول (كما رأينا ذلك عند فوكوياما) إلى المرتبة الثانية والمتمثلة بأن مدى وحجم ونشاطات الدولة واسعة ، وأن قوة مؤسساتها قوية . (١٠٩)

ولكن في هذه الحالة (عدم وجود خيار آخر غير إزالة ادعاءات أحد الأطراف أو تدخل السلطة السياسية لإجبار أحد الأطراف للالتزام بتهدئة الوضع) تبرز ظاهرة خطيرة جدًا وعميقة التأثير في مسيرة الدولة وهي ظاهرة موت السياسة (١١٠) .

إن السياسة إذا كانت لها علاقة بالنزاعات فإنها ليست فقط لأجل توجيهها أو حلها ، بل أيضًا للاحتراس والحذر منها ، لكي لا تعطي فرصة للعنف لكي تفعل فِعلها في جسم الدولة بما يؤدي إلى تفككها أو إزالتها (١١١) . وهذا هو واجب الدولة العراقية ويمثل تحديًا خطيرًا لها ، وهذه تحتاج إلى الحكمة السياسية لكي نتجنب النزاعات أو تسويتها قبل استفحالها وبالتالي لكي نتمكن من بناء دولة قوية فاعلة .

الهوامش :

* دكتوراه فلسفة في علم السياسة – جامعة فيينا – النمسا، ماجستير في الدبلوماسية والعلاقات الدولية – الأكاديمية الدبلوماسية – فيينا، أستاذ علم السياسة والقانون الدستوري – جامعة صلاح الدين – أربيل

1 . Volker Perthes, Das Ende des Nahen Ostens, wie wir ihn kennen: Ein Essay, edition suhrkamp, Berlin, 2015

2 . Juan J. Linz and Alfred Stepan, (1996) , Problems of Democratic Transition and Consolidation: Southern Europe, South America, and Post-Communist Europe, Johns Hopkins University Press (1996) .

3 . Guillermo O'Donnell, "The Quality of Democracy: Why the Rule of Law Matters. "in: Journal of Democracy 15, no. 4 (2004) : 32–46.

4 . John H. Coatsworth, " Inequality, Institutions and Economic Growth in Latin America", in: Journal of Latin American Studies / Volume 40 / Issue 3 / August 2008, Published online by Cambridge University Press: 17 July 2008, pp. 545569-

٥ · أرسطو، في السياسة، ترجمة الأب أوغسطين بارباره البولسي، اللجنة الدولية لترجمة الروائع الإنسانية، بيروت، ط ٢، ١٩٨٠

٦ · بروفيسور كندي يعمل في جامعة ريتسوميكان في مدينة كيوتو اليابانية، ة ومن بين أهم كتبه :

Le sacrifice inutile: Essai sur la violence politique, Paris, 2011

The Ambivalence of Scarcity and Other Essays, 2013

Nationalisme et multiculturalisme en Asie (Paris: L'Harmattan) , 2010.

٧ · بول دوموشيل، التضحية غير المجدية : بحث في العنف السياسي، ترجمة : هالة صلاح الدين لولو، مراجعة : ألين زلوعا، المنظمة العربية للترجمة، توزيع : مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط ١، تشرين الثاني ٢٠١٦، ص ١٣

٨ · ماكس فيبر ١٨٦٤–١٩٢٠ عالم اجتماع ألماني شهير ويعتبر مؤسس علم الاجتماع السياسي و اشتهر بدراساته حول النظام البيروقراطي و الأخلاق والأديان والرأسمالية والسلطة السياسية وظاهرة الكاريزما.

٩ · ماكس فيبر، العلم والسياسة بوصفهما حِرفة، ترجمة : جورج كتورة، مراجعة وتقديم : رِضوان السيد، المنظمة العربية للترجمة، توزيع : مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط ١، تموز ٢٠١١

١٠ · وهذه الظاهرة يمكن ملاحظتها في النظم الشمولية التي تُجرد الإنسان، حسب رؤية آرندت، من إنسانيته، ينظر :

حنة أرندت، أسس التوتاليتارية، ترجمة أنطوان أبو زيد، دار الساقي، بيروت – لبنان، ١٩٩٣

١١ · للمزيد حول موضوعة العنف ينظر : هانا آرندت، في العنف، ترجمة إبراهيم العريس، دار الساقي، بيروت، ٢٠١٥

١٢ · دوموشيل، مصدر سابق، ص ١٤

١٣ · نفس المصدر أعلاه، ص ١٤–١٥

١٤ . كلود بروبير (١٩٣٢–١٩٨٦) فيلسوف كاثوليكي فرنسي أحد ممثلي تجديد الفلسفة المسيحية لذي ظهر في السبعينيات ولكنه كان يعيش حياة عَلمانية . عمل أستاذًا في جامعة تورز (١٩٦٧–١٩٧٩) ثم في جامعة باريس الرابعة – السوربون (١٩٧٩–١٩٨٦) . من أهم كتبه :

La raison politique, 1974

Logique et religion chrétienne dans la philosophie de Hegel, 1964

L›Être et l›Esprit, PUF, 1983

١٥ . نفس المصدر أعلاه، ص ١٦

16 . Carl Schmitt, Der Begriff der Politischen, 1932

((نشر كارل شميت أفكاره كدراسة في مجلة ألمانية عام ١٩٢٧ ثم نشرها ككتاب عام ١٩٣٢

الترجمة العربية للكتاب بعنوان

كارل شميت، مفهوم السياسي، ترجمة سومر أليـر محمود، مدارات للأبحاث والنشر، القاهرة، ط ١، ٢٠١٧

ينظر كذلك: د. منذر الشاوي، في الدولة، مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٦٥، ص ٤٧-٤٨

١٧ . فرانسيس فوكوياما، بناء الدولة: النظام العالمي ومشكلة الحكم والإدارة في القرن الحادي والعشرين، ترجمة مجاب الإمام، العبيكان، الرياض-المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٧

١٨ . نفس المصدر أعلاه، ص ١٧٠ وما بعدها

حول مسألة تآكل السيادة ينظر:

ولتر ريستون، أفول السيادة، ترجمة سمير عزّت نصّار و جورج خوري، مراجعة د. إبراهيم أبو عرقوب، دار النسر للنشر والتوزيع، عمّان، ١٩٩٤

١٩ . حول مفهوم التدخل الإنساني انظر:

د. عبد الحسين شعبان، السيادة ومبدأ التدخل الإنساني، منشورات جامعة صلاح الدين – أربيل، ٢٠٠٠، ص ١٠ وما بعدها

٢٠ . يميز فوكوياما مابين طريقة التدخل العسكري الأمريكي المباشر في كل من أفغانستان والعراق حيث « جسدت المقاربة التي انتهجتها الولايات المتحدة في حكم هاتين الدولتين نموذجي احتلال متباينين، حيث شكل النموذج الأفغاني مقاربة خفيفة الوطء، في حين كانت مقاربة الحكم أشد وطأة في العراق»

فرنسيس فوكوياما، بناء الدولة، مصدر سابق، ص ٢٧، وص ١٧٠ومابعدها

٢١ . فالح عبد الجبار، » أزمة الاندماج والهوية»، دراسة منشورة في: مركز دراسات الوحدة العربية (إعداد) ، أزمة الدولة في الوطن العربي، ط٢، بيروت ٢٠١٢، ص ٢٧١-٢٩٢ (الإشارة هنا الى ص ١٥-١٦)

٢٢ . فوكوياما، مصدر سابق، ص ١٧٠ وما بعدها

٢٣ . نفس المصدر أعلاه، ص ٩٩ وما بعدها

٢٤ . نفس المصدر أعلاه، ص ٣٩

٢٥ . نفس المصدر أعلاه، ص ١٠٩

٢٦ . نفس المصدر أعلاه، ص ١٠٩-١١٠

٢٧ . يكتب فوكوياما حول وضع الإدارة العامية ما يلي: » وحقيقة عدم وجود قواعد ثابتة وصالحة عالميًا للتصميم التنظيمي تعني بالضرورة أن ميدان الإدارة العامة فن أكثر منه علم. . . . إن عدم وجود صيغة تنظيم أمثل، أو إدارة عامة، ليس فكرة جديدة طارئة على المختصين المخضرمين في ميادين الإدارة. »

نفس المصدر أعلاه، ص ٩٩-١٠٠

٢٨ . نشير إلى كتاب مهم يبحث في مشكلة تضخم الدولة (في العالم العربي) :

نزيه الأيوبي، تضخيم الدولة العربية. السياسة والمجتمع في الشرق الأوسط، ترجمة أمجد حسين، مراجعة فالح عبد الجبار، المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، كانون الأول (ديسمبر) ٢٠١٠

٢٩ . نفس المصدر أعلاه، ص ٤٥

٣٠ . نفس المصدر أعلاه، ص ٤٤-٤٦

٣١ . نفس المصدر أعلاه، ص ٤٧

٣٢ . حول مشكلة الشرعية في الدولة الحديثة، ينظر:

د. شيرزاد أحمد النجار، "مشكلة الشرعية في الدولة الحديثة: دراسة في مفهوم الشرعية لدى الفيلسوف الألماني (يورغن هابرماز) "، دراسة منشورة في: د. شيرزاد أحمد النجار، دراسات في علم السياسة، دار دجلة ناشرون و موزعون، عمان –

بغـداد، ط ١، ٢٠١٠، ص ٧٦-١٢٠

٣٣ . نفس المصدر أعلاه ونفس الصفحة

٣٤ . سـعيد خمـري، قضايـا علـم السياسـة، مقاربـات نظريـة، منشـورات الجمعيـة المغربيـة للعلـوم السياسـية، مطبعـة دار المناهـل، الربـاط، ٢٠١٩، ص ٥٢

٣٥ . نفس المصدر أعلاه ونفس الصفحة

٣٦ . نفس المصدر أعلاه ونفس الصفحة

٣٧ . فوكوياما، المصدر السابق، ص ٧٤

٣٨ . نفس المصدر أعلاه، ص ٧٨

٣٩ . نفس المصدر أعلاه، ص ٧٥

٤٠ . النجار، المصدر السابق، ص ٨٠

٤١ . نفس المصدر أعلاه، ص ٨٨

٤٢ . نفس المصدر أعلاه، ص ٨٩

٤٣ . نفس المصدرأعلاه، ص ٩١

٤٤ . يُلاحـظ أن البروفيسـور هنتكـتن (وهـو أسـتاذ فوكوياما) أكـد في كتابـه المهـم (النظـام السياسـي لمجتمعـاتمتغيـرة)علـىمسـألةبنـاءمؤسسـاتلأجـل مواجهة وتحقيق مطالب المواطنين، ينظر:

صموئيـل هانتنتـون، النظـام السياسـي لمجتمعـات متغيـرة، ترجمـة سـميَة فلـو عبـود، دار السـاقي، ط ١، بيـروت، ١٩٩٣

٤٥ . فوكوياما، المصدر السابق، ص ٩٢-٩٣

٤٦ . نفس المصدر أعلاه، ص ٩٣

٤٧ . نفس الصدر أعلاه، ص ٣٤

٤٨ . نفس المصدر أعلاه، ص ٨٨

٤٩ . نفس المصدر أعلاه، ص ٩٣-٩٤

٥٠ . نفس المصدر أعلاه، ص ٩٥

٥١ . راجع أعلاه فقرة: ٣-١ عملية بناء الدولة

٥٢ . نفس المصدر أعلاه، ص ٤٧

٥٣ . فرانسـيس فوكوياما، الثقـة الفضائـل الاجتماعيـة ودورهـا في خلـق الرخـاء الاقتصـادي، ترجمـة معـين الإمـام ومجـاب الإمـام، ط١، منتـدى العلاقـات العربيـة والدوليـة، قطـر، ٢٠١٥، ص ٩

٥٤ . فوكوياما، بنـاء الدولـة، مصـدر سـابق، ص ٤٨ ومـا بعدهـا

٥٥ . نفس المصدر أعلاه، ، ص ٤٧

٥٦ . نفس المصدر أعلاه، ص ٤٨ وما بعدها

٥٧ . نفس المصدر السابق، ص٥٩-٦٠

٥٨ . فرانسـيس فوكوياما، نهايـة التأريـخ والإنسـان الأخيـر، ترجمـة د. فـؤاد شـاهين و د. جميـل قاسـم و د. رضـا الشـايبي، مركـز الإنمـاء القومـي، بيـروت، ١٩٩٣،

ويلاحـظ أنـه بعـد ذلـك عـدّل مـن أطروحتـه حـول « نهايـة التأريـخ»، ينظـر:

Francis Fukuyama, The Future of History. Can Liberal Democracy Survive the Decline of the Middle Class? In:

Foreign Affairs, Vol. 91, No. 1, (JANUARY/ FEBRUARY 2012) , pp. 5361-

٥٩ . فوكوياما، بنـاء الدولـة، المصـدر السـابق، ص٢٣-٣١

٦٠ . نفس المصدر أعلاه، ص ٤٧

٦١ . فرانسيس فوكوياما، الثقـة: الفضائـل الاجتماعيـة وتحقيـق الازدهـار، مركـز الإمـارات للدراسـات والبحـوث الاسـتراتيجية، دراسـات مترجمـة ٦، أبـو ظبـي، ط ١، ١٩٩٨، ص ١٧، قطـر، ٢٠١٥، ص ١٧

٦٢ . نفس المصدر أعلاه، ص ٢٥

٦٣ . نفس المصدر أعلاه، ص ٣٨٧ وما بعدها

٦٤ . فوكوياما، بناء الدولة، مصدر سابق، ص ١٩٩

65 . Peter W. Galbraith, The End of Iraq, Simon & Schuster, N. Y. , London, Toronto, Sydney, 2006

٦٦ . جراهـام فولـر، العـراق فـى العقـد المقبـل: هـل سـيقوى علـى البقـاء حتـى عـام ٢٠٠٢؟، مؤسسـة رانـد، ١٩٩٢

67 . Stansfield, Gareth& Anderson, Liam, The Future of Iraq: Dictatorship, Democracy,

Or Division? Palgrave Macmillan, N. Y. , 2004

68 . Raphael Veit, Iraq: Failed State or Phoenix? in: AQ: Australian Quarterly, Vol. 76, No. 3 (May - Jun. , 2004) , pp. 15-40 ,19, Published by: Australian Institute of Policy and Science;

ينظر كذلك:

Rolf Schwarz, From Rentier State to Failed State: War and the De-Formation of the State in Iraq, In: A contrario 20081/ (Vol. 5) , pages 102 à 113;

Anthony H. Cordesman with the assistance of Max Molot, Iraq as a Failed State, Working Paper: November 18, 2019, CSIS: Center for Strategic & International Studies

https: //csis-website-prod. s3. amazonaws. com/s3fs-public/publication/191118_Iraq_Failed_state_report. pdf

٦٩ · الـدول المخطوفـة أو المسـروقة Kleptocracy هـذه التسـمية مركبـة مـن ... . Klepto . يعنـي سـرقة و Cracy أي الحكـم ، فالحكـم في مثـل هـذه الـدول يفرز حكومات الفساد والسرقات.

إبراهيم الولي (سفير سابق) ، الفوضى الخلاقة والدولة المخطوفة، في موقع الكاردينيا (٢٠٢١/٧/٣١)

https: //www. algardenia. com/maqal at/5014022-59-09-30-07-2021-. html

٧٠ · د . حسـن الجنابي ، الدولـة العقيمـة الـولادة المشـوهة للديمقراطيـة في العـراق ، دار المـدى للطباعـة والنشـر والتوزيـع ، بغـداد ، ٢٠٢١

٧١ · بروفيسـور د . عامـر حسـن فيـاض يـرى أن العـراق لـه حُلـمٌ وهـو : حُلـمُ دولـة . ، ينظـر : أ . د . عامـر حسـن فيـاض ، العـراق وحلـم الدولـة ، إنكـي للنشـر والتوزيـع ، بغـداد ، ط ١ ، ٢٠٢١

٧٢ · فوكوياما ، بناء الدولة ، مصدر سابق ، ص ١٩٩

٧٣ · حـول العنـف الجيـد والعنـف السـيئ ، ينظـر : دوموشـيل ، مصـدر سـابق ، ص ١٥-١٨

٧٤ · نفس المصدر أعلاه ونفس الصفحات

٧٥ · باتريـس كانيفيـز ، «مـا هـو النـزاع السياسـي؟» ، ترجمـة د . عدنـان نجيـب الديـن ، دراسـة منشـورة في مجلـة : فلسـفات معاصـرة ، العـدد ٣ ، ٢٠٠٩ ، مجد : المؤسسـة الجامعيـة للدراسـات والنشـر والتوزيـع ، بيـروت ، ص ١٢٦-١٢٧ ، وكذلـك :

Hanna Arendt, The Human Condition, The university of Chicago Press, 1998

٧٦ · كانيقيز ، نفس المصدر أعلاه ، ص ١٢٧-١٢٨

٧٧ · نفس المصدر أعلاه ، ص ١٢٨-١٢٩

٧٨ · فوكوياما ، بناء الدولة ، مصدر سابق ، ص ٣٧

٧٩ · نفس المصدر أعلاه ، ص ١٧٧-١٧٨

٨٠ · فالح عبد الجبار ، مصدر سابق ، ص ٢٩١

٨١ . د . شـيرزاد أحمـد النجـار ، « أزمـة بنـاء الدولـة في العـراق . . . إلـى أيـن؟» ، ورقـة العمـل مقدمـة الـى الحلقـة النقاشـية بعنـوان : العـراق . . . إلـى أيـن؟ المنعقـدة في مقـر مركـز دراسـات الوحـدة العربيـة في بيـروت المنعقـدة في ٢٩ آب ٢٠١٦ والمنشـورة في مجلـة المسـتقبل العربـي ، العـدد ٤٥٢ ، تشـرين الأول/ أكتوبـر ٢٠١٦ ، ص ١١-١٨ (الإشـارة هنـا إلـى ص ١٤)

٨٢ . نفس المصدر أعلاه ، ص ١٥

٨٣ . هـذا الاتجـاه متأثـر بـآراء المفكـر الألماني (ماكـس فيبر) الـذي يعّـرف الدولـة بكونهـا « جهـاز يحتكـر اسـتخدام الشـرعي للقـوة الماديـة علـى السـكان الخاضعـين لسـيادتها» . وهكـذا يُعّـرف عالـم السياسـة الفرنسـي (جـورج بيـردو) الدولـة بكونهـا « سـلطة مُمَهَـدة» بمعنـى أنـه مـن خـلال مأسسـة السـلطة السياسـية يمكـن بنـاء الدولـة . فالدولـة جهـاز لخدمـة الفكـرة .

للتفاصيل راجع :

د . منـذر الشـاوي ، في الدولـة ، مطبعـة شـفيق ، بـداد ، ١٩٦٥ ، ص ٢٩ ومـا بعدهـا

عـادل مجاهـد الشـرجي ، « أزمـة عجـز الدولـة وخطـر

انهيارها : حالة اليمن «، دراسة منشورة في : مركز دراسات الوحدة العربية (إعداد) ، المصدر أعلاه، ص ١٢٥-١٦٠ (الإشارة هنا إلى ص ١٢٦-١٢٧) ؛ وحول فكرة الدولة لدى البروفيسور (بيردو) انظر :

د. جورج بيردو، الدولة، ترجمة : د. جورج حداد، مجد : المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٠

٨٤ . الشرجي، نفس المصدر أعلاه، ص ١٢٧

٨٥ . من أهم منظري هذه الفكرة (جوزيف شومبيتر) الذي أوضح الفكرة في كتابه الشهير : الرأسمالية والاشتراكية والديمقراطية، ترجمة : حيدر حاج إسماعيل، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠١١

٨٦ . في رأي الفيلسوف (أرسطو) أن السياسة هي نشاط إنساني لتحقيق المنافع والمصالح المشتركة . أنظر :

أرسطو، السياسة، ترجمة : بربارة البولسي، بيروت، ط٢، ١٩٨٠

٨٧ . الشرجي، المصدر السابق، ص ١٢٧

٨٨ . نفس المصدر أعلاه، ص ١٢٨

٨٩ . نفس المصدر أعلاه ونفس الصفحة

٩٠ . النجار، أزمة بناء الدولة في العراق، مصدر سابق، ص ١٦-١٧

٩١ . هذا القانون الذي أعتبر بمثابة قانون أعلى للبلاد وضعه الخبير الأمريكي (نواح فيلدمان) ولم يشترك في وضعه أحد من العراقيين، ينظر :

د. عبد الحسين شعبان، الانتخابات والتغيير. الثورة في صناديق الاقتراع، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية، بيروت، ٢٠١٤، ص ١١٨؛ فراس عبد الرزاق السوداني، العراق. . . مستقبل بدستور غامض، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٤، ص ١٢٤-١٣١

٩٢ . للتفاصيل أنظر :

Noah Feldman, " Imposed Constitutionalism", in: 37. Conn. L. Rev. (2005) , p. 857, 882

Chesterman, Simon, Imposed Constitutions, Imposed Constitutionalism, and Ownership, in: Connecticut Law Review, Vol. 37, No. 4, 2005

٩٣ . النجار، أزمة بناء الدولة في العراق، مصدر سابق، ص ١٧-١٨

٩٤ . للتفاصيل ينظر :

د. شيرزاد أحمد النجار، منظومة المفاهيم عند ديفيد إيستن (دراسة نقدية) ، دراسة منشورة في مجلة قضايا سياسية، العدد ٤١ السنة ٢٠١٥، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، بغداد.

٩٥ . النجار، أزمة بناء الدولة في العراق، المصدر السابق، ص ١٧

96 . Schmidt, Manfred G. (January 2002) . «Political performance and types of democracy: findings from comparative studies». European Journal of Political Research. 41 (1) : 147–163. doi: 10. 111100007 .6765-1475/

٩٧ . النجار، أزمة بناء الدولة في العراق، المصدر السابق، ص ١٨

٩٨ . نفس المصدر أعلاه ونفس الصفحة

٩٩ . حول التوافقية في إطار الديمقراطية أنظر :

أرنت ليبهارت، الديمقراطية التوافقية في مجتمع متعدد، ترجمة : حسني زينة، معهد الدراسات الاستراتيجية، بيروت — بغداد، ط١، ٢٠٠٦

١٠٠ . حول فيبر والعقلانية ينظر : فيليب راينو، ماكس فيبر ومفارقات العقل الحديث، ترجمة وتقديم محمد جديدي، الناشر كلمة- أبو ظبي ومنشورات الاختلاف- الجزائر، ط ١، ٢٠٠٩

١٠١ . النجار، أزمة بناء الدولة في العراق، المصدر السابق، ص ١٨

١٠٢ . د. أحمد غالب محي، التحول الديمقراطي (أسبابه، شوطه، مستوياته) . دراسة حالة العراق، دراسة منشورة في : مجلة قضايا سياسية، العدد

٣٧-٣٨ السنة ٢٠١٤، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، ص ١٥١-١٦٨ (الإشارة هنا إلى ص ١٥٣)

١٠٣ . يُلاحظ في دستور جمهورية العراق ٢٠٠٥ تركيز واضح على مصطلح «المكون» أو «المكونات» حيث ورد ذِكره في مقدمة الدستور (٢) مرتين

وفي متن الدستور (٥) مرة، ينظر: مقدمة الدستور والمواد: ٩ أولا، ١٢، ٤٩ أولا، ١٢٥، ١٤٢ أولا،

المصدر: جمهورية العراق، مجلس النواب، دستور جمهورية العراق ٢٠٠٥

104 . في مجلة (Foreign Policy In Focus) في آذار 2007

105 . Larry Diamond, What Went Wrong in Iraq, Foreign Affairs, 2004 https: //www. foreignaffairs. com/articles/iraq/2004-09-01/what-went-wrong-iraq

106 . Ibid

107 . Ibid

108 . Electing to Fight: Why Emerging Democracies Go to War. By Edward D. Mansfield and Jack Snyder. Cambridge, MA: MIT Press, 2005

١٠٩ . يُنظر أعلاه الفقرة ٣-٢ آلية بناء الدولة

١١٠ . كانيفيز، مصدر سابق، ص ١٣٩

١١١ . نفس المصدر أعلاه ونفس الصفحة

المشاركة السياسية و علاقتها بالسلوك السياسي لدى عينة من طلبة الجامعات

أ. د. فاطمة جمال السيد م. م. رنا فاضل شمخي

المستخلص:

يعتبر السلوك السياسي من أهم الموضوعات في العلوم السياسية وعلم الاجتماع السياسي لكونه يشكل نوعاً من السلوك الاجتماعي بشكل عام، قد يكون من خلال المشاركة السياسية أو من خلال الامتناع السياسي ومن خلال الاحتجاج والتظاهر وقد يتم بأشكال مختلفة من التعبير، يركز السلوك السياسي على النشاطات والفعاليات المتعلقة بحكم وقيادة وتنظيم وتنسيق المجتمع بغية تحقيق أهدافه وإشباع طموحات وتطلعات أفراده شريطة أن تنسجم هذه الطموحات والتطلعات مع طبيعة النظام الاجتماعي التي تحاول المشرع أو القيادة تعزيزه والحفاظ على نهجه من الأخطار والتحديات الداخلية والخارجية وفي نفس الوقت تعمل جاهدة على ترسيخه وتنميته وتطويره خدمة لأهداف النظام الاجتماعي.

Political Participation and Its Relationship with Political Behavior among a Sample of University Students

Abstract:

Political behavior is considered one of the most important topics in political science and political sociology, due to it constitutes a kind

of social behavior in general, it may be through political participation, political abstention, and through protest and demonstration, and it may take place in different forms of expression, political behavior focuses on activities and events related to by ruling, leading, organizing and coordinating society in order to achieve its goals and satisfy the aspirations, and aspirations of its members, provided that these ambitions and aspirations are consistent with the nature of the social system that the legislator or leadership is trying to strengthen and preserve its approach from internal and external dangers and challenges and at the same time works hard to consolidate, develop it in order to serve the goals of the social system.

مقدمة:

تُعد المشاركة السياسية أحد الأبعاد المهمة لتحديد السلوك السياسي للأفراد، كما أنها أحد المحاور الأساسية في مجال اهتمام علم السياسة والعلوم الاجتماعية وعلم النفس السياسي، وتتفق الدراسات و الآراء على تأكيد الدور الإيجابي للفرد في الحياة السياسية من خلال حق الترشيح أو التصويت في الانتخابات، أو الاهتمام بالقضايا والأمور السياسية ومناقشتها مع الآخرين، أو العضوية في المنظمات ... ... إلخ؛ فهي محاولة للتأثير على متخذي القرار، والمشاركة عملية إرادية واعية وتأكيد للحق الديمقراطي لأفراد المجتمع، و هي ركيزة أساسية من ركائز الديمقراطية، لأنها تعني ممارسة الشعب لحقه في حكم نفسه بنفسه.

والمشاركة السياسية لا تعني مشاركة كل المواطنين في كل الأنشطة والمجالات السياسية المختلفة في كل الأوقات، بل تعنى مشاركة أكبر عدد ممكن من أفراد المجتمع في أكبر عدد ممكن من هذه الأنشطة والمجالات، بقدر ما تسمح به استعدادات هؤلاء الأفراد وقدراتهم وميولهم، ومع ذلك فإنه يكاد يكون هناك شبه إجماع بين الباحثين على بعض صيغ المشاركة السياسية – كالتصويت في الانتخابات و الانتماء الحزبي وعضوية المنظمات السياسية، وهذه الصيغ من المشاركة ترتبط بآليات العلاقة بين الدولة والمجتمع المدني وطبيعة الممارسة السياسية السائدة، وهذا يضفي طابعاً مؤسساتياً على المشاركة،

الأمر الذي يجعل دور الدولة أساسياً في التشجيع أو عدم التشجيع على المشاركة، إلا إذا حدثت طفرات وتمردات سياسية تجعل المشاركة فرضاً.

المبحث الأول مشكلة البحث و الحاجة إليه

تُعد المشاركة السياسية أحد الأبعاد المهمة لتحديد السلوك السياسي للأفراد، كما أنها أحد المحاور الأساسية في مجال اهتمام علم السياسة والعلوم الاجتماعية وعلم النفس السياسي، وتتفق الدراسات و الآراء على تأكيد الدور الإيجابي للفرد في الحياة السياسية من خلال حق الترشيح أو التصويت في الانتخابات، أو الاهتمام بالقضايا والأمور السياسية ومناقشتها مع الآخرين، أو العضوية في المنظمات ... ... وغيرها فهي محاولة للتأثير على متخذي القرار، والمشاركة عملية إرادية واعية وتأكيد للحق الديمقراطي لأفراد المجتمع، و هي ركيزة أساسية من ركائز الديمقراطية، لأنها تعني

ممارسة الشعب لحقه في حكم نفسه بنفسه (١)

والمشاركة السياسية لا تعني مشاركة كل المواطنين في كل الأنشطة والمجالات السياسية المختلفة في كل الأوقات بل تعنى مشاركة أكبر عدد ممكن من أفراد المجتمع في أكبر عدد ممكن من هذه الأنشطة والمجالات، بقدر ما تسمح به استعدادات هؤلاء الأفراد وقدراتهم وميولهم (٢)

ومع ذلك فإنه يكاد يكون هناك شبه إجماع بين الباحثين على بعض صيغ المشاركة السياسية التي تمكننا من دراستها وتحديد كافة العوامل السياسية والنفسية و الاجتماعية والتاريخية التي تسهم فيها – كالتصويت في الانتخابات و الانتماء الحزبي وعضوية المنظمات السياسية، وهذه الصيغ من المشاركة ترتبط بآليات العلاقة بين الدولة والمجتمع المدني وطبيعة الممارسة السياسية السائدة، وهذا يضفي طابعاً مؤسساتياً على المشاركة، الأمر الذي يجعل دور الدولة أساسياً في التشجيع أو عدم التشجيع على المشاركة، إلا إذا حدثت طفرات وتمردات سياسية تجعل المشاركة فرضاً (٣)

وتتوقف ممارسة الفرد لسلوك المشاركة السياسية – كعملية مكتسبة – على توافر القدرة والدافع لدى الفرد، والفرص التي يمنحها المجتمع بتقاليده وأيديولوجياته، وكذلك الظروف التي تحددها طبيعة المناخ السياسي و الاجتماعي و الاقتصادي السائد في

المجتمع ، ومن هنا تبرز أهمية التنشئة ودورها في خلق سلوك المشاركة وتكوينه ، إذ إنها تزود الفرد بالمثيرات التي يستقبل من خلالها قيم المشاركة ، وكلما كثرت هذه القيم ازداد احتمال مشاركة الفرد في الأنشطة والمجالات المختلفة وازداد عمق هذه المشاركة (٤)

أهداف البحث The aims of research : يستهدف البحث الحالي تعرف ما يأتي :

اولاً : التعرف على المشاركة السياسية لدى عينة من طلبة الجامعات .

أ. تعرف الفروق في المشاركة السياسية على وفق متغير الجنس (ذكور- أناث) .

ب . تعرف الفروق في المشاركة السياسية على وفق متغير التخصص (علمي - إنساني) .

ثانياً : التعرف على الاتصال السياسي لدى طلبة الجامعات .

أ. تعرف الفروق في الاتصال السياسي على وفق متغير الجنس (ذكور- أناث) .

ب . تعرف الفروق في الاتصال السياسي على وفق متغير التخصص (علمي – إنساني)

حدود البحث The limits of research :

يتحدد البحث الحالي بطلبة الجامعات من (الذكور و الاناث) في الدراسات الصباحية وفي الاختصاصات (العلمي – الإنساني) للجامعات الحكومية للعام الراسي ٢٠٢٠-٢٠٢١ .

تحديد المصطلحات

أولاً: التفاعل الاتصالي Communicative interaction

١. بليفك ١٩٩٦Pavlik)) عملية تفاعل اجتماعي تهدف إلى تقوية الصلات الاجتماعية في المجتمع عن طريق تبادل المعلومات والأفكار و الآراء ، إذ تؤدي إلى تفاهم وتشارك في المعلومات (٥)

٢. كين Keane ١٩٩٨ : « نمط خاص من العلاقات المكانية بين شخصين أو أكثر من الناس ، يجري الاتصال بينهم بواسطة وسائل اتصال تثور من خلالها خلافات بشأن علاقات القوة العاملة داخل بيئة التفاعل المتوفرة لهما (٦)

٣. التعريف الإجرائي: هو الدرجة الكلية التي يحصل عليها المستجيب على مقياس (التفاعل الاتصالي) الذي بني على وفق النظرية المعتمدة لدى طلبة الجامعات.

ثانياً: المشاركة السياسية:

١. يعرف جرنستين و بولسبي "Greenstein & Polsby" ١٩٧٥ المشاركة السياسية بأنها: الأنشطة التي تأتي في الفترة ما بين الانتخاب والآخر، التي يحاول المواطنون من خلالها التأثير على القرارات الحكومية التي تتعلق بالمشكلات التي تهمهم (٧).

٢. ياسين ١٩٧٧ بأنها: »تلك الأنشطة الاختيارية أو التطوعية التي يسهم أفراد المجتمع عن طريقها في اختيار حكامهم، وفي وضع السياسة العامة بشكل مباشر أو غير مباشر، والأشكال التقليدية لهذه الأنشطة تشمل: التصويت، والمناقشات، وتجميع الأنصار، وحضور الاجتماعات العامة، ودفع الاشتراكات المالية والاتصال بالنواب، أما أكثر أشكال المشاركة فتشمل: الانضمام للأحزاب، و المساهمة في الدعاية الانتخابية، والسعي للاطلاع بالمهام الحزبية والعامة« (٨)

٣. جلبي ١٩٨٢ بأنها: » العملية التي يلعب من خلالها الفرد دوراً في الحياة السياسية أو المجتمعية، وتكون لديه الفرصة لأن يساهم في صنع الأهداف العامة في المجتمع، وتحديد أفضل الوسائل لإنجازها، وقد تتم من خلال الأنشطة المباشرة وغير المباشرة (٩)

المبحث الثاني النظريات التي فسرت المشاركة السياسية

اولاً: أنموذج فينهوفن ٢٠٠٠ Veenhoven

بحث فينهوفن (Veenhoven ٢٠٠٠) مفهوم الحرية حينما أشار إلى أن الحرية ترتبط بتكوين الأهداف السياسية، إذ إن الفرد يكون حراً بقدر ما يملك من اقتدار سياسي على تكوين أهدافه من بين ما تقدمه له البيئة و المجتمع و السياسة ويقدر اقتداره على تنفيذ هذه الأهداف وعلى تحمل المسؤوليات الناتجة عنها، وهذا ما يميز الإنسان الحر يعتقد فينهوفن أنه لكي يستطيع الفرد أن يكون مقتدراً سياسياً و حراً في اختياراته يجب أن تتوافر

لديه الفرصة للاختيار و حق الاعتراض و المطالبة بالتغيير، وهي صفة البيئة وفي المقام اللاحق تتطلب القدرة على الاختيار التي تحدد صفة الفرد. (١٠)

نظرية تدعيم الصمت IRAL OF SILENCE: تعد هذه النظرية من أكثر النظريات الحديثة التي تؤكد على قوة وسائل الاتصال الحديثة في تأثيرها على المتلقين و مشاركتهم في العملية السياسية، ويمكن تصنيفها في إطار واحد مع نظرية ترتيب الأولويات، إذ تم برصد آثار وسائل الاتصال على المجتمع، وتشير الفكرة الأساسية لنظرية تدعيم الصمت إلى أنه» كلما عملت وسائل الاتصال على إطلاع الجماهير بما ترى أنه رأي الأغلبية، أو رأي الإجماع ازداد تردد أفراد الجماهير المؤيدين للرأي المعارض في إظهار آرائهم، وقد طورت هذه الفكرة ووضعت فروضها النظرية الباحثة الاتصال الألمانية نويل نيومان Noele Neumann ١٩٧٤م، من خلال دراستها المرتبطة بالانتخابات الألمانية (١١) .

يقوم البناء النظري للفكرة الأساسية على دعامتين أن الأفراد يتجاهلون ما يرونه بأنفسهم، ويتمسكون بما تراه الجماعة خوفا من عزلتهم عن الجماعة (المجتمع) ، بالإضافة إلى أن وسائل الاتصال تقوم بنشر وتعزيز وجهة النظر السائدة أو المهيمنة في الرأي العام، يعني ذلك أن تعزيز وسائل الإعلام لوجهات نظر معينة تعكس الاتجاه السائد الذي يؤدي إلى تقليص الآراء التي تتبناها الأقلية.

ترى نيومان أن هناك عوامل عديدة تجعل الناس يحرصون على إبداء وجهات نظرهم والمشاركة بآرائهم، منها:

- شعور الفرد بانتمائه إلى رأي الأغلبية.
- ميل الفرد للحديث والتخاطب مع من يتفق معه أكثر ممن يعارضه.
- الشعور بتقدير الذات يحث الفرد على إبداء رأيه.
- ميل الأفراد من الرجال، فئة البالغين وما فوق من الطبقة الوسطى والأعلى، إلى الحوار والمشاركة بسهولة.

غير هذه الحالات نجد أن الأفراد يميلون إلى التزام الصمت، ويزداد الصمت كلما زادت الضغوط لصالح الأغلبية. (١٢)

ترى نيومان Neumann أن فاعلية تأثير وسائل الاتصال في عملية تكوين الرأي حول

القضايا المثارة في المجتمع تتداخل فيها عوامل نفسية واجتماعية وثقافية وسياسية، وتشير إلى أهمية إجراء البحوث طويلة الأمد للتحري عن ثلاثة متغيرات أساسيه تساهم في تأثير وسائل الإعلام:

١. **التأثير التراكمي**: للرسائل الإعلامية المتشاركة والمتكررة، حول موضوعات أو شخصيات أو قضايا معينة، الذي يؤدي إلى تأثيرات في الجمهور على المدى البعيد.

٢. **الشمولية**: إذ إن سيطرة ومحاصرة لأفراد الجمهور وهيمنتها على بيئة المعلومات المتاحة، ينتج عنه تأثيرات شاملة.

٣. **التجانس بين القائمين بالاتصال**: إن القيم والتوجهات التي تحكمهم، يؤدي إلى تشابه الرسائل التي تتناقلها الوسائل الإعلامية، مما يزيد من قوة تأثيرها على المتلقين) ١٣)

من الفروض الأسياسية التي جاءت بها النظرية:

– الأفراد الذين يعتقدون أن هناك اتجاها مؤيدًا لوجهة نظرهم أكثر احتمالا أن يعبروا علانية عن آرائهم، مقارنة بأولئك الذين لا يعتقدون بوجود اتجاه مؤيد لوجه نظرهم.

– كلما أدرك الأفراد أن مرشحا معينا سوف يفوز بالانتخابات زادت احتمالات التعبير عن تفضيل هذا المرشح، وخلصت الدراسة إلى صحة الفرض الأول والثاني للدراسة، وأكدت الدراسة التي ميز فيها القلة من الأفراد الذين يتمسكون بآرائهم ويقاومون تغييرها مقارنة ببقية أفراد المجتمع (١٤)

المبحث الثالث إجراءات البحث

تقع إجراءات البحث الحالي ضمن المنهج الارتباطي (Correlation Research) وهو منهج الهدف منه الكشف عن العلاقة بين متغيرين أو أكثر وذلك من خلال استخدام وسائل إحصائية ارتباطيه، كما أشار إلى ذلك (لامرLamar) , فهو في معناه العلمي الدقيق التغيير الاقتراني أو النزعة إلى اقتران التغيير في ظاهرة بالتغيير في ظاهرة أخرى. (١٥) .

ولا تُعدّ الطريقة الارتباطية ذات قيمة عالية عند البحث في السبب والنتيجة، لكنها تُبين على نحوٍ كمّي إلى أي حدٍّ يرتبط متغيران أنها لا تتضمن بالضرورة وجود علاقة سبب

وأثر، ولكن يمكن التوصل إلى تفسير معنى العلاقة عن طريق التحليل المنطقي أكثر من التقدير الإحصائي. (١٦).

مجتمع البحث و عينته : تضمن مجتمع البحث الحالي طلبة الجامعات من الذكو ر والإناث في مدينة بغداد للجامعات الحكومية للسنة الدراسية (٢٠٢٠-٢٠٢١)

بعد أن تم تحديد مجتمع البحث، عمدت الباحثتان إلى اختيار عينة البحث على الطريقة الطبقية العشوائيةStratified Random Sample القصدية من طلبة الجامعات الحكومية للكليات العلمية و الإنسانية في الجامعة العراقية من الذكور والإناث.

أدوات البحث: لتحقيق أهداف البحث الحالي كان لا بد للباحثتان من بناء أدوات لقياس متغيرات البحث وإعدادها، وهي مقياس السلوك السياسي ومقياس المشاركة السياسية.

تعد تحديد فكرة المقياس ومبررات تصميمه من أهم الخطوات نظرًا لأنها تتيح للقائم بتصميم مقياس الوصول للمداخل والأفكار الرئيسة التي سوف يستند إليها في تصميمه. (١٧)

بناء مقياس المشاركة السياسية و مقياس السلوك السياسي: قامت الباحثتان ببناء مقياس المشاركة السياسية و السلوك السياسي لعدم توافر أداة جاهزة للقياس تتلاءم مع البيئة العراقية، لذلك اقتضت الضرورة ببناء المقياس على و فق الخطوات الآتية:

تتضمن هذه الخطوة تحديد مفهوم المشاركة السياسية و السلوك السياسي، والنظرية المتبناة، وتحديد فقرات المقياس، وأسلوب صياغة الفقرات، وبدائل الإجابة عنها و الاطلاع على مجموعة من المقاييس الأجنبية و العربية القريبة من المفهوم، وعلى الرغم من اطلاع الباحثتين على مقاييس عدة، منها المقاييس الأجنبية والعربية فإنهما لم تتبنَّيا أي مقياس بل قامتا بالبناء، ما قد أتاح للباحثتين القيام بصياغة (٢٨) فقرة لقياس المشاركة السياسية و السلوك السياسي في مجالين منفصلين كل مجال يتكون من أربع عشرة فقرة.

مؤشرات الصدق (Validity) : يشير الصدق إلى خاصية الأداة في قياس ما تستهدف قياسه، وهو من أهم الشروط التي يجب توافرها في بناء المقاييس والاختبارات النفسية (١٨)

وتم الحصول على الصدق عن طريق الصدق الظاهر، إذ تم عرض المقياس على

مجموعة من الخبراء لمعرفة مدى صلاحيتها و ملاءمتها لأفراد عينة البحث، و اعتمدت جميع الفقرات لأنها حصلت على نسبة ٨٠٪ فأكثر من موافقة السادة المتخصصين.

الثبات Reliability: تم حساب ثبات المقياس الحالي بطريقتين، هما: -

١- الثبات بإعادة الاختبار: Test – retest تم تحقيق هذا النوع من الثبات من خلال إعادة تطبيق المقياس بعد أسبوعين على عينة مكونة من (٢٠) طالبًا و (٢٠) طالبة تم اختيارهم بالطريقة العشوائية ذات التوزيع المتساوي من كلية الإعلام قسم الصحافة من جامعه بغداد، إذ بلغ معامل الارتباط (٠,٩٦) يعد مثل هذا المعامل مؤشراً لثبات جيد يمكن الركون إليه في ضوء المعيار المطلق لمعاملات الثبات.

الفصل الرابع عرض النتائج وتفسيرها ومناقشتها

يتضمن هذا الفصل عرضاً للنتائج التي توصل إليها البحث الحالي على وفق أهدافه المرسومة، ومناقشة تلك النتائج وتفسيرها في ضوء الإطار النظري المعتمد في هذا البحث، والدراسات السابقة. ومن ثم الخروج بتوصيات ومقترحات في ضوء تلك النتائج. وعلى النحو الآتي:

الهدف الأول: التعرف على المشاركة السياسية لدى طلبة الجامعات: أظهرت نتائج البحث أن الوسط لحسابي للمشاركة السياسية لدى أفراد عينة البحث من طلبة الجامعات هو (٩٢. ٦٠٥) درجة، وبانحراف معياري قدرهُ (٥. ٣٢١)، وعند مقايسته بالمتوسط الفرضي للمقياس البالغ (٦٠) درجة، واختبار الفرق بين المتوسطين باستعمال الاختبار التائي (t-Test) لعينة واحدة، تبين أن القيمة التائية المحسوبة كانت (١٢٢. ٥٣٨) مما يشير إلى إن هناك فرقاً دالاً إحصائيا عند مستوى دلالة (٠,٠٥) وبدرجة حرية (٣٩٩) وكما موضح بالجدول (١)

جـدول (١) الاختبـار التائـي لعينـة واحـدة لدلالـة الفـرق بيـن الوسـط الحسـابي والوسـط الفرضـي لعينـة البحـث لمقيـاس المشـاركة السياسـية

المتغير	العدد	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوسط الفرضي	القيمة التائية		الدلالة الإحصائية عند مستوى (٠.٠٥)
					المحسوبة	الجدولية	
المشاركة السياسية	٤٠٠	٩٢. ٦٠٥	٥. ٣٢١	٦٠	١٢٢. ٥٣٨	١, ٩٦	دالة

أظهـرت النتائـج أن القيمـة التائيـة المحسـوبة أكبـر مـن القيمـة الجدوليـة، و أن الوسـط الحسـابي أكبـر مـن الوسـط الفرضـي، وهـذا يشـير إلـى أن المشـاركة السياسـية لـدى طلبـة الجامعـات أصبحـت واضحـة وصريحـة مـن خـلال التجمعـات و المناقشـات و المشـاركات.

الهـدف الأول: أ- التعـرف علـى الفـروق فـي المشـاركة السياسـية حسـب متغيـر الجنـس (ذكـور- انـاث). لتحقيـق هـذا الهـدف تـم تطبيـق مقيـاس المشـاركة السياسـية علـى عينـة بلغـت (٢٠٠) طالـب و (٢٠٠) طالبـة، وقـد تـم اسـتعمال الاختبـار التائـي لعينتيـن مسـتقلتين وبلـغ الوسـط الحسـابي للذكـور (٩٢, ٩٥٠) درجـة وبانحـراف معيـاري (٦, ٠٢٢) درجـة، وبلـغ الوسـط الحسـابي للإنـاث (٩٢. ٢٦٠) درجـة وبانحـراف معيـاري (٤. ٥٠٢) درجـة وكانـت القيمـة التائيـة المحسـوبة (١. ٢٩٨) وهـي أكبـر مـن القيمـة الجدوليـة، وهـذا يعنـي بأنهـا دالـة إحصائيـاً عنـد مسـتوى دلالـة (٠. ٠٥) وبدرجـة حريـة (٣٩٨) والجـدول (٢) يوضـح ذلـك.

الجـدول (٢) الاختبـار التائـي لعينتيـن مسـتقلتين لمعرفـة دلالـة الفـروق بيـن (الذكـور- الإنـاث) المشـاركة السياسـية

ت	نوع العينة	العدد	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	القيمة التائية المحسوبة	القيمة التائية الجدولية	الدلالة الإحصائية عند مستوى (٠,٠٥)
١	ذكور	٢٠٠	٩٢. ٩٥٠	٦, ٠٢٢	٣٩٨	١. ٢٩٨	١. ٩٦	دالة
٢	إناث	٢٠٠	٩٢. ٢٦٦	٤. ٥٠٢				

تشير النتائج بأنه لا توجد فروق ذو دلالة إحصائية في المشاركة السياسية على وفق متغير الجنس (ذكور – ناث) على الرغم من أن الوسط الحسابي للذكور أعلى من الوسط الحسابي للإناث، إلا أن الفرق ضئيل ولا يصل إلى مستوى الدلالة الإحصائية، تعزو الباحثتان هذه النتيجة إلى تشابه ظروف العينة سوى كانوا ذكورًا أم إناثًا فإنهم مروا بنفس الظروف السياسية و الاجتماعية بعد ٢٠٠٣، حيث تغير النظم والدخول إلى الحرية و الديمقراطية من أوسع أبوابها والذي بدوره شجع الأفراد على التواصل السياسي و بالتالي المشاركة إضافة إلى مناقشة الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية، وتبادل الآراء بخصوص الأوضاع السياسية في العراق.

الهدف الأول: ب – التعرف على الفروق في المشاركة السياسية حسب متغير التخصص (علمي – إنساني) : لتحقيق هذا الهدف تم تطبيق مقياس المشاركة السياسية على عينة بلغت (٤٠٠) طالب و طالبة (٢٠٠) من ذوي التخصصات العلمية و (٢٠٠) من التخصصات الإنسانية، وقد تم استعمال الاختبار التائي لعينتين مستقلتين وبلغ الوسط الحسابي للعلمي (٩٣. ١٠٥) درجة وبانحراف معياري (٣. ٩٤٣) درجة، وبلغ الوسط الحسابي للإنساني (٩٢. ١٠٥) درجة وبانحراف معياري (٦. ٣٨١) درجة وكانت القيمة التائية المحسوبة (١. ٨٨٥) وهي أصغر من القيمة الجدولية، وهذا يعني بأنها غير دالة إحصائياً عند مستوى دلالة (٠. ٠٥) وبدرجة حرية (٣٩٨) والجدول (٣) يوضح ذلك.

الجدول (٣) الاختبار التائي لعينتين مستقلتين لمعرفة دلالة الفروق بين التخصصات (العلمي– الإنساني) للمشاركة السياسية

ت	نوع التخصص	العدد	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	القيمة التائية المحسوبة	القيمة التائية الجدولية	الدلالة الإحصائية عند مستوى (٠٥. ٠)
١	العلمي	٢٠٠	٩٣. ١٠٥	٣. ٩٤٣	٣٩٨	١. ٨٨٥	١. ٩٦	غير دالة
٢	الإنساني	٢٠٠	٩٢. ١٠٥	٦. ٣٨١				

تفسر هذه النتيجة بأنه لا توجد فروق في التفاعل الاتصالي بين التخصصات العلمية و الإنسانية، على الرغم من أن الوسط الحسابي للعلمي أعلى من الوسط الحسابي للإنساني، إلا أن الفرق ضئيل ولا يصل إلى مستوى الدلالة الإحصائية وهو ماتعزوه الباحثتان إلى

رغبة الأفراد في المشاركة السياسية لإيصال رسالتهم في ظل هيمنة الحكومة والتنظيمات السياسية، إن هذه الرغبة تولد لدى الأفراد شعورا بأنهم أصبحوا فاعلين أو مؤثرين في القضايا السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية، وليس مجرد متلقين.

ثانياً: تعرف السلوك السياسي لدى طلبة الجامعات: أظهرت نتائج البحث أن الوسط الحسابي لدرجات السلوك السياسي لدى أفراد عينة البحث من طلبة الجامعات هو (١١٦. ٨١٥) درجة، وبانحراف معياري قدرهُ (٦. ٣٤٢)، وعند مقايسته بالوسط الفرضي للمقياس البالغ (٧٢) درجة، واختبار الفرق بين المتوسطين باستعمال الاختبار التائي (t-Test) لعينة واحدة، تبين أن القيمة التائية المحسوبة كانت (١٤١. ٣٠٩) مما يشير إلى إن هناك فرقاً دالاً إحصائيا عند مستوى دلالة (٠,٠٥) وبدرجة حرية (٣٩٩) وكما موضح بالجدول (٤).

جدول (٤) الاختبار التائي لعينة واحدة لدلالة الفرق بين الوسط الحسابي والوسط الفرضي لعينة البحث لمقياس الاتصال السياسي

المتغير	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الفرضي	القيمة التائية		الدلالة (٠.٠٥)
					المحسوبة	الجدولية*	
السلوك السياسي	٤٠٠	١١٦. ٨١٥	٦. ٣٤٢	٧٢	١٤١. ٣٠٩	١,٩٦	دالة

الهدف الثاني: أ- التعرف على الفروق في السلوك السياسي حسب متغير الجنس (ذكور- إناث): ولتحقيق هذا الهدف تم تطبيق مقياس السلوك السياسي على عينة بلغت (٢٠٠) طالب و (٢٠٠) طالبة، وقد تم استعمال الاختبار التائي لعينتين مستقلتين وبلغ الوسط الحسابي للذكور (١١٧. ٠٠٠) درجة، وبلغ الوسط الحسابي للإناث (١١٦. ٦٣٠) درجة وكانت القيمة التائية المحسوبة (٠. ٥٨٣) وهي أكبر من القيمة الجدولية، وهذا يعني بأنها دالة إحصائياً عند مستوى دلالة (٠. ٠١) وبدرجة حرية (٢٩٨) والجدول (٥) يوضح ذلك.

الجـدول (٥) الاختبـار التائـي لعينتيـن مسـتقلتين لمعرفـة دلالـة الفـروق بيـن (الذكـور- الإنـاث) السـلوك السياسـي

ت	نوع العينة	العدد	الوسط الحسابي	درجة الحرية	القيمة التائية المحسوبة	القيمة التائية الجدولية	مستوى الدلالة
١	ذكور	٢٠٠	١١٧. ٠٠٠	٣٩٨	٥. ٨٣	١. ٩٦	دالة إحصائيا عند مستوى (٠٥ . ٠)
٢	إناث	٢٠٠	١١٦. ٦٣٠				

أشـارت هـذه النتيجـة بأنـه لا توجـد فـروق ذو دلالـة إحصائيـة فـي السـلوك السياسـي بيـن متغيـر الجنـس (ذكـور - إنـاث) علـى الرغـم مـن أن الوسـط الحسـابي للذكـور أعلـى مـن الوسـط الحسـابي للإنـاث، إلا أن الفـرق ضئيـل ولا يصـل إلـى مسـتوى الدلالـة الإحصائيـة، و تفسـر الباحثتـان هـذه النتيجـة بـأنّ الصـراع السياسـي انعكـس علـى وضـع البـلاد الأمنـي وتمثـل بعـدم الاسـتقرار وعجـز الحكومـة المحليـة عـن إجـراء مـا يلـزم مـن التغييـرات اسـتجابة لتوقعـات الجماهيـر وتوجهاتهـا.

الهـدف الثانـي : ب- التعـرف علـى الفـروق فـي السـلوك السياسـي حسـب التخصـص (علمي - إنسـاني) : ولتحقيـق هـذا الهـدف تـم تطبيـق مقيـاس السـلوك السياسـي علـى عينـة بلغـت (٤٠٠) طالـب وطالبـة (٢٠٠) مـن التخصصـات العلميـة و (٢٠٠) مـن التخصصـات الإسـانية وقـد تـم اسـتعمال الاختبـار التائـي لعينتيـن مسـتقلتين وبلـغ الوسـط الحسـابي للإنسـاني (١١٧, ٠٧٥٠) درجـة وبانحـراف معيـاري (٥, ٩٢٧) درجـة، وبلـغ الوسـط الحسـابي للعلمـي (١١٦, ٥٥٥) درجـة وبانحـراف معيـاري (٦, ٧٣٧) درجـة وكانـت القيمـة التائيـة المحسـوبة (٠, ٨١٩) وهـي أصغـر مـن القيمـة الجدوليـة، وهـذا يعنـي بأنهـا غيـر دالـة إحصائيـاً عنـد مسـتوى دلالـة (٠ . ٠٥) وبدرجـة حريـة (٣٩٨) والجـدول (٨) يوضـح ذلـك.

الجدول (٨) الاختبار التائي لعينتين مستقلتين لمعرفة دلالة الفروق بين التخصصات (العلمي- الإنساني) السلوك السياسي

ت	نوع العينة	العدد	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	القيمة التائية المحسوبة	القيمة التائية الجدولية	الدلالة الإحصائية عند مستوى (٠.٠٥)
١	الإنساني	٢٠٠	١١٧. ٠٧٥	٥. ٩٢٧	٣٩٨	٠. ٨١٩	١. ٩٦	غير دالة إحصائيا
٢	العلمي	٢٠٠	١١٦. ٥٥٥	٦. ٧٣٧				

أشارت هذه النتيجة بأنه لا توجد فروق في السلوك السياسي تبعا لمتغير التخصص بين (العلمي و الإنساني) ، على الرغم من أن الوسط الحسابي للإنساني أعلى من الوسط الحسابي للعلمي ، إلا أن الفرق ضئيل ولا يصل إلى مستوى الدلالة الإحصائية . تعزو الباحثتان هذه النتيجة إلى تصادم أو تعارض بين اتجاهات مختلفة, أو عدم توافق في المصالح بين طرفين أو أكثر يدفع بالأطراف المعنية مباشرة إلى عدم القبول بالوضع القائم ومحاولة تغييره .

التوصيات: Recommendations وفي ضوء نتائج البحث الحالي توصي الباحثتان بالآتي: -

١ . تعزيز ممارسات المشاركة السياسية الديمقراطية والتسامح وتعزيز الانتماء من قبل طلبة الجامعات من خلال عقد الندوات المؤتمرات والمحاضرات والاجتماعات و المحافل العلمية ، التي من شأنها نشر الثقافة السياسية وتنميتها لدى الجمهور عامة وفئة الشباب خاصة .

٢ . زيادة وعى الطلبة بالقضايا السياسية وبمفهوم المشاركة السياسية .

٣ . العمل على زيادة مؤسسات النسوة وعقد الندوات السياسية لتفعيل دور المرأة وزيادة مشاركتها السياسية في المجتمع حيث إن المرأة نصف المجتمع .

المصادر:

١. صابر عبدربه، (٢٠٠٢م) . الاتجاهات النظرية في تفسير الوعي السياسي. الإسكندرية, مصر: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.

٢. عامر سالم عوض. (٢٠٠٩) . الصراع السياسي، ط ١، عمان، الأردن: دار أسامة للنشر والتوزيع.

٣. بن محمد قتلوني (٢٠١٤) أثر مواقع التواصل الاجتماعي في الوعي السياسي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الإعلام، جامعة القاهرة.

٤. ناجي، عبد النور، (٢٠٠٩) أزمة المشاركة السياسية في الجزائر: دارسة تحليلية للانتخابات التشريعية عنابة. جامعة باجي مختار عنابة. الجزائر.

5. Bull, Hedley, (1997) The anarchical society (a study of order in world politics) . London: The Macmillan press LTD.

6. Kai, Hafez, (2009) . Guest Editor's Introduction Mediated Political Communication in the Middle East, in Political Communication Taylor & Francis Group. 10582 ,4609-, Vol. 19.

7. Haivangh, Dennis, 2001, political culture in great Britain: The decline of the civic culture In Gabril A. Almond, Sidney Verba, (eds) Op. Cit, p 149

٨. عزيز السيد ٢٠٠٦, البناء النفسي للنشطين سياسيا: دراسة ميدانية في مجال السلوك السياسي، رسالة ماجستير غير منشورة في كلية الآداب قسم علم النفس جامعة القاهرة.

٩. صدقة فاضل (٢٠٠٩) علاقة علم السياسة بالإنسانيات والعلوم النفسية, مجلة البحوث والدراسات العربية, معهد البحوث والدراسات العربية, القاهرة

10. Veenhoven, R. 2000 Freedom and Happiness: A Comparative study in forty- four Nations in the early 1990s. Cultureand Subjective well. Being, Cambridge, Massachusetts

11. Bull, Hedley, (1997) The anarchical society (a study of order in world

politics) . London: The Macmillan press LTD

١٢ . هنـاء حسـني (٢٠٠٦) دور الـشباب الجـامعي فـي العمـل التطـوعي والمشـاركة السياسـية، الجامعـة الأردنيـة، الأردن

١٣ . نـور علـي الكناني، ٢٠٢٢ الاتصـال التفاعلـي و علاقتـه بالصـراع السياسـي، رؤيـة فـي محـركات الصـراع (الفـردي ـ جمعي)

١٤ . نور علي الكناني، مصدر سابق .

١٥ . وهيـب مجيـد الكبيسـي (٢٠١٠) الإحصـاء التطبيقـي فـي العلـوم الاجتماعيـة، ط١، مؤسسـة مرتضـى للكتـاب العراقـي، بغـداد .

١٦ . حسـين سـلامة وطـه، حسـين (٢٠٠٧) . اسـتراتيجيات إدارة الصـراع . عمـان، الأردن، دار الفكـر للطباعـة والنشـر .

١٧ . فـرج طـه (١٩٩٩) , أصـول علـم النفـس الحـديث، ط ٣عـين للدراسـات والبحـوث الإنـسانية والاجتماعيـة .

١٨ . خير الله، سيد (١٩٨٧) المدخل إلى علم النفس، القاهرة: عالم الكتب .

(إشكاليّة المواطنة و الجنسية في الفكر السياسي الإسلامي المعاصر)

أ. م د. طارق عبد الحافظ الزبيدي

كلية العلوم السياسية/جامعة بغداد

الكلمات المفتاحية : (المواطنة – الجنسية- الخصوصية الإسلامية – فقه الواقع – الأمة الإسلامية) .

ملخص البحث:

تعد المواطنة و الجنسية من المفاهيم الحديثة نسبيًا ، وأصبحت سمة من سمات الدولة الوطنية التي لا يمكن الاستغناء عنها ، و بالرغم من الاختلاف بين الرؤيتين الغربية و الإسلامية في شروط المواطنة و منح الجنسية ، إلا أن الفكر الإسلامي المعاصر تعامل بإيجابيّة مع المفاهيم أعلاه ، كونها مفاهيم معاصرة و يجب التعامل معها وفق فقه الواقع ، حيث إن منح الصفة يجب أن تكون استنادًا إلى التولد و السكنى دون الاعتماد على الدين كشرط لمنح الصفة ، و مقابل هذا الرأي يوجد هناك من يرفض الأخذ بالمواطنة وفق الرؤية الغربية إلا أن هذا الرأي يمثل الأقليّة ، و قبول الفكر الإسلامي المعاصر بالمواطنة للجميع دون اشتراط الدين يستند إلى صفة الإنسانية التي تضمنتها الشريعة الإسلامية ، وبالتالي عكس الصورة الإسلامية الإيجابيّة للتعامل مع الآخر وإعطاء الحقوق و تحديد الواجبات للجميع دون تمييز قومي أو ديني أو مذهبي .

The Problem of Citizenship and ID National in Contemporary Islamic Political Thought

Abstract:

Citizenship and national ID are relatively modern concepts, and they become an indispensable feature of the national state, and despite the difference between the Western and Islamic visions in terms of citizenship and granting citizenship, contemporary Islamic thought has dealt positively with the above concepts, being Contemporary concepts and must be dealt with according to the jurisprudence of reality, as granting the status must be based on birth and residence without relying on religion as a condition for granting the status, and in return for this opinion there are those who refuse to take citizenship according to the Western vision, but this opinion represents the minority. Contemporary Islamic thought's acceptance of citizenship for all without the requirement of religion is based on humanize that is included in Islamic Sharia. Thus reflects the positive Islamic image of dealing with the other and giving rights and defining duties for all without national, religious, or sectarian discrimination.

Keywords: Citizenship, National ID, Islamic Privacy, Jurisprudence of Reality, Islamic Nation.

المواطنة و الجنسية، مفردتان مهمتان انصبَّ الجدل حولهما في الفكر السياسي الإسلامي المعاصر، حيث إن لبعض نفى وجودهما في الإسلام كونه يؤمن بالعالمية، مقابل ذلك هناك من أكدّ أهميتهما في الفكر الإسلامي المعاصر، ولا يمكن أن يتم الاستغناء عنهما في ظل الأنظمة السياسية الحالية القائمة على أساس صفة المواطنة بدل عمومية الإسلام، و الجنسية بدل عمومية الأمة.

أهمية الدراسة :

ترتبط بأهمية المفاهيم التي تتضمنها ، حيث أصبحت من البديهيات التي لا يمكن لأي مجتمع أن يستغني عنها ، و قد تهدف الدراسة لمعرفة حقيقية موقف الفكر الإسلامي منهما و تهدف لمعرفة وجهات نظر المفكرين المسلمين حولها من حيث القبول و الرفض .

تثير الدراسة إشكاليّة تتعلق بأن المفهومين حديثا الاستعمال ، وهما من متبنيات الفكر السياسي الغربي ، إذن كيف يمكن أن يتقبلهما الفكر الإسلامي دون خصوصية ؟ وما هي وجهات النظر المختلفة حول الأخذ بهما؟ و كيف يمكن التعامل في منح غير المسلم صفة المواطنة و منح الجنسية في ظل البلدان الإسلامية ؟

تنطلق الدراسة من فرضية مفادها (إن الفكر الإسلامي المعاصر قد أقرّ العمل بصفة المواطنة الجنسية وفق الرؤية الغربية مرغًما ، كون العالم اليوم غير العالم في بداية الدعوة الإسلامية ، فضلًا عن أن الإسلام بالمجمل لا يعترض على الأخذ من التجارب الإنسانية الناجحة بشرط عدم التعارض مع حكم من الأحكام القطعية)

ولغرض التحقق من صحة الفرضية سوف يقسم البحث إلى محورين ، يتناول الأول إشكاليّة المواطنة في الفكر الإسلامي المعاصر و يتناول الثاني إشكاليّة الجنسية في الفكر الإسلامي المعاصر .

المحور الأول: إشكاليّة المواطنة في الفكر الإسلامي المعاصر.

لا ريب في أن المواطنة كمفهوم وممارسة هي نتاج من نتاجات التحولات المجتمعية والسياسية المقترن بولادة الدولة الحديثة ، بتعبير آخر هي (أي المواطنة) حصيلة لترسيخ مفهوم الدولة الحديثة وما تقوم عليه من سيادة لحكم القانون والمشاركة السياسية الكاملة في ظل دولة المؤسسات (١) .

والفكر السياسي الإسلامي المعاصر يواجه تحديات عديدة ، لا سيَّما في علاقته بالدولة الحديثة القائمة ، لعلَّ من أبرزها مسألة المواطنة والوطن ، سواء في مدى قدرة هذا الفكر على استيعابها نظريًا في إطار منظومته المعرفية القائمة على أولويّة الرابطة الدينية أو في مدى قدرته على التعامل معهما عمليًا في إطار مؤسسات الدولة القائمة على الرابطة الوطنية ، ومع مكونات المجتمع نفسه وبالتحديد العلاقة مع غير المسلمين من أبناء المجتمع الواحد .

ويُعد مفهوم المواطنة من المفاهيم الغربية الوافدة إلى الثقافة الإسلامية ولكن في الوقت نفسه وجد له صدى في الفكر السياسي الإسلامي المعاصر الذي أخذ يتفاعل مع الواقع السياسي القائم على أساس مفهوم الدولة القومية أو الدولة الوطنية .

وقد نظر الفكر السياسي الغربي إلى مفهوم المواطنة باعتباره مفهومًا وممارسة يكتسبها الفرد سياسيًا وليس دينيًا (٢) ، فالمواطنة علاقة في وطن وعلاقة مع رقعة جغرافية ، والوطن في اللغة العربية يعني ، (مكان إقامة الإنسان ومقره ولد به أم لم يولد) (٣) ، ولذلك لا تمثل المواطنة حالة شعور فحسب ، وإنما تمثل رابطة أو تعاقدًا من أجل التعايش السلمي ، لذلك تعرف بأنها (صفة ينالها الفرد من الناس ليتمتع بالمشاركة الكاملة في دولة لها حدود إقليمية) (٤) ، أو تعرف بأنها (عبارة عن مجموعة من الحقوق والواجبات يتمتع بها ويلتزم بها في الوقت ذاته كل طرف من أطراف هذه العلاقة وأطراف هذه العلاقة هي الفرد والدولة) (٥) والدولة يقع على عاتقها توزيع حقوق المواطنين وتنسيقها (٦) .

ويؤكد (الجابري) ، أنه بفضل الديمقراطية لم يعد الإنسان مجرد فرد في رعية ، بل مواطن يتحدد كيانه بجملة من الحقوق ، ولعلَّ في مقدمتها الحق في اختيار الحاكم وعزله ، فضلاً عن حق الحرية في التعبير والتفكير والاجتماع وإنشاء الأحزاب والجمعيات وغير ذلك (٧) .

وإذا ما كانت المواطنة تكتسب سياسيا وفق المفهوم الغربي ، فإنها تكتسب دينيًا و عقيديًا في الإسلام ، حيث يحدد (المودودي) أساسين للمواطنة (الإيمان ، وسكنى دار الإسلام ، أو الانتقال إليها) ، فهو يذهب أبعد من شرط دار الإسلام إلى شرط الإيمان والاستيطان فيها (٨) ، استنادًا إلى قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ أووا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا﴾ (٩) ، في حين نجدً أن المواطنة وطبقًا للتصور الغربي تكتسب بإحدى الطريقتين (١٠) ، أما عن طريق التولد الذي يتم على أساس مبدأين هما حق الدم وحق الإقليم ، أو عن طريق التجنس ، ولكل دولة في هذا المجال طريقتها الخاصة في منح الجنسية .

مما سبق يتضح أن الفكر الإسلامي المعاصر تعامل بإيجابيّة في القبول بالمواطنة وفق فقه الواقع ، حيث أصبحت تُمنح استنادًا إلى التولد و السكنى ، و لم يتعامل مع فكرة منح المواطنة وفق البعد الديني العقائدي ، حيث أن هناك سببين ، الأول عدم وجود الدولة الإسلامية المنشودة و لا يوجد تطبيق لها على أرض الواقع وفق الصفات و الشروط المحددة في الشريعة الإسلامية ، و السبب الثاني أن الواقع السياسي المعاصر لا يتعامل سوى بصفة المواطنة و الجنسية ، و خلاف

ذلك سوف لم يتم الاعتراف والتعامل مع الدول التي تحاول الأخذ بها من قبل النظام الدولي .

المحور الثاني: إشكاليّة الجنسية في الفكر الإسلامي المعاصر.

وبذلك فقد ارتبطت المواطنة بالجنسية (*) ، بحيث أصبحت السمة التي تميز المواطن عن غيره في كل دول العالم ، والفكر السياسي الإسلامي لا يعرف للتجنس تعريفًا اصطلاحيًا محددًا كونه من المسائل النازلة التي لم يسبق بحثها من قبل الفقهاء المسلمين ، لذلك سوف يعتمد التعريف القانوني والسياسي لها (**) ، الذي يعرف الجنسية باعتبارها (رابطة سياسية وقانونية بين الفرد والدولة) [١١] ، أما موقف الفقه الإسلامي من الجنسية ، فهو يرفضها ، باعتبارها تتفق مع النزعة القومية والإقليمية ، ومخالفة لرسالة الإسلام فهي أممية عالمية تأبى التقوقع داخل حدود إقليمية ضيقة [١٢] ، بمعنى أنه يرفضها بالمفهوم الغربي ، إذ تقوم الجنسية في الإسلام على أساس الدار ، (فأهل دار الإسلام لهم جنسية واحدة هي الجنسية الإسلامية . . . وأساس الجنسية في دار الإسلام هو اعتناق الإسلام أو التزام أحكامه ، فمن اعتنق الإسلام فهو مسلم ، ومن التزم أحكام الإسلام ولم يسلم فهو ذمي ، وكلا المسلم والذمي رعية من رعايا الدولة الإسلامية ، وجنسية كل منهما الجنسية الإسلامية) ، وهذا ما أكده (عبد القادر عوده) [١٣] .

وجوهر إشكاليّة مفهوم المواطنة في الإسلام يكمن في رؤية الإسلام لطبيعة الدولة وحدودها ، حيث إن الدولة في الإسلام بحسب تعبير (عبد الوهاب الأفندي) ، (دولة أيديولوجية بمعنى أن حق المواطنة فيها يقوم حصرًا على العقيدة ولا ينظر إلى جنس أو قومية المواطن فيها أو طبقته) [١٤] .

ويرى (محمود شلتوت) ، بأن الإسلام لم يعتمد في تكوين دولته على الجنسية ولا العنصرية ولا التوطين في بلد معين كما ألفته الأوضاع البشرية للدول ، ويؤكد أن في ذلك تحديدًا و تضييقًا ينافي عالميته وعموميته كدين سماوي أريد به خير البشرية جمعاء [١٥] .

ويذهب الباحث (عبد الله علي حسن) إلى محاولة تلخيص أبرز أخطار الأخذ بمفهوم المواطنة بالمفهوم الغربي بما يأتي [١٦] : -

١ . الأخذ بمفهوم المواطنة الغربي يعني إضاعة المفاهيم والأحكام المتعلقة بالولاء و البراء ، حيث يؤسس الولاء و البراء في المواطنة على أساس الحدود الجغرافية ولا يؤسس على الحقائق الإيمانية .

٢. تشتيت الأمة والتأكيد على انعزال أقطارها والمعاونة على عناية كل فرد بوطنه بغض النظر عن بقية أوطان المسلمين.

٣. إظهار أنَّ مفهوم الوطن والأمة بوصفهما مترابطين أو متلازمين، ومن ثم فإنه يترتب على ذلك إدخال أو إدماج مفهوم المواطنة في مفهوم الأمة وينزع عن مفهوم المواطنة الصفات والأحكام التي هي لمفهوم الأمة.

وهناك من يبرر الآراء السابقة، استناد إلى عدم وجود أساس فكري يلزم الإسلاميين بالتمسك بالحدود الوطنية (القائمة حاليًا)، طالما أنَّ الإسلام يجعل كل الأرض متسعًا للإنسان في الإقامة والتحرك في أي مكان من دون أن يختص بحدود معينة [١٧]، استنادًا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمْ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ [١٨].

فضلًا عن أنَّ الفقهاء المسلمين في السابق لم يبحثوا مسألة الأرض باعتبارها إحدى ركائز الدولة، وهو المعنى المتداول في الدراسات السياسية المعاصرة، وإنما بحثوا مسألة الأرض من منظورين سياسي وآخر اقتصادي، ففي المنظور السياسي جرى التركيز على علاقة الأرض بالدعوة والإسلام بوصفه دينًا وليس دولةً، وجرى تقسيم الأرض إلى دار الحرب ودار الإسلام، أما من ناحية المنظور الاقتصادي فقد بحثت في مجالات متعددة منها الزراعة والفيء والغنيمة والأنفال [١٩]، فضلًا عن أن فكرة قيام الدولة على أساس الأرض والوطن القومي، فكرة أجنبية غربية بالنسبة للعرب والمسلمين، وهي من أصل أوربي، (أما العرب فلم يخترعوا تعبيرًا جديدًا، بل اكتفوا بالتعبير الذي يدل على جزيرة أو شبه جزيرة العرب) [٢٠].

ومن هنا، فإن الأمة الإسلامية ليس لها وطن جغرافي خاص ومحدود بحدود ثابتة؛ لأنها لم تتكون على أساس عرقي، أو لغوي، أو أي أساس آخر للاجتماع البشري، لذلك يقال إنَّ الإسلام لم يكن اهتمامه تكوين دولة، بقدر ما كان جلّ اهتمامه تكوين أمة مسلمة.

وهنا يرى (كامل شياع) بأن مفهوم الأمة في الإسلام يجب تخليصه من الاستخدام التعبوي والسياسي، ويرى بأن هذه المسألة إشكاليّة أساسية من إشكاليات السلطة في الفكر الإسلامي [٢١].

وقد حاول بعض المفكرين الإسلاميين المعاصرين ومنهم (محمد مهدي شمس الدين) إلى التمييز بين علاقة الأرض بكل من الأمة والدولة، فالعلاقة التي تتحدث عن دار الإسلام تخول المسلمين الحق في أن يسكنوا أو يتنقلوا في دار الإسلام من دون عوائق أو قيود، وكذا الحال مع حق العمل والكسب على هذه الأرض، أما الأرض بالنسبة للدولة الإسلامية فتقوم على فكرة أنها وطن جغرافي خاص بهذه الدولة الإسلامية أو تلك، ولا يمكن تصور دولة وسلطة حاكمة على شعبها من دون أرض محدودة لسلطة الحكومة الإسلامية في هذه الدولة، ولا يمكن للحكومة أن تمارس السلطة من دون أرض [٢٢].

من هنا، يمكن القول بأن ثمة رؤى مختلفة ومتباينة للمواطنة في إطار معالجتها في الفكر السياسي الإسلامي المعاصر، بين من يَعُدّها مستلزمًا أساسيًا لانعقاد السلطة، إذ إن الرابطة الدينية العقيدية في هذا الصدد مهمة لإضفاء صفة المواطنة المؤهلة لانعقاد السلطة، و تعد رؤى أخرى رابطة الوجود في الدولة هي معيارًا لصفة للمواطنة، وأن المسلم هنا بين انتماءين انتماء للأمة وانتماء للدولة.

لذلك فإننا أكثر ميلًا تجاه الرؤية الثانية، كونها أكثر عصرية و واقعية ومراعاةً للتطورات المختلفة التي حدثت سواء على مستوى العالم أم على مستوى البلدان الإسلامية، كون أن إضفاء الشرعية لانعقاد أية سلطة اليوم يحتاج إلى تضافر وتكاتف كل الجهود والتي تتجاوز الرابطة العقيدية الدينية ولكنها لا تنفيها من أجل التعايش وقبول الاختلاف بين المنتمين إلى الأرض التي تشكل إقليم الدولة.

وبالرغم من محاولة الفكر السياسي الإسلامي المعاصر من أن يتعاطى مع موضوعة الحقوق والواجبات التي تفترضها المواطنة في الوقت المعاصر، انطلاقًا من الفهم المتجدد للنصوص القرآنية والأحاديث النبوية والوقائع التأريخية، إلا أنه في بعض المواقف لم يستطع تجاوز الفهم الاجتهادي للعلماء السابقين، لا سيَّما فيما يتعلق بموضوع الذمة، وما يتفرع عنه من التزامات وحقوق للمواطن غير المسلم [٢٣].

وعلى الرغم من كل الإشكاليّات الناجمة عن مفهوم المواطنة في الإسلام، إلا أن ذلك لم يمنع الفكر السياسي الإسلامي المعاصر من محاولة توظيف المواطنة كمفهوم وممارسة إسلاميًا [٢٤]، وتجاوز بعض الإشكاليّات (***) ولا سيَّما أن الدين الإسلامي لم يقف حجر عثرة أمام ممارسة المواطن لمواطنته وكسب حقوقه، بفعل ما يحمله الإسلام من المبادئ الجوهرية (الوحدة الإنسانية- المساواة في الحقوق والواجبات - العدل والإنصاف وغيرها) التي اقترب

الإسلام بفضلها إلى حدٍ كبير من مفهوم المواطنة، وإن كان بمعطيات ومفاهيم مختلفة [٢٥]، أما حول مفهوم الجنسية، فيرى الدكتور (عبد الكريم زيدان)، بأن (رابطة الجنسية بمفهومها الحديث عرفت في الشريعة الإسلامية كنتيجة حتمية لوجود الدولة الإسلامية التي تحرص الشريعة على إقامتها وبقائها، وكل ما في الأمر أن فقهاء المسلمين لم يسموا هذه الرابطة باسم الجنسية، وعدم التسمية لا يعني عدم وجود هذه الرابطة بين الفرد والدولة الإسلامية) [٢٦].

ويرى الدكتور (خليل الربيعي) بأن احتكار تأويل المقدس، هو السبب الرئيس الذي يقف عائقًا أمام سعي المجتمعات الإسلامية الحديثة لبناء المجتمع على أسس المواطنة التي تسمو على الطائفية أو الفئوية والتي تحترم حرية الفكر والعقيدة، وذلك لأن الاحتكار يعزز من الطائفية، انطلاقًا من التصور بأن المنهج السليم والقراءة الصائبة تنحصر في هذه الطائفة أو تلك دون غيرها [٢٧].

الخاتمة و الاستنتاجات.

ومما سبق يتبين بوضوح إمكانية اعتماد معيار للمواطنة والجنسية في الفكر السياسي الإسلامي المعاصر، باعتبارها رابطة مدنية لتنظيم الحقوق والواجبات بين الفرد والدولة، باعتبار أن الإسلام يؤمن بالتغيير والتطور ومواكبة مستجدات العصر، وما كان سائدًا في الماضي لمفهوم المواطنة في الإسلام يجب أن يخضع لفقه الواقع المعاصر.

وفي حقيقة الأمر، إن إمكانية تجاوز إشكاليّة المواطنة والجنسية، وإيجاد صياغة موحدة وإجابات محسومة و متفق عليها من قبل المفكرين الإسلاميين المعاصرين، سوف يؤدي بالتأكيد إلى تجاوز إشكاليّات أخرى تتعلق بانعقاد السلطة في الفكر السياسي الإسلامي المعاصر لا سيَّما إشكاليّة تولي المرأة أو غير المسلم للولاية العامة، بمعنى آخر، سيكون مفهوم المواطنة وفقًا للرؤية الإسلامية المعاصرة بديلًا عن شرط الذكورية وشرط الإسلام لانعقاد السلطة في الفكر السياسي الإسلامي المعاصر.

و قد توصل الباحث إلى عدد من الاستنتاجات لعلَّ من أبرزها:

١. فكرة المواطنة من حيث الأساس هي آلية تنظيم الحقوق و الواجبات بين المواطن و الدولة، حيث لا يمكن أن تمنح حقوق و لا يمكن أن تفرض واجبات دون تحديد صفة المواطنة لشخص الفرد، و بالتالي بغض النظر عن بيئة الفكرة هي فكرة مهمة و ضرورة لا غنى عنها.

٢. بالرغم من استعمال لفظة الدولة الإسلامية في الفكر الإسلامي المعاصر، إلا أن مفهوم الدولة الإسلامية غير مطبق في أي دولة حالية، و بالتالي جميع الدول هي دول وضعية مما يجعلها لزامًا أن تأخذ بالمواطنة وفق الرؤية الغربية و تمنح الجنسية وفق شروطها.

٣. الفكر الإسلامي المعاصر تعامل بواقعية و بمرونة عالية مع مفاهيم غربية مهمة، مما سهل عملية الأخذ بها دون تردد، على عكس الفكر الإسلامي التقليدي الذي رفض هذه المفاهيم واعتبرها غربية وافدة لا تتناسب مع الشريعة الإسلامية.

٤. تغير الواقع التأريخي والتطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ساهمت في إيجابيّة التعاطي مع مفهوم المواطنة وفق الرؤية المعاصرة، حيث إن التغيير التكنولوجي و التطورات المستمرة في عالم اليوم قد يظهر لنا أنواعًا جديدة من المواطنة (المواطنة الافتراضية الرقمية) وغيرها من الأنواع، و منح شروط الجنسية قد يتغير و يمنح بطرق مختلفة عمّا هو عليه الحال.

الهوامش.

١. محمود نصيف الموسوي، المواطنة في التشريعات والقوانين المختلفة، مجلة الإسلام والديمقراطية، السنة/٢، العدد/١١، تصدر عن منظمة الإسلام والديمقراطية، بغداد، ٢٠٠٥، ص٢٦.

٢. د. أمل هندي الخزعلي، إشكاليّة المواطنة في الخطاب الإسلامي المعاصر، مجلة كلية العلوم السياسة، السنة / ١٦، العدد / ٣١، جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، ٢٠٠٥، ص١٠٢- ص١٠٣.

٣. د. إبراهيم مدكور، المعجم الوجيز، دار التحرير للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨٩، ص٦٧٤.

٤. عماد الدين محمد الرشيد، المواطنة في المفهوم الإسلامي، الطبعة الأولى، نحو القمة للطباعة والنشر، سوريا، حمص، ٢٠٠٥، ص١٧.

٥. المصدر السابق نفسه، ص١٨.

٦. ريتشارد مينش، الأمة والمواطنة في عصر العولمة، ترجمة عباس عباس، مراجعة علي خليل: منشورات وزارة الثقافة السورية، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠٠٩، ص٨.

٧. د. محمد عابد الجابري، الديمقراطية وحقوق الإنسان، الطبعة الثالثة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٤، ص١٣٣- ص١٣٦.

٨. أبو الأعلى المودودي، تدوين الدستور الإسلامي، مصدر سبق ذكره، ص٥٦- ص٥٧، وكذلك ينظر: د. ماجد راغب الحلو، الاستفتاء الشعبي بين الأنظمة الوضعية والشريعة الإسلامية، مصدر سبق ذكره، ص٣١٢- ص ٣١٣.

٩. سورة الأنفال، الآية (٧٢).

١٠. ريتشارد مينش، الأمة والمواطنة في عصر العولمة، مصدر سبق ذكره، ص٨٨- ص١٠٠.

١١. (*) وعلى الرغم من أن الجنسية غالبًا ما

تكـون مرادفـة للمواطنـة، حيـث تتضمـن علاقـة بـين فـرد ودولـة، إلا أنهـا قـد تعنـي امتيـازات أخـرى منهـا الحمايـة في الخـارج مثـلاً، للمزيـد ينظـر: علـى خليفـة الكـواري، مفهـوم المواطنـة في الدولـة الديمقراطيـة، في مجموعـة باحثين، المواطنـة والديمقراطيـة في البلـدان العربيـة، الطبعـة الأولـى، مركـز دراسـات الوحـدة العربيـة، بيـروت، ٢٠٠١، ص ٣٠.

١٢. (**) للجنسـية معـان عـدة، معنـى اجتماعـي يقصـد بـه انتمـاء الشـخص إلـى أمـة معينـة، ومعنـى سياسـي وقانونـي هـو انتمـاؤه إلـى دولـة مـن الـدول، وهـذا المعنـى الأخيـر هـو المقصـود في الدراسـة، وهنـاك تعاريـف متعـددة للجنسـية، إلا أنهـا في الغالـب تتضمـن لـزوم توافـر ثلاثـة عناصـر في الجنسـية، وهـي الدولـة والفـرد، وعلاقـة قانونيـة وسياسـية بينهمـا، للمزيـد ينظـر: د. عبـد الكـريم زيـدان، أحـكام الذميـين والمسـتأمنين في دار الإسـلام، (د. ط)، مؤسسـة الرسـالة، مكتبـة القـدس، بيـروت، ١٩٨٢، ص٥٧.

١٣. عطيـة عـدلان، الأحـكام الشـرعية للنـوازل السياسـية الأحـكام الشـرعية للنـوازل السياسـية، الطبعـة الأولـى، دار اليسـر، القاهـرة، ٢٠١٠، ص ٧١١.

١٤. كايـد يوسـف محمـود، طـرق انتهـاء ولايـة الحـكام في الشـريعة الإسـلامية والنظـم الدسـتورية، الطبعـة الأولـى، مؤسسـة الرسـالة، بيـروت ١٩٨٧، ص١٥١.

١٥. عبـد القـادر عـودة، الإسـلام وأوضاعنـا السياسـية، ، الطبعـة الثانيـة، (د. ن)، (د. م)، ١٩٦٧، ص٢٢٣.

١٦. عبـد الوهـاب أحمـد الأفنـدي، الإسـلام والدولـة الحديثـة، نحـو رؤيـة جديـدة، (د. ط) دار الحكمـة، لنـدن، (د. ت)، ص٩٨.

١٧. محمـود شـلتوت، الإسـلام عقيـدة وشـريعة، الطبعـة الثامنـة عشـرة، دار الشـروق، القاهـرة، ٢٠٠١، ص٤٥١.

١٨. عبـد الله علـي حسـن، المواطنـة حصـن الأمـة، (د. ط)، جامعـة المنيـا، مصـر، ٢٠١١، ص١٧.

١٩. السـيد محمـد حسـين فضـل الله، الحركـة الإسـلامية، همـوم وقضايـا، الطبعـة الرابعـة، دار المـلاك للطباعـة والنشـر، بيـروت، ٢٠٠١، ص٢٨٧- ص٢٨٨.

٢٠. سورة النساء، الآية (٩٧).

٢١. الشـيخ محمـد مهـدي شـمس الديـن، في الاجتمـاع السياسـي الإسـلامي، الطبعـة الأولـى، المؤسسـة الجامعيـة للدراسـات والنشـر، بيـروت، ١٩٩٢، ص١٠٧، ص٩٢.

٢٢. د. يوسـف القرضـاوي، مـن أجـل صحـوة راشـدة، الطبعـة الأولـى، دار الشـروق، القاهـرة، ٢٠٠١، ص١٠٢.

٢٣. كامـل شـياع، إشـكاليّة السـلطة بـين واحديـة النـص وتعدديـة الواقـع، في مجموعـة باحثـين، إشـكاليّة السـلطة في الفكـر العربـي الإسـلامي، الطبعـة الأولـى، دار الكنـوز الأدبيـة، بيـروت، ٢٠٠٢، ص٢٨.

٢٤. الشـيخ محمـد مهـدي شـمس الديـن، في الاجتمـاع السياسـي الإسـلامي، مصـدر سـبق ذكـره، ص٩٣- ص ٩٤.

٢٥. د. بتـول حسـين علـوان، المواطنـة في الفكـر الإسـلامي المعاصـر، (أطروحـة دكتـوراه غيـر منشـورة)، جامعـة بغـداد، كليـة العلـوم السياسـية، ٢٠٠٦، ص١٥٤.

٢٦. مـن تلـك المحـاولات ينظـر مثـلاً، الشـيخ راشـد الغنوشـي، الحريـات العامـة في الدولـة الإسـلامية، الطبعـة الأولـى، مركـز دراسـات الوحـدة العربيـة، بيـروت، ١٩٩٣، ص٢٩١-٢٩٣، وكذلـك الشـيخ مهـدي شـمس الديـن، نظـام الحكـم والإدارة في الإسـلام، الطبعـة الثالثـة، دار الثقافـة للطباعـة والنشـر، إيـران قـم، ١٩٩٢، ص٥٣٨-٥٣٩.

٢٧. (***) وعلى الرغم من اعتبار (الجنسية) مفهومًا غربيًا غير إسلامي، إلا أنه نشأ من ضرورة تنظيمية وليس من اعتبار ديني عقيدي، فالدولة الحديثة تتحمل مسؤوليات تجاه مواطنيها، وهم بالمقابل يتحملون مسؤولياتهم تجاه الدولة ولأجل تحديد موضوع هذه المسؤوليات والحقوق، فإن الضرورة التنظيمية تقتضي في هذه الحالة إلى (تدبير) يحدد جهة الانتماء للمكلف، ليتمكن من القيام بمسؤولياته تجاه الدولة والمجتمع، وليأخذ حقوقه بالمقابل، وهذا (التدبير) هو (الجنسية).

٢٨. أما حول موضوع الانتماء، فالمسلم بشكل عام يحمل انتماءين، أحدهما الانتماء للأمة والآخر الانتماء إلى الدولة، ولكل واحد من الانتماءين حقوق ومسؤوليات للمسلم للمزيد ينظر: الشيخ محمد مهدي شمس الدين، في الاجتماع السياسي الإسلامي، مصدر سبق ذكره، ص١٣٨- ص١٣٩.

٢٩. د. أمل هندي الخزعلي، إشكاليّة المواطنة في الخطاب الإسلامي المعاصر، مجلة كلية العلوم السياسة، السنة / ١٦، العدد / ٣١، جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، ٢٠٠٥. ، ص ١٠٩.

٣٠. د. عبد الكريم زيدان، أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام، ، (د. ط) ، مؤسسة الرسالة، مكتبة القدس، بيروت، ١٩٨٢، ص٦٢.

٣١. د. خليل الربيعي، احتكار تأويل المقدس، مجلة الإسلام والديمقراطية، السنة/ ٣، العدد/ ١٥، تصدر عن منظمة الإسلام والديمقراطية، بغداد، ٢٠٠٦، ص٥٤.

دور الإرشاد النفسي في الحد من السلوكيات غير المقبولة اجتماعيا لدى الأطفال العاملين وغير العاملين في الشارع

دراسة ميدانية

أ. م. د. حسين زيدان م. د. يسرى حامد ناصر الياسري

وزارة التربية الجامعة العراقية / كلية التربية للبنات

ملخص

يهدف البحث إلى معرفة دور الإرشاد النفسي في معالجة الظواهر السلوكية غير المرغوبة لدى أطفال الشوارع، وإيجاد الفروق ذات الدلالة الإحصائية في دور الإرشاد النفسي نحو معالجة الظواهر السلوكية غير المقبولة لدى أفراد العينة وفق متغير النوع (ذكور، إناث)، وقام الباحثان ببناء أداة للبحث الحالي مكونة من (٢٤) فقرة موزعة على أربع مجالات هي الأسري، والنفسي، والاجتماعي، الاقتصادي، وله ثلاثة بدائل (دائمًا – أحيانًا – أبدًا) ولكل بديل وزن معين هي (٣، ٢، ١) للفقرات الإيجابيّة والعكس للفقرات السلبية، وكانت أعلى درجة للمقياس، (٧٢) وأقل درجة (٢٤)، وأما الوسط الفرضي فيبلغ (٤٨).

وعرضت الأداة على المحكمين، وحدد الباحثان أطفال الشوارع في محافظة ديالى كمجتمع للبحث، وبلغ عدد أفراد العينة (٥٠) طفلاً وطفلة من مدينة بغداد (الكرخ – الرصافة)، وتم استخراج الصدق بطريقتي القوة التمييزية وعلاقة الفقرة بالمجال، واستخراج الثبات بطريقة (ألفا كرونباخ)، وتم تحليل إجابات عينة البحث عن الأداة إحصائيا من خلال الحقيبة الإحصائية (spss) للعلوم الاجتماعية، وأظهرت النتائج أن مستوى الظواهر السلوكية غير المرغوبة لدى الأطفال مرتفع ولديهم جنوح نحو اكتساب سلوكيات منحرفة بشكل مستمر، وهذا ما يظهر على سلوكياتهم اللفظية وغير اللفظية في حياتهم

اليومية ، أظهرت النتائج أن دور الإرشاد النفسي فعّال ومؤثر في معالجة الظواهر السلوكية غير المرغوبة لدى أطفال الشوارع ، ويمكن أن يحدث الإرشاد النفسي وبمختلف أساليبه وفنياته تغييرًا في سلوكياتهم المنحرفة إذا توفرت البيئة الأسرية والاجتماعية المناسبة ، كما أظهرت النتائج أن الذكور أكثر تأثير بالإرشاد في معالجة الظواهر السلوكية غير المرغوبة من الإناث ، ووضع الباحثان عددًا من التوصيات والمقترحات .

الكلمات المفتاحية (الإرشاد النفسي ، الانحراف السلوكي ، أطفال الشوارع ، المشاكل المجتمعية)

The role of psychological Mentorship in Reducing Socially Unacceptable Behaviors among Working and Non-Working Children in Street

Abstract

The current research aims to know the role of psychological counseling in treating the behavioral deviations of street children, and finds differences of statistical significance in the role of psychological counseling towards treating the behavioral deviations of the individuals of the sample according to the gender variable (males, females) , And the researcher built a tool consisting of (24) paragraphs divided into four domains (family, psychological, societal, media and security) and each paragraph had three alternatives (always, sometimes, often) , and the highest score for the scale was (72) and the lowest score (24) The hypothetical medium (48) was presented the tool to the arbitrators, and the researcher identified street children in Diyala province as a research community, and the number of sample individuals reached (50) children and girls from the Baquba district of the center. The answers of the research sample on the statistical tool were analyzed through the statistical app. (spss) for social sciences, and the results showed that the level of behavioral deviations in children is high and they have a tendency to continuously acquire deviant behaviors and

this is what appears on their verbal behaviors. The results showed that the role of psychological counseling is effective and influential in treating the behavioral deviations of street children. Psychological counseling, with its various methods and techniques, can change their deviant behaviors if the appropriate family and social environment is provided. The results also showed that males are more influential in counseling in Addressing female behavioral deviations, and the researchers developed a number of recommendations and proposals.

Keywords: Psychological Counseling, Behavioral Deviation, Street Children, Societal Problems)

مشكلة البحث

تُعـدّ مشـكلة أطفـال الشـوارع مـن المشـكلات الاجتماعيـة والنفسـية والاقتصاديـة التـي تحـدث فـي إطـار اجتماعـي معيـن وتؤثـر علـى المجتمـع ، وترجـع خطـورة هـذه المشـكلة فـي السـلوكيات التـي يمارسـها أطفـال الشـوارع ، ومـا يترتـب عليهـا مـن تداعيـات فـي المجتمـع الـذى يعيشـون فيـه ، وتؤكـد العديـد مـن الدراسـات والبحـوث بـأن أطفـال الشـوارع يتعرضـون للعديـد مـن مختلـف صـور الإسـاءة ، وكذلـك تجاهـل المجتمـع بكافـة أجهزتـه ومؤسسـاته الحكوميـة والأهليّـة لاحتياجـات تلـك الفئـة .

يعـد نبـذ السـلوكيات المنحرفـة العنيفـة لـدى مختلـف الأفـراد ركيـزة أساسـية لضمـان أمـن المجتمـع واسـتقراره ، فتحقيـق وتعزيـز ثقافـة وسـطية معتدلـة تنبـذ لـدى أفـراده يحقـق الاسـتقرار المجتمعـي والتعايـش السـلمي فـي جميـع جوانبـه ، وأطفـال الشـوارع هـم مـن أشـد الفئـات التـي بحاجـة لتعزيـز مفهـوم الاعتـدال ونبـذ التطـرف بأشـكاله ومفاهيمـه سـواء كسـلوك أو كدراسـة لا سيَّما وأنهـم يمـرون بمرحلـة الطفولـة التـي تعـد مرحلـة إنمائيـة حرجـة ذات مظاهـر نمـو متعـددة ومختلـف لعـلَّ مـن أهمهـا تطـور النمـو المعرفـي والعقلـي ومـا يصحبـه مـن تغيـرات جسـمية و نفسـية وانفعاليـة واجتماعيـة وفكريـة تتأثـر بمـا يرونـه فـي الشـارع مـن تلـوث فكـري وسـلوكي وأخلاقـي ، ممـا يقتضـي التعامـل مـع السـلوكيات المنحرفـة العنيفـة بحـذر شـديد سـواء علـى الجانـب الفكـري أو السـلوكي ، و مراعـاة خصائـص ومتطلبـات نمـو الأطفـال فـي هـذه المرحلـة

العمرية، إذ تعد هذه المرحلة من أهم مراحل حياة الفرد، فهي المرحلة التي يبدأ فيها الطفل بتكوين قيم سلوكية تتفق والأفكار التي يكتسبها) . قادرة، ٢٠١٧))

إن مواجهة موجات السلوكيات المنحرفة العنيفة لا يمكن أن يتم بالطرق التقليدية، أو اللجوء للأساليب الدفاعية البحتة، بل يتطلب تطبيق استراتيجيات طويلة المدى تكون جزءًا أساسيًا من خطط التربوية واستكمال المتطلبات الرئيسية من خطط وعناصر العملية الاجتماعية الخاصة لهذه الفئة من الأطفال، ونلاحظ وجود مظاهر السلوكيات المنحرفة التي ينشأ بها أطفال الشوارع في مواجهة فكرة السلوكيات المنحرفة العنيفة التي ابتعدت عن العيش حياتهم كالأطفال ومع أسرة وفي المنزل ومتابعة مسيرتهم الدراسية، إن أطفال الشوارع في هذه المرحلة العمرية شديدو التأثر في ما يرونه ويقلدونه ويتخدونه نماذج اجتماعية خاصة أنهم ينشؤون في بيئات مضطربة ملوثة ذات تصدعات كبيرة مما تؤثر على سلوكياتهم وبناء شخصياتهم، وأن ضعف الاهتمام بالإرشاد النفسي الاجتماعي وضعف إمكانياته جعلته غير قادر على مواجهة هذه الظاهرة المتفشية في المجتمع مما يستدعي بيان أهمية العملية الإرشادية بشكل عام والنفسية بشكل خاص في مواجهة السلوكيات المنحرفة العنيفة وما يفرزه من أفكار وإعادة تنظيم تلك الأفكار وتصحيح السلوك من خلال الإرشاد النفسي. (الخواجا، ٢٠٠٩)

على الرغم من الدور الإيجابيّ الذي يؤديه العمل الإرشادي في تفعيل آليات الضبط في المجتمع إلا أن التغيرات الاجتماعية والثقافية التي يمر بها العالم والمجتمع في الوقت الحاضر أصبحت تفرض على القائمين على العملية الاجتماعية مسؤوليات مضاعفة المعالجات التقليدية، وتفرض عليهم أيضًا الاطلاع بدور أكثر أهمية في تعليم أطفال الشوارع المعايير والقيم التي تحافظ على أمن واستقرار المجتمع، إن عملية الإصلاح الاجتماعي والسلوكي في الوقت الحاضر أصبحت تعاني من الكثير من الضغوط بسبب قصورها عن أداء بعض الأدوار المناط بها مما يتطلب إعادة النظر فيه بعقلية انفتاحية لا ترفض القديم كله ولا تقبل الجديد كله دون دراسة وتمحيص. (النوفلي، ٢٠١٢)

وبما أن الإرشاد النفسي يعد من أهم الوسائل الوقائية التي تعمل على مواجهة المشكلات النفسية والاجتماعية والفكرية، والظواهر السلوكية غير المرغوبة بصورة عامة، ومواجهة مظاهر السلوكيات المنحرفة العنيفة الذي يتسبب في بناء شخصية اجتماعية غير منضبطة، ويعد الإرشاد النفسي هو المجال الفعال لامتلاكه الوسائل اللازمة لمواجهة التطرف

لعنيف، ويستطيع ويمتلك الإرشاد الأسلوب العلمي والقدرة النفسية والذهنية على إشباع بعض حاجات الاستماع والإصغاء واستقبال المعلومات من خلال الكتب والخطب والحوارات ووسائل إعلام ومواقع التواصل التي تؤثر بشكل وبآخر في نفوس الأفراد، إضافة إلى أنه يلعب دورًا مهمًا وحيويًا في المحافظة على بناء واستقرار شخصية الطفل وفكره، ولعمل الباحثين وعلى مدى فترة زمنية في مجال الإرشاد النفسي ومعرفتهما بأهمية البرامج والخدمات الإرشادية التي تقدم، وإدراكهما كغيرهما من المهتمين بمرحلة الطفولة وخاصة أطفال الشوارع ومدى انتشار واستفحال هذه الفئة في الشوارع العامة وإشارات المرور والتجوال في المناطق السكنية والتجارية والصناعية. (أبو أسعد، ٢٠١١)

أهمية البحث

إن دراسة موضوع السلوكيات المنحرفة العنيفة يمكّن الباحثين من تحقيق الأهداف التي يسعيان إليها للحد من مخاطره النفسية والاجتماعية والثقافية لدى أطفال الشوارع التي تتضمن هذا الجانب، إذ إن السلوكيات المنحرفة العنيفة قائمة على الكراهية والتهميش الاجتماعي ونبذ الآخر، وأخذ ما يمتلك الآخرون بأي وسيلة أخلاقية أو غير أخلاقية، ويعّد هذا تطرفا نفسيا وفكريا وفي أي مجال من مجالات الحياة الاجتماعية والمهنية والثقافية وغيرها التي يتفاعل معها هؤلاء الأطفال، وإن احترام الآخرين ومراعاة الحقوق والتي تعمل على تحقيق الحقوق والنصح والإرشاد والتوجيه والاستدلال الصحيح هو أفضل طريقة يمكن للأفراد والدول استعمالها لعلاج جميع الانحرافات التي تعاني منها المجتمعات اليوم سواء كانت هذه الانحرافات عقدية أم فكرية. تعمل الأمم والشعوب لتغيير واقعها المعاش من حيث توفر الفرصة المناسبة لتحقيق ذلك الإنجاز والتغيير الذي يقودها إلى الأفضل مما كانت عليه سابقًا ومن خلال تحقيق ذلك التغيير لا بُدَّ من توفر ووجود الحوافز والأسباب التي تدعو له وتعمل جاهدة على تحقيقه. (هواري، ٢٠١٦)

إن معالجة السلوكيات المنحرفة العنيفة من خلال الأساليب النفسية والتربوية لهو دور مهم وفعال وهو ذو علاقة وطيدة وإيجابيّة مع الإرشاد النفسي بل هو التطبيق العملي للإرشاد، وله أثر كبير في توجيه الإنسان وتهيئة طاقاته لمواجهة مختلف تغيرات الحياة النفسية والاجتماعية، فلقد جاءت السلوكيات المنحرفة العنيفة في ظل فترة من الفوضوية الفكرية والإعلامية والثقافية والاستبداد المجتمعي وضعف الالتزام بالقيم الحميدة والابتعاد

عن القيم الاجتماعية وانتشار الخبائث التي تضر وتخرب البلاد وتفسد العقول والضمائر، إن أطفال الشوارع في مرحلة عمرية تقابل مرحلة النمو التي هي مرحلة نمو مهمة مما تساهم في تهذيب الإنسان وتقويم سلوكه والحد من حاجاته المفرطة التي تسبب له القلق والتوتر وصعوبة الإشباع مما يجعله يسلك سلوكًا غير مرغوب به لذا تلعب السلوكيات المنحرفة العنيفة في بناء الفكر الإنساني المنحرف و الغلو والتطرف والإفراط في الإشباع غير المنتظم واكتساب أساليب احتيالية خطيرة مما نحتاج إلى مفاهيم اجتماعية هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لملاحقة النواقص والانحرافات في كل مجالات الحياة، ومواجهتها بالتغيير والإصلاح بشكل مستمر لا يتيح لها فرصة النمو والاستفحال لهذه المظاهر الخطيرة، وهذا من أهم أهداف الإرشاد النفسي. (قدري، ٢٠١٥)

إن تعرض أطفال الشوارع لضغوطات نفسية وتعرض المجتمع لموجات ومتغيرات سلبية دخيلة أثرت على المنظومة القيمية سواء الأخلاقية أو التربوية، والتأثير الإعلامي السلبي والإلكتروني والأوضاع الأمنية، وغيرها الكثير من المشكلات التي دعت الحاجة الماسة للإرشاد النفسي في مختلف المجالات لكي تساهم في إيجاد الحلول وتقويم السلوك وبناء الشخصية الإيجابيّة الفعالة المعتدلة والمؤثر في سلوك أطفال الشوارع. (المشابقة، ٢٠٠٨)

وتبرز أهمية البحث الحالي من خلال العينة التي تناولها للدراسة وهي أطفال الشوارع، وأن موضوع الدراسة من الموضوعات الحيوية والمهمة (السلوكيات المنحرفة العنيفة)) وهو متغير اجتماعي ونفسي وتربوي وديني ذات تأثير كبير وحساس في حياة الإنسان وخاص للمرحلة العمرية لعينة البحث الحالي (الدراسة الثانوية) والتي تظهر فيها كل الرغبات والميول والاتجاهات والاعتقادات وتنمو الأفكار والمهارات ويبحث الفرد عن هويته الذاتية والاجتماعية في ظل انتماءاته الدينية والاعتقادات الشرعية، وقد تثبت لديه على طول حياته الهوية والاعتقاد والالتزام.

وانطلاقًا مما تقدم تبرز أهمية البحث من خلال : -

الأهمية النظرية: -

- إن الدراسة حددت مشكلة اجتماعية خطيرة وهي أطفال الشوارع وسلوكياتهم وانتشارهم في المجتمع .
- تشير إلى مدى انتشار ظاهرة السلوكيات المنحرفة العنيفة في سلوكيات أطفال الشوارع .
- قلة الدراسات التي توضح أهمية مجتمع الدراسة الحالية من خلال متغير الدراسة الحالية .
- تقدم الدراسة الحالية تشخيصًا مهمًا لدور الإرشاد النفسي في توضيح مستويات ومخاطر مفهوم السلوكيات المنحرفة العنيفة .
- سوف تضع الدراسة الحالية استنتاجات توصيات ومقترحات في ضوء نتائج البحث ، تساهم في معالجة المشكلات وإيجاد الحلول المناسبة وإقامة مشاريع بحث جديدة .

الأهمية التطبيقية:

- يسهم البحث في تقديم وصف وتشخيص لمستوى السلوكيات المنحرفة العنيفة وانتشارها بين أطفال الشوارع ، ويمكن الإفادة منه من قبل العاملين في المجال الاجتماعي والتربوي .
- تحفيز الباحثين على إجراء دراسة مماثلة على فئة أطفال الشوارع من جانب اجتماعي وسلوكي آخر ، وربط متغير البحث الحالي بمتغيرات أخرى .
- محاولة إبراز أهمية السلوكيات المنحرفة العنيفة في اكتساب السلوكيات غير المرغوب بها وانتشارها في المجتمع .
- يقدم البحث الحالي أداة لقياس وتشخيص دور الإرشاد النفسي في معالجة السلوكيات المنحرفة العنيفة للباحثين والمختصين والتربويين للفائدة منها في دراسات لاحقة .

أهداف البحث

يهدف البحث الحالي إلى : -

- معرفة دور الإرشاد النفسي في معالجة الظواهر السلوكية غير المقبولة لدى أطفال الشوارع .
- معرفة الفروق ذات الدلالة الإحصائية وفق متغيري النوع (ذكور- إناث)) التخصص الدراس)

حدود البحث

الحد الموضوعي : اقتصر البحث الحالي على دور الإرشاد النفسي المدرسي في معالجة ظاهرة السلوكيات غير المقبولة اجتماعيًا .

الحدود المكانية : اقتصر البحث الحالي على حدود مدينة بغداد (الكرخ - الرصافة) .

الحدود البشرية : اقتصر البحث الحالي على أطفال الشوارع .

الحدود الزمانية : أنجزت هذه الدراسة في العام ٢٠٢١ .

تحديد المصطلحات

أولا- الإرشاد النفسي : عملية مبنية على علاقة مهنية خاصة بين المرشد المتخصص ، والمسترشد الذي يحتاج للمساعدة ، ويعمل المرشد عن طريق العلاقة الإرشادية على فهم المسترشد ومساعدته على فهم نفسه واختيار أفضل البدائل المتاحة له بناءً على وعيه بمتطلبات البيئة الاجتماعية وتقييمه لذاته وقدراته وإمكانياته الواقعية ويساعده في حل مشكلاته . (أبو سعد ، ٢٠١١)

ثانيًا- السلوكيات المنحرفة العنيفة : تعبير يستعمل لوصف مؤشرات سلوكية ينظر إليها من قبل مطلقي هذا التعبير بأنها غير مبرّرة . من ناحية الأفكار ، يستعمل هذا التعبير لوصف سلوكيات الأفراد في التعامل مع بعضهم البعض ومع الآخرين ، يستعمل هذا التعبير في أغلب الأحيان لوصم المنهجيات العنيفة المستعملة في محاولة تغير سياسية أو اجتماعية . وقد يعني التعبير استعمال وسائل غير مقبولة من المجتمع مثل التخريب أو العنف للترويج لجدول أعمال معين ، والسلوكيات المنحرفة العنيفة ظاهرة تتسم بالتنوع

وتفتقـر إلـى تعريـف محـدد حتـى الآن لا يوجـد توافـق فـي الآراء حـول مـا يمكـن اعتبـاره نوعًـا مـن «التطـرف العنيـف» حيـث لـم يقـدم بـان تعريفًـا محـددًا لـه (توفيـق ، ٢٠١٢)

ثالثًـا- أطفـال الشـوارع : وهـو الاصطـلاح الأكثـر انتشـارًا للتعبيـر عـن الأطفـال تحـت سـن (١٨) عامًـا الذيـن يعيشـون بـلا مـأوى والذيـن يعيشـون بالشـارع بشـكل دائـم أو شـبه دائـم ، دون وجـود أسـر لهـم ، أو وجـود علاقـة ضعيفـة ومفككـة ومتقطعـة مـع أسـرهم . ومنهـم مـن يعمـل كبائـع متجـول أو متسـول فـي الأسـواق والسـاحات والميادين العامـة وإشـارات المـرور (أبـو بكـر ، ٢٠٠١)

الإطار النظري والدراسات السابقة

مفهوم أطفال الشوارع

تُعـدُّ ظاهـرة أطفـال الشّـوارع ظاهـرةً مُنتشـرةً بوضـوح فـي كافّـة المُجتمعـات فـي أنحـاء العالـم ، إذ صرّحـت الأُمـم المُتّحَـدة أنّ مـا يزيـدُ علـى (١٥٠) مليـون طفـل فـي مختلـف أنحـاء العالـم فـي وقتنـا الحاضـر ، يُصنّفـون ضمـن أطفـال الشّـوارع ، إذْ يُجبَـرُ الكثيـرُ منهـم علـى كسـب لُقمـة عيشـهم بطُـرق مهينـة ، مثـل : الاسـتجداء ، والبحـث فـي القمامـة ، وبيـع البضاعـة البسـيطَة كباعـة مُتجوّليـن فـيَ الأحيـاء والمُـدن الفقيـرة ، اذ تعـد ظَاهـرة أطفـال الشـارع مـن أهـم الظواهـر الاجتمَاعيـةَ الآخـذة فـي النمـو ليـس فقـط علـى مسـتوى البلـدان الناميـة وإنمـا أيضًـا فـي الـدول الصناعيـة المتقدمـة ، وهـي قضيـة مجتمعيـة بامتيـاز ذات أبعـاد تربويـة ، ثقافيـة ، اقتصاديـة ، ومعالجتهـا تسـتلزم مقاربـة شـاملة متعـددة الأبعـاد تبـدأ بالوقايـة والتدخـل وصـولًا إلـى تأميـن إعـادة التأهيـل والاندمـاج ، ووفقًـا لتقسـيم اليونسـيف ، فـإن أطفـال الشـوارع يقسـمون إلـى ثـلاث فئـات ، هـي :

- قاطنـو الشـارع : ويقصـد بهـم الأطفـال الذيـن يعيشـون بالشـارع بشـكل دائـم أو شـبه دائـم ، دون وجـود أسـر لهـم ، أو وجـود علاقـة ضعيفـة ومتقطعـة مـع أسـرهم .
- العاملـون بالشـارع : وهـم الأطفـال الذيـن يقضـون معظـم سـاعات النهـار فـي الشـارع للقيـام بأعمـال مختلفـة ، وعـادةً مـا تشـمل البيـع المتجـول والتسـول ، وقـد يعـود غالبيتهـم إلـى منازلهـم ليـلًا ، أمـا البعـض الآخـر فقـد يقضـي ليلتـه نائمًـا فـي الشـارع .
- أسـر الشـوارع : وهـم الأطفـال الذيـن يعيشـون مـع عائلتهـم الأصليـة بالشـارع ، وقـد

وصل عدد أطفال الشوارع وفق هذا التعريف إلى ما يقارب (١٥٠) مليون طفل حول العالم. (عسيري، ٢٠٠٥)

أسباب انشار ظاهرة أطفال الشوارع

هناك العديد من الأسباب لانتشارهم، من أهمها الأسباب الأسرية والنفسية والاجتماعية والتعليمية والاقتصادية والثقافية والسياسية والإنسانية، وكما هي موضحة أدناه:

- الفقر: والذي يجعل الأسر تدفع بأبنائها إلى ممارسة أعمال التسول والتجارة في بعض السلع الهامشية مما يعرّضهم لانحرافات و إلى مخاطر الشوارع كذلك.
- العوامل الأسرية: تلعب الظروف الأسرية دورًا أساسيًا في انتشار ظاهرة أطفال الشوارع، وأبرز تلك العوامل هي:
- تفكك الأسر إما بالطلاق أو الهجر أو وفاة أحد الوالدين.
- كبر حجم الأسرة عن الحد الذي يعجز فيه الآباء عن توجيههم وتلبية احتياجاتهم.
- ارتفاع كثافة المنزل إلى درجة نوم الأبناء مع الوالدين في حجرة واحدة.
- الخلافات والمشاحنات المستمرة بين الزوجين.
- العوامل الاجتماعية:
- نمو وانتشار التجمعات العشوائية التي تمثل البؤر الأولى والأساسية المستقبلة لأطفال الشوارع.
- التسرب من التعلم ودفع الأطفال إلى العمل و التسول في الشارع.
- قلة مدارس التعليم الإلزامي.
- نقص الأندية والأبنية.
- تفاقم حدة مشكلة الإسكان وعدم توافر المسكن الصحي وعدم تناسب السكن مع حجم الأسرة

اتساع مفهوم الحرية الفردية.

- عدم وجود المعالجات الميدانية المجتمعية لهذه الظاهرة السلبية. (أبو بكر، ٢٠٠١)

المشكلات التي تحدث بسبب انتشار ظاهرة أطفال الشوارع

- مشكلات اجتماعيّة واقتصادية: تبرز الكثيرُ من المشكلات الاجتماعيّة التي يُواجهها أطفال الشّوارع، ومنها: انتشار الجهل، والتخلُّف، وزيادة أعداد الأُمِيّين، وأعداد العاطلين عن العمل بين فئة العاملين باطّراد.
- مشكلات أمنيّة: يكونُ أطفال الشّوارع عادةً ضمن بيئة سيّئة دون وازع أو رقيب، بالإضافة إلى اختلاطهم بمن يكبرونهم سِنًّا، ممّا قد يُؤدّي إلى انخراطهم في شبكات مُنظّمة من العصابات المُؤذية وذات الأهداف السيّئة؛ إذ قد يعملون ضمن هذه العصابات في الدّعارة، والسّرقة، وتجارة المُخدّرات، ممّا يعودُ بآثار ضارّة على أمن المجتمع.
- مشكلات نفسيّة: يُؤدّي انخراط الطّفل في سوق العمل مُبكّرًا إلى التأثير سلبًا على نفسه، ممّا قد يُسبّب مشكلات نفسيّة، أهمّها: الانحرافُ، وسوءُ التّعامل، والتّأقلم مع البيئة المُحيطة به، حيثُ إنّه غير مُهيّأ بدنيًا ونفسيًا لممارسة عدد كبير من الأعمال؛ وذلك لعدم اكتمال نموّه في هذه المرحلة العمريّة، وما يتبعها من أزمات نفسيّة، كما أنّه غيرُ مُهيّأ نفسيًا للتّأقلم والتّعامل مع مجتمع كبار السّن، ممّا قد يُعرّضه إلى انحرافات خطيرة، وإحباطات تؤثّر تأثيرًا كبيرًا على مستقبله.
- مشكلات صحيّة: يتعرّض الطّفل للعديد من المشاكل الصحيّة؛ فالشّارع -وإنْ قدّم الحدّ الأدنى من الغذاء ليبقيه حيًّا- لا يُقدّم له احتياجاته الغذائيّة الأساسيّة التي يطلبها جسمه؛ لتحقيق مُتطلّبات نُموّه في هذه المرحلة، كما يكون مُعرّضًا في بيئة الشّارع الخطِرة للكثير من الأمراض الخطيرة، مثل: أمراض العيون، والجرَب، والتّيفوئيد، وأمراض الصّدر. (توفيق، ٢٠١٨)

مفهوم الإرشاد النفسي

إن العملية الإرشادية في المدرسة تبدأ من خلال خطوات منهجية تتدرج بالتحضير والإعداد وجمع البيانات والتشخيص، وتحديد مشكلة المسترشد لتبصير بذاته، وتحديد أهدافه التي يريد تحقيقها خلال عملية الإرشاد، وكذلك من واجب المرشد مساعدة الطفل على خفض توتره النفسي لزيادة قدرته على الاستبصار، ليدرك قدراته وأسباب

مشكلاته التي يعاني منها، وصولًا إلى تقويم العملية الإرشادية عن طريق مدى التحسن الذي حققه الطفل. (السعفان: ٢٠٠٥)

إن التربية الحديثة تعطي اهتمامًا وعناية بأطفال الشوارع من جميع جوانبها سواء الحسية، والعقلية أو الاجتماعية أو النفسية، لذا فهو يحتاج إلى توجيه و إرشاد من خلال مؤسسات التوجيه والإرشاد النفسية، باعتبارها جزءًا لا يتجزأ من العملية التعليمية، وأصبح من المهم دخول خدمات الإرشاد النفسي إلى مؤسساتنا الاجتماعية، بل و في كل مؤسسات المجتمع، وهذه قضية تربوية نفسية مجتمعية، تستحق الاهتمام والدراسة و المتابعة، ومن المفترض طالما أنّ مجتمعاتنا قد تأخرت في إدخال خدمات الإرشاد النفسي وقتًا طويلًا، لذا يجب البدء من حيث انتهى الآخرون. (زهران، ٢٠٠٥)

يعد الإرشاد النفسي والتوجيه التربوي ضرورة تربوية، واجتماعية ملحة، كما تؤكد البحوث و النظريات، وذلك لاعتبارات عديدة، ومنها تطور التعليم في مفاهيمه وأهدافه، و أساليبه، واهتمام التعليم بشخصية المتعلم في جوانبها النفسية والاجتماعية و السلوكية، وظهور بعض المشكلات الرئيسية بالمدرسة، مثل مشكلة المتأخرين دراسيًا، والتعامل مع المتفوقين علميًا، هذه الاعتبارات وغيرها، توضح ضرورة الإرشاد و التوجيه فالإدارة المدرسية تحقق عن طريق الإرشاد و التوجيه، فالكثير من الأهداف و التي منها المساهمة في تشكيل سلوك الطلاب و قيمهم داخل المدرسة و خارجها، و مساعدتهم في تخطي العقبات التي تعترض طريق نجاحهم، وتحول دون تحقيقهم لأهدافهم. (ناصر الدين، ٢٠٠٨)

الإرشاد النفسي جزء لا يتجزأ من العملية التربوية بمختلف جوانبها، فخدماته التربوية تغطي جوانب متعددة في هذه العملية من خلال توظيف المعلومات التربوية والاجتماعية والانفعالية والمهنية عن الطفل باستخدام مجموعة من الأساليب المتخصصة بهدف المساعدة في اتخاذ قرارات تربوية وشخصية ومهنية. (المشابقة، ٢٠٠٨)

مناهج عملية الإرشاد النفسي

- المنهج الإنمائي: يتمثل بالدفع بقدرات الطفل المختلفة للوصول بها إلى أقصى حد ممكن مستثمرًا ما لدى الطفل من تلك القدرات والإمكانات، ومما لا شكَّ فيه أن النمو هو أقصى غاية يطمح لها الفرد لأن النمو السليم يعني الإنتاج والسعادة

والتخلص من المشكلات التي لها علاقة بالنمو، ومن أهم تلك المشكلات مشكلات عدم النضج المختلفة ومشكلات عدم الشعور بالأمن والسلوك غير الاجتماعي.

ب – المنهج الوقائي: يسعى إلى إرشاد الطفل وذويه وأقرانه إلى عدم الوقوع في المشكلات المختلفة عن طريق تبصيره بتلك المشكلات قبل وقوعه فيها، وبالأضرار النفسية والاجتماعية والتحصيلية المترتبة على الوقوع فيها مستخدمًا لتحقيق ذلك حصص التوجيه الجمعي والإرشاد الجماعي العلاجي والمحاضرات والنشرات وكل وسائل الإرشاد المتاحة له في المدرسة من إذاعة مدرسية أو نشاطات أو عن طريق وضع ملصقات جدارية.

ج – المنهج العلاجي:

هذا المنهج يصبح ضرورة حتمية إذا لم يستفد الطفل من وسائل الإرشاد الوقائي، ويتطلب من المرشد الدراية والمعرفة العميقة بأساليب الإرشاد وفنياته بهدف مساعدة الطفل للتخلص من تلك المشكلات أو الحد من حدوثها وتكرارها ليستطيع أن يسير في طريق النمو لأنه مما لا شكَّ فيه أن المشكلات تحد من استمرارية النمو عند الفرد. (حمد، ٢٠١٣)

الدور الوقائي والتعزيزي للإرشاد النفسي في معالجة السلوكيات المنحرفة

١ – تعليم أطفال الشوارع السلوك الحواري القائم على التفكير الذي يسمح لعقل أطفال الشوارع بتأمل الأمور الإيجابيّة ويستطيع أن يصغي لما يقال له ويتمكن من ورؤية الحقيقة من أكثر من زاوية بما يمكّنه من الابتعاد عن أن يصبح فريسة سهلة لمشكلات الشارع.

- على المؤسسات المعنية أن تحدد أطفال الشوارع الذين يمكن أن يكونوا عرضة للانسياق وراء الأفكار الهدامة ومحاولة توجيههم ووضع برامج خاصة لهم.
- تشجيع أطفال الشوارع على العودة للمدرسة وإيجاد حياة كريمة لهم.
- بث مبادئ التسامح الفكري بين أطفال الشوارع عبر لقاءات مع أولياء أمورهم والتشاور معهم ومشاركتهم بوضع استراتيجيات وحلول. (حمد، ٢٠١٣)

نظريّات الإرشاد النفسي التي فسرت السلوكيات المنحرفة العنيفة ، ومنها : -

- **نظريّة ليون فستنكر** (Leon festingr)

افترض فستنكر من خلال نظرية المقارنة الاجتماعية أن الناس لديهم دافع لتقييم آرائهم واتجاهاتهم ومشاعرهم وقدراتهم من خلال مقارنتها أما بمعايير موضوعية ، واقع مادي (Physicul Reality) أو بسلوك الآخرين كواقع اجتماعي (Social Reality) ، وطالما أن المعايير الموضوعية للسلوك غير متاحة وأن العالم الاجتماعي متخبط وغامض في أغلب الأحيان فإن النظرية تقرر أن الأفراد ليس أمامهم سوى استخدام سلوك الآخرين مصدرًا للمعلومات ومعيارًا للمقارنة ومن ثم فإن هذه النظرية تقدم دافعًا آخر للانتماء من حيث إنه يتمثل في الحاجة إلى تقييم الذات (Self – Evaluation) ، وذلك أن هذه المعلومات وغيرها من المقارنات تساعدنا في تقييم أنفسنا وتحديد خصائصها البارزة وتمكّننا من بناء هويتنا مما تصل بالفرد إلى مرحلة النضج

ويرى فستنكر أن للمعايير الاجتماعية السائدة في المجتمع تأثيرًا كبيرًا في سلوك الفرد ومنها التأثر بما يراه في بيئته الاجتماعية والأسرية وما يعيشه في الشارع ، حيث يقع الفرد في التناشز المعرفي حينما لا تتسق الجوانب المعرفية له مع المعايير الاجتماعية ، الأمر الذي يدفعه للسعي إلى تخفيف هذا التناشز أو التخلص منه وتعلم سلوكيات متطرفة تحقق له الإشباع النفسي حتى وإن كان بأسلوب العنف . (كوري ، ٢٠١١)

- **ستاك سوليفان** (Harry Stack Sullivan)

فسر سوليفان السلوكيات المنحرفة العنيفة اجتماعيا لدى أطفال الشوارع ، إذ أشار إلى أن الإنسان لا يمكن أن يحيا بمعزل عن المجتمع وعن الآخرين ، وأن الشخصية كيان فرضي خالص لا يمكن ملاحظته أو دراسته إلا من خلال اندماج الفرد وتفاعله مع الآخرين ، وأنه يرى أن الإنسان مخلوق واعٍ ، وأن أساس فكرة المرء عن نفسه مبنية على أساس علاقته بالآخرين ، فهو كائن اجتماعي يسعى إلى الاندماج في الجماعة ، فهو يؤثر فيهم ويتأثر فيحقق حصيلة سلوكية مشابها لتلك البيئة التي عاش بها ، توضح هذه النظرية أن الطفل الذي يوجد في الشارع ولوقت طويل فإنه يتعلم من أقرانه في الشارع سلوكيات غير مرغوبة من أجل الحصول على المال أو الطعام فيكون سلوكه هو كيف أحصل على ما

أريد بعض النظر عن الطريقة وهذا المعنى الحقيقي لسلوك التطرف العنيف.

نظرية أبراهام مازلو (Mzlow Abraham)

اهتم مازلو بالإنسان ككل متكامل ويعدّ ذلك المفهوم أساسًا لنظريته في الدافعية وأعتقد أنه مع إشباع جميع الحاجات يتقدم الفرد صاعدًا في التنظيم الهرمي غير أنه مهما كانت المسافات التي يقدمها الفرد فإن الإحباط الذي يحدث في حاجة أدنى ولفترة زمنية طويلة فإن ذلك يؤدي إلى حالة من الانكفاء في التنظيم الهرمي الذي بلغه عند أدنى مستويات التنظيم الهرمي.

ويضع مازلو تدرجًا من الحاجات وسلمًا للدوافع ويفترض بأن لكل فرد سبع حاجات أساسية مرتبة على شكل نظام متسلسل من أكبرها قوة إلى أقلها وهي:

- الحاجات الفسيولوجية كالجوع والعطش.
- الحاجة إلى الأمن والاطمئنان.
- الحاجة إلى الحب والانتماء.
- الحاجة إلى الاحترام والاعتبار.
- الحاجات المعرفية.
- الحاجات الجمالية.
- الحاجة إلى تحقيق الذات. (الن، ٢٠١١)

لذا توضح النظرية أن الفرد ومنهم أطفال الشوارع ما زالوا في قاعدة الهرم والتي لم تحقق لهم أي إشباع للحاجات الأساسية داخل الأسرة فخرجوا يبحثون عنها في الشوارع والطرقات والميادين العامة والإشارات المرورية مستخدمين مختلف الأساليب للحصول على المال وطعام وهذا يبقيهم في فجوة كبيرة عن الوصول إلى المرحلة الثانية من إشباع الحاجات وهو الشعور بالأمن ويبقى فاقدًا للأمن النفسي والأسري والاجتماعي، وهذا الشعور يجعله يسد الحاجة بشعور العنف لكسب حاجاته ويصل أحيانًا إلى تطرف سلوكي عنيف مما يبقى يتعلم سلوكيات غير مرغوبة ويتراكم ذلك حتى يفقد الإحساس بالذات ويشبعه من خلال سلوكيات التطرف العنيف. (غباري، أبو شعيرة، ٢٠١١)

مفهوم السلوكيات المنحرفة

ويعني مجموعة من السلوكيات التي تتسم بالانحراف عن الوسط، ويصبح الفرد متطرفًا متعصبًا في سلوكه بالتعامل مع الآخرين، وهو أيضًا الخروج عن القواعد الفكرية والثقافية التي يقبلها المجتمع ويرفضها الشرع والدين، السلوكيات المنحرفة العنيفة هي ستراتيجية (CVE) وتوضح وبشكل هائل صناعة السلوك المتطرفة، لقد تضمنت خطة العمل التي قدمها الأمين العام «بان كي مون « في شهر يناير الماضي، موجزًا عن اتساع نطاق ما يندرج تحت مكافحة السلوكيات المنحرفة العنيفة. وقدم بان أكثر من (٧٠) توصية للدول الأعضاء لكي يتم تضمينها في برامج مكافحة السلوكيات المنحرفة العنيفة الوطنية، بدءًا من مبادرات سياسات التنمية والحكم الرشيد وحقوق الإنسان، إلى تمكين الشباب والمساواة بين الجنسين ودور مواقع التواصل الاجتماعي. (السعفان، ٢٠٠٥)

ويبدو أن النهج الموجه إلى «المجتمع بأكمله» للتعامل مع مشكلة السلوكيات المنحرفة العنيفة، والذي قد يشارك فيه أقل من واحد بالمائة من السكان، نوعًا من البذخ، ولكن مكافحة السلوكيات المنحرفة العنيفة ليست بالمستوى الاجتماعي المطلوب مقابل حالة الانتشار التي تفشت في الشوارع والساحات العامة والخاصة.

دراسات سابقة

- **النائلي (٢٠١٧)**

بعنوان (دور المدرسة في نبذ السلوكيات المنحرفة وتحقيق التغير الاجتماعي)

تهدف الدراسة إلى الكشف عن دور المدرسة ونشاطاتها في نبذ السلوكيات المنحرفة العنيفة، ودور السلوكيات المنحرفة العنيفة في تحقيق التغير الاجتماعي الإيجابيّ، تم تقسيم الدراسة إلى مبحثين، الأول تنول المدرسة، والثاني تناول مفهوم الوسطية والاعتدال، وقام الباحثان بعرض المفاهيم ومناقشتها في ضوء دراسة تحليلية، وأوضحت الدراسة أهمية المدرسة في تحقيق معالجة السلوكيات المنحرفة ودورها في نشر تلك الثقافة الإيجابيّة في المجتمع، وأهمية المدرسة في إحداث التغيرات الاجتماعية المطلوبة من خلال نشر خطاب الاعتدال فتساهم في تنمية المجتمع وبنائه بشكل مستدام.

- **توفيق (٢٠١٨)**

بعنوان (دور المدرسة في نشر ثقافة الحوار ونبذ التطرف السلوكي)

هدفت الدراسة إلى إبراز دور المدرسة وأهميتها، وإيجاد العلاقة بين المدرسة ومفهوم الاعتدال كحوار بين الناس، تناولت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وقد قسم الباحثان الدراسة إلى ثلاثة محاور، بيّنا في الأول مفاهيم الدراسة، تناول المحور الثاني المدرسة كمؤسسة تربوية مؤثرة في المجتمع وما لها من دور فعال ومؤثر في المجتمع، بينما تناول المحور الثالث الحوار المعتدل وأهميته ونقط استدامته، وأسباب ضعف الحوار، وبينت الدراسة أهمية السلوكيات المنحرفة العنيفة ودور المدرسة في بنائه وتحقيقه في المجتمع.

إجراءات البحث

منهج البحث :

تم تحديد المنهج الوصفي التحليلي للبحث الحالي باعتباره أنسب المناهج والتي تتلاءم وأهداف البحث الحالي.

مجتمع البحث .

يشمل مجتمع البحث الحالي أطفال الشوارع في مركز مدينة بغداد الرصافة والكرخ بمختلف فئاتهم من باعه ومتسولين ومتشردين.

عينة البحث

بلغ عدد أفراد عينة البحث (٥٠) طفلاً وطفلة من أطفال الشوارع المتواجدين في الطرق والإشارات المرورية في مركز مدينة بعقوبة، وقد اختارهم الباحثان بشكل قصدي.

أداة البحث

لتحقيق أهداف البحث الحالي ولعدم حصول الباحثين على أداة مناسبة لأهداف البحث الحالي وبعد الاطلاع على الأدبيات والدراسات السابقة، تم بناء أداة للبحث الحالي مكونة من (٢٤) فقرة موزعة على أربع مجالات هي الأسري، والنفسي، والاجتماعي، الاقتصادي وله ثلاثة بدائل (دائمًا- أحيانًا- أبدًا) ولكل بديل وزن معين هي (٣، ٢، ١) للفقرات الإيجابيّة والعكس للفقرات السلبية وكانت أعلى درجة للمقياس (٧٢) وأقل درجة (٢٤) وأما الوسط الفرضي فيبلغ (٤٨) . وقام الباحثان بتقديم الأداة بنفسه إلى العينة عن طريق توجيه سؤال بأسلوب يتناسب مع المستوى العمري والفكري واللغوي من حيث المفردة والمعنى للطفل مع الحفاظ على المعنى العام المطلوب قياسه للفقرة، ويتم عرض البدائل وهو يختار ما يناسبه منها ويجيبني وفق ما يراه هو مناسبًا ويكتب الباحثان ذلك وبكل حيادية أمام البديل الذي تم اختياره.

صدق الأداة

الصدق هو الخاصية السايكومترية التي تكشف عن مدى أداء المقياس للغرض الذي أُعد من أجله، وهو دليل على قياس الفقرات لما يفترض أن تقيسه ولأجل التحقق من صدق أداة البحث قام الباحثان باستخراج الصدق الظاهري الذي يعد من مستلزمات بناء المقياس وذلك بعرض فقرات الأداة على مجموعة من الخبراء والمختصين في العلوم التربوية والنفسية، وفي ضوء آرائهم تم الإبقاء على الفقرات التي نالت نسبة (٪ ٨٧) فأكثر وهي تمثل نسبة قبول وبذلك عدل الخبراء بعض الفقرات.

تحليل فقرات القياس

تم تحليل لفقرات إحصائيًا بأسلوبي: -

المجموعتين المتطرفتين:

لحساب القوة التمييزية لكل فقرة من فقرات الأداة تم إجراء الخطوات الآتية، تطبيق المقياس على عينة التحليل ثم تحديد الدرجة الكلية لكل استمارة.

- ترتيب الاستمارات تنازليًا بحسب درجاتها الكلية من أعلى درجة إلى أوطأ درجة .
- تعيين (٢٧٪) من الاستمارات الحاصلة على أعلى الدرجات في المقياس و (٢٧٪) من الاستمارات الحاصلة على أدنى الدرجات واللتين تمثلان مجموعتين بأكبر حجم وأقصى تمايز ممكن ، وبلغ عدد الاستمارات في كل مجموعة (١٤) استمارة وعليه فإن عدد الاستمارات التي خضعت للتحليل يكون (٢٨) استمارة .

استخراج الوسط الحسابي والانحراف المعياري لدرجات المفحوصين لكل مجموعة عن كل فقرة من فقرات المقياس ثم طبق الاختبار التائي لعينتين مستقلتين لاختبار الفروق بين درجات المجموعة العليا والمجموعة الدنيا في كل فقرة عند مستوى دلالة (٠ ، ٠٥) وبدرجة حرية (٩٨) وقد تبين أن جميع الفقرات مميزة وجدول (١) يبين ذلك :

جدول (١)

القوة التمييزية للفقرات

ت	المجموعة العليا		المجموعة الدنيا		القيمة التائية المحسوبة
	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	
١	٢. ٥٥٣	٠. ٥٥٥	٢. ٢٢٠	٠. ٦١٣	٥. ٢٢١
٢	٢. ٤٦٤	٠. ٦٦٤	٢. ٢٠٢٤	٠. ٦٩٧٠	٣. ٥٢٥
٣	٢. ٣٨١	٠. ٥٩٧	٢. ٠٢٣	٠. ٧٢٥	٤. ٩٢٥
٤	٢. ٠٥٣	٠. ٧٢٨	٢. ٠٥٧	٠. ٧٨١	٥. ٦٥٠
٥	٢. ٤٧٠	٠. ٦٣٧	١. ٨٩٢	٠. ٨٠٤	٧. ٥٥٤
٦	٢. ٢٨٥	٠. ٧٠١	٢. ١٠٧	٠. ٨١٥	٢. ١٦٨
٧	٢. ٦٤٢	٠. ٦١٣	٢. ١١٩	٠. ٨٢٤	٦. ٥٣٦
٨	٢. ٦٨٤	٠. ٥٤٨	٢. ١٥٤	٠. ٧٧٣	٧. ٢٣٩
٩	٢. ٧٢٣	٠. ٥٧٣	٢. ٠٧١	٠. ٨٢٣	٨. ٥٣٦
١٠	٢. ٥٩٥	٠. ٥٩١	١. ٩٨٢	٠. ٧٦١	٨. ٢٣٧
١١	٢. ٤٥٢	٠. ٦٠٧	١. ٩٨٢	٠. ٦٨٧	٦. ٦٤٣
١٢	٢. ٧٥٦	٠. ٥٥٢	٢. ٢٣٢	٠. ٧٧٣	٧. ١٤١
١٣	٢. ٥٣٥	٠. ٦١٨	١. ٩٨٢	٠. ٧٥٤	٧. ٣٦٠
١٤	٢. ٧٥٠	٠. ٤٨٦	٢. ٠٨٩	٠. ٧٥٦	٩. ٥١٩
١٥	٢. ٦٧٨	٠. ٥٣٩	٢. ١٧٨	٠. ٧٢٠	٧. ٢٠٠
١٦	٢. ٤٤٠	٠. ٦١٦	٢. ٠٠٦	٠. ٧٥٤	٥. ٧٨٣
١٧	٢. ٥٧١	٠. ٥٧٤	٢. ٠٨٣	٠. ٧٥٣	٦. ٦٧٦
١٨	٢. ٣٣٣	٠. ٧٦٣	١. ٩٦٤	٠. ٧٤٩	٤. ٤٧١
١٩	٢. ٣٣٩	٠. ٦٣٦	١. ٩٦٣	٠. ٧٤٩	٥. ٠٧١

٢٠	٢. ٦٨٤	٠. ٥٠٣	٢. ١٨٤	٠. ٧٣٩	٧. ٢٤٧
٢١	٢. ٧٦١	٠. ٤٩٢	٢. ١٥٤	٠. ٧٢٨	٨. ٨٦١
٢٢	٢. ٦٦٠	٠. ٥٥٦	٢. ١٥٤	٠. ٧٧٣	٦، ٨٨٢
٢٣	٢. ٤٩٢	٠. ٥٢٩	٢. ٠٧١	٠. ٧٢٣	٧. ٥٤١
٢٤	٢. ١١٩	٠. ٨٦٢	١. ٦٣٢	٠. ٨٠٥	٧. ٩١٢

ارتباط الفقرة بالدرجة الكلية للمقياس:

يقصد بها معامل الارتباط بين الأداء على كل فقرة والأداء على الاختبار بأكمله، إذ إن من مميزات هذا الأسلوب أن يقدم مقياسًا متجانسًا في فقراته، إذ إن الفقرة التي ترتبط ارتباطًا ضعيفًا جدًا مع المحك، المقياس تعد غالبًا فقرة تقيس سمة تختلف عن تلك السمة التي تقيسها فقرات المقياس الأخرى إذ يجب استبعادها، بمعنى أن الفقرة تقيس المفهوم الذي يقيسه المقياس بصفة عامة، وتوفَر أحد مؤشرات صدق البناء.

ولحساب معامل الارتباط بين درجة كل فقرة من فقرات الأداة والدرجة الكلية استعمل الباحثان معامل ارتباط بيرسون، وقد تبين أن معامل الارتباط بين درجة الفقرة والدرجة الكلية جميعها ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠. ٠٥)، لأن جميع معاملات الارتباط أعلى من القيمة الجدولية البالغة (٠. ٠٨٨) وبدرجة حرية (٩٩) والجدول (٢) يوضح ذلك.

جدول (٢)

معاملات الارتباط بين درجة الفقرة والدرجة الكلية للمقياس

تسلسل الفقرة	معامل الارتباط	تسلسل الفقرة	معامل الارتباط
١	٠. ٢٢٦	١٢	٠. ٣٠٨
٢	٠. ١٥٤	١٣	٠. ٣٩٦
٣	٠. ٢٠٥	١٤	٠. ٢٨٨
٤	٠. ٠٤٧	١٥	٠. ١٤٥
٥	٠. ٢٧٠	١٦	٠. ١٥٥
٦	٠. ١٤٢	١٧	٠. ١٨٨
٧	٠. ٢٨٢	١٨	٠. ٣١٩
٨	٠. ٢٩٥	١٩	٠. ٢٦٣
٩	٠. ٣٢٣	٢٠	٠. ٢٨٢
١٠	٠. ٣٦٤	٢١	٠. ٢٥٤
١١	٠. ٣٠٥	٢٢	٠. ٣٢٠
١٢	٠. ١١٦	٢٤	٠. ٢٥١

مؤشرات الثبات

يقصد بالثبات الدقة في أداء الأفراد والاستقرار في النتائج عبر الزمن، إن عدم تأثر نتائج الاختبار بصورة جوهرية بذاتية المفحوص، أو إن الاختبار فيما لو كُرر على المجموعة نفسها بعد فترة زمنية نحصل على النتائج نفسها أو مقاربة، وقد تم استخراج قيمة معامل الثبات من خلال أسلوب الفا- كرونباخ، فكانت قيمة معامل ثبات المقياس (٠. ٨٦) ويعد المقياس داخليًا لأن هذه المعادلة تعكس مدى اتساق فقرات داخليًا.

الوسائل الإحصائية

استخدم الباحثان برنامج (spss) لتحليل الفقرات واستخراج النتائج للأهداف الموضوعة.

عرض النتائج وتفسيرها

أولًا- معرفة دور الإرشاد النفسي في معالجة الظواهر السلوكية غير المرغوبة لدى أطفال الشوارع.

ولتحقيق هذا الهدف تم حساب متوسط درجات عينة البحث على أداة البحث فبلغ (٦١. ٦) درجة وبانحراف معياري قدره (٩. ٠٥) وعند مطابقة هذه القيمة مع الوسط الفرضي البالغ (٤٨) باستخدام الاختبار التائي وجد أن القيمة التائية المحسوبة بلغت (١. ٩٦) درجة وهي أكبر من القيمة الجدولية البالغة عند مستوى دلالة (٠. ٠٥) وهي دالة إحصائيًا والجدول (٣) يوضح ذلك.

الجدول (٣)

المتوسط الحسابي، والانحراف المعياري والمتوسط الفرضي والقيمة التائية

العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الفرضي	القيمة التائية	
				المحسوبة	الجدولية
٥٠	٦١. ٠٦	٩. ٠٥	٤٨	٣	١. ٩٦

توضح المؤشرات الإحصائية لجدول (٣) إن للإرشاد النفسي دورًا مؤثرًا وفعالًا في معالجة السلوكيات المنحرفة وتغيرها نحو الأفضل لدى أطفال الشوارع، وتوضح نظرية فستنكر أن الفرد إذا توافقت معاييره المجتمعية في اكتساب خبرات اجتماعية جديدة تحقق له نموًا نفسيًا واجتماعيًا فيعمل على تنضيجها من خلال النصيحة والتوجيه وتصحيح الخطأ وهو أصبح أكثر وعيا بما يحيط من حوله، أما نظرية مازلو فقد أوضحت أن توفر الحاجات للإنسان تحقق له اكتساب سلوكيات إيجابيّة معتدلة بعيدة عن التطرف وخاصة لدى الأطفال، وتتفق نتائج الدراسة الحالية مع دراسة النائلي (٢٠١٧)

ثانيًا : معرفة الفروق ذات الدلالة الإحصائية وفق متغيري النوع (ذكور- إناث)

توجد فروق دالة إحصائيًا في درجات الاستجابة على الأداة بين الذكور والإناث، إذ وجد أن الوسط الحسابي للذكور (١٨ ، ٦) بانحراف معياري قدره (٦ . ٢٦) والوسط الحسابي للإناث (١٥ . ١) بانحراف معياري قدره (٣. ٥٤) ، وأظهرت نتائج استخدام الاختبار التائي أن الفروق بين متوسط درجات الذكور ومتوسط درجات الإناث دال إحصائيًا عند مستوى دلالة ((٠ . ٠٥ حيث كانت القيمة التائية المحسوبة (٣. ٢) وهذه القيمة أكبر من القيمة الجدولية البالغة (٢) والجدول (٤) يوضح ذلك.

جدول (٤)

يبين نتائج الاختبار التائي للفرق بين متوسط درجات الإناث والذكور

المؤشر الإحصائي النوع	العدد	المتوسط المحقق	الانحراف المعياري	القيمة التائية		مستوى دلالة
				المحسوبة	الجدولية	
ذكور	٢٠	١٨. ٦	٦. ٢٦	٣. ٣	٢	٠. ٠٥
إناث	٢٠	١٥. ١	٣. ٥٤			

يتضح من الجدول (٤) أن الفروق دالة إحصائيًا لصالح الطلاب الذكور، أي أن دور الإرشاد فعال في معالجة ظاهرة مفهوم السلوكيات المنحرفة العنيف لدى الأطفال الذكور أكثر من الإناث، ويفسر ذلك في ضوء نظرية سوليفان للعلاقات الاجتماعية أن الطلاب يتمتعون بعلاقات اجتماعية متنوعة ومتعددة سواء مع أقرانهم أو نوع جنسهم، مما يتعرضون لخبرات متعددة ومتنوعة فيبحثون عن النصيحة والإرشاد، هناك نصائح مزعجة يرفضونها ومنها جيدة تعتبر معتدلة كالسلوكيات المنحرفة العنيفة وهكذا عندما يرون أن طفل غيره يمر من قربة يرتدي ملابس المدرسة وهو أنيق ويحمل الكتب المدرسية بالمقابل هو يقف في إشارة المرور هذا المنظر سوف يحرك بالفرد مشاعر الضجر والانزعاج والغيرة الانفعالية السلبية اتجاه ذلك الطفل أو أي طفل آخر لكن الإرشاد التربوي أوضح للمرشد أنه ليس ذنب ذلك الطفل أنه يذهب للمدرسة وأنت تقف بالشارع بل هذه مسؤولية الأسرة والمؤسسات المختصة، مما يجعله يعرف بأن ذلك الكلام سليم ودقيق فتتكون لديه معايير الاعتدال مقارنة بالإناث التي تتحدد علاقتها مع نوع جنسها وأمها وأقاربها وطبيعة المجتمع التي يفرضها عليها واقع البيئة التي تعيش بها مقارنة بالذكور وهذا يتفق مع دراسة النائلي (٢٠١٧) .

التوصيات

في ضوء نتائج البحث يوصي الباحثان :

- تطوير دور الإرشاد النفسي في المجتمع وتوفير السبل التي تساهم في نجاح العملية الإرشادية لأنها تتعامل مع الجوانب النفسية والفكرية والاجتماعية التي تساهم في تغيير سلوكيات الفرد والجماعة .

- إنشاء مراكز علاج نفسي وإرشادي لأطفال الشوارع من أجل إزالة التلوث السلوكي المكتسب والعمل على إعادة دمجهم بالمجتمع .
- وضع استراتيجية طويلة الأمد لمعالجة أسباب انتشار ظاهرة أطفال الشوارع وخاصة الأسباب الأسرية والاجتماعية وتحقيق التعاون بين الجهات الحكومية المختصة والمنظمات الاجتماعية لتحقيق ذلك .
- توظيف مواقع التواصل الاجتماعي ووسائل الإعلام بمختلف مسمياتها في نشر التوعية المجتمعية حول مخاطر ظاهرة أطفال الشوارع ونشر الحلول الواقعية ، إذ إن الأطفال في الشارع متوسط اعمارهم من خمس سنوات إلى خمس عشرة سنة ويحتاجون إلى رعاية خاصة وسريعة .

المقترحات

يقترح الباحثان :

- إجراء دراسة عن دور التطرف الاجتماعي وعلاقته بفقدان الهوية لدى الأطفال المشردين .
- إجراء دراسة بعنوان الحاجات الإرشادية وعلاقتها بالانتماء الاجتماعي لدى الأطفال المهمشين اجتماعيًا .
- إجراء دراسة بعنوان أزمة الهوية وعلاقتها بالاعتدال الفكري لدى الشباب .

المصادر

- أبو أسعد ، أحمد عبد اللطيف (٢٠١١) علم النفس الإرشادي ، دار الميسرة ، عمان ، الأردن .
- أبو بكر ، مرسي محمد (٢٠٠١) ظاهرة أطفال الشوارع ، ط١ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .
- توفيق ، هشام إبراهيم (٢٠١٢) الوسطية والاعتدال ، مجلة الجامعة الأسمرية ، الجامعة الأسمرية ، العدد ٣ ، ليبيا .
- الخواجا ، عبد الفتاح محمد سعيد (٢٠٠٩) الإرشاد النفسي والتربوي بين النظرية

والتطبيق مسؤوليات وواجبات دليل الآباء والمرشدين، ط١، الدار العلمية الدولية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

- زهران، حامد (٢٠٠٥ (التوجيه والإرشاد النفسي، القاهرة: عالم الكتب.
- السيد، حسن علي (٢٠١٧) دور التربية والتعليم في تعزيز مفهوم الوسطية و الاعتدال، مؤتمر جامعة كربلاء، مجلة مركز الدراسات الاستراتيجي، العدد١٧.
- عسير، عبد الرحمن محمد (٢٠٠٥) عمالة الأطفال في الشارع، ط١، من إصدار جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض.
- العتيبي، عبد العزيز (٢٠٠٩) الوسطية في الميزان، ط١، دار الكرامة، العزوانية، تركيا.
- العزة، سعيد حسني، ٢٠٠٨)) دليل المرشد التربوي في المدرسة، ط ١، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- غباري، ثائر أحمد و أبو شعيرة، خالد محمد (٢٠١٠) سيكولوجية الشخصية، ط١ مكتبة المجتمع العربي، عمان.
- قادرة، بشير (٢٠١٧) الوسطية في السلوك، مؤتمر الملتقى الدولي، مجلة معهد العلوم الإسلامية، العدد٢٦، المجلد ٢، جامعة جنوب الوادي، مصر.
- قدري، سامية (٢٠١٥) ، الإصلاح الاجتماعي في الخطاب الديني الموجه للشباب، ورقة مقدمة إلى مؤتمر الشباب وتحديات القرن الحادي والعشرين، جامعة عن شمس، القاهرة.
- القرعان، أحمد خليل (٢٠٠٩) التوجيه الإرشاد النفسي والمهني، ط١، دار حمورابي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- كوري، جيرال (٢٠١١) النظرية والتطبيق في الإرشاد والعلاج النفسي، ترجمة: سامح الخفش، ط١، دار الفكر للنشر، الأردن.
- المشابقة، محمد (٢٠٠٨) مبادئ الإرشاد النفسي للمرشدين والأخصائيين النفسيين، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- الن، بيم (٢٠٠٩) نظريات الشخصية الارتقاء – النمو – التنوع، ترجمة علاء الدين كفائي و مايسة النيال وهير محمد، دار الفكر، عمان.
- ناصر الدين، أبو حماد،) ٢٠٠٨) ، الإرشاد النفسي والتوجيه المهني، ط ١عالم الكتاب الحديث، الأردن.

- ناصر الدين، أبو حماد،)٢٠٠٨) ، الإرشاد النفسي والتوجيه المهني، ط ١عالم الكتاب الحديث، الأردن.
- النوفلي، علي الوكاع (٢٠١٢) المدرسة والبيت، ط١ ، دار القارئ للنشر والتوزيع، الكويت.
- هواري، معارج (٢٠١٦) دور الجامعات في تعزيز مبدأ الوسطية. بحث مقدم لمؤتمر الجامعات العربية في تعزيز مبدأ الوسطية بين الشباب العربي. الجزائر.
- وزارة التربية، العراق، (١٩٨٢) : ، قسم الإحصاء، المديرية العامة للتخطيط التربوي، بغداد.

دور التلفزيون في تعزيز الوعي المروري لدى الجمهور

أ. م. د. منتهى هادي التميمي بلقيس محسن زيدان

المقدمة

صارت وسائل الإعلام في وقتنا الحاضر من أهم أدوات التأثير والتوجيه والتثقيف والإعلام والتعليم خاصة في خضم العولمة الاتصالية، إذ ازدادت التفاعلات بين الأفكار والمعلومات بشكل سريع، فصار الكل يعرف مهما كانت المسافات والأزمنة.

ونظرا الى الأهمية التي يكتسيها الإعلام في وقتنا الحاضر، فقد أصبح يشكل مجالا خصبا للبحوث والدراسات العلمية، لما لهذا القطاع من تأثير وتأثر بالمجتمع، ولأنّ الإعلام يؤدي دورًا مزدوجا سواء على الصعيد الدولي أم المحلي.

ولاشك في أن الإعلام المحلي له دور مهم في تحمل جزء كبير من هذه المسؤولية فيظل مفهوم الإعلام بمعناه العام والشامل، ولهذا فالإعلام المحلي هو الإعلام المرتبط باهتمامات جمهور معين داخل بيئة محددة، لذا فبقدر ارتباط هذا الإعلام المحلي بالبيئة المحلية فإنه يستطيع أن يحقق رسالته في تنمية وخدمة هذه البيئة.

ويُعد التلفاز من أبرز وسائل الإعلام الجماهيري وأكثرها تأثيرا وقدرة على المشاركة في عمليات التغيير الاجتماعي عموما والعمل على تلبية خدمات الأفراد المحلية، باعتبار الحياة هي الجوهر لدى الأفراد، فقد أولى التلفاز اهتماما بالغا بحياة الأفراد وذلك عن طريق برامجها التلفازية وما تبثه فيها من وعي وإرشاد، والوعي المروري يؤدي بالأفراد إلى المعرفة التامة بقواعد المرور وأنظمتها مما يحتم عليهم اتباعها.

من هنا سنحاول الوقوف على التلفاز في نشر الوعي المروري وتحليل نتائجها

The Role of Television in Increasing Traffic Awareness of the Audience

Research entitled (The Role of Television in Increasing Traffic Awareness of the Audience) a field study on the public of Baghdad. The objectives of this research are centered in answering the questions that were formulated in light of the research problem. The research seeks to achieve several goals as follows:

1- Knowing the extent and nature of the audience following TV traffic programs.

2- Knowing the audience's follow-up habits of TV traffic programs.

3- Identify the objectives and reasons for the audience to watch TV traffic programs

4- Knowing the extent of the benefit from television traffic programs in modifying the behavior and traffic awareness of the public.

5- Knowing the relationship between the extent of viewing the programs and the benefit in terms of the gender variable and the reasons.

The researcher reached the most important results, including the following:

- The study showed a high percentage of the driving audience watching traffic TV programs, thus, it appears that the audience of the recipients is an active audience with exposure to the media, which is an intentional exposure to achieve a specific benefit, and this is what the researcher's initial survey showed Of the total sample.

- The results showed an increase in the interest rate resulting from watching traffic TV programs provided by Iraqi satellite channels. Increasing information and acquiring traffic culture were the first goals of the respondents to watch by 64% , which confirms the fulfillment of the study hypotheses.

- The field data showed that half of the sample members and vehicle

drivers do not have a driving license, at a rate of 51% , which means that most vehicle drivers do not master the traffic instructions and adhere to the signs and identification and traffic guidance signs, which calls for the need for traffic awareness programs and attention to their contents and diversification.

- Despite the respondents 'intention to watch traffic programs for a specific benefit and their satisfaction with the methods of producing and presenting these programs, their general benefit in the field of traffic awareness was little and their answer was (I benefited a little) with 64% of the total answers.

Keywords:

أولا: مشكلة البحث وتساؤلاته:

حددت الباحثة مشكلة البحث عن طريق الممارسة العملية في قسم الإعلام في وزارة الداخلية وتواصلها مع الجهات ذات العلاقة والقائمين على إعداد وإنتاج وتقديم البرامج المرورية التلفازية ، وبناءً على ما تقدم رأت الباحثة أن مشكلة البحث تكمن في التساؤل الرئيس الآتي :

ما دور التلفزيون في زيادة وتعزيز الوعي المروري لدى جمهور مدينة بغداد؟

وتتفرع من التساؤل الرئيس مجموعة من الأسئلة الفرعية ، هي على النحو الآتي :

١ . ما مدى متابعة جمهور سواق المركبات للبرامج المرورية التلفازية؟

٢ . هل يفضل المبحوثون برامج مرورية محددة؟

٣ . ما عادات وأهداف متابعة الجمهور للبرامج المرورية التلفازية؟

٤ . ما أسباب متابعة الجمهور للبرامج المرورية التلفازية؟

٥ . ما مدى فائدة متابعة البرامج المرورية التلفازية في تعديل السلوك والوعي المروري للجمهور؟

٦ . هل توجد علاقة بين مدى مشاهدة البرامج والفائدة منها ومتغير الجنس وأسباب المشاهدة ووقتها؟

ثالثا: أهمية البحث:

الأهمية العلمية والأكاديمية: تبرز أهمية البرامج المرورية التلفازية من أنها لم تحظَ بالاهتمام البحثي إلا ما ندر وإن النظرة السائدة جماهيريا عن عدم جاذبية هذه البرامج ناتج مما تقدمه هذه البرامج من شكل ومضمون مشوق، وتظهر أهمية البحث العلمية لقلة الدراسات الحديثة المتعلقة بالمضامين التلفازية التي تتناول توجيه الوعي المروري للجمهور وتعزيزه وإرشاده لاتباع شروط السلامة المرورية، تناولت الباحثة موضوع البحث.

الأهمية للمجتمع: ترتبط البرامج المرورية التلفازية وما تقدمه من مضامين وبأشكال فنية مختلفة بتوجيه وإرشاد شريحة مهمة وكبيرة في المجتمع وهي شريحة سواق المركبات بمختلف أنواعها خاصة في ظل كثرة عدد المركبات نسبة إلى الطرق والزحامات والحوادث والمخالفات المرورية المتكررة. ما يتطلب دراسة وتشخيص أهمية إنتاج مضمون إعلامي يتناسب ومدى إسهامها في تلبية حاجات ومتطلبات الجمهور.

رابعا: أهداف البحث:

يسعى البحث لتحقيق أهداف عدة وكالآتي:

١. معرفة مدى وطبيعة متابعة الجمهور للبرامج المرورية التلفازية.

٢. معرفة البرامج المرورية التلفازية المفضلة عن غيرها لدى الجمهور.

٣. معرفة عادات وأهداف متابعة الجمهور للبرامج المرورية التلفازية.

٤. معرفة مدى الإفادة من متابعة البرامج المرورية التلفازية في تعديل السلوك والوعي المروري للجمهور.

خامسا: منهج البحث:

اعتمدت الباحثة المنهج الوصفي الذي يعد أحد المناهج المرتبطة بالبحوث المسحية، كونه أنسب الطرائق العلمية في جمع البيانات الميدانية عن ظاهرة معينة وتوضيحها. ويرمي إلى وصف وتوصيف الظاهرة وإيجاد العلاقة بين متغيرين أو أكثر للتعرف إلى طبيعة العلاقة بينهما.

مجتمع وعينة وإجراءات البحث:

يعرف مجتمع البحث بأنه وحدات أو مفردات الظاهرة موضوع الدراسة جميعها أو في الحالات كلها التي تنطبق عليها خصائص معينة. (١) ويتمثل مجتمع البحث بسواق المركبات الصغيرة في مدينة بغداد وأطرافها، وقد تم اختيار سواق المركبات الصغيرة للأسباب التي ذكرناها سلفا في المجال البشري للبحث وتم اختيار مدينة بغداد كونها العاصمة والأكثر عددا من ناحية السكان والمركبات، وتشمل مختلف طبقات وأطياف الشعب العراقي، وأيضا وجود وزارة الداخلية وانتشار دوائر المرور ومكاتبها أكثر من باقي المحافظات.

عينة البحث:

تم اختيار عينة عمدية أو قصدية غرضية غير احتمالية من مجتمع البحث ومن مختلف سواق المركبات الصغيرة، كونه مجتمعا ملائما لأغراض البحث. وقد بلغ حجم العينة (١٠٠) مبحوثٍ، مراعين فيها مختلف توصيفات الجنس والمهنة ومستوى التعليم ** وبعد توزيع استمارات الاستبانة عليهم تم استرجاعها كاملة.

(*) لا توجد إحصائية موثقة عن أعداد السواق لذلك فهم من المجتمعات غير المؤطرة.

(**) انظر المجال البشري للبحث.

وقد اعتمدنا في تحديد حجم العينة على جدول. (٢) الذي يوضح حجم عينة البحث، وبتطبيق معادلة الخطأ في العينة تبين أن الخطأ في العينة بلغ (٩٪) وهي نسبة مقبولة في البحوث، وبحسب المعادلة الآتية:

$$X\frac{\sqrt{f(1-f}}{N}Z$$

وبتطبيق اختبار (Z) على عينة البحث بلغت قيمة Z (٣. ٨) فيما كانت قيمة Z الجدولية (٠. ٤٩٩) عند مستوى دلالة (٠. ٠٥) ولأن Z المحسوبة أكبر من Z الجدولية فإن الفرض الصفري مقبول وإن الذكور في العينة نسبتهم (٠. ٥) بمعنى أنَّ (٩٥٪) من احتمالات العينة تؤكد قبول الفرض الصفري، وهذا يعني صحة اختيار العينة.

أدوات البحث:

١ . الملاحظة : هي عملية مراقبة أو مشاهدة لسلوك الظواهر والمشكلات والأحداث وعلاقاتها بأسلوب علمي منتظم بقصد التفسير وتحديد العلاقة بين المتغيرات وتوجيهها لخدمة المجتمع . (٣) (٤)

٢ . المقابلة الميدانية للمختصين : اعتمدت الباحثة المقابلة العلمية ، سواء بهدف الاستيضاح عن كيفية الاتفاق بين القنوات التلفازية حول إنتاج وعرض البرامج المرورية ، وكذلك بهدف توضيح وتفسير بعض الأسئلة للمبحوثين وشرح بعض الإشكالات التي تواجه إنتاج البرامج .

استمارة الاستبانة : وزعت الباحثة استمارة استطلاعية أولية لتحديد المشكلات بدقة قبل البدء بدراستها دراسة دقيقة ومتعمقة ، أو قبل وضع فروض مشكلة محددة ، وأهم متغيراتها واكتشاف العلاقة الموجودة بين تلك المتغيرات ، تضمنت الاستمارة الاستطلاعية عددا من المؤشرات العلمية وذلك لبناء الاستمارة النهائية واختيار العينة ، وقد بلغ عددها (٢٦) وزعت على سواق المركبات بمختلف أنواعها في مدينة بغداد وبعد توزيع الاستمارات وجمعها وتحليل بياناتها خرجت الباحثة بمؤشرات حددت على ضوئها البرامج المرورية المشاهدة من الجمهور, وبعدها صممت الباحثة استمارة الاستبانة تألفت من مجموعة أسئلة مفتوحة وأسئلة مغلقة وفقا لأسئلة وفروض وأهداف البحث .

وزعت استمارة الاستبانة النهائية التي تضمنت (٢١) سؤالا على عدد من الخبراء ، وعليه تم حذف وإعادة صياغة بعض الفقرات وترتيبها في ضوء الملاحظات التي أشار اليها الخبراء .

الصدق والثبات:

ـــ الصدق :

تم عرض الاستبانة على خمسة خبراء في مجال الاختصاص لغرض الحكم على صلاحيتها للتطبيق ، وتم إبداء عدد من الملحوظات المنهجية والآراء العلمية والعملية ، وكانت نسبة الاتفاق بشأن تلك الاستمارة (٩٨٪) وهي نسبة جيدة جدا من الاتفاق وحسب المعادلة :

متوسط اتفاق الخبراء $= \frac{\text{مجموع الدرجات النهائية}}{\text{عدد المحكمين}} = 92\% = \frac{460,9}{5} =$

معامل صدق المحكمين $= \frac{\text{ن} \times \text{س}}{\text{س} + (\text{ن} - 1)} = 0,98\% = \frac{4،6}{4،68} = \frac{0،92 \times 5}{0،92 \times 4 + 1} =$

أما احتساب الثبات فقد استعانت الباحثة بمعادلة رولونوذلك بتقسيم الاستمارة إلى أسئلة زوجي وفردي ، للتأكد من الاتفاق في النتائج ، وكانت نسبة الثبات (٣٧٪) .

كما طبقت الباحثة معامل ارتباط بيرسون وكانت نسبة الثبات (٢٣٪) وبالتصحيح باستخدام معادلة سبيرمان وبروان

$$= Kr \frac{Nr}{1+(N-1)}$$

تبين أن نسبة الثبات = ٣٦٪

وهي تفيد فقط في حساب الأوساط الحسابية وفي المسح الإحصائي . (٥) الأساليب الإحصائية المستخدمة في البحث :

مربع كاي ٢ ومعادلة بيرسون .

الخطأ في العينة بتطبيق معادلة الخطأ في العينة تبين أن الخطأ في العينة بلغ ٩٪ وهي نسبة مقبولة إلى حد ما في البحوث .

$$\text{الخطأ في العينة} = \frac{xz\sqrt{\text{ف}(1 - \text{ف})}}{\text{ن}}$$

الدراسات السابقة:

اطلعت الباحثة على دراسات عديدة عراقية وعربية قريبة من دراستها وأفادت منها أثناء فترة الكتابة ، إذ تجعل الدراسات السابقة الباحث يعرف كل ما يمكن أن يضيفه للتراث العلمي ومن أي جانب يبدأ مستفيدا من النتائج التي توصلت لها ، وأهمها ما يأتي :

- الدراسات العراقية :

- اطلعت الباحثة على دراسات عديدة عراقية وعربية قريبة من دراستها وأفادت منها

أثناء فترة الكتابة ، إذ تجعل الدراسات السابقة الباحث يعرف كل ما يمكن أن يضيفه للتراث العلمي ومن أي جانب يبدأ مستفيدا من النتائج التي توصلت لها ، وأهمها ما يأتي :

– الدراسات العراقية :

١–دراسة الدباغ ، ١٩٩٠ بعنوان : (أساليب واتجاهات نشر الوعي ضد الجريمة في الصحافة العراقية ١٩٨٠–١٩٨٨) . (٦)

وهذه الرسالة سعت للوقوف على ما تنشره الصحافة العراقية من أساليب صحفية متنوعة عن الجرائم ، وأهم الاتجاهات التي تناولتها هذه الأساليب المتعلقة بنشر الوعي ضد الجريمة ، فضلا عن ما تنتهجه الصحافة العراقية بشكل عام من صبغ عمل جديدة لنشر أخبار الجرائم أو التوعية ضدها ، انطلاقا من مشاركة وسائل الإعلام المختلفة في الوقاية من الجريمة ومكافحتها . ويتمثل هدفها الأسمى في نشر الوعي ضد الجريمة والانحراف عن طريق الصحافة ، لخدمة المجتمع والإنسانية بشكل عام .

٢–دراسة الحديثي٢٠٠٦ بعنوان : «دور العلاقات العامة في نشر الوعي المروري . (٧) تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على الدور الذي تؤديه العلاقات العامة في نشر الوعي المروري عند الجمهور في ضوء قياس درجه الوعي المروري لدى المواطن العراقي وكذلك التعرف على أهم الوسائل الناجمة لنشر هذا الوعي عن طريق التعرف بالرسائل التي يستقي منها الجمهور وعيه بأنظمة المرور وقوانينه وكذلك يهدف البحث إلى قياس الوعي المروري لدى الجمهور العراقي والتعرف على طبيعة الفروق في درجة الوعي المروري تبعا لمتغيرات (الجنس ، العمر ، التحصيل الدراسي ، صنف الجمهور) والتعرف على أهم الوسائل والأساليب التي تساعد الجمهور في تشكيل وعيه المروري .

– المنهج الذي استخدمه الباحث المنهج الوصفي

– استخدم الباحث العينة العمدية أما أدوات البحث فهي الاستبانة والمقابلة .

– وأهم الاستنتاجات التي توصل إليها الباحث

–وجود وعي مروري عال لدى الجمهور العراقي إذ بلغ المتوسط العام (٧٨ ، ٢٦) .

– وجود فروق ذات دلالة إحصائية للوعي المروري وفقا لمتغير الجنس

– وجود فروق ذات دلالة إحصائية للوعي المروري وفقا لمتغير العمر

– الأوضاع الأمنية تعد السبب في حدوث الاختناقات والحوادث المرورية .

– يعد التلفاز والإذاعة من أكثر الوسائل التي تسهم في تكوين الوعي المروري لدى الجمهور العراقي .

أهمية البرامج التلفازية ووظائفها

اولا : أهمية التلفاز ووظائفه .

لوسائل الإعلام وفي مقدمتها التلفاز أهمية كبيرة ودور مؤثر في المستويات كافة بالرغم من التطورات التكنلوجية الكبيرة التي طرأت على وسائل الإعلام وظهور الإعلام الجديد ومواقع التواصل الاجتماعي إلا أن التلفاز ما زال يشكل الوسيلة الإعلامية الجماهيرية المهمة في المجالات كافة ولعل أعم المجالات التي تؤدي عن طريقها هذه الوسيلة دورا كبيرا ومهما هو مجال الإعلام والتثقيف والإرشاد . (٨) إذ تقوم وسائل الإعلام ومنها الفضائيات ببث الأفكار والمعلومات والقيم التي تحافظ على ثقافة المجتمع ونشر مبادئ التطور والتنمية ، لتحقيق النهوض الحضاري والفكري وتنوير الجماهير ورفع مستوياتهم الثقافية والمعرفية وتكييف مواقفهم تجاه الأحداث والأحوال الاجتماعية . (٩) كذلك تسهم الفضائيات في توفير الترفيه والتسلية عن طريق برامجها التي تتخللها أفكار إرشادية وتوجيهية تصب في مصلحة المجتمع وخلق أجواء يسودها النظام والابتعاد عن الفوضى . (١٠) وتُعد البرامج المرورية أحد هذه البرامج التثقيفية ، وتتعدد وظائف التلفاز بتعدد حاجات ومتطلبات الجمهور ، فهناك وظائف أساسية تتفرع منها وظائف أخرى . (١١) وأهم وظائف التلفاز الأساسية هي :

١ . الوظيفة الإعلامية : ويقصد بها (الأخبار ، التفسير ، التحليل) ، إخبار الجمهور بكل ما يقع من أحداث داخلية وخارجية في ميادين الحياة من سياسية وثقافية واجتماعية واقتصادية . . . . . الخ ، مع الشرح والتفسير حتى يكونوا على علم بمجريات الأمور حولهم .

٢ . الوظيفة التثقيفية والتعليمية : أي تقديم كل ما هو مادي وفكري واجتماعي للجمهور لتوجيه الأفراد وإرشادهم إلى كل ما يحقق النهوض الفكري والاقتصادي والتغيير الاجتماعي ومحاربة التخلف والفوضى ونقل المعلومات والخبرات وما يرتبط

بهـا مـن عـادات وعلاقـات اجتماعيـة بيـن مختلـف الفئـات والطبقـات الاجتماعيـة، ومـا يترتـب علـى ذلـك مـن فهـم للحقـوق والواجبـات والقيـم والعـادات وخلـق الجـو الحضـاري الملائـم للتـقدم والنهضـة عـن طريـق التوعيـة الشـاملة بـكل المجالات. (١٢)

٣. الوظيفيـة الترفيهيـة: يوفـر التلفـاز الترفيـه والتسـلية للأفـراد عـن طريـق برامجـه ومضامينه المختلفـة ويتمثـل فـي عـرض التمثيليـات والأفـلام والقصـص والفـن والموسـيقى والأغانـي مـن أجـل الترفيـه ومسـاعدة النـاس للتخفيـف عـن أنفسـهم مـن مشـكلات وهمـوم الحيـاة، والترفيـه ليـس شـيئا ثانويـا فـي حيـاة الأفـراد وإنمـا أصبـح ضروريـا خاصـة فـي العصـر الحالـي الـذي يتسـم بالقلـق والتوتـر، غيـر أنَّ الترفيـه لا يعنـي التدنـي بمسـتوى الـذوق العـام وعليـه فأفضـل ترفيـه هـو مـا يعبـر عـن معـانٍ سـامية ترتقـي بالمتلقـي. (١٣)

- البرامج التلفزيونية التوعوية المتخصصة:

يقصـد بالبرنامـج التلفـازي المتخصـص هـو المضمـون الـذي يهتـم أساسـا بجانـب مهـم مـن جوانـب المعرفـة الإنسـانية ويصـل إلـى جمهـور متخصـص تجمعـه عـدد مـن الخصائـص والسـمات المشـتركة، والبرنامـج المتخصـص هـو البرنامـج الـذي يتنـاول مضمونًـا معينًـا ضمـن مجـال برامجـي منفـرد يوجَّـه إلـى جمهـور محـدد (١٤) وكلمـة متخصـص مشـتقة مـن فعـل خصـص وفـي لسـان العـرب لابـن منظـور، خصـه بالشـيء وخصصـه واختصـه: أفـرده بـه دون غيـره. (١٥)

والبرامـج المروريـة هـي إحـدى البرامـج التلفازيـة المتخصصـة بالجانـب المعرفـي التثقيفـي التـي تتنـاول مضمونًـا إرشـاديًا خدميًـا وتوجهـه إلـى جمهـور محـدد. (١٦) وهـم سـواق المركبـات بأنواعهـا كافـة، وإنتـاج وتقديـم هـذا النـوع مـن البرامـج تحتـاج إلـى خبـرة كبيـرة واطـلاع واسـع، أي أنَّ معـدي ومقدمـي البرامـج يجـب أنَّ يكونـوا مختصيـن ومؤهليـن ومـن ذوي الخبـرة الملموسـة، ويمتلكـوا لباقـة ومنطقًـا وشـكلًا مقبـولًا، لأنهـم يمكـن أنَّ يكونـوا قادريـن علـى تقديـم النصائـح والمعلومـات عـن طريـق البرنامـج التلفازيـة الإرشـادية والتوجيهيـة. (١٧)

- خصائص البرامج التوعوية الإرشادية:

يمكن تحديد أهم خصائص البرامج التوعوية والإرشادية وشروطها على النحو الآتي:

الاستمرارية: يجب أن تتصف بالاستمرارية والديمومة، فهي بالتالي عملية مستدامة وليست

مجرد حدث أو مجموعة أحداث متفرقه وذلك كي تترسخ الثقافة التوعوية لدى الفئة الموجهة إليها وتخلق لديهم نسقا معرفيا وسلوكيا إيجابيا، لذا فإن الاستمرارية شرط أساسي لتحقيق أهداف التوعية.

والقاعدة العامة تقول إن» التعليم الهادف يهذب السلوك والتوعية المستمرة تعزز المعرفة لذلك فإن إفرازات التعليم والتوعية حول سلامة المرور تجعل الفرد أكثر وعيا بها ويستجيب في ذاته لندائها»١

الشمولية: التوعية والإرشاد عملية شاملة، بمعنى أنها تشمل مختلف جوانب الحياة ومجالاتها، وتستهدف الوصول إلى كل الشرائح الاجتماعية.

التكامل: التوعية عملية متكاملة، وخاصة في البرامج الإرشادية المرورية بمعنى أنها تهتم بمختلف الأطراف المعنية بالمسألة المرورية (البشرية، الهندسية، القانونية، العمرانية. . . . .) وتهتم بمختلف جوانب المشكلة المرورية (الاقتصادية، النفسية الاجتماعية) وتنطلق من حقيقة أن هذه الأطراف متكاملة وبالتالي فإن الجهد التوعوي المروري يجب أن يكون متكاملا.

– المنهجية والانتظام والتماسك: التوعية عملية منهجية منتظمة ومتماسكة، تحدد أسسها ومنطلقاتها وأهدافها، وتضع الخطط والبرامج الكفيلة بتحقيق هذه الأهداف، وهذا ما يفسر كون التخطيط والبرمجة الدعامتين القويتين اللتين تقوم عليهما التوعية المرورية.

– التجدد والتطور: التوعية عملية متجددة ومتطورة، إذ تستطيع أن تواكب المتغيرات الحاصلة في الحياة الاجتماعية (أنظمة تقنيات وقوانين وأنماط المعيشة ومتغيرات ديمغرافية

واجتماعية واقتصادية. . .) من الضروري التجديد والابتكار في مضامين التوعية المرورية، وفي الخطاب المروري، وفي الوسائل والموضوعات وأساليب المعالجة المستخدمة.

– التفاعلية : التوعية الناجحة هي التي تبتعد عن التلقين والإكراه وتعتمد أسلوب التفاعل

وتنجح في رفع فعالية الناس وتفاعلهم مع الأهداف الاستراتيجية للتوعية المرورية .

وتتناول الباحثة تعريف البرامج المرورية المقدمة عن طريق الفضائيات العراقية والتي تبين عن طريق الاستمارة الاستطلاعية أنها برامج تحظى بمشاهدة واسعة من قبل الجمهور العراقي وهي كالآتي :

ـــ برنامج وقفة مرورية : برنامج أسبوعي مباشر يبث عن طريق قناة العراقية الفضائية ، وهو برنامج توعوي يتناول قوانين المرور وحوادث السير ومخالفات السواق وعلاقة شرطة المرور بالمواطن عن طريق تقارير المراسلين الميدانية والمقابلات مع منتسبي المرور في بغداد والمحافظات ويسلط الضوء على مشكلات المواطنين والرسائل التي ترد لبريد الخط الساخن الإلكتروني ، وتقوم فكرة البرنامج على الإرشاد وزيادة الوعي المروري لدى الجمهور عن طريق توزيع الكراسات الإرشادية التوعوية للمواطنين بواسطة شرطة المرور .

ـــ برنامج السلامة للجميع : برنامج أسبوعي مباشر يبث عن طريق قناة هنا بغداد ، وهو برنامج توعوي يتناول المشاكل المتعلقة بقضايا السير والمخالفات وتنفيذ القرارات المرورية المهمة التي تسهم في المحافظة على نظام السير وحماية أرواح المواطنين ويتضمن تقارير ميدانية مصورة ويسمح باتصالات الجمهور للاستفسار والسؤال وتفسير التعليمات والقرارات المرورية .

ـــ برنامج طريق السلامة : برنامج خدمي إرشادي مباشر يبث عن طريق قناة آفاق الفضائية ويتناول الحوادث المرورية المصورة عن طريق تقارير المراسلين الميدانية والتركيز على الإرشادات والتعليمات المرورية وضرورة الالتزام بالعلامات المرورية العامة عن طريق توزيع الكراسات والمنشورات التعريفية الخاصة بالطرق الخارجية ، مثل ارتداء حزام الأمان والاحتفاظ بطفاية الحريق والاحتياجات الأمنية الأخرى واحترام شرطي المرور والنظام المروري العام ويتم خلال البرنامج فتح اتصالات هاتفية مع الجمهور للسؤال والاستفسار .

● الوعي والتوعية المرورية

- **مفهوم الوعي :**

يعرف الوعي لغويا كما ورد في لسان العرب (يأتي تحت مادة وعي : وعي الشيء ، والحديث يعيه وعيا ، وأوعاه أي حفظه وفهمه وقبله فهو واع . وفي حديث أبي أمامه ((لا يعذب الله قلبا وعى القرآن)) قال ابن الأثير : أي عقله إيمانا به وعملا ، فإما من حفظه ألفاظا ، وضيع حدوده ، فإنه غير واع له . (١٨) أما المعنى الاصطلاحي للوعي فهو يعني (إدراك الفرد لنفسه وللبيئة المحيطة به ، وهو على درجات من الوضوح والتعقيد ، والوعي بهذا المعنى يتضمن إدراك الفرد لنفسه ولوظائفه العقلية والجسمية وإدراكه لخصائص العالم الخارجي ، وأخيرا إدراكه لنفسه باعتباره عضوا في الجماعة) . » (١٩)

اولا-أهمية التوعية المرورية:

تكمن أهمية التوعية المرورية في تهذيب المفاهيم التي اعتاد عليها الأفراد في مجتمعنا ، بحيث تكون نظرتهم إلى التقيّد بأنظمة المرور وآدابه ليس على أساس الخوف من العقاب وإنما على أساس الانصياع الذاتي لها ولما لمخالفتها من مخاطر على حياتهم أولا ، ولأنها تنافي السلوك القويم والأخلاق الفاضلة ثانيا ، وهي ذات علاقة بطموحنا نحو المستقبل وأن يكون المواطنون متعاونين مؤمنين بأهمية تعليمات المرور والأسس التي يقوم عليها الوعي المروري ، وبما يساعد على نشر أنظمة وتعليمات المرور ، حتى يصبح العمل شكلًا تكامليًا ما بين الجمهور المستهدف والأجهزة المعنية لتحقيق الهدف المنشود وهو السلامة المرورية لكل مستخدمي الطريق . (٢٠) وتحقيق السلامة المرورية بين الجماهير في مجتمعهم الكبير ، ليست مسؤولية رجال المرور وحدهم فحسب ، بل هي مسؤولية جماعية يؤدي رجل المرور فيها وظيفته مشكورا ولا بد أن يتعاون أفراد المجتمع الحضاري جميعا ، ولا يكتفي في هذا الصدد بكفاءة من يقود عجلة القيادة فحسب بل لابد من توفر ثقافة عالية ، ودراية ومعرفة بوسائل السلامة للمحافظة على أرواح المواطنين أو السائقين ودمائهم . (٢١)

ثالثا: وسائل ومصادر التوعية المرورية:

لعل من المهم قبل البدء في تحديد الوسائل أو الآليات لتنفيذ برامج التوعية المرورية، أن يتم دراسة المناخ المجتمعي الذي ستنفذ عن طريقه هذه البرامج، بمعنى أن دراسة الجمهور وسلوكهم واتجاهاتهم ليتم وضع ما يناسبهم وضمان استجابتهم ولو نسبيا للشعور بالمسؤولية والانتماء الوطني، فالتنشئة الاجتماعية السليمة والتربية الصحيحة هي الأرضية التي يتوقف عليها مدى استعداد الفرد لتلك القواعد والتعليمات. ولما كان نظام المرور هو سلوك ومظهر تقاس به حضارة ورقي المجتمعات وأن أطراف هذا السلوك هم رجال المرور ومستخدمو الطرق فإنه يجب توجيه الاهتمام بهذه العلاقة ومحاولة تحقيق التوازن المطلوب لها وبالتالي سوف ينعكس ذلك على سيادة النظام بالمجتمع وهنا تكون أهم الآليات والوسائل هي. (٢٢)

إقامة المسابقات المرورية للتعريف بأهمية النظام المرورية

- توعية النشء، عن طريق المؤسسات التعليمية سواء المدرسة أم الجامعة واستخدامه كوسيلة لنقل المعلومات داخل الأسرة. ونشر الملصقات والبوسترات والعلامات المرورية التكيفية في الشوارع والحدائق العامة والأماكن الترفيهية التجارية الكبيرة.
- اعداد برامج إعلامية سواء كانت مرئية أم مسموعة أم مقروءة، تركز في توعية الأفراد وضرورة اتباع إشارات وتعليمات المرور.

وأهم توعية هي توعية المجتمعات بمخاطر المخالفات المرورية ونشر الوعي المروري بضرورة الالتزام بالقوانين والتعليمات المرورية عن طريق مصادر يتم اعتمادها بالتعاون بين وزارة الداخلية

-مديرية المرور العامة وبين هذه المصادر التي من أهمها:

دوائر شرطة المرور وقوات الأمن الأخرى.

١. وزارة النقل

٢. وسائل الإعلام:

١. الصحافة المكتوبة

٢. الإذاعة

٣. القنوات التلفازية.

٤. وسائط الإعلام الجديد ومواقع التواصل الاجتماعي.

٥. المؤسسات التعليمية (المدارس والجامعات).

– اعتماد استراتيجية نشر المعلومات والحقائق عن مختلف جوانب الحياة المرورية وتفسير الأحداث والظواهر والتطورات والمشاكل المرورية وتحليلها ومناقشتها سبيلا لنشر الثقافة المرورية التي تقوم عليها التوعية المرورية وتنطلق منها.

الجانب الميداني وتحليل البيانات

جدول رقم (١) يبين جنس المبحوثين

الجنس	التكرار	النسبة مئوية
ذكور	٦٩	٪٦٩
إناث	٣١	٪٣١
المجموع	١٠٠	٪١٠٠

تبين من الجدول رقم (١) أن عدد الذكور بلغ أكثر من الإناث في عينة البحث إذ كان (٦٩) بنسبة ٦٩٪ من المبحوثين بينما كان عدد الإناث (٣١) وبنسبة ٣١٪ من عدد المبحوثين، ويعود ذلك لطبيعة المجتمع وتفوق عدد نسبة سواق المركبات الرجال على الإناث.

العمر	التكرار	النسبة المئوية	المرتبة
١٨– ٢٥	٤٣	٪٤٣	الأولى
٢٥–٣٥	٣٧	٪٣٧	الثانية
٣٥– فما فوق	٢٠	٪٢٠	الثالثة
المجموع	١٠٠	٪١٠٠	

جدول رقم (٢) يبين أعمار أفراد العينة

يتضح من الجدول رقم (٢) أن الفئة العمرية من (١٨-٢٥) شكلت أعلى نسبة عمرية للعينة وبنسبة (٤٣٪) تليها الفئة (٢٥ -٣٥) بالمرتبة الثانية بنسبة (٣٧٪) من مجموع العينة وأخيرا جاءت الفئة (٣٥ فما فوق) بنسبة (٢٠٪) . من ذلك نستنتج تفوق فئات الأعمار الشابة على مجتمع سواق المركبات وهذه الفئة حديثة بقيادة المركبة كون قيادة المركبة تحتاج إلى حيازة إجازة السوق التي تمنح للفرد بعد تجاوزه عمر ١٨ عاما ، لذلك فمن الضروري الاهتمام ببرامج التوعية والإرشاد المروري ومضمونها المتنوع .

جدول رقم (٣) يبين حيازة المبحوثين لإجازة

الإجابة	التكرار	النسبة مئوية	المرتبة
نعم	٤٩	٤٩٪	الثانية
كلا	٥١	٥١٪	الأولى
المجموع	١٠٠	١٠٠٪	

يتضح من الجدول رقم (٣) أن عدد غير الحاصلين على إجازة السوق جاء بالمرتبة الأولى بنسبة (٥١٪) من مجموع العينة يقابلهم بفارق ضئيل الحاصلون على إجازة السوق بنسبة (٤٩٪) . ما يوضح أن نصف عدد أفراد العينة وسواق المركبات لا يمتلكون إجازة سوق ما يعني عدم إتقانهم للسياقة وفق القوانين والتعليمات المرورية والالتزام بالعلامات والإشارات التي تعرف السائق بالطرق والسلوك الممنوع أو المسموح في الشارع وهذا ما يؤكد ضرورة وجود برامج مرورية توعوية تسهم في زيادة الوعي والثقافة المرورية بين سواق المركبات وتعريفهم بالقوانين والتعليمات لتجنب المخالفات والحوادث المرورية .

جدول (٤) يبين مشاهدة المبحوثين للبرامج المرورية في الفضائيات العراقية

الإجابة	التكرار	النسبة المئوية
نعم	٩٧	٩٧٪
كلا	٣	٣٪
المجموع	١٠٠	١٠٠٪

تبين من جدول رقم (٤) أن معظم أفراد العينة يشاهدون ويستمعون للبرامج المرورية

بنسبة (٩٧٪) بينما جاء الذين لا يشاهدون بنسبة (٣٪) . وهذا ما يشكل دافعًا لدى المسؤولين في قطاع المرور وخاصة مسؤولي الإعلام منهم للاهتمام بمضامين البرامج المرورية وتطويرها بحسب ما تحتاج إليه المرحلة ، والظواهر المتنوعة والمنتشرة في الشارع .

جدول رقم (٥) يبين مشاهدة البرامج بالنسبة لجنس المبحوثين الكلي

الإجابة / الجنس	أشاهد		لا أشاهد		المجموع	
	تكرار	٪	تكرار	٪	تكرار	٪
إناث	٢٩	٪٩٣. ٥٤٨	٢	٪٦. ٤٥٢	٣١	٪١٠٠
ذكور	٦٨	٪٩٨. ٥٥١	١	٪١. ٤٤٩	٦٩	٪١٠٠

ظهر عن طريق تحليل جدول رقم (٥) الذي يبين العلاقة بين جنس المبحوثين ومشاهدة البرامج المرورية أن الذكور يشاهدون البرامج أكثر من الإناث إذ بلغ الذكور الذين يشاهدون البرامج نسبة (٩٨٪) من مجموع العينة بينما الإناث (٢٩٪) . وهذا ما يعكس طبيعة المرأة وانشغالها بأدوارها في المجتمع بين الوظيفة والأعمال المنزلية ومسؤوليات العائلة والأولاد وغيرها وعدم اهتمامها بالبرامج المرورية التي يقتصر تقديمها على الرجل وأيضا لما تحتويه مضامينها الموجهة للسائق ، وهذا ما يظهر ضرورة الاهتمام بتقديم مضامين ومقاطع واقعية تبين سلوك المرأة في الشارع خلال سياقتها للمركبة سواء كان سيئا أو جيدا ، وأيضا إمكانية التعاون بين المرأة والرجل في تقديم البرامج المرورية لاسيما أنها تشغل مناصب في وزارة الداخلية ومديريات المرور العامة .

جدول رقم (٦) يبين مدى المشاهدة للبرامج المرورية من قبل المبحوثين

الإجابة	التكرار	النسبة المئوية	المرتبة
دائما	٦٠	٪٦١. ٨٥٦	الاولى
أحيانا	٢٩	٪٢٩. ٨٩٧	الثانية
نادرا	٨	٪٨. ٢٤٧	الثالثة
المجموع	٩٧	٪١٠٠	

أظهر الجدول رقم (٦) أن (٦١ . ٨٥٦٪) من مجموع العينة يشاهدون البرامج المرورية دائما ، بينما كانت نسبة الذين يتابعون أحيانا (٢٩ . ٨٩٧٪) بالمرتبة الثانية وأخيرا جاء الذين يشاهدون نادرا بنسبة (٨ . ٢٤٧٪) . من ذلك يتضح أن أغلب المبحوثين يشاهدون البرامج المرورية دائما وقد يعود ذلك إلى نوع المضامين التي تقدمها البرامج المرورية إذ لوحظ عن طريق متابعة الباحثة للبرامج أن البرامج تقدم مضامين واقعية مشوقة من عرض الحوادث التي صورتها الكاميرات في الشارع وشرح ملابساته وأسبابه عن طريق مقدم البرامج فضلا عن التركيز في القوانين والتعليمات الصادرة من دائرة المرور ووزارة الداخلية .

جدول رقم (٧) يبين مدة مشاهدة المبحوثين للبرامج المرورية

الإجابة	التكرار	النسبة المئوية
أقل من ساعة	٧٥	٧٧ . ٣١٩٪
ساعة	١٦	١٦ . ٤٩٦٪
أكثر من ساعة	٦	٦ . ١٨٥٪
المجموع	٩٧	١٠٠٪

أظهرت بيانات الجدول رقم (٧) الذي يوضح ساعات مشاهدة المبحوثين للبرامج المرورية الآتي : المبحوثون الذين يشاهدون أقل من ساعة يشكلون نسبة (٧٧ . ٣١٩٪) من العينة ، الذين يشاهدون ساعة وبنسبة (١٦ . ٤٩٦٪) من العينة ، وأخيرا جاءت المشاهدة لأكثر من ساعة وبنسبة ٦ . ١٨٥٪) ، وربما يعود ذلك إلى أن مدة عرض أغلب البرامج المرورية ساعة أو أقل أو أكثر بقليل أو أن المبحوثين يفضلون مشاهدة فقرات معينة من البرنامج .

جدول رقم (٨) يبين هدف المبحوثين لمشاهدة البرامج (يمكن اختيار أكثر من إجابة)

الأهداف	التكرار	النسبة المئوية	المرتبة
زيادة المعلومات	٧٢	٪٣٤ . ٩٥٢	الأولى
اكتساب الثقافة المرورية	٦٢	٪٣٠ . ٠٩٧	الثانية
الاطلاع على مستجدات الأحداث	٢٤	٪١١ . ٦٥٠	الرابعة
معرفة القرارات والتعليمات المرورية	٤٨	٪٢٣ . ٣٠١	الثالثة
أخرى	٠	٠	
المجموع	٢٠٦ (*)	٪١٠٠	

يبين الجدول رقم (٨) أهداف المبحوثين من مشاهدة البرامج المرورية ومعرفة مضامينها، وقد جاء أولا دافع (زيادة المعلومات) بنسبة (٣٤ . ٩٥٢٪) وجاء ثانيا (اكتساب الثقافة المرورية) وبنسبة (٣٠ . ٠٩٧٪) ، أما ثالثا فكان (معرفة القرارات والتعليمات المرورية) بنسبة (٢٣ . ٣٠١٪) ، وحل رابعا (الاطلاع على مستجدات الأحداث) وبنسبة (١١ . ٦٥٠٪) .

جدول (٩) يبين أسباب متابعة المبحوثين للبرامج المرورية (يمكن الإجابة لأكثر من اختيار)

الإجابة	التكرار	النسبة المئوية	المرتبة
الإفادة من الإرشادات والاطلاع على القوانين الجديدة	٤٣	٪٢٧ . ٥٦٤	الثالثة
الاطلاع على الحوادث المرورية وأسبابها	٦٢	٪٣٩ . ٧٤٤	الأولى
لمعرفة القواعد والمخالفات المرورية والغرامات	٥١	٪٣٢ . ٦٩٢	الثانية
المجموع	١٥٦	٪١٠٠	

الجـدول رقـم (٩) يوضـح أسـباب مشـاهدة المبثوثيـن للبرامـج المروريـة ، وجـاء سـبب الاطـلاع علـى الحـوادث المروريـة وأسـبابها أولا بنسـبة (٣٩ . ٧٤٤٪) ، بينمـا جـاء ثانيـا (معرفة القواعـد والمخالفـات المروريـة والغرامـات) وبنسـبة (٣٢ . ٦٩٢٪) وحلـت أخيـرا (الإفـادة مـن الإرشـادات والاطـلاع علـى القوانيـن الجديـدة) بنسـبة (٢٧ . ٥٦٤٪) .

جدول رقم (١٠) يبين مدى إفادة المبحوثين من البرامج المرورية التي يتابعونها

الإجابة	التكرار	النسبة المئوية	المرتبة
استفدت كثيرا	٦٤	٦٥ . ٩٧٩٪	الأولى
استفدت قليلا	٣١	٣١ . ٩٥٩٪	الثانية
لم أستفد	٢	٢ . ٠٦٢٪	الثالثة
المجموع	٩٧	١٠٠٪	

ظهـر مـن الجـدول رقـم (١٠) الـذي يبيـن مـدى اسـتفادة المبحوثيـن مـن متابعـة البرامـج المروريـة ، أن جـواب (اسـتفدت كثيـرا) جـاء بنسـبة (٥٦ . ٩٧٩٪) مـن مجمـوع العينـة ، وتلاهـا ثانيـا الإجابـة (اسـتفدت قليـلا) بنسـبة (٣١ . ٩٥٩٪) مـن العينـة ، بينمـا جـاءت أخيـرا الإجابـة بـ (لـم أسـتفد) بنسـبة ٢ . ٠٦٢٪) مـن مجمـوع العينـة .

جدول رقم (١١) يبين اكتساب الوعي المروري للمبحوثين عن طريق البرامج المرورية

الإجابة	التكرار	النسبة المئوية	المرتبة
نعم	٨٦	٨٨ . ٦٥٩٪	الأولى
كلا	١١	١١ . ٣٤١٪	الثانية
المجموع	٩٧	١٠٠٪	

تبيـن مـن الجـدول رقـم (١١) الـذي يبيـن إجابـات المبحوثيـن أهميـة البرامـج المروريـة فـي إكسـابهم الوعـي والثقافـة المروريـة بشـأن كل مـا يتعلـق بقوانيـن المـرور والإجـراءات الحكوميـة . وقـد أجـاب بـ (نعـم) أكسـبتني البرامـج وعيـا مروريـا ، (٨٦) مبحوثًـا بنسـبة (٨٨ .

٦٥٩٪) من مجموع العينة ، بينما كانت الإجابة (كلا) لـ (١١) مبحوثا وبنسبة (١١ . ٣٤١٪) من مجموع العينة .

جدول رقم (١٢) يبين مجالات سلوكيات الوعي المروري التي اكتسبها المبحوثون من متابعة البرامج المرورية (يمكن اختيار أكثر من إجابة)

الإجابة	التكرار	النسبة المئوية	المرتبة
الالتزام بسرعة السير المناسبة	٤٦	٣٧ . ٠٩٦٪	الأولى
معرفة العلامات المرورية والالتزام بها	١٨	١٤ . ٥١٦٪	الرابعة
احترام قانون وإرشادات وتعليمات المرور والتقييد بتنفيذها	٣٦	٢٩ . ٠٣٤٪	الثانية
معرفة القوانين وتجنب وتقليل المخالفات المرورية	٢٤	١٩ . ٣٥٤٪	الثالثة
المجموع	١٢٤	١٠٠٪	

عن طريق بيانات الجدول رقم (١٢) تبين أن اكتساب الوعي المروري للمبحوثين عن طريق متابعة البرامج المروري كان في مجالات وسلوكيات متنوعة وهي كالآتي : جاءت أولا (الالتزام بسرعة السير المناسبة) لـ (٤٦) تكرارا وبنسبة (٣٧ . ٠٩٦٪) من مجموع الإجابات ، بينما جاءت ثانيا (احترام إرشادات وعليمات المرور وضرورة تنفيذها لـ (٣٦) تكرارا بنسبة (٢٩ . ٠٣٤٪) من الإجابات ، وثالثا كانت (الاطلاع ومعرفة القوانين لنتجنب وتقليل المخالفات المرورية) لـ (٢٤) تكرارا بنسبة (١٩ . ٣٥٤٪) من مجموع الإجابات ، وأخيرا جاءت (معرفة العلامات المرورية والالتزام بها) لـ (١٨) تكرارا وبنسبة (١٤ . ٥١٦٪) من مجموع إجابات العينة .

العلاقات الارتباطية وتطبيقها إحصائيا:

١ –هنالك علاقة ارتباطية بين مشاهدة البرامج المرورية في الفضائيات وبين استفادة المبحوثين من البرامج .

وبتطبيق معامل ارتباط بيرسون على (جدول رقم ٧ وجدول رقم ١٤) تبين أن الارتباط

بينهما ٠ . ٠٢٣ فيما T الجدولية ١ . ٦٦ ولأن الجدولية أكبر من المحسوبة فهي دالة إحصائيا .

٢-هناك علاقة ارتباطية بين الأهداف التي يسعى المبحوثون لها من مشاهدة البرامج المرورية في الفضائيات وبين سلوكيات الوعي المروري التي يحققونها .

وبتطبيق معامل ارتباط بيرسون على (جدول رقم ١٠ وجدول رقم ١٦) تبين أن معامل ارتباط بيرسون ٠ . ٠١٩ وهو ارتباط طردي ضعيف مما يعني تحقق العلاقة .

وتبين أن T المحسوبة ٠ . ١٨٥ فيما T الجدولية١ . ٦٦ ولأن المحسوبة أصغر من الجدولية فهي دالة إحصائيا .

٣-هنالك علاقة ارتباطية بين أسباب متابعة المبحوثين للبرامج المرورية في الفضائيات وبين الإفادة من البرامج التي يشاهدونها .

وتبين أن معامل الارتباط ٠ . ٤٥ وهو ارتباط طردي متوسط مما يعني تحقق العلاقة .

وبحساب T تبين أن T المحسوبة ٤ . ٩١١ فيما T الجدولية ١ . ٦٦ ولأن المحسوبة أكبر من الجدولية فهي غير دالة إحصائيا هنالك علاقة ارتباطية بين أسباب متابعة المبحوثين للبرامج المرورية في الفضائيات وبين سلوكيات الوعي المروري للمبحوثين .

وبتطبيق معامل الارتباط الرتب سبيرمان على (جدول رقم ١١وجدول رقم ١٤) تبين أن قيمة الارتباط ١ ، ٥ وهو ارتباط عكسي تام مما يعني عدم تحقق العلاقة .

التوصيات:

في ضوء النتائج التي اسفرت عنها الدراسة ، نقترح بعض التوصيات التي نأمل أن تسهم في تفعيل أساليب التوعية المرورية ، وهي كالآتي :

١ - لا يكفي أن تصل رسائل التوعية إلى الجماهير المستهدفة ولكن لا بد من أن تخلق الاتجاهات الإيجابية والتصرفات السلوكية المرغوبة ، نحو سلوك القيادة والمخالفات المرورية .

٢ - الاهتمام بالبرامج التوعوية المرورية لتثقيف سواق المركبات وخلق الالتزام بأنظمة وقوانين المرور .

٣- كما توصي الدراسة بإجراء المزيد من الدراسات والأبحاث ذات الصلة بموضوع الدراسة.

٤-العمل على زيادة مساحة مشاركة المواطنين عن طريق طرائق الاتصال المختلفة مثل الهاتف والرسائل النصية والبريد الالكتروني. . . . الخ في تقديم استفساراتهم واقتراحاتهم.

٥- التنسيق مع وزارتي التربية والتعليم العالي والبحث العلمي لإدراج مواد ومناهج تعليمية خاصة بالتوعية المرورية.

٦- إنشاء مراكز للوعي المروري في مختلف الإدارات المرورية على مستوى العراق.

٧- التوسع في التنويهات المرورية في التلفاز وخاصة أن سواق المركبات يعتمدون عليها في الحصول على المعلومات المرورية.

المصادر.

١. حمدان خضر سالم، جاسم محمد شبيب (٢٠١٨) طرائق مواجهة الشائعات في مواقع التواصل الاجتماعي (الفيس بوك) (مجلة الباحث الإعلامي، عدد ٤١، مج ١٠).

٢. شيماء ذو الفقار زغيب (٢٠١٧)، مناهج البحث والاستخدامات الإحصائية في الدراسات الإعلامية (القاهرة: دار المصرية اللبنانية)

٣. ربحي مصطفى عليان، و عثمان محمد غنيم. (٢٠٠٠). مناهج و إساليب البحث العلمي. عمان: دار الصفا للتوزيع والنشر.

٤. إيمان أبو الروس. (٢٠٠١). كيف تكتب بحثا ناجحا في ٢٥ خطوة لإعداد البحوث والرسائل الجامعية. القاهرة: دار الطلائع للنشر والتوزيع.

٥. علي جبار الشمري. (٢٠١٢). الانترنت وتشكيل الوعي العلمي لدى طلاب جامعة بغداد. بغداد: مجلة الدراسات في الإعلام الجامعة (جامعة بغداد) الدار الجامعية للطباعة والنشر.

٦. أسامة بدري محمد صالح الدباغ. (١٩٩٠). أساليب واتجاهات نشر الوعي ضد الجريمة في الصحافة العراقية. بغداد: رسالة غير منشورة.

٧. علي موفق الحديثي. (٢٠٠٦). دور العلاقات العامة في نشر الوعي المروري. جامعة بغداد، كلية الإعلام. بغداد: رسالة غير منشورة.

٨. محمد منير حجاب. (٢٠١٠). نظريات الاتصال. مصر: دار الفجر للنشر والتوزيع.

٩. يسرا إبراهيم خالد، و فاطمة عبد الكاظم حمد. (٢٠١٨). نظريات الاتصال. بغداد: الدار البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع.

١٠. سعاد جبر سعيد. (٢٠٠٨). سايكولوجية الاتصال الجماهيرية. الأردن: عالم الكتب الحديث.

١١. عبدالعزيز شرف. (٢٠٠٣). الصحافة المتخصصة ووحدة المعرفة. القاهرة: عالم الكتب.

١٢. جلال عبدالرحمن. (٢٠١٩). دور التلفزيون في تثقيف المجتمع الجزائري. المسلية: رسالة غير منشورة.

١٣. فاطمة حسين عواد (٢٠١٠) الإعلام الفضائي: الأردن دار أسامة للنشر والتوزيع.

١٤. سامي الشريف. (١٩٩٩). القنوات التلفزيونية المتخصصة (رؤية نقدية). جامعة القاهرة، كلية الإعلام. القاهرة: المجلة المصرية للبحوث الإعلام.

١٥. ابن منظور. (٢٠٠٣). لسان العرب (المجلد مج٣). القاهرة: دار الحديث

١٦. إسماعيل إبراهيم (٢٠١٧) المناهج الإعلامية: القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع.

١٧. اجناسي فانيفتش. (١٩٧٣). التعليم بالراديو والتلفزيون. باريس: اليونسكو.

١٨. ابن منظور، و محمد بن مكرم الانصاري. (٢٠٠٤). لسان العرب (المجلد مج ١٥). بيروت: دار صادر.

١٩. عبدالله زيد الكيلاني، و نضال الشريفيين. (٢٠٠٧). مدخل إلى البحث في العلوم التربوية والاجتماعية. الأردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع.

20. Alex, T (1985 Mass Communication Theories and research1985New Yorkmacmillan puplishing

٢١ . عبدالله الحامد ، و عبدالله الخلف . (٢٠٠٥) . دور أفلام التوعية في رفع مستوى الوعي المروري . الرياض : جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية قسم العلوم الاجتماعية .

٢٢ . ماهر بن سعد الجديد . (١٤٢٤ هـ) . الآثار الصحية الناتجة عن الحوادث المرورية . الرياض : جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية .

المستخلص

بحث بعنوان (دور التلفزيون في زيادة الوعي المروري لدى الجمهور) دراسة ميدانية على جمهور مدينه بغداد ، تتمحور أهداف هذا البحث بالإجابة عن التساؤلات التي تمت صياغتها في ضوء مشكلة البحث ويسعى البحث لتحقيق أهداف عدة وكالآتي :

١-معرفة مدى متابعة الجمهور للبرامج المرورية التلفازية .

٢-معرفة عادات متابعة الجمهور للبرامج المرورية التلفازية .

٣-التعرف إلى أهداف وأسباب متابعة الجمهور للبرامج المرورية التلفازية

٤-معرفة مدى الإفادة من متابعة البرامج المرورية التلفازية في تعديل السلوك والوعي المروري للجمهور .

٥-معرفة العلاقة بين مدى مشاهدة البرامج والفائدة والأسباب بالنسبة الى متغير الجنس وتعد هذه الدراسة من الدراسات الوصفية .

وتوصلت الباحثة إلى نتائج مهمة نذكر منها الآتي :

- أظهرت الدراسة ارتفاع نسبة مشاهدة جمهور السواق للبرامج التلفازية المرورية وبذلك يتبين أن جمهور المتلقين هو جمهور نشط ، لتعرّضه لوسائل الإعلام وهو تعرض مقصود ، لتحقيق فائدة معينة وهذا ما أظهرته الدراسة الاستطلاعية الأولية التي أجرتها الباحثة : إذ ارتفعت المشاهدة لبرنامج وقفة مرورية الذي يعرض من على قناة العراقية بنسبة ٧٧٪ من مجموع العينة .

– أظهرت النتائج ارتفاع نسبة الفائدة الناتجة من مشاهدة البرامج التلفازية المرورية التي تقدمها القنوات الفضائية العراقية ، إذ كانت زيادة المعلومات واكتساب الثقافة المرورية أولى أهداف المشاهدة للمبحوثين بنسبة ٦٤٪ مما يؤكد تحقق فروض الدراسة .

– أوضحت البيانات الميدانية أنّ نصف عدد أفراد العينة وسواق المركبات لا يمتلكون إجازة سوق وبنسبة ٥١٪ ، ما يعني عدم اتقان أغلب سواق المركبات للتعليمات المرورية والالتزام بالعلامات والإشارات التعريفية والإرشادية المرورية ما يستدعي ضرورة وجود برامج التوعية المرورية والاهتمام بمضامينها وتنويعها .

– على الرغم من قصدية مشاهدة المبحوثين للبرامج المرورية لفائدة معينة ورضاهم عن طرق إخراج وتقديم هذه البرامج إلا أن استفادتهم العامة في مجال التوعية المرورية كانت قليلة وكانت أجابتهم ب (استفدت قليلا) بنسبة ٦٤٪ من مجموع الإجابات .

Abstract

Research entitled (The Role of Television in Increasing Traffic Awareness of the Public) A field study on the public of Baghdad. The objectives of this research are centered in answering the questions that were formulated in light of the research problem. The research seeks to achieve several goals as follows:

1- Knowing the extent and nature of the audience following TV traffic programs.

2- Knowing the audience's follow-up habits of TV traffic programs.

3- Identify the objectives and reasons for the audience to watch TV traffic programs

4- Knowing the extent of the benefit from television traffic programs in modifying the behavior and traffic awareness of the public.

5- Knowing the relationship between the extent of viewing the programs and the benefit in terms of the gender variable and the reasons.

The researcher reached the most important results, including the following:

- The study showed a high percentage of the driving audience watching traffic TV programs, and thus it appears that the audience of the recipients

is an active audience with exposure to the media, which is an intentional exposure to achieve a specific benefit, and this is what the researcher's initial survey showed. Of the total sample.

- The results showed an increase in the interest rate resulting from watching traffic TV programs provided by Iraqi satellite channels. Increasing information and acquiring traffic culture were the first goals of the respondents to watch by 64٪ , which confirms the fulfillment of the study hypotheses.

- The field data showed that half of the sample members and vehicle drivers do not have a driving license, at a rate of 51٪ , which means that most vehicle drivers do not master the traffic instructions and adhere to the signs and identification and traffic guidance signs, which calls for the need for traffic awareness programs and attention to their contents and diversification.

- Despite the respondents 'intention to watch traffic programs for a specific benefit and their satisfaction with the methods of producing and presenting these programs, their general benefit in the field of traffic awareness was little and their answer was (I benefited a little) with 64٪ of the total answers.

تيار الحكمة الوطني والمعايير الدولية للحكم الصالح

د. محمد عامر حسن

AL-HIKMA National Movement and International Criteria of Good Governance

Abstract

This research, entitled (Al-Hikma National Movement and International Criteria of Good Governance) , concludes in its assertion that good governance is a goal that no political system can fully reach as far as it can be approached, and this approach is measured by touching some or more of some of the criteria adopted by the programs and activities of the political system and its institutions, including the programs and activities of political parties as part of the political system. Accordingly, Al-Hikma National Movement, if not in the depth of the circle of international criteria of good governance, it is among the most important Iraqi political organizations close to these standards.

Keywords:

المقدمة

كيما يصبح الحكم الصالح جزءًا من الوعي العالمي لا بُدَّ من وضع معايير دولية، وإن المعايير الدولية لا تولد فجأة، ولا تُفرض بالقوة، ولا تُصنع بعفوية وارتجال، بل تتشكل عبر مسار طويل يبدأ بتأملات عقول ثم دعوات أفراد ومطالبات حشود وتأسيس أُطر تنظيمية وطنية وإقليميّة ودولية لتستقر تلك المعايير في مواثيق وعهود دولية، كما حصل مع المعايير الدولية المتصلة بالأمن والسلم الدوليين وبحقوق الإنسان وبالتنمية المستدامة والقانون الدولي الإنساني ومكافحة الإرهاب والعنف وإعمام ثقافة التسامح والمصالحة والعدالة الانتقالية والتعايش ما بين الأديان. . . . إلخ من المعايير التي استقرت لتصبح جزءًا من التشريعات الوطنية بما في ذلك الدساتير.

وبقدر تعلق الأمر بالحكم الصالح والمعايير الدولية هناك إشكاليّة تتصل بفك الاشتباك مابين الوطني (حكم صالح) والعابر للوطني (المعايير الدولية) والتي انبثقت عنها اشتباكات وجدليات حول الخصوصية والعالمية والقوانين الوطنية والقانون الدولي. بكل الأحوال فإن البوصلة في عالمنا المعاش تتجه نحو تداخل واستحضار، إن لم نقل تغليب، الدولي على الوطني بعد أن أصبح عالمنا المعاصر عالم الاعتمادية المتبادلة والتواصل بفعل سرعة تعولم كل من قيم وممارسات الخير والشر معًا. ومن هنا فإن الضرورة الملجئة لتبني المعايير الدولية بما في ذلك مجال الحكم الصالح تتأتى من التعامل مع مغزى الحكم الصالح الأخلاقي الفلسفي ثم القانوني الدولي (١). فهذه المعايير لا تخرج ولا تتعارض مع العقائد والأخلاق والقواعد القانونية لحقوق الإنسان وللشعوب، الأمر الذي يعزز عدم التردد في اللجوء إليها وتبنيها بقناعة من قبل الشعوب وباضطرار من قبل الحكام (٢).

ورغم تصاعد دور المنظمات الدولية وانتشار ثقافة المقبولية لأفكار وقيم وممارسات معولمة لا بُدَّ من الإشارة إلى أن محاولة تعميم فكرة الحكم الصالح عبر استخدام معايير دولية موحدة قد تحمل بعض التعسف الذي ينتج عن عدم احترام الخصوصيات الثقافية والفوارق في مستويات التطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي بين المجتمعات والدول، لذلك يجب تكيف معايير الحكم الصالح الدولية مع حال البلد أو المناطق، حيث تختلف الأولويّات حسب تأريخ هذه البلدان وتراثها وثقافتها ومستوى تطورها. وهذا الأمر ضروري للانتقال من مرحلة المفهوم النظري إلى ابتكار الآليات العملية التطبيقية التي تسمح تدريجيًا بتطوير الإدارة والحكم وترفع من مستويات المحاسبة والمساءلة والمشاركة

والشفافية. إذن للمعايير الدولية هدف يتمثل بتحقيق الحكم الصالح، والهدف ضرورة تقتضي تبني معايير يتم اللجوء إليها والاسترشاد بها لقياس مدى اقتراب النظام السياسي أو ابتعاده عن الحكم الصالح (٣).

ونظرًا لأهمية المنظمات الدولية ودورها في التأثير على السياسات الكلية للدول في المجالات الاقتصادية والاجتماعية ومن ثم السياسية، فإنه لمن الضروري التعرف على معايير هذه المنظمات الخاصة بمفهوم الحكم الصالح والحوكمة (٤)، فهنالك معايير قدمها البنك الدولي وأخرى قدمتها منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية كما أن البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة قدم هو الآخر معايير للحكم الصالح ومؤسسات دولية (مجلس الاتحاد البرلماني الدولي، المنظمة العربية لمكافحة الفساد، منظمة مراسلون بلا حدود، منظمة بيت الحرية، المفوضية السامية لحقوق الإنسان، صندوق النقد الدولي، ومنظمة الأمن والتعاون في أوربا)، جميعها أبدت اهتمامًا كبيرًا بموضوع الحكم الصالح، حيث وضعت مؤشرات مختلفة لقياس صلاحية الحكم في كل أنحاء العالم، ويتم الإعلان سنويًا عن صدور تقارير عن مؤسسات دولية للمقارنة بين الدول أو لترتيبها وفقًا للمؤشرات التي تعتمدها في هذا الصدد (٥)، مع التذكير بأن هذه المعايير لم تتم صياغتها من طرف دولي واحد إنما تعددت الأطراف الدولية في صياغتها واختلفت في تعدادها، عليه فإن المعايير التي سنعتمدها تدرجت لتنتهي إلى اعتمادنا معايير البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة (UNDP).

معايير البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة (UNDP) للحكم الصالح

يعرف برنامج الأمم المتحدة الإنمائي الحكم الصالح على أنه «ممارسة السلطة الاقتصادية والسياسية والإدارية لإدارة شؤون الدولة في كافة مستوياتها» (٦)، وبالتالي فإن مفهوم الحكم الصالح برأي برنامج الأمم المتحدة الإنمائي يشمل ثلاثة جوانب، هي (٧):

أولًا: الجانب السياسي: عمليات صناعة القرارات وتنفيذ سياسات الدول وكيفية اختيار الحكومات بشقيها التنفيذي والتشريعي ومراقبة أفعالها وتغييرها إن لزم.

ثانيًا: الجانب الاقتصادي: عمليات صنع القرارات التي تؤثر مباشرة في مستوى ومكونات النشاطات الاقتصادية في بلد ما، فالجانب الاقتصادي يُعنى بهيكلية السوق

ومستوى الدخل وتوزيعه، والتشريعات النقدية والمالية، وقوانين العقود، والشفافية، وحماية البيئة، والسياسات الاقتصادية وكيفية تنفيذها.

ثالثًا: الجانب الإداري: كيفية تنفيذ السياسات في شقيها السياسي والاقتصادي من قبل القطاع العام، كاستحصال الضرائب، والتفتيش، والترخيص، والحفاظ على الأمن، وتقديم الخدمات للمواطنين بسرعة وكفاءة وفعالية.

وطبقا لتقرير البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة فإن الحكم الصالح يقوم على تسعة معايير للحكم، هي (٨):

١. **المشاركة**: حق المرأة والرجل بالتصويت وإبداء الرأي مباشرة أو عبر المجالس التمثيلية المنتخبة ديمقراطيًا بالبرامج والسياسات والقرارات، وتتطلب تلك المشاركة توافر القوانين التي تضمن حرية تأسيس الجمعيات والأحزاب وحرية التعبير والانتخاب والحريات العامة بصفة إجمالية ضمانًا لمشاركة المواطنين الفعالة ولترسيخ الشرعية السياسية. فضلًا عن إعطاء فرصة للمواطنين كي يشاركوا بشكل مباشر في عملية صنع القرارات التشريعية والتنفيذية والإدارية، وذلك بهدف إصلاح العلاقات المتردية بين الدولة والمجتمع، ومن أجل زيادة الثقة في الحكومة وتعزيز شرعيتها (٩).

٢. **حكم القانون**: يتعين أن تتسم الأُطر القانونية بالعدالة وأن تطبق دون تحيز، وينطبق ذلك بوجه خاص على القوانين الحامية لحقوق الإنسان. إذ إن حكم القانون وسيادته هو أحد مبادىء الحوكمة الذي يعتبر جميع الأشخاص والمؤسسات والكيانات العامة والخاصة بما في ذلك الدولة ذاتها مسؤولين أمام القوانين التي تصدر علنًا، وتطبق على أساس مبدأ المساواة، ويجري التقاضي بها على نحو مستقل، وتكون متسقة مع المبادىء والمعايير الدولية لحقوق الإنسان، وهي تستلزم بالإضافة إلى ذلك وضع التدابير اللازمة لضمان الامتثال لمبادىء سيادة القانون والمساواة والمسؤولية أمام القانون والعدالة في تطبيق القانون، والفصل بين السلطات والمشاركة في عملية صنع القرار واليقين القانوني وتجنب التعسف ووجود شفافية إجرائية وقانونية (١٠).

٣. **الشفافية**: تقوم الشفافية على التدفق الحر للمعلومات، وعلى أن تنفتح المؤسسات

والعمليات المجتمعية مباشرة للمهتمين بها، وأن تتاح المعلومات الكافية لتفهمها ومراقبتها. والشفافية هي إحدى المصطلحات الحديثة التي استخدمتها الجهات المعنية بمكافحة الفساد في العالم، معبرة عن ضرورة اطلاع الجمهور على منهج السياسات العامة وكيفية إدارة الدولة من قبل القائمين عليها من رؤساء دول وحكومات ووزراء وكافة المعنيين في مؤسسات الدول، بغية الحد من السياسات غير المعلنة التي تتسم بالغموض وعدم مشاركة الجمهور فيها بشكل واضح. لذلك فإن الشفافية هي (آلية الكشف والإعلان من جانب الدولة عن أنشطتها كافة في التخطيط والتنفيذ، لأنها حق من حقوق المواطن الأساسية، فمن حق المواطن أن يحصل على معلومات كافية ووافية حول المعاملات والإجراءات المرتبطة بمصالحه، وهو ما أكدته المادة (١٩) من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ضمن المقرر الخاص بلجنة حقوق الإنسان والتي نصّت على «أن حق طلب المعلومات والحصول عليها وبثها يفرض على الدولة وجوب تأمين الوصول إلى المعلومات». وتبعًا لأهمية ذلك رأي غالبية المهتمين بهذا الشأن أن تعزيز الشفافية تمثل ضرورة وطنية داخلية من أجل إعطاء الأجيال الناشئة أملاً في المشاركة لتحقيق مستقبل أفضل، لذلك لا بُدَّ من الالتقاء والدعم والمساندة لجهود الهيئات والمنظمات الدولية لخلق أنظمة ذات حكم صالح (١١).

٤. **الاستجابة**: أي قدرة المؤسسات على خدمة المجتمع بالاستجابة السريعة لمطالبه واحتياجاته. فالاستجابة تمثل معيارًا إنسانيًا عندما تكون (مناسبة وملائمة، تتم في التوقيت المناسب، مبنية على أسس التواصل والمشاركة، منسقة ومكملة، بعيدة عن التحيز، مستقلة، محايدة وتتكيف مع الظرف والأزمة «حاجة المجتمع») ، حيث يكون ذلك أحد السمات الأساسية التي تتصف بها البرامج والخطط الموضوعة لخدمة المواطنين من كافة الفئات والطبقات الاجتماعية، وهي بذلك ستعزز القدرات المحلية وتتجنب الآثار السلبية (١٢).

٥. **التوافق**: القدرة على التوسط والتحكيم بين المصالح المختلفة وأحيانًا المتضاربة (Distributive Capability) من اجل الوصول إلى إجماع واسع حول المصلحة العامة والسياسات العامة، وهذا ما أشار إليه (ألموند) بمصطلح القدرة التوزيعية كسمة من سمات النظام السياسي. وتقوم التوافقية على فكرة جوهرية

وهي أن الميول الصراعية المتأصلة في بنية المجتمع التعددي تقابلها ميول تعاونية أو تصالحية على مستوى زعماء المجموعات المكونة له، ومن شأن السلوك التعاوني النخبوي كبح جماح العنف على الصعيد القاعدي ومن ثم تحقيق الاستقرار السياسي، إن بلوغ التوافق السياسي في أي مجتمع كأحد قيم أو مبادىء الحكم الصالح يعتمد على جملة من المبادىء السلوكية والأخلاقية والاجتماعية والإرادة السياسية الحقيقية، التي تضمن التقارب في المواقف والتطلعات وترسخ قيم المواطنة، وتضعف دوافع العدوان والإقصاء والتهميش، ومنها (تكريس ثقافة التسامح، والاعتراف بالآخر، والتمسك بالوحدة الوطنية (١٣).

٦. **المساواة**: تتاح لجميع النساء والرجال الفرص لتحسين رفاههم وحمايته. وقد تحدث الفيلسوف السياسي الإنكليزي (جون رولز) عن المساواة بوصفها سمة من السمات الخاصة للكائنات البشرية استنادًا إلى مايتوجب معاملتهم به طبقًا لمبادىء العدالة، فالمساواة تعني تخصيص الحقوق الأساسية المتساوية على جميع الأشخاص، حيث إن الحد الأدنى من القدرة على الإحساس بالعدالة والإنصاف يضمن أن كل شخص له حقوق متساوية، ويجب القضاء أو الحكم بين مطالب الجميع بوساطة مبادىء العدالة التي تمنح عدالة متساوية للجميع. إن القدرة على الإحساس بالمساواة تمتلك من قبل الأغلبية، وإن تحقيق ذلك أي (المساواة) يتم من خلال أشخاص مخولون بالعدالة المتساوية، قادرون على امتلاك تصور لخيرهم وقادرون على امتلاك حسن العدالة (١٤).

٧. **الفعالية**: أي إنجاز كافة الأهداف الموضوعة في الخطط، والقدرة على تنفيذ المشاريع الخدمية عبر إدارات كفوءة وعقلانية تحافظ على الموارد من الهدر، وذلك من خلال استغلال الموارد بالأسلوب الأمثل لتحقيق ذلك. وهي بذلك تعني تحقيق أعلى منفعة من خلال استخدام الموارد المخطط لها، والجدير بالذكر أن الكفاءة ترتبط بالفاعلية، لذلك فإن الفاعلية تتحقق عندما تكون هناك رؤية واضحة وأهداف محددة واستراتيجيات ومبادىء وقيم وتنمية وتطور (١٥).

٨. **المحاسبة**: يتعين أن يكون متخذو القرار في الحكومة والقطاع الخاص والمجتمع المدني خاضعين للمحاسبة لو للمساءلة من قبل الناس، وكذلك من قبل المؤسسات المعنية، وتختلف طبيعة المحاسبة حسب المؤسسة وحسب ما إذا كان

القـرار داخليًـا أو خارجيًـا . إن المسـاءلة والمحاسـبة الحقيقـة والدقيقـة والموضوعيـة والمحايـدة مهمـه لتشـخيص مواقـع الفسـاد وإثبـات أو نفـي حـالات الفسـاد بالديـل القاطـع ، وذلـك يتطلـب تشـريع قوانيـن للاسـتخدام الفعلـي والصـارم للثـواب والعقـاب بأشـكالهما وأبعادهمـا المتنوعـة ، بمـا يضمـن –وفـي آن واحـد – معاقبـة الفاسـدين وردع غيرهـم عـن الوقـوع فـي الفسـاد ، وتشـجيعهم علـى اجتنابـه ، فضـلاً عـن تدقيـق سياسـات وقـرارات شـاغلي المناصـب العامـة دوريًـا لضمـان الحكـم الصالـح وحسـن الإدارة (١٦) .

٩ . **الرؤيـة الاسـتراتيجية** : أي أن يمتلـك القـادة والجمهـور منظـورًا واسـعًا للحكـم الصالـح والتنميـة ومتطلباتهـا مـع تفهـم السـياق التأريخـي والثقافـي والاجتماعـي المركـب لهـذا المنظـور . كمـا تتمثّـل أيضـا فـي جملـة الخطـط متوسـطة وبعيـدة الأجـل التـي يتـمّ وضعهـا خصيصًـا لغـرض تطويـر المجتمـع والنهـوض بـه ، ويتمثّـل فـي قائمـة الطموحـات التـي يسـعى الأفـراد والمواطنـون والمجتمعـات والـدول إلـى تحقيقهـا مـن خـلال تطبيـق معاييـر ومبـادىء الحكـم الرشـيد كافـة . ووفـق مفهـوم الحكـم الصالـح ، فـإن الرؤيـة الاسـتراتيجية منطلقـة مـن المعطيـات الثقافيـة والاجتماعيـة الهادفـة إلـى تحسـين شـؤون النـاس وتنميـة المجتمـع والقـدرات البشـرية ، وتفيـد التعـاون بيـن مؤسسـات الدولـة والقطـاع الخـاص لإعـداد خطـط بعيـدة المـدى لتطويـر الحيـاة الاقتصاديـة والاجتماعيـة ، مـع الأخـذ بعيـن الاعتبـار المتغيـرات الداخليـة والخارجيـة ودراسـة المخاطـر ومحاولـة وضـع الحلـول (١٧) .

بعـد التعـرف علـى معاييـر الحكـم الصالـح المعتمـدة لـدى المنظمـات الدوليـة نلاحـظ أن هنالـك نقـاط اتفـاق واختـلاف تجمـع بيـن المفهـوم الغربـي والإسـلامي حيـال مصطلـح الحكـم الصالـح وماهيّتـه ، فكلاهمـا يؤكـدان علـى أن (المشـاركة والمحاسـبة وتحقيـق العدالـة والمسـاواة بيـن حميـع الأفـراد) هـي معاييـر أساسـية لحكـم صالـح ، ولكنهمـا يختلفـان بدلالـة الديمقراطيـة (بوصفهـا الإطـار المرجعـيّ للحكـم الصالـح) ، حيـث إن الأخيـرة فـي المنظـور الغربـي تعنـي سـلطة الشـعب وسـيادته علـى حسـاب سـيادة الإلـه أو الديـن وسـلطته ، فـي حيـن أن الفكـر الإسـلامي يسـعى لبنـاء الدولـة المسـتمدة تصوراتهـا مـن الشـريعة الإسـلامية المقيـدة بمجموعـة الشـروط والقواعـد المبينـة فـي القـرآن الكريـم والسـنة النبويـة ، الأمـر الـذي أدّى إلـى خلـط الديـن بالسياسـة واسـتخدامه لتحقيـق أهـداف سياسـية ، والتـي مـن شـأنها أن تؤسـس

أنظمة حكم غير صالحة تقوم على أساس النزعة الأيديولوجية، وهو ما يتنافي مع معايير وأسس ومبادئ الحكم الصالح القائمة في الدول الديمقراطية التي تضمن المساواة والحقوق لجميع مواطنيها بغض النظر عن انتماءاتهم القومية أو الدينية أو الفكرية، فضلاً عن حمايتهم ومحاسبتهم بواسطة السلطة العليا للدولة وفق القانون ودون تمييز على أساس مهنة الفرد أو دينه أو أقليّته أو ماله أو سلطته.

الحكم الصالح في النظام الداخلي والبرنامج السياسي لتيار الحكمة

تيار الحكمة كحزب سياسي أعلن عن تأسيسه السيد (عمار الحكيم) في بغداد (٢٤ تموز ٢٠١٧) ليبدأ بعنوان بناء دولة عراقية عصرية عادلة، قائمة على أساس الهوية الوطنية والإسلامية والعدالة الاجتماعية والتنمية الاقتصادية، منطلقة من مصلحة العراق وشعبه في اتخاذ قرارته باستقلالية تامة، وحفظ حقوق مواطنيه بشكل أكثر انسجامًا وشمولاً من المشاريع الوطنية السابقة. إذ وضع تيار الحكمة عدة سمات في إدارة مشروعه الوطني منها (الحوار، الوحدة، التجديد، الوسطية، والشفافية ومكافحة الفساد (١٨)، و من أبرزها (١٩):

- الانفتاح على جميع مكونات الشعب العراقي.
- الالتزام بحقوق جميع المكونات بخطابه القائم على أساس المواطنة.
- تقريب النزيه وإبعاد الفاسدين.
- الاستقلالية في قراراته تحت شعار «للعراق ننتمي والعراق أولًا».
- الإيمان بالشباب والعمل على تمكينهم للتأثير بالقرار السياسي.
- تمكين المرأة، إذ هي نصف المجتمع وتربي النصف الآخر.
- التخلص من التحديات المعرقلة لبناء الدولة العصرية من خلال محاولة الوصول إلى حلول تنسجم مع الواقع.
- الانفتاح والعمل مع كل من يؤمن بالدستور والعملية السياسية.
- الميدانية، إذ إنه تيار شعبي ويجب أن يعمل بشكل كبير على تقديم الخدمة للجميع.

وبقدر تعلق الأمر بمعايير الحكم الصالح لدى تيار الحكمة من خلال ماجاء بنظامه الداخلي الذي احتضن ثلاثين مادة موزعة على أربعة فصول، وبرنامجه الانتخابي الذي أعلن عنه كمبدأ للعمل السياسي، حيث أشار بمواقع عدة وبشكل مباشر وغير مباشر على معايير الحكم الصالح.

فعلى صعيد النظام الداخلي أشار إلى بعض المفاهيم التي تُعبّر عن مشتقات لمعايير الحكم الصالح خص بها أعضاء التيار، فحينما تكفل أحكام النظام الداخلي للتيار ولجميع أعضائه بحرية التعبير عن الرأي وحرية الاعتراض والنقد البنّاء (٢٠)، واتخاذ القرارات بالأغلبية المطلقة لعدد الحضور في اجتماعات رئاسة الهيأة العامة للتيار ولجانه (٢١)، والترشيح لعضوية أو رئاسة إحدى اللجان الدائمة داخل التيار (٢٢)، فإنها إشارة واضحة لمعيار المشاركة. وعندما يتم اختيار قيادات التيار عبر انتخابهم بالآليات الديمقراطية (٢٣) مع التزامهم بأحكام الدستور العراقي والنظام الأساسي للتيار (٢٤) فهو إشارة لمعيار حكم القانون. وحين تُنشر السير الذاتية للمرشحين لرئاسة الهيأة العامة المتمثلة بـــ (رئيس التيار، ورئيس الهيأة العامة ونائبيه، وأعضاء المكتب السياسي) عبر وسائل الإعلام والتواصل الخاصة بالتيار خلال مدة الترشيح أو أثناء انعقاد المؤتمر أو كليهما وقبل إجراء التصويت (٢٥) وتكون جلسات الهيأة العامة علنية (٢٦) فتلك أحكام واضحة تعبر عن معيار الشفافية. وبالاستماع إلى الطروحات المقدمة من أعضاء التيار ومناقشة التطورات الوطنية والإقليميّة والدولية واتخاذ التوصيات اللازمة بشأنها وتحويلها إلى سياسات مقترحة تسهم في بناء الدولة وتعزيز قدراتها (٢٧) تأتي الإشارة غير المباشرة لمعيار الاستجابة. وعند تأكيد النظام الداخلي للتيار بضرورة النظر بالشكاوى المقدمة من قبل أعضاء الهيأة العامة وإبداء الرأي فيها وعرضها على رئاسة الهيأة للبت فيها (٢٨) نلاحظ الحضور غير المباشر لمعيار التوافق. وعندما يكون أعضاء الهيأة العامة من جميع الفئات والشرائح الوطنية المتعددة في البلاد مع إعطاء دور للمراة في تولي مناصب إدارة داخل الهيأة العامة للتيار (٢٩)، فإنها إشارة لمعيار المساواة. وجاءت الإشارة لمعيار الفعالية في النظام الداخلي للتيار عند تأكيده على تطوير برامج الهيأة العامة للتيار وتنمية القدرات التطويرية والحاجات التدريبية لتاهيل الأعضاء ورفع كفاءاتهم وتهيئة لجان خاصة لمتابعة تنفيذ هذه الخطط (٣٠). أما معيار المحاسبة فقد ورد بأكثر من موضع، إذ لوحظت الإشارة إليه من خلال المواد القانونية الرقابية الواردة في النظام والتي أكدّت على متابعة عمل وأداء مقررية الهيأة العامة وأعضائها والمجموعات الإلكترونية التيارية

الخاصة بهم كل ستة أشهر لرصد ضعف الفعالية (٣١) . وحين جاء النظام الداخلي بمواد تتعلق بإنشاء قواعد عملية وفنية ذات طابع استراتيجي ووضع الخطط المناسبة لتطور عمل آليات لجانه (٣٢) ، فهنا أيضًا إشارة لمعيار الرؤية الاستراتيجة .

أما على صعيد الإطار العام للبرنامج الانتخابي لتيار الحكمة ، الذي جاء ردًا للتحديات التي أفرزتها الحكومات السابقة ، والتي من أبرزها (أزمة الثقة بين المواطن والدولة ، الفساد وغياب المحاسبة ، سوء تنفيذ القانون وفرضة بشكل عادل ، سوء التخطيط والإدارة ، إدارة الثروات وتوزيعها العادل والتحديات الأمنية) ، وعوامل الإحباط على المستويات (السياسية والاقتصادية والاجتماعية) (٣٣) . وتضمن سمات ومرتكزات أبرزها (الوطنية ، الشفافية ومكافحة الفساد ، الاستقلالية ، الانفتاح ، الحلول السلمية ، الشبابية ، تمكين المرأة ، المؤسساتية ، الوسطية ، الخدمة ، والتجديد والتميز والإبداع) (٣٤) ، وحلولًا على المستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي (٣٥) ، ومشاريع للأربع سنوات القادمة وضعت كمرتكزات للبرنامج الانتخابي (٣٦) ، نتلمس من كل ذلك بعض الإشارات المباشرة وغير المباشرة لمعايير الحكم الصالح .

المستوى السياسي

الحلول السياسية الداخلية جاء فيها ما يشير إلى البعض من معايير الحكم الصالح ، ومنها (٣٧) :

١ . الاستراتيجية : (وضع خطط لجميع القطاعات ، بعيدة ومتوسطة وقريبة الأمد ويتم التنفيذ على ضوء الخطط المعدة وبحسب الأولويّة) .

٢ . حكم القانون : (تشريع القوانين اللازمة لتنفيذ الخطط واستكمال مشاريع القوانين التي أشارت إليها المواد في الدستور العراقي عام ٢٠٠٥) .

٣ . التوافق : فك النزاعات بين السلطات الآتية : (الاتحادي ، الإقليم ، المحافظات غير المنتظمة بإقليم) .

٤ . المحاسبة : (القضاء على الفساد) .

أما على مستوى السياسة الخارجية فنتلمس بها حضور معياري الاستجابة والتوافق من خلال ماورد فيها من حلول تشير إلى الآتي (٣٨) :

١ . سياسة خارجية واحدة للدولة وعلاقات دولية بعيدة عن المحاور .
٢ . تحقيق المصالح الاقتصادية العراقية وتعزيز الأمن القومي العراقي .
٣ . مد الجسور وتأدية الأدوار المحورية واستعادة مكانة العراق .
٤ . نقترب ونبتعد على أساس مصلحة العراق (العراق أولًا) .

المستوى الاقتصادي

نلاحظ حضور بعض من معايير الحكم الصالح ، وهي كالآتي :

١ – الاستجابة :

- توزيع نسبة (٢٥٪) من عائدات النفط والغاز على المواطنين (٣٩) .
- دعم الاستثمار من خلال تبسيط إجراءات العمل بقانون الاستثمار والابتعاد عن الإجراءات البيروقراطية والمساومات والعمل بأسلوب النافذة الواحدة مع المستثمر (٤٠) .

٢– الفعالية (٤١) :

- إنجاز المشاريع التنموية (النقل وشبكة المواصلات ، الموانىء ، القطارات وتطوير المنافذ الحدودية) .
- تطوير مشاريع القطاعات النفطية والزراعية والصناعية (دعم الفلاح بتوفير الأسمدة والبذور ، تطوير وتوسيع مزارع الأبقار والعجول والأسماك ، تطوير شبكات نقل النفط والحقول الغازية ورفع معدل الإنتاج ومنظومة التصدير) .

المستوى الاجتماعي

احتضن إشارات مباشرة وغير مباشرة لتلك المعايير ، ومنها (٤٢) :

١ . معيارا المشاركة والمساواة : تمكين المرأة والاعتماد على الطاقات الشابة من كل الفئات ومنظمات المجتمع المدني في العمل وإبداء الرأي .
٢ . معيار الشفافية : حينما يكون المواطن متواصلاً مع المسؤول وعلى اطلاع بحركة الأموال والميزانيات المالية المعدة من قبل الحكومة .

٣. التأكيد على توفير فرص العمل ومحاربة البطالة وإنشاء نظام عادل لرواتب الموظفين وتوفير الماء والكهرباء والضمان الصحي، فتلك إشارات واضحة لمعيار الاستجابة، والذي سيكون حاضرًا أيضًا عند متابعة مرتكزات البرنامج الانتخابي للسنوات الأربع القادمة والذي أكدّ على وضع مشروع حكومة إلكترونية لخدمة المجتمع وتحسين جودة الحياة (٤٣)، وضرورة معالجة مشكلة السكن من خلال تخصيص نسبة من الميزانية العامة لمشاريع السكن، وتسهيل إجراءات الاستثمار لبناء وحدات سكنية تُباع بالتقسيط للمواطنين (موظفين وغير موظفين) على أن تتحمل الحكومة (٥٠٪) من مبلغ القسط (٤٤).

الخاتمة

نلخص مما تقدم أن الحكم الصالح غاية لا يمكن لأي نظام سياسي الوصول إليها بالكامل بقدر ما يمكن الاقتراب منها، وهذا الاقتراب يُقاس بقدر تلمس بعض أو أكثر من بعض المعايير المعتمدة لدى برامج ونشاطات النظام السياسي ومؤسساته، بما في ذلك برامج ونشاطات الأحزاب السياسية بوصفها جزءًا من النظام السياسي. وعليه فإن تيار الحكمة إن لم يكن في عمق دائرة معايير الحكم الصالح الدولية فإنه من بين أهم التنظيمات السياسية العراقية قربًا من هذه المعايير.

الهوامش

١. عامر فياض، مقدمة منهجية في الرأي العام وحقوق الإنسان، السلسلة القانونية، موسوعة القوانين العراقية، بغداد، ٢٠١٦، ص١٢٧.

٢. للتفاصيل حول القبول بالمعايير الدولية في الدساتير الوطنية، انظر عمر بشير وعوض عبد الكريم مرسي، حقوق الإنسان (إشكاليّة التدويل والخصوصية)، منشورات المركز العالمي لدراسات الكتاب الأخضر، طرابلس، ليبيا، ج٢، ط١، ١٩٩١، ص٢٠-٢٧.

٣. حسن كريم، مفهوم الحكم الصالح، عن مجموعة مؤلفين، الفساد والحكم الصالح في البلاد العربية، مصدر سبق ذكره، ص١٠٠.

٤. محي الدين شعبان توق، الحوكمة الرشيدة ومكافحة الفساد: منظور اتفاقية الأمم

المتحدة لمكافحة الفساد، (دار الشروق للنشر والتوزيع، ط١، عمان – الأردن، ٢٠١٤)، ص٤٨.

٥. عن منير الحمش، تصحيح مسار التنمية في عالم متغير، (الأهالي للطباعة والنشر، دمشق ٢٠٠٤)، ص٢٤-٢٥.

٦. إسماعيل الشطي، الفساد والحكم الصالح في البلاد العربية: الديمقراطية كآلية لمكافحة الفساد والتمكين للحكم الصالح، (مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٤)، ص٤٥٣.

٧. محي الدين شعبان توق، مصدر سبق ذكره، ص٥٦.

٨. الحكم الجيد لأجل التنمية في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا: تحسين التضمينية والمساءلة، ص٤-٥.

٩. المنظمة العربية لحقوق الإنسان في بريطانيا، حرية التعبير وحق المشاركة السياسية، (دار الكنوز الأدبية، بيروت، ط١، ١٩٩٧)، ص٨٧.

١٠. برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي، تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام ٢٠٠٢.

١١. عامر خياط، الحكم الصالح شرط لمكافحة الفساد، مجلة الحوار، (المركز العراقي للتنمية والحوار الوطني، بغداد، العدد الثالث، ٢٠٠٥)، ص٢٣.

١٢. وثيقة تحالف المعايير الإنسانية الأساسية المتعلقة بالجودة والمساءلة Core Humanitarian Standard. ط١، ٢٠١٤، ص١١٢.

١٣. المفوضية السامية لحقوق الإنسان، حقوق الإنسان في مجال إقامة العدل، نيويورك: الأمانة العامة لهيئة الأمم المتحدة، ٢٠٠٢.

١٤. جون رولز، نظرية في العدالة، ترجمة ليلى الطويل، (الهيأة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠١١)، ص ٦٠٠-٦٠٧.

١٥. عبد الكريم سعد محجوب، النظام السياسي الأمثل بين الواقع والطموح: دراسة في العلاقة بين الحكم الصالح وحقوق الإنسان، (مجلة السياسة الدولية، الجامعة المستنصرية، العدد (٢٠)، ٢٠١٢).

١٦ . مجموعة مؤلفين، فلسفة العدالة في عصر العولمة، إعداد وتنسيق: بومدين بوزيد، (الدار العربية للعلوم ناشرون، ط١، بيروت، ٢٠٠٩) .

١٧ . مركز الحياة لتنمية المجتمع المدني، الحاكمية الرشيدة، جدل لم يحسم بعد، الأردن، ٢٠٠٧، ص٥-٦ .

١٨ . تيار الحكمة الوطني، ويكيبيديا الموسوعة الحرة (ar. wikipedia. org/wiki) .

١٩ . المصدر نفسه .

٢٠ . النظام الداخلي للهيأة العامة لتيار الحكمة الوطني، بغداد، ٢٠١٨، المادة (٥) ، الفصل الأول (التعريف والمهام) ، ص٧ .

٢١ . المصدر نفسه، المادة (٩) الفقرة (٦) ، الفصل الثاني (رئاسة الهيئة العامة) ، ص١١ . والمادة (١٨- رابعًا) ، الفصل الثالث (عضوية الهيئة العامة) ، ص٢٠ . والمادة (٢٦- أولًا) ، الفصل الرابع (اللجان الدائمة) ، ص ٢٥ .

- اللجان الدائمة: هي لجان متخصصة في الشؤون العامة على وفق مبدأ تقسيم العمل، وتتالف من رئيس لها، ونائب للرئيس ومقرر، وعدد من الأعضاء بحسب الاقتضاء من ذوي الاختصاص والمعرفة. ينظر المصدر نفسه، المادة (٢٠) ، الفصل الرابع (اللجان الدائمة) ، ص٢٣ .

٢٢ . المصدر نفسه، المادة (٢٤) ، ص٢٥ .

٢٣ . المصدر نفسه، المادة (٤ - أولا) ، الفصل الأول (التعريف والمهام) ، ص٦ .

٢٤ . المصدر نفسه، المادة (٥) ، ص٧ .

٢٥ . المصدر نفسه، المادة (٨ - ثالثا) ، الفصل الثاني (رئاسة الهيأة العامة) ، ص١٠ .

٢٦ . المصدر نفسه، المادة (١٩) ، الفصل الثالث (عضوية الهيأة العامة) ، ص٢١ .

٢٧ . المصدر نفسه، المادة (٢٣) الفقرة (٣) ، الفصل الرابع (اللجان الدائمة) ، ص٢٤ . وكذلك المادة (٤- خامسا) ، الفصل الأول (العريف والمهام) ، ص٦ .

٢٨ . المصدر نفسه، المادة (١١) الفقرة (٤) ، الفصل الثاني (رئاسة الهيئة العامة) ، ص١٢ .

٢٩ . المصدر نفسه ، المادة (٣) الفقرة (أ) ، الفصل الأول (التعريف والمهام) ، ص ٥ . كذلك المادة (٨ -رابعا وخامسًا) ، ص٠١ .

٣٠ . المصدر نفسه ، المادة (١٠) الفقرات (١ و ٤) ، ص١١ . كذلك المادة (١٨- خامسًا) ، ص٢٠ .

٣١ . المصدر نفسه ، المادة (١٢) الفقرة (٧) ، ص١٣ . وكذلك المادة (١٣) الفقرة (٣) ، ص١٤ . وكذلك المادة (١٦ تاسعًا) ، ص١٨ . وكذلك المادة (١٧) الفقرة (٤) ، ص١٩ .

٣٢ . المصدر نفسه ، المادة (٢٣) الفقرة (٦) ، ص٢٤ . وكذلك المادة (١٢) الفقرة (٦) ص ١٣ . وكذلك المادة (١١) الفقرة (٨) ، ص١٣ .

٣٣ . البرنامج الانتخابي لتيار الحكمة ، بغداد ، ٢٠١٨ ، ص١٢ و١٣ .

٣٤ . المصدر نفسه ، ص٩و١٠ .

٣٥ . المصدر نفسه ، ص٢٧ .

٣٦ . المصدر نفسه ، ص٤٢ .

٣٧ . المصدر نفسه ، ص٢٧ .

٣٨ . المصدر نفسه ، ص٢٩ .

٣٩ . المصدر نفسه ، ص٣٠ .

٤٠ . المصدر نفسه ، ص٣٥ .

٤١ . المصدر نفسه ، ص٣٤ .

٤٢ . المصدر نفسه ، ص٣٦ .

٤٣ . المصدر نفسه ، ص٤٢ .

٤٤ . المصدر نفسه ، ص٤٤-٤٧ .

مدى تأثير الشغف الدراسي في مهارات طلبة الجامعة

د. هديل علي جبر

علم النفس التربوي- الجامعة العراقية/ كلية التربية للبنات

المستخلص

يمثل طلبة الجامعة القاعدة الأساسية لجيل يساهم في عمليات التغير الحضاري في عصرنا الذي يتميز اليوم بالتفجر المعرفي في جميع مجالات الحياة، ولقد أصبح المجتمع اليوم بحاجة ماسة إلى أفراد يستعملون عملياتهم العقلية بكفاية تتلاءم وحجم التطورات المستمرة، ويعد الشغف الدراسي هو السبيل إلى ذلك لأنه يجعل الفرد أكثر رغبة في تطوير مهاراته وقدراته، وإنتاج وتوليد أفكار جديدة تساهم في تمكينه من النظر إلى الأشياء والمشكلات التي تعترضه من عدة زوايا ومن ثَم تطويرها وتطبيقها بطريقة إبداعية وبالتالي سيكون لهم مستقبلًا دور فعال في بناء ما أحدثته الحروب من مُخلفات ثقافية واقتصادية واجتماعية وتعليمية في المجتمع العراقي.

Impact of Academic Passion on the University Students' Skills

Abstract:

The university's students represents the basic base of a generation that contributes to the processes of civilized change in our time, which today is characterized by cognitive explosion in all areas of life, and

society today has become an urgent need for individuals who use their mental operations with sufficiency that compliments and the counseling of continuous developments, and the academic passion is the way to this because it makes the individual More desire to develop his skills, and capabilities. And producing and generating new ideas that contribute to enabling them to look at the things and problems he encounters from several angles and then develop and apply them in a creative manner. Thus, they will have an active role in the future in building the cultural, economic, social and educational as the remnants of the wars in Iraqi society.

Keywords:

المقدمة:

إن الاستثمار في الثروة البشرية مقياس حقيقي لتقدم الأمم وحضاراتها، لأن الإنسان هو العنصر الرئيسي لأي نشاط سواء كان اجتماعيًا، أم اقتصاديًا، أم ثقافيًا، أم تربويًا، أم سياسيًا، لذا تسعى جميع دول العالم لتأهيل أفرادها وإن كانت تختلف في مستوى ذلك التأهيل من الناحية الاقتصادية. إذ إن الهدف العام البعيد المدى ينطوي على إيجاد ثروة بشرية مفيدة لمجتمعاتها، ويؤكد الواقع أن من أهم شروط تقدم المجتمعات هو مدى امتلاكها لقدرات بشرية عالية تقوم الدول بتوظيفها وتوجيه معظم استثماراتها في هذا الميدان، ولعلَّ أهم شريحة معنية بهذا الاستثمار هي طلبة الجامعة.

مشكلة الدراسة:

تتمثل إشكالية الدراسة في السؤال التالي: (ما مدى تأثير الشغف الدراسي في إمكانيات ومهارات الطلبة في الجامعات؟)

وسيتم الإجابة عن السؤال من خلال ما سيتم طرحه حول مفهوم الشغف الدراسي.

الشغف الدراسي (Academic Passion)

يعد مفهوم الشغف من المفاهيم التي تم دراستها حديثًا رغم استخدامها المتكرر في الأدب الفرنسي لكن دون تحديد معناه أو تفسيره بشكل واضح، ولكن يمكن الاستدلال على معنى الشغف من خلال سياقه، حيث يفسر أحيانًا بدافعية التحصيل العالي، أو دافعية التعلم والممارسة، وأنشطة التعلم المكثفة (١)، ويشير فلوريدا (Florida 2002) إلى أن الشغف يعد من خصائص الأشخاص المبدعين، وأنه محفز للإبداع، ويؤدي دورًا كبيرًا في حياة المبدعين وأعمالهم (٢)

وأكدّ العلماء الذين درسوا هذا المفهوم على أهميته وتأثيره على مستوى الطلبة التعليمي ومستقبلهم المهني أيضًا، وبأنه ميل قوي نحو نشاط يحبه الشخص، ويستشعر أهميته، ويستثمر فيه الوقت والطاقة، كما ينظر إليه على أنه العواطف القوية، والرغبات، والرؤى المستقبلية، والالتزام على المدى الطويل في مسار العمل، وتم اشتقاق الشغف الدراسي من المرونة الدراسية، فقد عرفه (Martin & Marsh، 2008) هو قدرة الطلبة على التعامل بنجاح مع الانتكاسات والتحديات الاعتيادية في الحياة الدراسية كالضغوط الامتحانية، والأعمال الدراسية الصعبة كالواجبات والتقارير والبحوث وغيرها (٣) . وأيضًا هو اهتمام الطالب في مجال معين والتركيز فيه مدة طويلة من الزمن والانخراط بشكل كامل في النشاط مع عدم اهتمامه بالأنشطة التي تهم الطلبة الآخرين (٤)

وتوصلت دراسة مارتن ومارش (٢٠٠٨) بقدرتها على التنبؤ بالشغف الدراسي في البيئة التعليمية، وتميز الشغف الدراسي في تأثيره وتأثره في الحالة الانفعالية والمهام الدراسية في العملية التعليمية، إذ تعمل الحالة الانفعالية والشغف الدراسي والمهام الدراسية بالتأثير في التصرفات المعتاد عليها وتأثرهم في التحصيل الدراسي للطلبة، حيث يظهر أن الطلبة الشغوفين لديهم إيمان عال بالذات، ولديهم دافعية أكبر تدعو إلى استجابات تكيفية أكبر للانتكاسات، ويرتبط الشغف الدراسي مع النتائج التعليمية الإيجابيّة مثل المثابرة العالية، وفاعلية الذات، والاندماج الدراسي، وهم أقل عرضة لترك الدراسة مبكرًا (٥)

أبعاد الشغف الدراسي

ويتكون الشغف الدراسي من خمسة أبعاد، هي:

١. فاعلية الذات Self-Efficacy

تحدد فاعلية الذات كل أوجه الرفاهية والدافعية لدى الفرد عبر مراحل حياته، وتشير فاعلية الذات الدراسية إلى الإيمان بقدرة الطالب على التعلم أو أداء السلوك في مرحلة معينة، وبذلك لا يستطيع مواجهة المصاعب إن لم يكن لديه إيمان بقدرته على التحدي والمواجهة، وتشكل فاعلية الذات نشاط الفرد ومقدار الجهد الذي يستهلكه هذا النشاط ومدى الإصرار والثبات عند مواجهة الضغوط والمعوقات، وأشارت البحوث إلى أن الطلبة ذوي فاعلية ذات عالية يكونون أكثر استعدادًا للمشاركة والعمل الجاد ويمتلكون توقعات عالية ويحاولون تحقيق أهدافهم وطموحاتهم مع اتباع معايير عالية، وبهذا يكونون أقل عرضة لإظهار الاستجابات الانفعالية عند مواجهتهم للمواقف الصعبة، ولديهم القدرة على حل المشكلات وتحضير الحلول البديلة، أما الطلبة ذوو فاعلية ذات واطئة فإنهم يركزون على العيوب، ولكي يحقق الطالب المستوى العالي الذي يطمح إليه فإنه يحتاج إلى تطوير أكثر لبعض القدرات والمهارات، إذ يحتاج إلى قناعة بقدرته إلى النجاح في إنجاز المهمة.

٢. الاندماج الدراسي Academic Engagement

ويتضمن المثابرة والاستمتاع بأوقات الدوام والمشاركة الصفية والطموح التعليمي وإعطاء المدرسة قيمة عليا، إذ إن الطالب الشغوف تقوى لديه المشاركة الصفية والالتزام بالتعليم في حين نجد أن الطالب غير الشغوف تضعف لديه المشاركة الصفية والالتزام بالتعليم يقود إلى نتائج تعليمية غير ناجحة مثل الانسحاب الانفعالي والالتزام الضعيف بالمدرسة (٦)

٣ . السيطرة غير المؤكدة Uncertain Control

يقصد بها سيطرة الطالب في ما الذي يمكن إنجازه بصورة جيدة أو الفشل في ذلك ، إن الطالب الشغوف لديه شعور أكبر من السيطرة لتحقيق النجاح وتجنب الفشل ، أما الطالب غير الشغوف فيكون محبطًا مستسلمًا إلى الحد الذي لا يحاول تجنب الفشل ، يعتقد أن هناك القليل أو لا شيء يمكن فعله للتأثير في النتائج الدراسية في حياته ، وعادةً ما يتم إبعاده عن المهام .

٤ . القلق الدراسي Academic Anxiety

وهو شعور الطالب بالتوتر وعدم الارتياح عند تفكيره بواجباته المدرسية أو الامتحان ، والطالب الشغوف يشعر بالقلق عند تفكيره في الدراسة والقلق الناتج من الخوف في الحصول على درجات ضعيفة في الامتحان ولكن يتمكن الطالب الشغوف من تجاوز القلق بفترة قصيرة ، أما الطالب غير الشغوف فلا يتمكن من تجاوز القلق ويزيد الوقت الذي يمضيه بسبب المحفزات المرتبطة بتهديد معين ، وفي الوقت نفسه يؤدي القلق فيه إلى الدرجات الضعيفة (٧)

٥ . العلاقة بين المدرّس والطالب Teacher-Student Relationship

ويظهر في الكيفية التي يرى الطالب فيها معاملة وتقدير المدرّس له ، إن الطالب الشغوف يتفاعل مع المدرّس داخل الصف ويكن احترام لمدرّسه ، وهذه تعرف بالعلاقة التربوية ، فالمدرّس يعرف أثره كقائد في هذا النوع من العلاقات ، فهو حين يتبع القيادة السليمة يعطي الطلبة فرصة الإسهام في العمل المدرسي ويساعدهم على التكيف والاندماج داخل الصف الدراسي ، أما الطالب غير الشغوف فلا يتفاعل مع المدرّس (٦) ، ومن أهم مهام المدرس في الوقت الحاضر تنمية شخصية الطالب وتكوينها بطريقة تكاملية متوازنة ، ولن يستطيع المدرس القيام بمهمته المثلى ، مالم يحتفظ بعلاقات إنسانية سليمة مع طلابه (٨)

وأن هناك مجموعة من الخصائص التي يتميز بها الأشخاص الذين يتمتعون بالشغف الدراسي ، هي :

- يصرُّ على البحث والاستكشاف ويستمتع بما يصل إليه بأساليبه الخاصة

- يُبدي رغبته في معرفة المزيد عن نفسه وبيئته .
- يتعلَّم من الخبرات الجديدة .
- لديه القدرة على توليد أنماط سلوكية جديدة .
- الثقة بالنفس .
- التركيز .
- سعيد ومتحمس في المواقف التعليمية .
- القدرة على حل المشكلات المطروحة بطرق مختلفة .
- العمل باستقلالية من دون الحاجة للتذكير من أحد .
- الانتباه الشديد للمعلم (الأستاذ) والمهمات التدريسية .
- اختياره للمهمات التي تتصف بالتحدي .
- الحفاظ على الجهد المبذول لأداء المهمات وحل المشكلات .
- يكافح من أجل تحسين أدائه .
- ليس لديه حساسية التعلم من الآخرين .
- يحب حل الألغاز ، وقراءة الكتب والمجلات التي تعالج موضوعات معقدة (٣) .

وقد طور فاليراند (Vallerand،2008) نموذجًا للشغف يعد الأكثر شمولًا هو (النموذج الثنائي) ، ويتكون من نمطين من الشغف ، هما :

- (**الشغف المتناغم** Harmonious Passion) الذي ينتج عن الاستقلالية الذاتية والاستعداد للنشاط الذي يتطابق مع هوية الفرد ، حيث يتميز بالمشاعر الإيجابيّة والقدرة على اتخاذ القرارات المستقلة والحفاظ على السيطرة والنشاط ، كما وجد الباحثون أن الشغف المتناغم ارتبط بالتدفق والرفاهية والأداء والممارسة المؤثرة والخبرات الحقيقية .

- (**الشغف الاستحواذي** Obsessive Passion) وينتج عن التخطيط للنشاط الخاضع للرقابة والمقيد مع غياب الحكم ، وينشأ من الضغوط داخل الشخصية أو بين الأشخاص ، وارتبط بالعواقب غير التكيفية مثل : الإصرار الشديد ، وفقدان السيطرة ،

والمشاعر السلبية والمخاطر الصحية (٩)

وفي مجال التعلم فقد ركزت معظم الدراسات على الشغف المتناغم، وذلك لفوائده في التعليم، حيث يؤثر إيجابًا في أداء الطلبة، وتوجيه الأهداف، والمثابرة، والدافع للتعلم والمرونة والتركيز.

وأحيانًا هذا الشغف الدراسي ينخفض لدى بعض الطلبة، ليس بسبب انخفاض مستوى ذكائهم وقدراتهم العقلية، وإنما بسبب انخفاض مستوى مهاراتهم الذاتية في تنظيم المعلومات ومعالجتها، فيصبح الطالب غير قادر على التواصل مع المواد الدراسية والعملية التعليمية بصورة عامة، وهناك أسباب عديدة تؤدي إلى انخفاض مستوى الشغف الدراسي، هي:

١. المرحلة العمرية: تلعب المرحلة العمرية دورا مهما في فقدان الشغف بالدراسة، بسبب التطورات التي تطرأ على الطلبة في المراحل العمرية المختلفة وما يرافقها من معارف جديدة وطموحات وأحلام متباينة ومتغيرة، إضافة إلى الضغوطات التي يتعرض لها الطلبة من الأهل والمجتمع خصوصًا في المراحل الدراسية المصيرية.

٢. الفشل الدراسي: الرسوب أو الحصول على معدل منخفض بشكل غير متوقع قد يكون السبب الأساسي لفقدان الشغف في الدراسة والمذاكرة وفي التعلم، وغالبًا ما يحتاج الطلاب إلى فترة من النقاهة للتعامل مع أزمة الفشل في مادة دراسية أو في فصل دراسي أو حتى سنة دراسية من حياتهم.

٣. الاكتئاب الدراسي: وهو حالة من الاكتئاب المرتبط بضغط الدراسة والمذاكرة والشعور بعدم القدرة على الدراسة بالسرعة الممكنة أو بالكفاءة اللازمة، وعادة ما يقود الاكتئاب الدراسي إلى الشعور بغياب الدافع وفقدان الشغف (١٠)

٤. التوقعات غير الدقيقة: في حالات فقدان الشغف في الدراسة الأكثر شيوعًا لدى طلبة الجامعة في السنة الأولى هي صدمات التوقعات، حيث يشعر الطالب أن التخصص الذي يدرسه ليس كما يتوقع ويريد، سواء من حيث صعوبة الدراسة نفسها أو من حيث التأقلم مع التخصص كمادة علمية وتطبيق علمي.

٥. التنمر: التعرض للتنمر في المدارس والجامعات أو من قبل الأهل والمقربين من أهم أسباب فقدان الشغف في الدراسة، وليس بالضرورة أن يكون التنمر متعلقًا

بالدراسة نفسها أو بمستوى الذكاء.

٦. التعرض للصدمة النفسية: الصدمات النفسية والعاطفية التي قد يتعرض لها الطلبة تؤثر على شغفهم بالدراسة بشكل كبير، لأنها تؤثر على نظرة الفرد لمستقبله بالعموم وللتعلم كجزء من التخطيط للمستقبل (١١)

وبسبب المشكلات أعلاه قد يواجه الطلبة ضغوطًا دراسية، إلا أنهم يتفاوتون بشكل كبير بقدراتهم على تجاوز تلك الضغوط، حيث إن الطلبة غير الشغوفين يعانون من مشاكل دراسية تؤدي إلى تدني التحصيل الدراسي وفقدان الشجاعة والإصابة بالإحباط، وزيادة الاستبعاد الاجتماعي وترك الدراسة والتوجه إلى العمل وبصورة عامة نجد أن انخفاض مستوى القدرة على التعلم يحد من قدرات الطالب الشخصي، ويرى كوستا (Costa, ١٩٨٥) أن هناك اعتقادًا موروثًا مفاده أن في مقدور كل فرد أن ينمي قدراته العقلية ويعمل على تطويرها باستمرار من خلال ما يواجهه في حياته من تجارب وما يكتسبه من خبرات (١٢)

ويرى (Collie & et al 2014) ليتمكن الطالب من استعادة شغفه الدراسي يجب أن يتبع مجموعة خطوات، هي:

١. **ربط المعرفة بالحياة الواقعية**: سيكون الطالب أكثر شغفًا بالتعلم إذا وجد طريقة يربط بها ما يتعلمه بحياته الواقعية بشكل مباشر.

٢. **التواصل مع بيئة إيجابيّة**: البيئة المحيطة بالطالب يجب أن تكون مشجعة وداعمة لاهتماماته لتنمية شغفه بالتعلم، بالإضافة إلى تكوين صداقات مع أشخاص آخرين يحبون التعلم أيضا.

٣. **التركيز على الدافع الجوهري من الدراسة**: هناك نوعان من الدوافع أو التحفيز في عملية التعلم، دافع خارجي كأن تحصل على مكافأة على المحاضرة أو الشيء الذي تنجزه، وقد يكون فعالا في عدة مجالات منها مهنتك الحالية، والنوع الثاني هو دافع جوهري أو داخلي أي تحقيق الرضا الشخصي أو تحفيز الإنجاز. لذا بالتعلم فعال وطويل المدى بكل الأحوال، لكن لتحقيق الدافع الجوهري عليك التركيز على عناصره الأساسية، هي:

- الاستقلالية: إمساك زمام الأمور واستقلاليتك بالتعليم إلى حد ما.

- الاتقان: اتقان ما تتعلمه خطوة بخطوة.
- الغرض: هدفك من عملية التعلم. (١٣)

٤. **السيطرة**: لن يكن الطالب شغوفا بالتعلم إذا كان هناك شخص يجبره أو يطلب منه استيعاب معلومات وبنفس الوقت يكون ملزمًا بمواد ومواضيع ثانية، ولهذا عليه أن ينمّي شغفه بالأجزاء التي تهمه وتجذبه حيث سيكون لديه مجال أكبر لتعزيز الشغف بالتعلم، فعندما يدرس التأريخ مثلاً تجذبه حقبة زمنية معينة فيقوم بالبحث عنها والاستمتاع بالروايات والأبحاث وحتى الأفلام الوثائقية التي تتحدث عن تلك الحقبة.

٥. **مساعدة الآخرين**: عندما يتعلم الطالب شيئا جديدا ويعرف أنه سوف يستطيع مساعدة الآخرين سيميل إلى العمل على الموضوع بجدية أكبر وسيتحمل المسؤولية ويبدأ بالإنجاز (١٤).

٦. **الاستفادة من الذكريات الجيدة**: عندما يكون الشغف والدافع ضعيفين، يجب على الطالب أن يفكر في شعوره عندما نجح من المرحلة الثانوية بتفوق، وقد يبدو الأمر بسيطًا ولكنه طريقة فعالة لإثارة الدافعية لديه للتعلم أكثر.

٧. **التخلص من السلبية أثناء الدراسة**: إن وظيفة الدماغ معقدة تعمل على حل المشكلات وتخلق أفكارًا مبدعة، ولكن بالمقابل تستطيع خداع عمله بأن لا تترك له الفرصة ليعطيك الحجج لتأجيل وتسويف الموضوع الدراسي، وعلى الطالب أن يبدأ العد من الرقم (٥) إلى الرقم (١) ويبدأ فورًا بالمهمة سيشعر بعد مرور الوقت أنه قام بالإنجاز دون أن يسمح لعقله بإيقاف وإعطائه العراقيل والسلبيات فقط لكي يبقى في حالة الراحة.

٨. **التركيز على الهدف الأسمى من عملية التعلم**: قد يبدأ شغف الطالب بالخمول لذلك عليه أن يركز على هدفه الأساسي الذي يسعى إليه من التعلم، مثل لماذا يدرس الطب؟ أو لماذا يدرس الإعلام؟ وكيف يمكن إفادة الأشخاص الآخرين من تعلمه؟ (١٥)

الدراسات السابقة:

تناولت هذا المفهوم العديد من الدراسات ومنها :

١- دراسة فاليراند وآخرين (Vallerand et al. ، 2008) : التي هدفت إلى فحص نموذج للكشف عن دور الشغف في العمل والاحتراق المهني ، تكونت عينة الدراسة من (٩٧) ممرضة في فرنسا ، و (٢٥٨) ممرضة في كندا ، وبيّنت النتائج أن الشغف يزيد الرضا عن العمل ويؤدي إلى انخفاض مستوى الصراع (٩) .

٢- دراسة كولي وآخرين (collie & et al 2014)

Academic Buoyancy student Achievement and the Linking Role of control:"
"A cross-Lagged Analysis of High school students

الشغف الدراسي وتحصيل الطلبة وأثر الرابط للسيطرة : تحليل متقاطع لطلبة المدارس الثانوية

هدفت الدراسة التعرف على إمكانية عامل السيطرة على ربط الشغف الدراسي والتحصيل الدراسي ، تكوّنت العينة من (٢٩٧١) طالبًا وطالبة في المدارس الإعدادية في أستراليا ، اعتمد الباحث على لوحة تصميم عبر الفواصل ، وقد توصلت نتائج الدراسة إلى أن التحصيل والشغف الدراسي يرتبطان مع السيطرة بمرور الزمن ولكنهما لا يرتبطان مع بعضهما البعض ، فضلًا عن ذلك تؤثر السيطرة أثرًا واضحًا في كيفية تجسيد الشغف على التحصيل بمرور الزمن (١٦) .

٣- (دراسة أحمد ٢٠١٨) الشغف الدراسي وعلاقته بأساليب التفكير عند طلبة المرحلة الثانوية في مدارس المتميزين

هدفت الدراسة التعرف إلى مستوى الشغف الدراسي لدى طلبة مدارس المتميزين وتكونت العينة من (١٩٩) طالبًا وطالبة في الصف الخامس الإعدادي ، وتم استخدام مقياس (بويسنك ٢٠١٦) بعد أن تم ترجمته إلى اللغة العربية ، وتوصلت الدراسة إلى أن طلبة الصف الخامس في مدارس المتميزين لديهم شغف دراسي ، وكذلك وجود علاقة ارتباطية بين الشغف الدراسي وأساليب التفكير (١٧)

٤- دراسة طه (٢٠١٩) (الاندماج الأكاديميّ وعلاقته بالشغف الأكاديميّ والتفاؤل والرجاء لدى طلاب الجامعة)

هدفت الدراسة الكشف عن مستوى الشغف الدراسي لدى طلبة كلية التربية/ جامعة عين شمس، وتكونت عينة الدراسة من (٢١٢) طالبًا وطالبة، وتم تطبيق المقياس عليهم من إعداد الباحث، وتوصلت الدراسة إلى أن عينة البحث ليس لديهم شغف دراسي (١٨)

٥- دراسة الجراح والربيع (٢٠٢٠) (الشغف الأكاديميّ وعلاقته بالاحتراق الأكاديميّ لدى طلبة جامعة اليرموك)

هدفت الدراسة الكشف عن العلاقة بين الشغف الأكاديميّ والاحتراق الأكاديميّ في ضوء متغيرات الجنس والمهنة والبرنامج الدراسي ومستوى الدخل، لدى عينة تكونت من (٢٣٠) طالبًا وطالبة اختيروا عشوائيًا من الطلبة الدراسات العليا في جامعة اليرموك، وتم استخدام مقياس (Vallerand et al, . 2003) للشغف الأكاديميّ، وتوصلت الدراسة إلى أن الطلبة لديهم مستوى مرتفع من الشغف، وكذلك بينت وجود علاقة سلبية بين الشغف الأكاديميّ والاحتراق الأكاديميّ (١٩)

وكان الهدف من استعراض الدراسات السابقة لمعرفة المجالات التي يؤثر فيها الشغف الدراسي في حياة الفرد، بالرغم من تغير البلدان والعينات والموضوعات المرتبطة بمفهوم الشغف الدراسي حسب أهداف الدراسات أعلاه إلا أن تأثيرها كان واضحًا عليه وضرورة دراسته في مجالات أخرى.

الخاتمة:

ونستطيع أن نستنتج بأن العمل على تنمية وتطوير الشغف الدراسي لدى الطلبة سوف يفتح أمامهم آفاقًا لتطوير الذات، وزيادة المهارات التعليمية والحياتية، وينعكس ذلك على طريقة تعاملهم مع المشكلات التي تواجههم أيضًا، ويتم ذلك من خلال استخدام أساليب التعليم الحديثة التي تدفع المتعلم للبحث والتعلم والقراءة والبحث عن المعلومة والتجربة بنفسه وعدم الاعتماد على المعلمين والأساتذة فقط، بالإضافة إلى أن الطالب كلما حاول تطبيق الأشياء التي تعلمها ولكن في ظروف مختلفة سوف يعزز دافع الابتكار والإبداع لديه ويدفعه لتعلم أشياء جديدة دائمًا.

المصادر:

1- Delcourt, M (2003) . Five ingredients for success: Tow case studies of advocacy at the state level. Gifted Child Quarterly, 47 (1) 26 - 37, 20.

2- Florida, R. (2002) . The rise of the creative class. And how its transforming work: leisure and everyday life. New York: Basic Book. 50.

3- Martin, A. J & Marsh, H. W (2008) Academic buoyancy: towards an understanding of students everyday academic resilience. Journal of school psychology, 46, 5383-.

4- Goertz, J. (2000) . Creativity: an essential component. Roeper Review, 22 (3) , 158162-, p 160.

5- Putwain D. W, Daly A. L, Chamberlain, S & Sadreddini, S (2015) : Academically buoyant students are less anxious about and perform better in high-stakes examinations, Br J Educ Psychol. Sep; 215

6- Bowen, D (2010) : Academic buoyancy: Investigating measures and developing a Model of Undergraduates' everyday academic resilience. school of Psychology, Charles Sturt University. P 23 - 60.

7- Martin, A. J & Marsh, H. W (2006) : Academic resilience and its psychological and educational correlates: A construct validity approach. Psychology in the school, 43, 267282-

٨- الحقيل، سليمان (١٩٩٧) : التطبيق التربوي للعلاقات الإنسانية في المجال المدرسي، ط٣، الرياض، ص٦.

9- Vallerand, R. (2008) . On the psychology of passion; In search of what makes people lives most worth living. Canadian Psychology, 49, 113-, p8.

10- ——————————————— Paquet, Y. , Philippe, F. & Charest, J. (2010) . On the role of passion for work in burnout: A process model.

Jornal of Personality, 78, 289312-; . p299.

11- Martin, A. J & Marsh, H. W (2009) : Academic resilience and academic buoyancy: Multidimensional and hierarchical conceptual framing of causes, correlates, and cognate constructs. Oxford Reriew of Education, 35, 353370-.

١٢- السرور، ناديا هايل (٢٠٠٥) : تعليم التفكير في المنهج المدرسي، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، ص١٧ .

13- Collie, R. J, Martin, A. J, Malmberg, L. E, Hall, J & Ginns, P (2014) : Academic Buoyancy, Student's achievement, and the linking role of control: A cross-lagged analysis of high school students. School of Education, University of New South Wales, p 77- 80.

14- Comerford, J, Batteson, T & Tormey, R (2015) : Academic Buoyancy in Second Level Schools: Insights From Ireland, Procedia- Social and Behavioral Sciences 197, 98103-.

15- Flett, G. L, Su, C, Ma, L & Guo, L (2014) : Academic buoyancy and mattering as resilience factors in Chinese adolescents: An analysis of shame, social anxiety, and psychological distress, International Journal of Child and Adolescent Resilience 2 (1) , 3745-.

16- Collie, R. J, Martin, A. J, Malmberg, L. E, Hall, J & Ginns, P (2014) : Academic Buoyancy, Student's achievement, and the linking role of control: A cross-lagged analysis of high school students. School of Education, University of New South Wales.

١٧- أحمد، حوراء حسين (٢٠١٨) : الشغف الدراسي وعلاقته بأساليب التفكير عند طلبة مدارس المتميزين، رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد.

١٨- طه، رياض (٢٠١٩) : (الاندماج الأكاديميّ وعلاقته بالشغف الأكاديميّ والتفاؤل والرجاء لدى طلاب الجامعة) ، رسالة ماجستير، جامعة عين شمس.

١٩- الجـراج، عبـد الناصـر والربيـع، فيصـل (٢٠٢٠) : الشـغف الأكاديمـيّ وعلاقتـه بالاحتـراق الأكاديمـيّ لـدى طلبـة جامعـة اليرمـوك، المجلـة الأردنيـة فـي العلـوم التربويـة، مجلـد ١٦، عـدد٤، ٥٣٩ -٥١٩.

البعد القانوني لنظام التصويت في منظمة الأمم المتحدة

الجمعية العامة ومجلس الأمن الدولي - أنموذجًا

د. سيف هادي عبد الله الزويني
كلية الآمال الجامعة- قسم القانون

د. محمد فاضل نعمة
كلية العلوم السياسية- جامعة بابل

المستخلص:

تضم الأمم المتحدة عدة أجهزة رسمية، من أبرزها، الجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي، وكلاهما يشكلان حلقة اتخاذ القرارات الأبرز للمنظمة، حيث تميز الجهاز الأول بالمساواة في نظام العضوية وفق قاعدة، لكل عضو صوت، في حين مثل الجهاز الثاني، السلطة التنفيذية للمنظمة أو مجلس إدارتها الذي يضم دولًا يتم انتخابها دوريًا لشغل هذه المقاعد، وأخرى دائمة العضوية، وهي تمثل مجموعة الدول الكبرى الخمس المنتصرة بالحرب العالمية الثانية، والتي تمتلك صلاحيات حق النقض لقرارات مجلس الأمن، مما يجعل دورها الأخطر والأهم في عملية اتخاذ القرار وتنفيذه، نخلص مما سبق أن هناك اختلافًا واضحًا في مدى الصلاحيات الممنوحة لكل من مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة، حيث اتسعت بشكل كبير صلاحيات الأولى على حساب الثانية، واستطاعت الدول دائمة العضوية إفشال أغلب مشاريع إصلاح نظام اتخاذ القرار والتصويت في المنظمة حفاظًا على مصالحها وامتيازاتها المكتسبة.

Legal Dimension of the Voting System in UN "General Assembly and Security Council Model"

Abstract:

The United Nations includes several official bodies, the most prominent of which are the United Nations General Assembly and the United Nations Security Council, both of which constitute the most prominent decision-making cycle of the organization. The organization or its board of directors, which includes countries that are elected periodically to fill these seats, and others that are permanent members, and they represent the group of the five major countries victorious in the World War II, and which have the powers of veto power over Security Council resolutions which makes its role the most dangerous and most important in the decision-making and implementation process. We conclude from the above that there is a clear difference in the extent of the powers granted to the Security Council and the General Assembly of the United Nations, as the powers of the first were greatly expanded at the expense of the second, and the permanent members were able to thwart most reform projects. The decision-making and voting system in the organization in order to preserve its interests and acquired privileges.

Keywords:

مقدمة –

أولًا : موضوع الدراسة :

تعد الأمم المتحدة وفقًا لنظامها الداخلي جهازًا برلمانيا تمثيليا ، يضم دول العالم للتداول ووضع السياسات الدولية العامة ، يصدر عنها عبر آلية التصويت قرارات أو بيانات رسمية تعبر عن سلوك ، أو رأي ، لإرادة أجهزة المنظمة الدولية والأعضاء المكونين لها ، لحسم القضايا الخلافية المعروضة على جداول أعمالها ، بشكل يعكس توجهات السياسة

الخارجية للدول الأعضاء ومصالحهم الوطنية، وبالتالي فإن السلوك التصويتي للدول في المنظمات الدولية يعد الركيزة الأساسية التي تقوم عليها نظرية الدبلوماسية البرلمانية واتخاذ القرارات فيها، لذلك فقد اهتم المشرع الدولي بالإطار القانوني لعملية التصويت واتخاذ القرار بما يعكس فلسفة المنظمة الدولية.

ثانيًا: أهمية الدراسة:

تكمن أهمية دراسة الإطار القانوني لعملية التصويت في فرعي منظمة الأمم المتحدة الأبرز (مجلس الأمن الدولي والجمعية العامة للأمم المتحدة)، بأنها تعبّر عن فلسفة المنظمة في اتخاذ القرار ومن خلفها المجتمع الدولي في معالجة القضايا الدولية المطروحة في أروقتها باعتبارها المطبخ السياسي الدولي الرئيس، وما يرتبط بالتصويت من طبيعة التوازنات والتكتلات التصويتية وقدرتها على اتخاذ القرارات المناسبة، في إطار قانوني يضمنه ميثاق الأمم المتحدة والنظام الداخلي لفرعي المنظمة مدار البحث.

ثالثًا: أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة للتعرف على الإطار القانوني الحاكم لعملية اتخاذ القرار من خلال التصويت في أهم جهازين في منظمة الأمم المتحدة، ومديات تأثير كلا الجهازين وما يميز أحدهما عن الآخر من حيث الصلاحيات أو التأثير الدولي المباشر على مجريات الأحداث العالمية، وأبرز المشكلات التي تواجه الدول الأعضاء في التعبير عن إرادتها من خلال التعرف على مدى عدالة التصويت للدول الأعضاء ومدى رضا هذه الدول عن مخرجاته.

رابعًا: إشكاليّة الدراسة وتساؤلاتها:

تحاول هذه الدراسة تحليل نمط السلوك التصويتي في الجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن وفقًا للنظام الداخلي لكلا الجهازين، إضافة إلى المتواتر من الأعراف في إطار القانون الدولي، وما ينتج عنها من مخرجات تؤثر على واقع النظام الدولي بمجمله، لذلك تطرح الدراسة تساؤلًا رئيسًا يعبّر عن جوهر الإشكاليّة وهو هل استطاع نظام التصويت وآلية اتخاذ القرار في كلا الفرعين، الجمعية العامة ومجلس الأمن من

تحقيق العدالة والتوافق الدولي حول القضايا العالمية الرئيسة؟ ويتفرع عن هذا السؤال مجموعة من الأسئلة الفرعية التي تحاول الدراسة الإجابة عنه، وهي:

١. ما هي الفروق الجوهرية الحاكمة في اتخاذ القرار في كلا الجهازين والتي تؤثر في مدى صلاحيتهما؟

٢. ما هي أبرز المحاولات الدولية لإصلاح نظام اتخاذ القرار في الأمم المتحدة ؟

خامسًا : الإطار الزمني للدراسة :

جرى العرف الأكاديمي أن لا تتقيد البحوث ذات الطابع الوصفي بالإطار الزمني باعتبارها لا تناقش مرحلة محددة ومميزة بطبيعتها كما هو الحال مع دراستنا، بل نحن نناقش نظام للتصويت تحددت أطره القانونية من خلال ميثاق الأمم المتحدة والنظام الداخلي لكلا الجهازين المعنيين (الجمعية العامة، مجلس الأمن) ، وبالتالي فإن الإطار الزمني يمتد إلى عمر هذه الوثائق الدولي من عام (١٩٤٥) لغاية يومنا هذا.

سابعًا : منهج الدراسة :

لغرض معالجة المشكلة البحثية والإجابة عن التساؤلات التي تم طرحها، استفادت الدراسة من الاقتراب القانوني، حيث يهتم هذا الاقتراب بدراسة العلاقات الدولية، وبالأخص الجوانب القانونية في العلاقات بين الدول، وعلاقاتها بالمنظمات الدولية ثم علاقة المنظمات الدولية بعضها ببعض، ومن أبرز ما يهتم به الاقتراب القانوني هو الآليات الإجرائية والموضوعية لعمل المنظمات وما يتعلق منها بنظم التصويت واتخاذ القرار باعتبارها عصب وهدف نشوء هذه المنظمات ووسيلتها للتعبير عن توجهاتها [١] .

ثامنًا . تقسيم الدراسة :

قسم البحث إلى ثلاثة مباحث رئيسة، تناول الأول منها مفهوم السلوك التصويتي وقواعده في المنظمات الدولية، في إطار نظري من مطلبين أساسيين، تناول الأول مفهوم السلوك التصويتي، وتناول الثاني القواعد العامة للتصويت في المنظمات الدولية.

في المبحث الثاني تناولنا موضوع قواعد التصويت في الأمم المتحدة، مستعرضين نموذج الدراسة من خلال مطلبين رئيسيين، الأول حول قواعد التصويت في مجلس الأمن الدولي، والثاني تناول قواعد التصويت في الجمعية العامة للأمم المتحدة.

في المبحث الثالث تطرقنا بالبحث في إصلاح النظام التصويتي في الأمم المتحدة.

وينتهي البحث إلى خاتمة تضمنت أبرز الاستنتاجات التي توصل إليها الباحث.

المبحث الأول

مفهوم السلوك التصويتي وقواعده في المنظمات الدولية

إن فكرة التنظيم الدولي ومفهوم الأمن الجماعي بشكله المعاصر، ارتبط بظهور الدولة القومية، وتشكل مجتمع دولي متعدد الأطراف، وكان من أبرز مبرراته الخوف من تداعيات الصراعات والفوضى العالمية، وبالتالي فهو يعد فكرة حديثة نسبيًا ارتبط تطبيقها العملي الحديث بمنظمتين عالميتين، وهما عصبة الأمم ومنظمة الأمم المتحدة، سبقتهما محاولات أقل نضوجًا في إطار معاهدات دولية ذات طابع أوروبي، وقد استفاد مؤسسو هذه التنظيمات من تجارب النظم البرلمانية والانتخابية، وبالأخص فيما يتعلق بموضوع السلوك التصويتي وسبل اتخاذ القرار، لذلك يحاول هذا المبحث تناول مفهوم السلوك التصويتي في المنظمات الدولية بإطاره النظري من خلال محورين رئيسيين، يتناول المطلب الأول مفهوم السلوك التصويتي، والمطلب الثاني يتناول القواعد العامة للتصويت في المنظمات الدولية.

المطلب الأول: مفهوم السلوك التصويتي

تمثل مبادئ السلوك التصويتي الأساس العملي الذي تقوم عليه نظرية الدبلوماسية البرلمانية، والتي تمكّن الدول الأعضاء فيها من توزيع الأعمال والمسؤوليات التشريعية والتنفيذية والرقابية، من خلال القدرة على اتخاذ القرار، عبر إصدار القرارات والتوصيات التي تعبّر عن إرادة الدول بشكل منفرد من جانب، وعن الإرادة الشاملة للمنظمة من جانب آخر، فالتصويت هو الأداة الرئيسة للتعبير عن رغبات المنظمة وتوصياتها، التي يلتزم بها أعضاؤها [٢]، وتمكّنهم من إدارة الهيأة التي تعاقدوا على إنشائها، وتوزيع

الأدوار والمسؤوليات؛ لذلك فإن قواعد التصويت في المنظمات الدولية ترتبط ارتباطًا محوريًا بالمهام الوظيفية لها، ومدى السلطات الممنوحة للمنظمة، لذلك تراعي الدول الأعضاء اختيار قواعد التصويت والاهتمام بها وبآلياتها، لأنها الأداة الرئيسة لإصدارها قراراتها وتحديد سبل الامتثال لها.

من الصعوبة كما هو شأن الغالب من مفاهيم العلوم الإنسانية تحديد تعريف جامع ومحدد للسلوك التصويتي، وذلك بسبب سعة الظاهرة وشمولها لأكثر من توجه، ومن أبرز التوجهات التعريفية لمفهوم السلوك التصويتي:

١. السلوك التصويتي تعبير عن الرأي: «سلوك ذاتي في إطار جماعي للتعبير عن الرأي في مسألة معينة» (٣).

٢. السلوك التصويتي وسيلة للتعبير عن إرادة المنظمة: «الوسيلة التي تعلن فيها المنظمات عن إرادتها، ورغبات الدول الأعضاء فيها، في الأمور المعروضة عليها» (٤).

٣. السلوك التصويتي وسيلة لحل الخلافات في الرأي: «وسيلة لفض الخلافات في الرأي من خلال التعبير عن الإرادة الشاملة للأعضاء، حيث يتم ترجيح إرادة الأغلبية، وضمان إذعان والتزام الأقليّة» (٥).

٤. السلوك التصويتي تعبير عن السياسة الخارجية للدولة «مشاركة دولة في مجموعة من المنظمات الدولية وممارسة السلوك التصويتي فيها، تجسيد لإرادة الدولة بشان موضوع معين، واحد مظاهر التعبير الصريح والصادق عن سياستها الخارجية» (٦)

٥. السلوك التصويتي يعكس طبيعة المصالح الوطنية: لكل دولة في تعاملاتها مع الدول الأخرى (٧).

نخلص إلى القول إن مفهوم السلوك التصويتي في المنظمة الدولية يُعرف بأنه: حق من الحقوق المكتسبة للعضوية في المنظمات والمؤتمرات الدولية، وأداةً لاتخاذ القرار فيها، تعكس توجهات المنظمة بصفتها المستقلة، كما تعبّر عن إرادة الدول الأعضاء ومخرجات سياستها الخارجية وقدراتها الدبلوماسية التي تراعي فيها مصالحها الأساسية في إطار التوازن ما بين الفرص والمحددات التي تفرضها متغيرات العوامل الداخلية والدولية والإقليميّة للدولة.

المطلب الثاني: القواعد العامة للتصويت في المنظمات الدولية

تعد ظاهرة التصويت في المنظمات والمؤتمرات الدولية، آلية حديثة نسبيًا كما أسلفنا آنفًا، تعود بداياتها إلى مطلع القرن العشرين، ارتبط ظهورها بتطور التنظيم الدولي، باعتبارها أداة لحل الخلاف في عملية اتخاذ القرار الجماعي، حيث كانت الدول قديما تلجأ إلى المفاوضات فيما بينها لاتخاذ قرار جماعي، وفي حال فشلها تلجأ القوى الكبرى لفرض آرائها وحل خلافاتها باستخدام القوة العسكرية، كما أن نماذج التنظيم الدولي قبل الأمم المتحدة لجأت إلى قاعدة الإجماع لاتخاذ القرارات الجماعية، في إطار التمسك الصارم بالسيادة الوطنية.

تعد مشكلة تحديد آلية مناسبة لاتخاذ القرار في المنظمات الدولية من خلال التصويت من المسائل المهمة والمحورية التي تثير جدلًا بين المشرعين في مناقشات الميثاق أو النظام الداخلي لما تطرحه من تساؤلات حول الآلية المناسبة للتصويت التي تخدم أهداف المنظمة، وهل يراعي مبدأ المساواة أم الوزن النسبي للدولة كمعيار؟، وهل يكون اتخاذ القرار وفقًا لنظام الإجماع أو الأغلبية؟، لذلك يبحث المشرعون بداية في قواعد التصويت التي مصدرها السوابق العرفية أو المواثيق والأنظمة التي طبقتها المؤتمرات والمنظمات الدولية السابقة، وبالتالي لا توجد وصفة جاهزة لنظام تصويتي قابلة للتطبيق في كل المنظمات، فما يصلح للتطبيق في هذه المنظمة قد لا يصلح في غيرها، لأن اختيار قواعد معينة للتصويت يعكس بالدرجة الأساسية طبيعة التوجهات العامة للمنظمة وهل ترغب في دور مركزي أم مجرد دور استشاري إزاء الدول الأعضاء؟ وهل تصدر قرارات ملزمة أم تكتفي بالتوصيات التوجيهية؟ لذلك فإن قواعد التصويت لا بُدَّ أن تنسجم مع قواعد الميثاق ومدى السلطة والصلاحيات والوظائف والأهداف المنوطة بالمنظمة والدول الأعضاء [٨].

من خلال دراسة تأريخ العمل الجماعي الدولي التي مثلتها المنظمات أو المؤتمرات الدولية، تبرز أربع قواعد أو نظم أساسية حكمت آلية التصويت فيها، هي:

أولًا : قاعدة الإجماع :

هي من أقدم قواعد التصويت التي اتبعتها المنظمات الدولية والإقليميّة، وتعني موافقة جميع الأعضاء على القرارات المصوت عليها لإصدارها، ويكفي امتناع أو رفض عضو واحد لعرقلة صدورها، حتى وإن نال الأغلبية العظمى من الأصوات، وقد طبقت هذه القاعدة في (مؤتمر لاهاي ١٩٠٧) ، و (مؤتمر هافانا ١٩٢٨) ، وقد أخذت مبرراتها النظرية والعملية من عدة اعتبارات أبرزها :

١ . مبدأ السيادة والمساواة بين الدول الذي ساد بداية علاقات الدول القومية .

٢ . عبرت هذه القاعدة عن النزعة الفردية التي سادت العلاقات الدولية في فترات سابقة، وما زالت العديد من الدول تصر على استخدامها حفاظًا على سيادتها [٩] .

٣ . يبرر البعض استخدام هذه القاعدة، بأنها تمثل حماية للدول الصغيرة، من خلال منحها القدرة على إبطال القرارات التي تضر بمصالحها، بشكل لا يتيح للدول الكبرى الهيمنة على صنع القرار .

٤ . كما أن قاعدة الإجماع من جانب آخر، تحمي الدول الكبرى من تجد نفسها في إطار الأقليّة وتحت رحمة دول أقل منها شأنًا [١٠] .

٥ . يرى البعض أن قاعدة الإجماع تفرض على الدول وتحفزهم للبحث عن حلول مقبولة أو توافقية لاتخاذ القرارات ؛ لأنه بدون هذا التوافق لا يمكن إصدار قرارات .

غير أن هذه القاعدة تعرضت لانتقادات نتيجة :

١ . صعوبة تطبيقها في إطار منظمات دولية واسعة الحجم والصلاحيات، حيث كلما زاد عدد أعضاء المنظمة وتعددت جذورهم الثقافية والسياسية ازدادت نسبة التعارض في الآراء، وبالتالي صعوبة اتخاذ قرارات بالإجماع، وأن هذه القاعدة قد تكون مقبولة في بعض المنظمات ذات العضوية المحدودة، والتي تتميز بتجانس وتقارب مصالح أعضائها مثل مجلس التعاون لدول الخليج العربي [١١] .

٢ . إن هذه القاعدة تصيب المنظمة بالشلل لصعوبة اتخاذ القرار .

٣ . كما أن هذه القاعدة تخرج فكرة العمل الجماعي الدولي والمنظمة الدولية من

مضمونها، لتصبح أقرب إلى المؤتمر الدولي.

٤. أنها تهمش أو تلغي إرادة المنظمة المستقلة لصالح إرادة الدول الأعضاء.

وقاعدة الإجماع قد تطبق بعدة أشكال تصويتية من أبرزها [١٢] :

١. الإجماع الكلي: وهو إجماع كل الدول الأعضاء في المنظمة بشكل مطلق، وإذا اعترضت عليه أي دولة عضو فإنها تنقض صدور القرار.

٢. إجماع الحاضرين في الجلسة: ويقصد به إجماع كل الأعضاء الحاضرين في الجلسة، ولا تحتسب أصوات الأعضاء المتغيبين عن الإجماع.

٣. إجماع المشتركين في عملية التصويت: وبذلك يشمل الإجماع فقط الدول المشاركة في التصويت دون المتغيبين أو الحاضرين من غير المشاركين بالتصويت.

٤. إجماع الأغلبية النسبية: تلجأ بعض المنظمات التي تعتمد قاعدة الإجماع إلى تبني قاعدة الأغلبية استثناءً في التصويت لبعض القرارات، وهو أن يكون القرار المصوت عليه ملزمًا للدول التي وافقت عليه، وهو غير ملزم للدول التي لم تصوت عليه [١٣].

٥. شبه الإجماع: ويقصد به إجماع الدول الأعضاء باستثناء صوت واحد أو أكثر، وتطبق هذه القاعدة في الغالب في مواد العقوبات للأعضاء في المنظمات، حيث لا يحتسب صوت الدولة أو الدول التي يصوت على معاقبتها [١٤].

ثانيًا: قاعدة الأغلبية:

نتيجة للمتغيرات الدولية لمرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية وقيام نظام دولي جديد اتسم بزيادة أعضاء النظام من الدول المستقلة حديثا، وتضارب المصالح والتوجهات بينها، بسبب الاختلافات الثقافية والآيدلوجية، وتباين أشكال النظم الاقتصادية والسياسية، اتخذ نظام التصويت منحى بعيدًا عن قاعدة الإجماع باتجاه قاعدة الأغلبيّة، ويعني ذلك (أن تصدر قرارات المنظمات الدولية والإقليميّة بالأكثريّة المطلقة أو النسبية أو الأكثريّة الخاصة مثل الثلثين أو الثلاث أرباع) وتكون هذه القرارات ملزمة لجميع

الـدول الأعضـاء حتـى تلـك التـي لـم توافـق عليهـا، وتطبـق هـذه القاعـدة حاليًـا فـي أغلـب المنظمـات الدوليـة والإقليميّـة حيـث تدعـم مبرراتهـا العمليـة مـن خـلال:

١. الحاجـة لنجـاح العمـل الجماعـي الدولـي أو الإقليمـيّ فـي ظـل تزايـد أطـراف المجتمع الدولـيّ، وتنـوع المشـكلات وتعقدهـا، وازديـاد وتيـرة المصالـح المتعارضـة بيـن الـدول، بشـكل لا يتنافـى مـع مبـدأ السـيادة ولا يخـل بمبـدأ المسـاواة القانونيـة بيـن الـدول، وبالتالـي فـإن نظـام الأغلبيـة يحـاول إيجـاد بيئـة مناسـبة للعمـل الجماعـي يتجـاوز حالـة الشـلل أو التعطيـل التـي قـد تفرضهـا قاعـدة الإجمـاع فـي ظـل هـذه الظـروف.

٢. الاتسـاق مـع مبـدأ الديمقراطيـة مـن خـلال العمـل بنظـام الأغلبيـة، حيـث إن أغلبيـة النظـم البرلمانيـة أخـذت بمبـدأ الديمقراطيـة والتصويـت بالأغلبيـة، فـكان مـن الأجـدر أن ينعكـس ذلـك علـى المنظمـات الدوليـة.

وقـد جـرى التطبيـق العملـي علـى التمييـز بيـن ثلاثـة أنـواع مـن قواعـد التصويـت بالأغلبيـة، هي:

١. الأغلبيـة البسـيطة: ويقصـد بهـا قاعـدة (نصـف+ واحـد) من عـدد الأعضـاء المشـتركين فـي التصويت.

٢. الأغلبيـة الموصوفـة: وهـي أغلبيـة محـددة مـن الأصـوات يشـترط توافرهـا لصـدور القـرارات، وتسـمى بالأغلبيـة الخاصـة، كاشـتراط أغلبيـة الثلثيـن مثـلًا، أو اشـتراط تصويـت عـدد مـن الأعضـاء محـدد وموصـوف بذاتـه، لتمريـر القـرار أو الاعتـراض عليـه كمـا هـو الحـال مـع الـدول الخمـس دائمـة العضويـة فـي مجلـس الأمـن الدولـي، الذيـن منحهـم ميثـاق الأمـم المتحـدة صلاحيـات تصويتيـة خاصـة اسـتثناءً مـن قاعـدة المسـاواة العامـة التـي تحكـم تصويـت الـدول الأعضـاء [١٥].

٣. الأغلبيـة التفضيليـة: أو مـا تسـمى بالأغلبيـة النسـبية، وتتـم فـي حـال التفضيـل بيـن قراريـن أو حالتيـن معروضتيـن، فعندمـا ينـال أحدهمـا (٦٠٪) مـن الأصـوات والآخـر (٤٠٪)، فـإن القـرار الأول هـو مـن يعتمـد.

ويـرى العديـد مـن الدارسـين أن قاعـدة الأغلبيـة لا تتنافـى مـع مبـدأ السـيادة أو المسـاواة القانونيـة؛ لأن الـدول الأعضـاء فـي المنظمـة أو المؤتمـر بانضمامهـا وعضويتهـا قبلـت

التنازل عن بعض آثار سيادتها بمحض إرادتها وخضوعها لقرارات المنظمة التي تصدر بالأغلبية، وهي بذلك مارست مبدأ السيادة في إنقاص السيادة لتحقيق مصالح سيادية [١٦].

ثالثًا : قاعدة التصويت المشروط :

إن مبدأ المساواة القانونية للدول أو قاعدة (لكل دولة صوت واحد) الذي اعتمدته منظمة الأمم المتحدة تعرّض لانتقادات عديدة، من الدول الكبرى المنتصرة في الحرب العالمية الثانية، على اعتبار أن الواقع يشير إلى وجود تفاوت في طبيعة الدول من حيث القوة والحجم وعدد السكان والإمكانات الاقتصادية ومستوى التمدن والتطور العلمي، وهذا التفاوت أوجد نوعًا من عدم التساوي الواقعي، مما أثار انقسامًا في الرأي بين علماء السياسة وفقهاء القانون الدولي أنفسهم، حيث يرى البعض أن مبدأ المساواة بين الدول غير ذات جدوى، كما اعتبره البعض الآخر، خطرًا على طبيعة اتخاذ القرار في إطار النظام الدولي، حيث من الصعوبة إنكار أن للدول الكبرى مركزًا متفوقًا على غيرها من الدول في إطار هذا النظام، وبالتالي وحتى في حال صدور قرار بأغلبية الدول الصغيرة فإن تطبيقه يبقى رهنًا بردة فعل الدول الكبرى ومساندتها له باعتبارها الدول التي تمتلك مقومات التطبيق والمحافظة على استمراريته.

لذا ظهرت آراء في نطاق المختصين في شؤون المنظمات الدولية، ترى أن تساوي الأصوات يقلل من شأن المنظمة التي تطبقها، وأن قاعدة الأغلبية التي اعتمدتها منظمة الأمم المتحدة، لا تحقق مبدأ المساواة بين الدول، لذلك بدأ البحث عن أشكال جديدة للتصويت تحقق نوعًا من المساواة والعدالة، وظهرت في هذا المجال العديد من الأفكار التي مؤداها أن تتناسب السلطة مع المسؤولية والإمكانيات والقدرات للدول [١٧]، أو ما درج على تسميتها بقاعدة الأصوات الموزونة، التي لاقت تأييدًا واسعًا وبالأخص من الدول الكبرى التي دعت في مناسبات عدة إلى تجاوز مبدأ «صوت لكل عضو»، وإلى اعتماد قاعدة احتساب الأصوات في المنظمات الدولية على أساس الوزن وليس العدد، على اعتبار أن الدول تختلف في قدراتها وإمكانياتها التأثيرية في محيطها، لذا فإن الضرورة توجب وجود أصوات عادية وأخرى مميزة، حيث يشترط لإتمام التصويت بشكل قانوني وجود عدد من الأصوات الممتازة أو إجماعها في بعض القرارات [١٨].

إن الأخذ بقاعدة التصويت المشروط والأصوات الممتازة كما هو جار العمل به في الصلاحيات المميزة للدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الأمن الدولي، التي منحت امتيازات استثنائية في التصويت، يتضمن اعترافًا بعدم المساواة القانونية للدول داخل المنظمة الدولية، ويبرره البعض بأنه الثمن الذي دفعه أعضاء الأمم المتحدة للدول الكبرى نظير مشاركتها في المنظمة، وقيامها بإمداد المنظمة الدولية ومشاريعها وبرامجها بالإمكانات المادية واللوجستية، ورفدها بالقوة العسكرية الضرورية لإنفاذ قرارات مجلس الأمن.

رابعًا: قاعدة توافقية التصويت:

يتم اللجوء إلى هذه القاعدة التصويتية لتجنب مخاطر الانقسامات التي تهدد إصدار قرار معين، أو صعوبة عدم الالتزام به من قبل المصوتين، وقد وصفها البعض بأنها أسلوب عمل أكثر منها قاعدة تصويتية [١٩]، حيث يتم إصدار القرارات من خلال اتفاق الآراء عن طريق التفاوض وتقريب وجهات النظر بين الأعضاء، وقد يكون هذا التفاوض قبل التصويت، وكثير من قرارات مجلس الأمن تصدر بهذا الأسلوب التوافقي، وكذلك قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة التي تصدر دون تصويت [٢٠]، ومما يتضح فإن أسلوب اتفاق الآراء في التصويت كان مخرجًا من الخلافات الحادة بين الدول، التي انعكست على أداء الأمم المتحدة، وأدّت إلى عجزها في الكثير من الحالات والقضايا [٢١].

نخلص إلى القول أن مفهوم السلوك التصويتي وقواعده في المنظمات الدولية يأخذ حيزًا من اهتمام الدول الأعضاء، على اعتبار أنه يمثل سلطة اتخاذ القرار، لذلك اختلف التعامل مع هذه الجزئية من مرحلة لأخرى، وفقًا لإرادة الدول على منح المنظمة دور واستقلالية أكبر، وتنازلها عن جزء من سيادتها لصالحها من عدمه.

المبحث الثاني

قواعد التصويت في الأمم المتحدة

نحاول في هذا المبحث تناول قواعد التصويت التي تبنتها منظمة الأمم المتحدة لاتخاذ قرارتها، وبالأخص في الفرعين الرئيسيين محل دراستنا، وهما الجمعية العامة ومجلس الأمن، والتي كانت في الغالب محل جدل بين مصالح الدول دائمة العضوية من جهة، وباقي الدول الأعضاء من جهة أخرى، وقد انعكس ذلك على طبيعة العلاقة والتوازن بين فروع الأمم المتحدة، وبالتالي فإن فهم تطور قواعد التصويت في الأمم المتحدة، يتيح للمهتمين في الشأن الدولي التعرف على مدى قدرة المنظمة على تحقيق أهدافها.

لذا ينقسم هذا المبحث إلى مطلبين أساسيين، تناول الأول قواعد التصويت في مجلس الأمن، والثاني ناقش قواعد التصويت في الجمعية العام.

المطلب الأول: قواعد التصويت في مجلس الأمن الدولي

ينقسم هذا المطلب إلى محورين رئيسيين يناقش الأول، الدور والعضوية في مجلس الأمن، ويناقش الثاني نظم التصويت.

أولًا : الدور والعضوية في مجلس الأمن الدولي

مجلس الأمن الجهاز التنفيذي الرئيس في الأمم المتحدة، والسلطة الأعلى، المسؤول عن اتخاذ جميع القرارات الهامة المتعلقة بالدول، والمعني باحتواء ومعالجة الأزمات الدولية، لذا فهو يتميز عن الجمعية العامة للأمم المتحدة بالانعقاد الدائم، لمواجهة المشكلات الدولية الطارئة، في حين تكتفي الجمعية العامة باجتماعات دورية أو استثنائية أو طارئة، أو كما وصفه (جون فوستر دلاس) وزير الخارجية الأمريكي الأسبق بالقول» إن مجلس الأمن ليس هيأة تطبيق القانون الملائم، إن المجلس هو القانون، فهو يقرر ما يراه ملائمًا» [٢٢] ، لذلك فقد أوجب ميثاق الأمم المتحدة الدول الأعضاء في المجلس أن يكون لها مقر تمثيل دائم في مقر الأمم المتحدة للتواصل.

وقد حدد الفصل الخامس من الميثاق وظائف المجلس الأساسية ومحورها « صيانة السلم والأمن الدوليين»، واستنادًا للمادة (٢٤) من الميثاق، فإن الدول الأعضاء في الأمم

المتحدة، عهدت للمجلس بمهام حفظ السلم والأمن، وتتوافق تلك الدول على أن يعمل المجلس نيابة عنهم أثناء تأدية هذه المهمة، وهو بذلك يعد الفرع التنفيذي المخول من قبل الفرع التشريعي ممثلًا بالجمعية العامة، وبالتالي فإن قراراته ملزمة لجميع الدول بموجب المادة (٢٥) من الميثاق، كما أنه يعد الأوسع صلاحية من باقي فروع المنظمة، وهو قادر على ابتكار صلاحيات جديدة، حيث منحه الميثاق حق « استخدام كافة الوسائل والصلاحيات للحفاظ على السلم والأمن الدوليين»، على خلاف الفروع الأخرى التي حددت صلاحياتها بشكل حصري.

يعكس نظام العضوية في مجلس الأمن طبيعة الاختلافات في علاقات القوى الدولية، وانعكاس ظروف تأسيس المنظمة على نظم التصويت فيها، حيث أتاح الميثاق للدول الكبرى المنتصرة في الحرب العالمية الثانية امتيازات تصويتية عن باقي الدول الأخرى، مثل العضوية الدائمة، وحق النقض (الفيتو) في مجلس الأمن الدولي، ويتكون مجلس الأمن من خمسة عشر مقعدًا، تشغل الدول دائمة العضوية خمسة منها، وهي كل من الولايات المتحدة الأمريكية، بريطانيا، فرنسا، روسيا والصين، وتشغل المقاعد العشرة الأخرى دول غير دائمة يتم انتخابهم من قبل الجمعية العامة بشكل دوري لمدة سنتين، ويخضعون لقاعدة التجديد النصفي سنوي، حيث يتم انتخاب خمس أعضاء جدد، وفقا لمعيارين نظريين، هما [٢٣] :

١. مدى مساهمة الدول الأعضاء في الأمم المتحدة في حفظ السلم والأمن الدوليين وفي تحقيق المقاصد الأخرى.

٢. عدالة التوزيع الجغرافي.

لكن الممارسة العملية أثبتت عجز الجمعية العامة في تحديد معايير واضحة لتطبيق الشرط الأول بشكل عملي وعادل، أمّا شرط التوزيع الجغرافي العادل، فإن تطبيقه اختلف من مرحلة زمنية لأخرى وفقًا لطبيعة متغيرات الكتل التصويتية، والمجموعات الإقليميّة داخل الجمعية العامة، ومن خلال متابعة خارطة العضوية خلال الخمس والعشرين سنة الأخيرة يظهر التوزيع الجغرافي في مجلس الأمن للدول غير الدائمة العضوية كالاتي :

آسيا : ٢

أفريقيا : ٣

أمريكا الجنوبية : ٢

أوربا (بضمنها كندا و قارة أوقيانوسيا) : ٣

ثانيًا : القواعد الإجرائية والتصويت في مجلس الأمن

هناك جملة من القواعد الإجرائية تنظم عملية انعقاد اجتماعات مجلس الأمن وفقًا للنظام الداخلي ، أبرزها [٢٤] :

١ . يعقد مجلس الأمن وفقًا للميثاق اجتماعات دورية ، لكن ذلك لم يتم العمل به ، حيث تعقد اجتماعات المجلس في إحدى الحالات :

١ . بناءً على دعوة من رئيس المجلس لوجود ضرورة ملحة .

٢ . بناءً على طلب من عضوين من أعضاء مجلس الأمن تقدم إلى رئيس المجلس .

٣ . بناءً على طلب من أحد أعضاء الأمم المتحدة أو دولة ليست عضوًا في المنظمة [٢٥] ، ينبهون مجلس الأمن أو الجمعية العامة إلى نزاع معين .

٢ . طلب من الجمعية العامة إلى مجلس الأمن تسترعي لفت نظره إلى الأحوال التي يحتمل أن تعرض السلم والأمن الدوليين للخطر [٢٦] .

٣ . يعد الأمين العام جدول الأعمال المؤقت لكل جلسة من جلسات مجلس الأمن ، ومن ثم تعتمد من رئيس المجلس ، كما يقوم الأمين العام بتنبيه جميع أعضاء مجلس الأمن إلى الرسائل التي ترد المجلس من الدول وهيئات الأمم المتحدة ، بشان مسألة يراد عرضها على المجلس .

٤ . رئاسة المجلس تتم بالتناوب وترتيب الدول وفقًا للأبجدية باللغة الإنكليزية ، ويتولى ممثل تلك الدولة رئاسة جلسات المجلس ، لكن في حال تيقن الرئيس من عدم قدرته على الوفاء بالتزامات الرئاسة على الوجه الصحيح ، خلال نظر المجلس مسألة ذات صلة مباشرة بدولة الرئيس ، فبإمكانه إعلام المجلس بتنحيه ، ليحل محله ممثل الدولة التي تليه بالترتيب الأبجدي .

٥ . إذا كانت إحدى الدول الأعضاء في مجلس الأمن طرفًا في نزاع معروض أمام مجلس الأمن تمتنع هذه الدولة عن المشاركة في التصويت .

٦ . بإمكان المجلس بعد اتخاذه قرارًا بذلك دعوة أي دولة عضو في الأمم المتحدة من غير أعضائه لحضور اجتماعاته ، خلال مناقشة مسألة متعلقة بهذه الدولة ، على أن يكون لها حق المناقشة دون التصويت .

٧ . في الأصل تكون اجتماعات مجلس الأمن علنية ما لم يقرر المجلس غير ذلك .

أما ما يتعلق بنظم التصويت ، فقد نظمت المادة (٢٧) من ميثاق الأمم المتحدة عملية التصويت في مجلس الأمن الدولي ، وقد ميز الميثاق بين نوعين من المسائل ، الإجرائية منها والموضوعية :

١- التصويت بالمسائل الإجرائية

تصدر القرارات بالمسائل الإجرائية بأغلبية تسعة أصوات من خمسة عشر عضوًا ، دون تفرقة بين أصوات الأعضاء الدائمين وغير الدائمين ، وتشمل القضايا الإجرائية التي يتم التصويت عليها ، ما أورده الميثاق من المادة (٢٨) إلى (٣٢) .

٢- التصويت بالمسائل الموضوعية

تعرض وتصدر القرارات في المسائل الموضوعية بأغلبية تسعة أصوات على أن يكون بينها أصوات الدول الخمس دائمة العضوية متفقة ، لأن في حال اعتراض إحدى هذه الدول واستخدامها لحق النقض (الفيتو) ، فإنه سوف يترتب على ذلك :

١ . إذا قدم النقض قبل إجراءات التصويت ، يمتنع المجلس عن النظر في الموضوع .

٢ . إذا قدم النقض بعد إجراء التصويت ، يسقط القرار الناتج عن التصويت كأنه لم يكن .

٣ . لا يعد الامتناع عن التصويت أو الغياب عن الجلسة من قبل إحدى الدول دائمة العضوية في مسألة موضوعية مبطلاً لصدور القرار ، لأن الامتناع عن التصويت والغياب حكمًا لا يعد اعتراضًا أو نقضًا [٢٧] ،

يتخذ مجلس الأمن قراراته بشكل متدرج قبل التصويت النهائي ، وفقًا لآلية تراعي نوعًا من التوافقية لتمرير القرار المعني بأقل معارضة ممكنة ، وأبرز مراحل اتخاذ القرار هي :

١. إصدار بيانات صحفية: وهي تلك البيانات التي يقرأها رئيس المجلس نيابة عن الدول الأعضاء، خارج قاعة المجلس، يبين فيها ما تم الاتفاق عليه حول المسألة مدار البحث، ويعتبرها البعض ردود فعل أولية تمهيدًا لإجراءات أخرى، وهذه البيانات تعبّر عن موقف سياسي موحد للدول الأعضاء، إلا أنها غير ملزمة من الناحية القانونية، وهي لا تصدر أيضًا كوثيقة رسمية لمجلس الأمن.

٢. إصدار بيانات رئاسية: وهي تلك البيانات التي يلقيها رئيس المجلس في جلسة رسمية من داخل القاعة، وهذه البيانات تعبر عن موقف سياسي موحد للدول الأعضاء إزاء المسألة المعروضة، ومن شروط هذه البيانات أن تصدر بموافقة جميع الدول الأعضاء في مجلس الأمن، الأمر الذي يجعل من إصدارها أمرًا صعبًا في الغالب، لكن هذه البيانات وعلى خلاف سابقتها تعد وثائق رسمية للمجلس وتأخذ أرقامًا متسلسلة، وهي تحمل حُجية قانونية، وإن كانت أقل من القرار.

٣. القرارات: وهي الإجراء الأخير في سلسلة اتخاذ القرار في مجلس الأمن، ويصدر بأغلبية تسعة أصوات، بشرط أن لا تصوت ضده أي دولة دائمة العضوية، ويصدر كوثيقة رسمية وبأرقام متسلسلة، وتتميز قرارات مجلس الأمن بأنها:

١. ملزمة لجميع الدول الأعضاء في الأمم المتحدة، بموجب المادة (٢٥) من الميثاق.

٢. إن القرارات لا تقبل التجزئة وتمثل وحدة قانونية متكاملة.

٣. تختلف كتابة القرارات عن البيانات الصحفية والرئاسية، فهو يتكون من جزأين:

١. فقرات تمهيدية (الديباجة): حيث يعمد المجلس إلى التذكير بالقرارات السابقة، ويعيد التأكيد على ضرورة الالتزام بها وتنفيذها، ويشير إلى التزامات الدول المعنية بموجب القانون الدولي والاتفاقيات الدولية.

٢. فقرات تنفيذية (الفقرات العاملة): وتكتب بشكل مختصر، مثل إدانة فعل ما، والمطالبة بإجراءات لمواجهة المسألة المعروضة، حيث يحاول المجلس بداية إثبات أن الفعل يهدد السلم والأمن الدوليين وبالتالي فهو يقع ضمن اختصاصات المجلس، ثم يتدرج في معالجة الموضوع بشكل متدرج وفقًا لأحكام الفصل السادس أو السابع.

المطلب الثاني: قواعد التصويت في الجمعية العامة للأمم المتحدة

ينقسم هذا المطلب إلى محورين رئيسيين، يتناول الأول الدور والعضوية في الجمعية العامة، في حين يتناول الثاني القواعد الأساسية للتصويت في الجمعية العامة.

أولًا: الدور والعضوية في الجمعية العامة للأمم المتحدة

الجمعية العامة هي الجهاز التشريعي في منظمة الأمم المتحدة، تعقد اجتماعاتها في دورات اعتيادية سنوية، ولها أن تدعو لجلسات استثنائية وطارئة، تشمل في عضويتها كل الدول الأعضاء في الأمم المتحدة، على عكس مجلس الأمن الذي يعد جهازًا ذا تمثيل محدود، وبالتالي تعد بمثابة برلمان عالمي تستطيع كل دولة أن تعلن عن مواقفها أو مشاكلها فيها [٢٨]، أو كما يصفها (د. بطرس غالي): «بأنها مقياس للوعي العالمي، الذي يقيس تأثير القوى والمجموعات الدولية وقوى الضغط المختلفة» [٢٩].

يعبر نظام العضوية في الجمعية العامة عن نوع من المساواة النظرية، من خلال قاعدة (لكل عضو صوت)، يتساوى بذلك جميع الدول، بغض النظر عن الحجم والإمكانات والدور الدولي الذي يلعبه العضو، كما أن الجمعية العامة لا تضم في عضويتها الدول ذات السيادة حسب، لكن تشمل فئات أخرى مثل، المنظمات الدولية، وحركات التحرر، وبعض الدول ناقصة السيادة، ويتمتع هؤلاء ببعض امتيازات العضوية والتزاماتها [٣٠]، لذا فإنها تعد جهازًا دبلوماسيًا فريدًا من نوعه تتقابل فيه المصالح والسياسات الدولية، التي تهدف بالنتيجة إلى اتخاذ قرارات جماعية تهم المجتمع الدولي وتنعكس بآثارها عليه، من خلال آليات التصويت وتوجهات الأغلبية، وأن علاقات القوى بين أعضائه التي يُعبر عنها من خلال، التحالفات، أو التجمعات التصويتية، أو وسائل الضغط والإكراه، من أبرز العوامل المؤثرة على اتجاهات التصويت [٣١].

الجمعية العامة من أكثر أجهزة الأمم المتحدة شمولًا واتساقًا في القضايا التي تناقشها ما بين قضايا حفظ الأمن والسلم الدوليين، وأخرى اجتماعية وثقافية واقتصادية، وطبقًا لميثاق الأمم المتحدة فإن اختصاصات وواجبات الجمعية العامة عامة وشاملة «، وأنَّ لها أنْ تناقش أي مسألة أو أمر يدخل في نطاق الميثاق أو يتصل بسلطات فرع من الفروع المنصوص عليها فيه أو وظائفه، كما أن لها فيما عدا ما نص عليه في المادة (١٢) أن توصي أعضاء الهيأة أو مجلس الأمن أو كليهما بما تراه من تلك المسائل والأمور» [٣٢]

، كما أنها تعد مرجعية لباقي فروع المنظمة حيث أوجب الميثاق أن تقدم هذه الفروع تقاريرها إلى الجمعية العامة .

إن الصلاحيات التي منحها الميثاق للجمعية تتفاوت بحسب طبيعة المواضيع إلى صلاحيات واسعة وأخرى مقيدة وثالثة مشتركة :

- الصلاحيات الواسعة : للجمعية العامة سلطات واسعة وأكثر إلزامًا للدول الأعضاء في مجال الإدارة الداخلية للمنظمة ، وبالتحديد في القضايا المالية والإدارية مثل البرامج والميزانية ومساهمات الدول ، إضافة إلى انتخاب الأعضاء غير الدائمين في مجلس الأمن ، وجميع الأعضاء في المجلس الاقتصادي والاجتماعي .

كما تخضع نشاطات العديد من أجهزة الأمم المتحدة لإشراف ورقابة الجمعية العامة ، حيث تقدم هذه الأجهزة تقارير سنوية ، تقوم الجمعية العامة بفحصها ومناقشتها وإصدار التوصيات بشأنها ، ومن الناحية النظرية فإن هذه الرقابة تشمل أعمال مجلس الأمن ، لكن من الناحية العملية ، فإن ذلك غير حقيقي نتيجة لتغول صلاحيات مجلس الأمن على صلاحيات الجمعية العامة ، في حين لا تمارس الجمعية العامة أي دور رقابي على محكمة العدل الدولية ، نتيجة لتمتعها باستقلال تام عن باقي أجهزة المنظمة بحكم قاعدة الفصل بين السلطات .

- صلاحيات مقيدة : استثناءً من نصّ المادة (١٠) من ميثاق الأمم المتحدة ، فقد قيدت صلاحيات الجمعية العامة لصالح مجلس الأمن الدولي في حالتين رئيسية [٣٣] :

١ . يحظر على الجمعية العامة النظر في القضايا المنظورة في مجلس الأمن الدولي ، إلا إذا طلب مجلس الأمن ذلك صراحة .

٢ . أكدّ الميثاق على الحقوق الحصرية لمجلس الأمن في اتخاذ القرارات والتوصيات في جميع القضايا المتعلقة بالأمن والسلم الدوليين .

- صلاحيات مشتركة : تتشارك الجمعية العامة بعض السلطات في اتخاذ القرارات مع مجلس الأمن ، ومن أبرز القضايا التي تحتاج إلى قرار مشترك :

١ . انتخاب الأمين العام للأمم المتحدة .

٢ . انتخاب قضاة محكمة العدل الدولية .

٣ . الفصل في طلبات العضوية الجديدة .

٤ . توقيع العقوبات على الدول الأعضاء .

ثانيًا : القواعد الأساسية للتصويت في الجمعية العامة

هناك أربع قواعد أساسية تحكم السلوك التصويتي في الجمعية العامة :

١ . قاعدة لكل دولة صوت واحد .

٢ . الأصل في قرارات الجمعية العامة أن تصدر بالأغلبية المطلقة للأعضاء الحاضرين المشتركين في التصويت ، غير أن الميثاق أضاف استثناءً على هذا الأصل ينصّ على « تصدر الجمعية العامة قراراتها في المسائل الهامة بأغلبية ثلثي الأعضاء الحاضرين والمشتركين بالتصويت» [٣٤] .

٣ . لم يرد نصّ في الميثاق يمنع حق التصويت في الجمعية العامة بشكل قطعي ، إلا ما أورده نصّ المادة (١٩) من الميثاق التي أشارت إلى إمكانية تعليق ، وليس منع العضو أو فصله من حق التصويت في حال التأخر في تسديد مستحقاته لأكثر من سنتين ، وقد منحت الجمعية العامة سلطة تقديرية في إيقاف تنفيذ نصّ هذه المادة بحق العضو المتأخر في السداد إذا تبين للجمعية أن أسباب التأخير ناشئة عن ظروف خارج إرادة العضو ، وبالتالي فإن حق التصويت للدول الأعضاء في الجمعية العامة هو حق أصيل مترتب على صفة العضوية وجزء منها لا يجوز منعه إلا بإلغاء الصفة ذاتها [٣٥] .

٤ . غن الجمعية العامة لا تملك سلطة إصدار قرارات ملزمة للدول ، ولكن تصدر توصيات غير ملزمة بطبيعتها ، يتوقف تطبيقها على تجاوب وتعاون الدول الأعضاء ، أي أنه من الممكن أن تتحول توصية الجمعية إلى قرار ملزم في حال أعلنت الدولة أو الجهة المعنية بالقرار القبول به .

مجمل القرارات التي تصدر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة ، تمر بمجموعة مراحل إجرائية تسبق عملية التصويت عليها تشمل :

١ . إعداد جدول أعمال الجمعية العامة من قبل الأمين العام للأمم المتحدة حيث يتم إدراج المواضيع التي يراد عرضها على الدول الأعضاء ، قبل (٦٠) يومًا من موعد

الاجتماع، ويسمى «جدول الأعمال المؤقت»، وفي حال ورود مواضيع جديدة خلال فترة الستين يوما يتم إدراجها في « جدول الأعمال التكميلي»، أمّا المواضيع والمسائل التي تضاف إلى جدول الأعمال قبل أيام معدودة من الاجتماع أو خلاله فتقدم من خلال « جدول الأعمال الإضافي».

٢. مرحلة المناقشة العامة والملاحظات التي تبديها الوفود.

٣. مرحلة الإحالة إلى اللجان العامة والرئيسة.

٤. مرحلة الاقتراع واتخاذ القرار، ويختلف التعاطي مع الموضوعات خلال الاقتراع وفقًا لطبيعتها وتنقسم إلى:

- مواضيع لا تحتاج إلى مناقشة أو اقتراع، مثل تقارير الأمين العام فهي بمثابة إخطار للدول الأعضاء.
- مواضيع يتم مناقشتها ولا يتم الاقتراع عليها، وهي المواضيع التي تطرح دون تقديم مشروع قرار، أو تقدم وتسحب من جدول الأعمال قبل الاقتراع.
- مواضيع يتم الاقتراع عليها دون الحاجة لمناقشتها، مثل التقارير الخاصة بفروع الأمم المتحدة التي تعرض على الجمعية العامة مثل تقارير المجلس الاقتصادي والاجتماعي ومجلس الوصاية.
- مواضيع يتم مناقشتها، ويتبعها اقتراع شكلي أو إجرائي لا يرتبط بالموضوع، مثال الاقتراع على تأجيل الاقتراع أو ترحيله إلى دورة أخرى.

المبحث الثالث

إصلاح النظام التصويتي في الأمم المتحدة

على الرغم من أن فكرة التنظيم الدولي والأمن الجماعي ترتكز في نشوئها على مفهوم الاستقرار والسلم الدوليين، إلا أن استمراريتها ارتبطت على الدوام بالخوف من الحرب وتداعياتها، وأن تطبيقاتها العملية كانت نتاجًا لتسويات حروب إقليميّة أو كونية [٣٦]، ترتب عليها ابتكار نظام جماعي تعاقدي مقنن ومكتوب في إطار معاهدة دولية، أسست لبروز ما عرف بالتنظيم الدولي الحديث [٣٧].

تعد عصبة الأمم من أولى تطبيقات الأمن الجماعي المعاصر من حيث التنظيم

والشمول، برزت كتسوية لتداعيات الحرب العالمية الأولى عام (١٩٢٠)، والتي ضمّت لأول مرة بلدانًا خارج إطار الدول الأوربية، من بينها ثلاثة بلدان عربية وأفريقية، هي [٣٨]:

١. إمبراطورية الحبشة (أثيوبيا) انضمت عام (١٩٢٨).

٢. مملكة العراق انضمت عام ١٩٣٢.

٣. المملكة المصرية انضمت عام ١٩٣٧.

استمر عمل العصبة حتى مطلع الأربعينيات من القرن العشرين، حيث شهد العالم ذروة التصدعات التي اجتاحت التحالفات القائمة بين أطراف النظام الدولي، وبدا واضحًا فشل عصبة الأمم ونظام الأمن الجماعي الذي تبنته في الحد من أطماع بعض الدول الأعضاء في التوسع، نتيجة لسببين رئيسيين، أولهما، عدم رضا بعض الدول عن الترتيبات الدولية التي أسسها مؤتمر الصلح في باريس عام (١٩١٩)، والثاني يتعلق بنمط اتخاذ القرار والتصويت في العصبة الذي استند إلى نظام الإجماع الذي يصعب معه اتخاذ القرار مع تعدد الأطراف، لتصل المصالح المتعارضة بين الحلفاء السابقين ذروتها باندلاع الحرب العالمية الثانية، التي أعادت رسم الخريطة السياسية الدولية وتحالفاتها، وأحدثت تغييرات كبيرة في هيكل النظام الدولي القائم.

كنتيجة مباشرة لنتائج الحرب العالمية الثانية تم تشكيل منظمة الأمم المتحدة كبديل عن عصبة الأمم، والتي لم تختلف ظروف تشكيلها عن سابقتها، وقد اعتبر كثير من الباحثين أن منظمة الأمم المتحدة استطاعت تجاوز بعض أخطاء سابقتها، وبالأخص في مجال نظم اتخاذ القرار والتصويت، عندما تحولت من نظام الإجماع الذي يصعب تطبيقه مع نظام العضوية الواسع، إلى نظام الأغلبية الذي يتماشى مع النظم الديمقراطية، إلا أنها في المقابل لم تستطع الخروج من عباءة الدول الكبرى المنتصرة في الحرب العالمية الثانية التي حاولت فرض رؤيتها لشكلٍ نظام الأمن الجماعي، والحصول على امتيازات تصويتية، وقد أثار هذا الموضوع جدلًا واسعًا خلال الأعمال التحضيرية لكتابة ميثاق الأمم المتحدة، عندما انقسمت آراء الدول حول رؤيتها لقواعد التصويت في الأمم المتحدة وبالأخص في جهازيها الرئيسيين الجمعية العامة ومجلس الأمن، والذي أفرز اتجاهين رئيسيين:

١ . توجه الدول الكبرى، التي كانت ترى أنه لا بُدَّ أن يكون للدول المحورية المنتصرة في الحرب العالمية الثانية دور في صياغة النظام الدولي الجديد واتخاذ القرار الأممي، وترى أن الإمكانات الماديّة واللوجستيّة والعسكريّة التي تضعها هذه الدول في خدمة المنظمة هي أحد أسباب استمرارها، كما أنها لا تعتبر حق النقض (الفيتو) الذي تتمتع به الدول دائمة العضوية في مجلس الأمن حقًا جديدًا أُقرَّ بموجب ميثاق الأمم المتحدة، بقدر ما هو حق مكتسب لهذه الدول منذ أيام عصبة الأمم، إضافة إلى مكانتها الدولية المتميزة التي أتاحت لها التمتع بامتيازات خاصة لاتخاذ القرار.

٢ . توجهات الدول الصغرى، التي تطالب بمبدأ المساواة القانونية في السيادة وفقًا لقاعدة (لكل دولة صوت) ، والتوازن في الصلاحيات بين الهيئتين الرئيسيتين في الأمم المتحدة، من خلال تقاسم سلطة اتخاذ القرار بين الجمعية العامة ومجلس الأمن.

وقد تأثرت الأعمال التحضيرية لصياغة ميثاق الأمم المتحدة بهذين التوجهين، والتي حاول المشرعون إيجاد حل توافقي بينهما، حيث منحت الدول الكبرى امتيازات تصويتية في مجلس الأمن، في حين ترك باقي أجهزة المنظمة ومنها الجمعية العامة تعمل بقاعدة المساواة التصويتية بين الأعضاء، في حين استخدمت قاعدة (الأصوات الموزونة) بالفروع المالية مثل البنك الدولي وصندوق النقد الدولي، لكن هذه الحلول لم ترضِ الكثير من الدول التي بقيت تطالب بضرورة إجراء إصلاحات على النظام التصويتي وآلية اتخاذ القرار في الأمم المتحدة.

غير أن نظام الأمن الجماعي الذي حاول مشرعو ميثاق الأمم المتحدة وضعه موضع التطبيق نشأ في بيئة دولية متوترة، وتوقفت فاعليته على اتفاق الدول الخمس دائمة العضوية في مجلس الأمن، التي انقسم أعضاؤه بعد إنشاء المنظمة إلى معسكرين آيدلوجيين رئيسين، اشتعلت فيما بينهما حرب باردة كان لها نتائج بالغة الخطورة على عمل وفاعلية الأمم المتحدة، وخصوصًا في مجال حل الأزمات، أو تعزيز أُطر التعاون الدولي، نتيجة للتجاذب الذي مارسته الدول الكبرى المتصارعة أو القطبان الرئيسان في

استقطاب أغلب دول العالم في إطار معسكرين متنافرين، ومن أبرز انعكاسات الحرب الباردة على فاعلية منظمة الأمم المتحدة:

١. كثرة استخدام حق النقض (الفيتو) في إطار المنافسة أو المناكفة السياسية بين القطبين الرئيسيين.

٢. بروز ظاهرة الأحلاف العسكرية، ومناطق النفوذ بدلًا من تطبيقات الأمن الجماعي الذي سعت إليه مبادئ المنظمة.

إن انقسام المجتمع الدولي خلال الحرب الباردة أضعف كثيرًا من دور الأمم المتحدة وآلياتها لإدارة الأزمات، حيث ارتبط حل المشكلات العالمية بشكل أكبر بالتوافقات بين القوى الكبرى الرئيسة، لذا ظهرت الكثير من الدعوات التي طالبت بإصلاح الأمم المتحدة ونظامها التصويتي بما يسمح بمشاركة أوسع للدول الأعضاء في اتخاذ القرار في مواجهة هيمنة الدول الكبرى على قرارات المنظمة، ومن أبرز النقاط التي طالبت بها دول العالم لإصلاح النظام التصويتي واتخاذ القرار في المنظمة [٣٩]:

١. إلغاء حق النقض (الفيتو)، والرجوع إلى أصل ميثاق الأمم المتحدة في المساواة بين الدول في التصويت.

٢. استبدال الإجماع المطلق للدول دائمة العضوية في مجلس الأمن في بعض المسائل، إلى إجماع موصوف والاكتفاء بثلاثة أصوات أو أربعة من هذه الدول لصدور القرار.

٣. تضييق استخدام حق النقض (الفيتو) إلى أدنى درجة من خلال تحديد المسائل التي يستخدم فيها بشكل دقيق وواضح، ويفضل اقتصاره على مسائل حل المنازعات بالطرق السلمية وقبول العضوية الجديدة.

٤. أن يتم تقوية الجمعية العامة للأمم المتحدة في مواجهة هيمنة مجلس الأمن الدولي، بحيث يتقاسم الجهازان سلطة اتخاذ القرار، من خلال منح الجمعية سلطة إصدار قرارات ملزمة في مواضيع معينة، بدلًا من تقييدها بإصدار توصيات غير ملزمة.

٥. بعض الدول نادت بإصلاح الأمم المتحدة وبدأت تبحث في معايير تصويتية جديدة من أبرزها:

١ . تعـدد الأصـوات علـى أسـاس نسـبة السـكان ، حيـث يمنـح صـوت لـكل خمسـة ملاييـن نسـمة .

٢ . نظـام ثنائـي للتصويـت يتـم بمرحلتيـن ، الأولـى وفقًـا لقاعـدة (لـكل دولـة صـوت) ، والثانيـة وفقًـا للأصـوات الموزونة .

٣ . تعدد الأصوات تبعًا لنسبة مساهمة الدولة في ميزانية الأمم المتحدة وأنشطتها .

٤ . المزاوجـة بيـن نسـبة السـكان وحجـم المسـاهمة فـي ميزانيـة الأمـم المتحـدة لتحديـد عدد الأصـوات .

٦ . الحـد مـن المميـزات الهامـة التـي اسـتحوذت عليهـا الـدول دائمـة العضويـة وقدرتهـا علـى منـع أي تعديـل لميثـاق الأمـم المتحـدة دون موافقتهـا مجتمعـة ، فـإذا اعتـرض أحدهـا توقـف إجـراءات التعديـل ، حيـث حـدد الميثـاق إجـراءات التعديـل ، مميـزًا بيـن مرحلتيـن الأولـى عقـد مؤتمـر عـام للتعديـل ، والمرحلـة الثانيـة المصادقـة علـى التعديـلات ودخولهـا حيـز التنفيـذ ، المرحلـة الأولـى تبـدأ مـن خـلال عقـد مؤتمـر عـام للـدول الأعضـاء مخصـص لهـذا الشـأن بعـد موافقـة ثلثـي الـدول الأعضـاء فـي المنظمـة علـى عقـده ، إضافـة إلـى تسـعة مـن أعضـاء مجلـس الأمـن ، ولا يحـق للـدول دائمـة العضويـة ، اسـتخدام حـق النقـض (الفيتـو) لمنـع انعقـاد هـذا المؤتمـر ، لكـن فـي المرحلـة الثانيـة المتمثلـة بالمصادقـة علـى التعديـلات فـإن للـدول دائمـة العضويـة دورًا حاسـمًا ، حيـث لا يمكـن دخـول التعديـل حيـز التنفيـذ إلا إذا صادقـت عليـه جميـع الـدول دائمـة العضويـة فـي مجلـس الأمـن الدولـي ، وبالتالـي فإنـه مـن الصعوبـة تعديـل أي نـص مـن الميثـاق إذا استشـعرت إحـدى الـدول دائمـة العضويـة أنـه سـيؤثر علـى مصالحهـا وامتيازاتهـا ، لـذا لـم يتـم علـى مـدى عمـر المنظمـة إجـراء أي تعديـل علـى الميثـاق ، إلا فـي إطـار حـالات معينـة لا تمـس مصالـح الـدول دائمـة العضويـة مثـل زيـادة عـدد الـدول غيـر الدائمـة العضويـة فـي مجلـس الأمـن مـن (٦) أعضـاء إلـى (١٠) أعضـاء عـام (١٩٦٣) [٤٠] .

خلاصة واستنتاجات

نخلص مما سبق أن هناك اختلافًا واضحًا في مدى الصلاحيات الممنوحة لكل من مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة، حيث اتسعت بشكل كبير صلاحيات الأولى على حساب الثانية، واستطاعت الدول دائمة العضوية إفشال أغلب مشاريع إصلاح نظام اتخاذ القرار والتصويت في المنظمة حفاظًا على مصالحها وامتيازاتها المكتسبة.

لقد زاد الاهتمام بموضوع السلوك التصويتي في الأمم المتحدة بعد الحرب الباردة وذلك بسبب الدور الجديد الذي تلعبه الأمم المتحدة والذي تحركه قوى كبرى تعتقد أنها الأولى بقيادة العالم وتستخدم المنظمة الدولة باعتبارها أحد أدوات سياستها الخارجية والاستراتيجية، وهذا ما ظهر جليًا، في استخدام الولايات المتحدة للمنظمة الدولية كأداة لتبرير تدخلاتها في العديد من بقاع العالم، لذلك ازداد الاهتمام الأكاديمي بعملية اتخاذ القرار في الأمم المتحدة باعتباره المطبخ السياسي الأبرز الذي يتم في أروقته تحريك الأحداث العالمية منذ انتهاء الحرب الباردة.

على اعتبار أن الأمم المتحدة منظمة ذات جهاز تمثيلي، تتكون من سلطة تشريعية تمثلها الجمعية العامة، وأخرى تنفيذية يمثلها مجلس الأمن، وكلاهما يعتمد نظامًا تصويتيًا لاتخاذ القرار، من الناحية العملية فإن العلاقة بين مجلس الأمن والجمعية العامة، تتميز بعدم التوازن في الصلاحيات، حيث يمتلك مجلس الأمن صلاحيات أوسع من الجمعية العامة تصل في بعض الأحيان حد التغول، لكن هذا لا ينفي وجود علاقة عكسية تظهر بين الحين والآخر، فكلما أُصيب مجلس الأمن بالضعف ازداد الدور الذي تلعبه الجمعية العامة والعكس صحيح.

إن مقولة «السلوك التصويتي تعبير ديمقراطي» يعبر عن إرادة الدول المستقلة كما هو الحال في النظم الانتخابية الداخلية كما تشير التعاريف النظرية، لا يعبر بالضرورة عن الواقع، بل تحكم هذا السلوك اعتبارات أخرى، مثل مدى السلطة المنوطة بالمنظمة، والإلزام الذي تفرضه على أعضائها، وطبيعة نظام التصويت هل يعتمد المساواة، أم التمايز النسبي لبعض الدول ومنحهم صلاحيات استثنائية في صناعة القرار؟.

قائمة المراجع والمصادر

المراجع العربية:

أولًا- الوثائق :

ميثاق الأمم المتحدة

ثانيًا- الكتب :

١. د. إبراهيم نصر الدين، دراسات في العلاقات الدولية الإفريقية (القاهرة: مكتبة مدبولي، ٢٠١١).

٢. د. إسماعيل صبري مقلد، العلاقات السياسية الدولية: دراسة في الأصول والنظريات (القاهرة: المكتبة الأكاديمية، ١٩٩١).

٣. د. بطرس بطرس غالي، التنظيم الدولي، المدخل لتنظيم الدول: دراسة التنظيمات الدولية (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ط١، ١٩٥٩).

٤. د. حسن نافعة، الأمم المتحدة في نصف قرن: دراسة في تطور التنظيم الدولي منذ عام ١٩٤٥ (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، ١٩٩٥).

٥. د. عبد الواحد الفار، التنظيم الدولي (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٧٩).

٦. د. محمد السيد سليم، تحليل السياسة الخارجية (القاهرة: بروفشنال للإعلام والنشر، ١٩٩٨).

٧. د. محمد سعيد الدقاق و مصطفى حسين سلامة، المنظمات الدولية المعاصرة (الإسكندرية: الدار الجامعية، ١٩٩٠).

٨. د. محمد سعيد الدقاق، النظرية العامة لقرارات المنظمات الدولية (الإسكندرية: منشأة المعارف العامة، ١٩٧٣).

٩. د. مصطفى عبد العزيز، التصويت والقوى السياسية في الجمعية العامة للأمم المتحدة (بيروت: مركز الأبحاث م. ت. ف، سلسلة دراسات فلسطينية، ١٩٦٨).

ثالثًا- مقالات :

١ . د. بطرس بطرس غالي، «التصويت في المنظمات الدولية»، المجلة المصرية للقانون الدولي (القاهرة: الجمعية المصرية للقانون الدولي، المجلد ١٧، ١٩٦١) .

٢ . د. سمعان بطرس فرج الله، » الأزمة المالية في الأمم المتحدة»، السياسة الدولية (القاهرة: مؤسسة الأهرام، ع١، يوليو/ ١٩٦٥) .

رابعًا- الرسائل الجامعية :

١ . هدى عبد العزيز صلاح ـ، اتجاهات التصويت في الجمعية العامة، رسالة ماجستير (القاهرة: كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، ١٩٨٦) .

خامسًا- الصحف :

١ . إبراهيم خليل العلاف، «عصبة الأمم تحتفل بدخول العراق دولة مستقلة»، جريدة المدى (بغداد: مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون، ٢٩/ ٩/ ٢٠٠٣) .

٢ . يونان لبيب رزق، «ديوان الحياة المعاصرة: مصر في عصبة الأمم»، صحيفة الأهرام (القاهرة: مؤسسة الأهرام، ع ٤٣٣٦١، السنة ١٢٩، ٢٥/ اغسطس/ ٢٠٠٥) .

سادسًا- مصادر شبكة المعلومات الدولية :

١ . صفحة مجلس الأمن/ النظام الداخلي لمجلس الأمن، على شبكة المعلومات // http /www. un. org/ar/sc :

المراجع الأجنبية :

A- Books:

1. Evan Laurd, The United Nations – How it Works and What it does (London: Macmillan Press, 1979) .
2. John Foster Dulles, War or Peace (New York: Macmillan company, 1957) .
3. Sidney D. Bailey, General Assembly of the United Na-

tions (London: Holmes & Meier Publishers, 1960) .

B. Articles:

1- Jr, Allan Hovet, “Voting Procedures in the General Assembly” International Organization (Cambridge: Cambridge University Press, Vol. 23, No. 2, , vol. 5, NO3, August 1950) .
2- Maclntyre, Elizabeth “ Weighted voting International Organisations”, International Organisation (Cambridge: Cambridge University Press, Vol. 8, Issue4, Nov1954) .
3- Newcomb, Hanna, James Wert and Alan Newcambe, ”Comparision of weighted voting Formula far the UN”, World Politics (Princeton: Princeton University Press, Vol 13, April1971) .

الهوامش:

١ . إسماعيل صبري مقلد، العلاقات السياسية الدولية: دراسة في الأصول والنظريات (الكويت: مطبعة جامعة الكويت، ١٩٧٩) ص١٦

٢)) هدى عبد العزيز، اتجاهات التصويت في الجمعية العامة، رسالة ماجستير، (القاهرة: كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، ١٩٨٦)، ص ١

3)) Alan Hoveyjr, " Voting Procedures In The General Assembly" International Organization (Vol. 5, N3, August, 1950) P 422

٤ . مصطفى عبد العزيز مرسي، التصويت في الجمعية العامة للأمم المتحدة، رسالة ماجستير، (القاهرة: كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، ١٩٦٦) ص ٣-٦

٥ . د. بطرس غالي، التنظيم الدولي، المدخل لتنظيم الدول: دراسة التنظيمات الدولية (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ط١، ١٩٥٩) ص٥٢

٦ . د. محمد السيد سليم، تحليل السياسة الخارجية (القاهرة: بروفشنال للإعلام والنشر، ١٩٩٨) ص٦٤

٧ . د. إبراهيم نصر الدين، دراسات في العلاقات الدولية الأفريقية (القاهرة: مكتبة مدبولي، ٢٠١١) ص ١٧٠

٨ . مصطفى عبد العزيز، التصويت والقوى السياسية. . . مصدر سبق ذكره، ص ٢٦

٩ . د. بطرس بطرس غالي، «التصويت في المنظمات الدولية»، المجلة المصرية للقانون الدولي (القاهرة: الجمعية المصرية للقانون الدولي، المجلد ١٧، ١٩٦١) ص ٢٠-٣٤

١٠ . د. محمد سعيد الدقاق، النظرية العامة لقرارات المنظمات الدولية (الإسكندرية: منشاة المعارف العامة، ١٩٧٣) ص١٠٣-١٣٣

١١ . هدى عبد العزيز صلاح، اتجاهات التصويت في الجمعية العامة. . مصدر سبق ذكره، ص ٤-٥

١٢ . د. بطرس غالي، » التصويت في المنظمات الدولية». . . مصدر سبق ذكره، ص ٢٢-٢٤

١٣ . تبنت جامعة الدول العربية تطبيق هذه القاعد في ميثاقها المبرم في ٢٢/ مارس/ ١٩٥٤، بالنسبة للتصويت على قراراتها.

١٤ . طبقت هذه القاعدة في إطار التصويت على مضامين المادة السادسة عشرة من ميثاق عصبة الأمم المتعلقة بفصل الأعضاء من المنظمة. . . كما لجأ إليها ميثاق الجامعة العربية، في المواد المتعلقة بفصل الأعضاء وكذلك معاقبة الدولة المعتدية على دولة أخرى عضو في المنظمة.

١٥ . ميثاق الأمم المتحدة، المادة السابعة والثلاثون.

١٦ . د. بطرس غالي، التنظيم الدولي. . . مصدر سبق ذكره، ص١١٨

١٧ . د. محمد سعيد الدقاق و د. مصطفى حسين سلامة، المنظمات الدولية المعاصرة (الإسكندرية، الدار الجامعية، ١٩٩٠) ص١٠٣-١٣٣

18)) Elizabeth Maclntyre, " Weighted voting International Organisations", International Organisation (Cambridge: Cambridge University Press, Vol. 8, Issue04, nov. 1954) , p. 484494-.

١٩ . د. عبد الواحد الفار، التنظيم الدولي (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٧٩) ص ١٧٥-١٨٩.

Evan Laurd, the United Nations – How it Works and What it does, (London: Macmillan Press, 1979) p36

20)) Hanna Newcombe, James Wert and Alan Newcambe, op. . cit, p 100121-

21)) Herry G Schermers. . op. . cit, p328

22)) John Foster Dulles, War or Peace, (New York: Macmillan company, 1957) p194195-

٢٣ . د. أحمد أبو الوفا، الوسيط في القانون الدولي، (القاهرة: مكتبة النهضة العربية، ط٣، ٢٠٠١) ص ٤٦٤

٢٤ . ينظر في ذلك: صفحة مجلس الأمن/ النظام الداخلي لمجلس الأمن، على شبكة المعلومات // http :www. un. org/ar/sc/

٢٥ . ينظر في ذلك: نص المادة (٣٥/ ١-٢) من ميثاق الأمم المتحدة

٢٦ . ينظر في ذلك: نص المادة (١١) من ميثاق الأمم المتحدة

٢٧ . يرتبط هذا التفسير بالفتاوى القانونية التي أثيرت عام (١٩٥٠)، بمناسبة امتناع الاتحاد السوفيتي عن حضور اجتماعات مجلس الأمن عدة أشهر كنوع من الاحتجاج، صدرت خلالها جملة قرارات عن المجلس من بينها التدخل في كوريا، والتي اعترض الاتحاد السوفيتي عليها لاحقًا، ولم يأخذ بهذا الاعتراض. ينظر في ذلك: د. بطرس غالي، التنظيم الدولي، مصدر سبق ذكره، ص ٤١٩.

28)) Sidney D. Bailey, General Assembly of the United Nations (London: Holmes & Meier Publishers, 1960) p ٤٨

٢٩ . د. بطرس غالي، التنظيم الدولي. . . مصدر سبق ذكره، ص ٣٦٧- ٣٦٩

٣٠ . اتخذت الجمعية العامة قرارا في الدورة (٢٩- العام ١٩٧٤) بدعوة منظمة التحرير الفلسطينية إلى عضوية الجمعية بصفة مراقب.

٣١ . د. مصطفى عبد العزيز، التصويت والقوى السياسية في الجمعية العامة للأمم المتحدة (بيروت: مركز الأبحاث م. ت. ف، سلسلة دراسات فلسطينية، ١٩٦٨) ص١٦

٣٢ . ينظر في ذلك: نص المادة (١٠) من ميثاق الأمم المتحدة

٣٣ . ينظر في ذلك: نص المادة (١٢) من ميثاق الأمم المتحدة.

٣٤ . وقد بين الميثاق طبيعة المواضيع الهامة التي تحتاج إلى الثلثين وهي: المسائل الخاصة بحفظ السلم والأمن الدوليين، انتخاب أعضاء مجلس الأمن غير الدائمين، وأعضاء المجلس الاقتصادي والاجتماعي، وأعضاء مجلس الوصاية، وقبول أعضاء جدد، أو وقف الأعضاء عن مباشرة حقوق العضوية، إضافة إلى المسائل الخاصة بالميزانية، ينظر في ذلك: نص المادة (١٨) من ميثاق الأمم المتحدة.

٣٥ . د. سمعان بطرس فرج الله، » الأزمة المالية في الأمم المتحدة»، السياسة الدولية، (القاهرة: مؤسسة الأهرام، ع١، يوليو/ ١٩٦٥) ص ٢٢٤

٣٦ . د حسن نافعة، الأمم المتحدة في نصف قرن: دراسة في تطور التنظيم الدولي منذ عام ١٩٤٥ (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، ١٩٩٥) ص١٦

٣٧ . المصدر السابق. . . ص (١٢-١٦)

٣٨ . ينظر في تفاصيل انضمام كل من مصر والعراق: د. إبراهيم خليل العلاف، عصبة الأمم تحتفل بدخول العراق دولة مستقلة، جريدة المدى (بغداد: مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون، ٢٩/ ٩/ ٢٠٠٣. وأيضًا: د. يونان لبيب رزق، ديوان الحياة المعاصرة: مصر في عصبة الأمم، صحيفة الأهرام (القاهرة: مؤسسة الأهرام، ع ٤٣٣٦١، السنة ١٢٩، ٢٥/ أغسطس/ ٢٠٠٥).

٣٩) هدى عبد العزيز صلاح، السلوك التصويتي للمجموعة العربية. . . مصدر سبق ذكره، ص ٣٥-٣٦

٤٠) د. حسن نافعة، الأمم المتحدة في نصف قرن. . . مصدر سبق ذكره، ص ٨٩-٩٠

لعبة القوة في أوكرانيا

الباحثة: م. م. سارة شكر احمد (*١)

Game Power in Ukraine

Abstract:

In the game of strength for a neutral assess of the position of the two countries, the data can be taken. On the one hand, the Russian process at first glance is a pre - preventive kick similar to the American preventive wars that the countries have always objected to after it dependent on the basis of intentions and intelligence information, for example the American occupation of Iraq and destruction this country, but after the first sight comes the necessity of scrutiny And the recovery of contexts and events to the roots of the current event. On the other hand, three decades of unjustified expansion of NATO around Russia, until its borders, and the change of the military doctrine of NATO to include new missions from outside its founding charter, while continuing Russia's targeting in the military doctrine of the alliance, which it continued for a decade after the collapse of the Warsaw alliance.

Keywords:

المقدمة:

لقد كانت شرق أوروبا في التأريخ القريب بمثابة المسرح الأمامي التي مارست عليه جميع الإمبراطوريات لعبة القوة، وهي اليوم تستعيد دورها القديم بفعل ما يؤمن به عدد من الكبار الذين يشتركون في العداء لأمريكا، وإن قوة الدولة أو ضعفها هي الأساس في تعامل الدول، وعليه فأن أفضل إستراتيجية أن تكون الدولة دائمًا قوية تحديدًا في النقطة الحاسمة، فالتغيُّرات التاريخية الكبرى لم تحدث إلا من خلال التهديد باستخدام القوة، وعلى الرغم من معرفة روسيا بعدم قدرتها على معادلة القوة العسكرية أو الاقتصادية الأمريكية، لكنها مع ذلك ترفض أن تظل قوة عالمية من الفئة الثانية، وتسعى الى إعادة تشكيل ميزان القوى العالمي عبر فرض القوة لذا طمحت لبيان قوتها في أوكرانيا بغزوها ومحاولة السيطرة عليها في ٢٤/ ٢/ ٢٠٢٢، فاللعبة الأوكرانية الحالية تمثّل نموذجاً عن ألعاب متباينة، تعاونية وتنافسية.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في نتائجه التي تساهم على فهم لعبة القوة في أوكرانيا والفضاء الأطلسي وتطوراتها بما يساعد على حلها، وما تؤدي به المزاوجة بين استخدام القوة العسكرية ومحاولة الحد من مستوى العنف.

الإشكالية:

تعد أوكرانيا ذات أهمية إستراتيجية كبيرة لروسيا و كذلك لأمريكا، فبالنسبة لروسيا تعتبر أوكرانيا امتداد جغرافيا لها، و على ارتباط تاريخي وثيق بها سواء في العهد القيصري أو السوفيتي، أما بالنسبة لأمريكا فهي ترى انه من الواجب التمدد و حصر روسيا في حدودها بما يمنعها من التوسع، و لها في ذلك قراءات جيوبوليتيكة متعلقة بالموقع الروسي، وفقا لأراء المنظر الاستراتيجي ماكيندر من جهة ومن جهة أخرى حماية الحليف الأوروبي، و نشر دروع صاروخية، بما يحد من خطر التفوق الروسي في مجال الصواريخ الإستراتيجية، وبهذا يلعب كلا الطرفين أوراقه في الحرب الأوكرانية بما يخدم مصالحه توجهاته، وهذا ما نحن بصدد معالجته من خلال طرح الإشكال التالي: ما هي الأسباب التي أدت إلى

انفجار الاحداث في أوكرانيا ؟، ما الذي يحدد التصورات الروسية للأحداث في أوكرانيا ؟، وكيف أثرت استراتيجيات الأطراف في سير لعبة القوة في أوكرانيا؟

الفرضية: اعتمدت روسيا على التصعيد في اوكرانيا لتدعيم موقفها في محاولة استرجاع مجالها الحيوي، وكلما صعدت روسيا في استعمال القوة أدى ذلك إلى التصعيد من الطرف الأمريكي، وتعقيد الأوضاع في أوكرانيا.

مناهج الدراسة: تم الاستعانة بعدة مناهج منها المنهج الوصفي: وصف الأهمية الجيوبوليتيكة للمنطقة من الناحية الجيوستراتيجية، ومن جهة أخرى لوصف العلاقات بين أطراف النزاع وتصوراتهم للمنطقة، والمنهج التاريخي: لتتبع مسار النزاع ورصد مراحله المختلفة، بما يساعدنا على فهم تصورات الأطراف ودوافعهم، وتفسير لجوئهم إلى سلوك دون أخر.

هيكلية البحث: تم تناول البحث وفق محورين أساسيين هما المحور الأول: الأهمية الجيوستراتيجية لأوكرانيا، المحور الثاني: القوة ودورها في أدراك اللعبة في المنطقة.

المحور الأول: الأهمية الجيوستراتيجية لأوكرانيا

من المعلوم والمنطقي إن سمات ومميزات الموقع الجغرافي والتركيب الديموغرافي لأي دولة ومنها أوكرانيا ينتج عنه مردودات وفوائد للدولة، ولكن من جهة أخرى يجعل هذا الوضع الدول المتاخمة لها والقوى الدولية والإقليمية الكبرى والقوية في حالة تنافس على هذه المنطقة أو الدولة لاستثمار مميزات موقعها ومواردها وقومياتها وإثنياتها بما يحقق أهدافها ومصالحها.

وبما ان أوكرانيا تحتل مكاناً جديداً وهاماً في رقعة الشطرنج الأوراسية، فهي دولة محورية جيوبولتيكية لأن وجودها ذاته كدولة مستقلة يساعد على تحويل أو تغيير موقف روسيا، وهكذا فإن روسيا بدون أوكرانيا لا تشكل إمبراطورية أوراسية، وروسيا بدون أوكرانيا تستطيع أن تتابع السعي إلى أن تكون ذات وضع أو هيبة إمبراطورية، ومهما يكن الأمر فإذا استعادت موسكو السيطرة على أوكرانيا بمواردها الكبيرة ووجودها على البحر الأسود فإن روسيا تستعيد عندئذ وبشكل أتوماتيكي ثرواتها لتصبح دولة إمبراطورية قوية ممتدة عبر أوربا وآسيا، وكذلك فإن فقدان أوكرانيا لاستقلالها سوف يترك تأثيرات نووية

علـى أوروبـا الوسـطى، محـولا بولونيـا إلـى دولـة محوريـة جيواسـتراتيجية علـى الحـدود الشـرقية لأوروبـا الموحـدة [٢] .

وعليـه أثبتـت الأزمـات التـي عاشـتها أوكرانيـا ولا تـزال إن الأحـداث والاضطرابـات الحاصلـة والأسـباب الناتجـة عنهـا تقتـرن موقعهـا الاسـتراتيجي الـذي أوجـد فـي الوقـت ذاتـه انقسـاماً و تثبيتـاً فـي الميـل والتحالـف حسـب الاتجـاه الجغرافـي، فبـدلاً مـن أن يكـون الموقـع الإسـتراتيجي المتميـز لأوكرانيـا عامـلاً معـززاً لسياسـة أوكرانيـا تسـتثمره فـي اتجـاه تقويـة مكانتهـا وتعزيـز قوتهـا فـي النظـام السياسـي الدولـي، كان الانقسـام الأوكرانـي فـي الميـل والتحالـف بيـن شـرق موالـي لروسـيا، وغـرب موالـي لأوروبـا والـدول الغربيـة، وكذلـك إصـرار كل مـن الطـرف الشـرقي والطـرف الغربـي كل فـي اتجاهـه وميلـه وتحالفـه وجهـة تمحـوره، وقـد انعكس ذلـك سـلباً علـى التوجـه القومـي والـولاء لأوكرانيـا مـع إظهـار كل طـرف نفسـه علـى إنـه يدافـع عـن المصلحـة القوميـة للدولـة.

ومـن الجديـر بالذكـر ان هكـذا أوضـاع تتعـدى تأثيراتهـا حـدود أوكرانيـا وتلقـي بانعكاسـاتها علـى الـدول الأخـرى ولاسـيما دول الجـوار التـي تتمحـور حولهـا التحالفـات الشـرقية والغربيـة والتـي لهـا مصلحـة مباشـرة فـي أوكرانيـا، فروسـيا الاتحاديـة تضغـط باتجـاه تحقيـق سـيطرتها أو بالأحـرى إعـادة سـيطرتها علـى أوكرانيـا كجـزء مـن مناطـق نفوذهـا – النفـوذ السـابق السـوفيتي – وكذلـك اسـتثمار وجـود أسـطولها العسـكري فـي البحـر الأسـود والاسـتثمار فـي مجـال الطاقـة، وتـرى فـي الموالـين لهـا فـي أوكرانيـا الداعـم لمشـاريعها وخططهـا الإسـتراتيجية، أمـا دول أوروبـا الغربيـة والولايـات المتحـدة الأمريكيـة وفـي إطـار النظـام السياسـي الدولـي القائـم علـى القطبيـة الأحاديـة تسـعى لتعزيـز مصالحهـا ونفوذهـا فـي أوكرانيـا وتسـتثمر الجـوار الأوروبـي الغربـي لأوكرانيـا بالحـث علـى دخـول دول الاتحـاد الأوروبـي مـع أوكرانيـا فـي شـراكات اقتصاديـة تقـرب أوكرانيـا بشـكل أكبـر مـن النظـام الرأسـمالي ومعاييـر الاتحـاد الأوروبـي، فهنـا سـتكون أوكرانيـا النقطـة التـي تشـهد تعـارض إرادات ومصالـح روسـيا الاتحاديـة ودول أوروبـا الغربيـة والولايـات المتحـدة الأمريكيـة ولكـن مـن الطبيعـي أن لا تصـل إلـى مواجهـة أو حـرب بـاردة جديـدة، إلا إن ذلـك لا يحـل أزمـات أوكرانيـا فمـا بيـن وجـود عسـكري روسـي فـي شـرق أوكرانيـا وهدنـة مـا بيـن الأطـراف المتعارضـة وانشـقاق أوكرانـي – أوكرانـي أي شـرقي – غربـي، علـى أوكرانيـا أن تفكـر فـي الخـروج مـن هـذه الأزمـات كدولـة مسـتقلة بإتبـاع سياسـة داخليـة وخارجيـة ثابتـة ومسـتقلة قائمـة علـى وضـع المصلحـة القوميـة الأوكرانيـة اولـى

أولوياتها وباتفاق كل الأوكرانيين كدولة أوكرانيا الموحدة وشعب أوكرانيا الموحد ومغادرة حالة الانقسام التي ستفضي إلى القضاء على الأزمات التي تعيشها، وأن تكون علاقاتها الدولية بشكل متساوي ومتوازن مع أية جهة دولية وبما يحقق مصالحها القومية من خلال سياسة ثابتة واستراتيجيات دولية واقليمية تفضي الى وضع اوكرانيا في مكانتها الصحيحة في النظام الدولي.

المحور الثاني: القوة ودورها في أدراك اللعبة في المنطقة

تحولت أحداث الأزمة الأوكرانية إلى مساحة لـ «لعبة كبرى» جديدة، بحيث يشارك فيها كل لاعب سعياً لتحقيق مصالحه الخاصة ويتخذ قراراته بشأنها وفق تقدير لمواقف اللاعبين الآخرين من جهة، وللفرص والمخاطر الخاصة به من جهةٍ ثانية، وتتغير لعبة القوة تبعا لظروف الزمان والمكان وتبعا للمتغيرات المتعلقة ببقية عوامل القوة، فمثلاً لم يعد للإمكانيات البشرية دور يذكر في حسم الصراعات الدولية في ظل التقدم التقني الهائل في مجال إنتاج السلاح ذو القوة التدميرية الهائلة، لذا نرى ان للقوة دور في إدراك اللعبة في أوكرانيا، فقد أطلقت روسيا عمليتها العسكرية الخاصة في أوكرانيا، بناءً على تقدير استراتيجي، يرى في أداء القيادة الحالية في كييف وفي المشروع اليميني القائم فيها خطراً يهدد أمن البلاد، وقوام هذا المنطق يتأسس على معطيات كثيرة منها تنمية مجال التسلح والعسكرة في أوكرانيا، وصولاً إلى نية كييف امتلاك أسلحةٍ نووية، بالإضافة إلى التجهيز التقني والعسكري للدول الأطلسية عند حدود روسيا الغربيةٍ، فوجود حلف الناتو في أوكرانيا لا يعني تطويق روسيا بقدر ما يعني الدخول لقلب قلبها ويبلور ديناميات تغييرية غربية داخل المجتمع الروسي، لذا يرى بوتين المسألة على النحو التالي: «إمّا أن نفكك المشروع الأطلسي في أوكرانيا، او نواجه خطر تفكك روسيا نفسها» [٣].

ولعلم الغرب بعودة روسيا، سارعت الولايات المتحدة بقوة إلى ضم دول شرق أوروبا المستقلة عن المعسكر السوفيتي تحضيرا للعودة الروسية، هذا وقد عادت روسيا إلا أنها وجدت نفسها محاصرة من جميع الجوانب تقريبا، ولم يتبق لها سوى النافذة الأوكرانية التي لن تتوانى حتى عن دخول الحرب في سبيلها، المستفيد من ذلك هي واشنطن فهي ستضمن دخول روسيا في عملية استنزافية، وفي ذات الوقت تجديد ولاء أوروبا للمظلة الأمنية الأطلسية [٤].

ووفق لما سبق يرى الرئيس الروسي فلاديمير بوتين أنه «لا يمكن لروسيا أن تشعر بالأمان والتطور والبقاء مع وجود تهديد مستمر ينبع من أراضي أوكرانيا الحديثة»، وقد بنى بوتين إعلانه العملية العسكرية في أوكرانيا على هذا التقدير الاستراتيجي الأمني، وعلى المادة الـ ٥١ من الجزء الـ ٧ من ميثاق الأمم المتحدة، بالإضافة إلى معاهدات الصداقة والمساعدة المتبادلة والموقعة مع جمهوريتي دونتسك ولوغانسك بعد الاعتراف بهما، لذا فالمستنقع الأوكراني ينتظر الجيش الروسي، لكن موسكو أطلقت عمليتها تحت عنوان عدم التحول إلى قوة احتلال [٥].

وقد سعت روسيا للإبقاء على صيغة أوكرانيا موحدة ضمن اتفاقية مينسك الثانية التي تمنح إقليمي دونتسيك ولوغانسك صلاحيات حكم ذاتي واسع مع وجود ضمانات تصون حقوقهما داخل اوكرانيا، اذ ان وجود هذه المنطقتين ضمنها من شأنه أن يوفر لموسكو درعا للتأثير في السياسة الداخلية لأوكرانيا، لذا فإن مصلحة روسيا النهائية تكمن في نشوء دولة اوكرانية ضعيفة ومقسمة وعاجزة عن تحقيق التكامل الحقيقي مع الغرب، كما أن مصير أوكرانيا الشرقية يشكل عنصرا من عناصر خريطة مستقبلية كبيرة وبالغة التعقيد [٦].

ومن هذا المنطلق استعاضت القوات الروسية عن اجتياح شامل عالي التكلفة، بنظم هلال حول النصف الشرقي من الخريطة الأوكرانية، تكون جمهوريتا دونتسك ولوغانسك الشعبيتان عمقه، بينما تمتد أطرافه من ساحل أوديسا في الجنوب، حتى خاركيف وكييف وزيتومير في الشمال، وقيمة هذا الهلال تكمن في احتوائه المدن الرئيسة في أوكرانيا، وكان تسريع السيطرة على سواحل البحرين الأسود وآزوف تحول أوكرانيا لدولة حبيسة منقطعة عن المسطّحات المائية التي تتفاعل من خلالها مع العالم، مما يؤدي الى اختلاف القيمة الجيوسياسية لأوكرانيا الحبيسة، وربما تكون هذه النقطة تحديداً قد رسمت على أساسها خطة العملية على شكل الهلال، وحققت منذ اللحظة الأولى نتائج استراتيجية بالغة الأهمية بالنسبة إلى بوتين اذ تم السيطرة على بحر آزوف بصورةٍ تامة ليتحول إلى بحيرة روسية، والسيطرة على شواطئ البحر الأسود الشمالية، وهذه وضعية ملائمة لفرض خلاصات الحروب على طاولة المفاوضات [٧]، خريطة رقم (١) توضح موقع أوكرانيا.

خريطة رقم (١) موقع أوكرانيا

لـذا ينبغـي القـول وان هـدف الـروس هـو تغييـر قيمـة أوكرانيـا الجيوسياسـية فـي الفضـاء الحيـوي الغربـي لروسـيا ويمكـن تلخيـص ذلـك بعـدة نقـاط وهـي :

أ . توقيـع كييـف علـى معاهـدة تتضمـن ضمانـاتٍ أمنيـة تتعهّـد فيهـا عـدم الانضمـام إلـى أحـلاف معاديـة لروسـيا .

ب . تأكيـد السـيطرة السياسـية والعسـكرية لولايتـي دونتيسـك ولوجانسـك المعلنتيـن مـن طـرف واحـد جمهورتيـن مسـتقلتين عـن أوكرانيـا .

ج . التأكـد مـن تحييـد القـوة العسـكرية الأوكرانيـة ونـزع السـلاح الأوكرانـي وحرمـان الدولـة مـن أي ميـزة عسـكرية أو جيوسـتراتيجية لصالـح الناتـو .

وعليـه نفّـذت روسـيا الاتحاديـة اسـتراتيجيتها هـذه فـي ظـل بيئـة دوليـة معقـدة ، وتحـت وطأة تطـورات عالميـة دراماتيكيـة ، ففـي الداخـل زادت الضغوطـات علـى القيـادة الروسـية مـن مصادر

خارجية وداخلية، فكانت العقوبات الغربية، ولاسيما الأميركية تحاول إعاقة صعود روسيا مجدَّداً، وقد واجهت روسيا أيضاً مخاطر اقتصادية نتيجة ذلك، وهناك أسباب اخرى تتعلق ببنية الاقتصاد الروسي، وتركيزه على قطاعات محدَّدة، وتناقص عدد السكّان، وعلى المستوى الإقليمي، تعاملت هذه الاستراتيجية مع أزمات عديدة وخطيرة، منها الأزمة الأوكرانية، والأمن في البحر الأسود، والنزاع المتجدِّد بين أرمينيا وأذربيجان، وأيضاً على المستوى الدولي، كان على القيادة الروسية أن تأخذ في الحسبان في أثناء تنفيذ استراتيجيتها، تطورات النظام الاقتصادي الدولي، وانتشار الإرهاب ليطال الدول الكبرى ومنها روسيا، والحرب الاقتصادية بين الولايات المتحدة الأميركية والصين، وانتشار جائحة كورونا [٨].

ولابد من التأكيد ان هدف روسيا من ذلك هو بقاء أوكرانيا حليفة لها في المقام الأول، وتحسم خيارها بالانضمام إلى الاتحاد الاقتصادي الأوراسي، لضمان تحويل هذا الاتحاد إلى قوة اقتصادية حقيقية تؤهله ليصبح قوة عسكرية وجيوسياسية في مواجهة الاتحاد الأوروبي وأمريكا من ناحية، والصين من ناحية أخرى، كما أن أوكرانيا هي البلد المماثل لروسيا عرقيًا وثقافيًا ودينيًا، إلى جانب بيلاروس، ووجودها في هذا الاتحاد سيخلق توازنًا أمام باقي البلدان الأعضاء التي تنتمي في غالبيتها إلى العرق التركي وتدين بالإسلام، وان وجود أوكرانيا في حالة تكامل اقتصادي وسياسي وعسكري مع روسيا يخلق منها بحق قوة عالمية، ويسمح لها بالوجود في الموانئ الدافئة العميقة، ويؤمّن حدودها مع الغرب، ويمكنها من الحديث بقدر كبير من المساواة مع أوروبا والولايات المتحدة والصين، كما سيؤدي هذا التكامل إلى تشجيع بلدان أخرى على حذو حذوها (مولدوفا وجورجيا، على سبيل المثال)، وسد الفجوة السكانية التي يمكن أن تشكل أزمة ديمغرافية كبيرة لروسيا في المستقبل القريب، كذلك تمثل أوكرانيا بوابة روسيا نحو أوروبا والبحار الدافئة وشبه جزيرة البلقان وكل أوروبا الشرقية، لذا فالضغوط السابقة والحالية تهدف إلى إقناع أوكرانيا بأنه لا مستقبل لها إلا مع موسكو حصرًا [٩].

وبما ان الهدف الاستراتيجي لروسيا؛ وهو أن تصبح مرة أخرى قوة عالمية رائدة يمكنها الدفاع عن سيادتها ومصالحها، وتبني سياسة الحشود، ومنع الغرب من التدخل في الشؤون الداخلية لروسيا، واستبعاد من دخلوا في شراكة مع الغرب على حساب وطنهم من الخدمة العامة، وأصبح التقييم العام للاحتفاظ بالعلاقات مع الغرب ينظر إليه على أنه

أقل ربحًا بشكل متزايد، وتزامن ذلك مع الصعود المذهل للصين، وتحول علاقتها مع بكين نحو التحالف الفعلي، وبناء محور يتجه نحو الشرق، وما رافقه من أزمة متعددة الأبعاد أحاطت بالغرب، وقد أدى هذا كله إلى تحول كبير في التوازن السياسي والجغرافي الاقتصادي لصالح روسيا [١٠].

وبناءً على ما سبق، تبدو حظوظ بوتين أكبر في تحقيق جزء كبير من أهدافه؛ ألا وهو أخذ أمريكا مصالح روسيا الجيوسياسية على محمل الجد، والتوصل إلى اتفاق ما بشأن توسيع حلف الناتو، وهو ما بدا واضحًا في مسارعة الرئيس الأمريكي جو بايدن إلى عقد محادثة افتراضية ومكالمة تليفونية مطولة مع بوتين في أقل من شهر؛ وذلك بهدف التوصل إلى خفض التوتر، ولم تعد العقوبات الاقتصادية تشكل عامل ردع للسياسة الروسية في ظل زيادة معدلات الاعتماد على الذات روسيًا، وتعميق العلاقات مع الصين، وكذلك أبرز استعراض القوة الروسي الأخير لحلفاء الغرب في «المجال ما بعد السوفيتي»، أن الحماية الأمريكية المفترضة مجرد «شعار» بلا مضمون حقيقي من وجهة النظر الروسية، وهو ما يروج له الكرملين ترويجًا مكثفًا إعلاميًا لشعوب تلك البلدان؛ على أمل أن يدفع ذلك قادتها إلى مزيد من التقرب إلى موسكو.

وبعد كل ما تقدم، يمكن القول إن روسيا عمدت على تكثيف العلاقة مع دول شرق اوربا على المدى المتوسط والبعيد، والذي يعتمد على مجموعة من العوامل وهي:

١. تمكنت موسكو من الاحتفاظ بعلاقات تقليدية مع تلك الجمهوريات المبنية على المصالح والتاريخ المشترك والتقارب الجغرافي.

٢. السعي لتعزيز التعاون الامني بين روسيا الاتحادية والجمهوريات، من أجل ضمان الاستقرار في الاقليم لتجنب التوترات العرقية، فضلا عن الحفاظ على امن روسيا [١١].

٣. تسعى روسيا لضمان السيطرة على خطوط نقل الطاقة الى أوروبا وباقي العالم، وعلى هذا الاساس فإنّ روسيا سوف تتمكن من تحقيق هيمنة اقتصادية تؤكد على استمرار النفوذ والدور الروسي القوي في لأعوام قادمة.

اما على صعيد دور الولايات المتحدة في لعبة القوة فأنها سعت لتحجيم الدور والنفوذ الروسي في المنطقة، وتأكيد استقلال جمهوريات الإقليم، والعمل على منع روسيا من

تأدية اي دور اقليمي او عالمي مستقبلي مهم [١٢] ، وعمدت الى محاصرة روسيا داخل حدودها السياسية كما فعلت مع اوروبا ، فضلا عن اثارة الحروب الدائرة قرب الحدود الروسية كما في احداث الانسحاب من أفغانستان واحداث أوكرانيا وكازاخستان ، الامر الذي يشكل تهديدا خطرا على الامن القومي الروسي .

ومن زاوية أخرى فقد دخلت الولايات المتحدة لعبة القوة من خلال سعيها لتوسيع حلف الناتو في المجال الحيوي لروسيا قابله مخاوف روسية من تقدمه باتجاهها عبر أوكرانيا وجورجيا المتاخمتين لأراضيها ، وان أوكرانيا وبعد الثورة (البرتقالية) توجه قادتها نحو أوروبا الموحدة ، وهو ما أثار قلقاً روسياً كبيرا ، فروسيا تنظر بعين الشك والريبة للحلف ، فقد جاء في وثيقة (الأمن القومي الروسي) لعام ٢٠٠٠ و٢٠١٤ و٢٠٢١ وصف حلف الناتو تهديداً للأمن القومي الروسي ، وعليه فأن توتر العلاقات ما بين الولايات المتحدة وروسيا من جهة وروسيا وأوكرانيا من جهة أخرى ودفعت باتجاه تصعيد التوتر بينهما .

فالولايات المتحدة تسعى الى تطويق روسيا الاتحادية بسلسلة من الروابط ، والتي سوف تعمل على للحد من حركتها في المستقبل [١٣] ، ففي السابق قامت الولايات المتحدة الامريكية بعد الحرب الروسية-الجورجية الى تخصيص ملياري دولار لمساعدة (تبليسي) لتوظيفها في اعمار جورجيا ، وجاء تأكيد الولايات المتحدة الامريكية بأنّ جورجيا شريك استراتيجي مهم [١٤] ، مما أدى الى تزايد الضغط الشعبي في دول شرق اوربا بدفعها لتحقيق المزيد من الاستقلالية عن النفوذ الروسي ، ورغبتها بإجراء اصلاحات اقتصادية وتحقيق الديمقراطية ، عن طريق اتباع سياسات خارجية تقوم على تحقيق التنمية الاقتصادية عن طريق تنويع علاقاتها الاقتصادية الخارجية ، ولذلك تخشى بعض دول شرق اوربا من ان تقود قوة روسيا الى الاضرار بمصالحها [١٥] .

ويلاحظ ان لأوكرانيا أهمية كبيرة بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية ، في إطار دعم إستراتيجيتها العالمية للسيطرة على موارد الطاقة في العالم فيتم ذلك عبر إجراءات عدة ، إذ تعكس الجهود الأمريكية هذه انعكاساً لطروحات مستشار الأمن القومي الاسبق بريجنسكي في كتابه رقعة الشطرنج الكبرى حيث كان له الأثر في رسم ملامح الإستراتيجية الأمريكية للهيمنة على مقدرات العالم ، وأكد على ضرورة أن تسعى الولايات

المتحدة بالعمل على توظيف كل قدراتها من أجل ضمها إلى مناطق نفوذها العالمية وقد تجسدت هذه الإستراتيجية من خلال إجراءات متعددة، فعلى الصعيد العسكري والأمني تصر الولايات المتحدة الأمريكي توسيع تواجدها العسكري ومقاومة توسع القوى الأخرى والسيطرة على مصادر الطاقة، وعملت على تقديم المساعدات الاقتصادية لدول اوراسيا من أجل مساعدتها في تنمية صناعة النفط والغاز لغرض التحرر من النفوذ الروسي وربط أسواقها بالاقتصاد الأمريكي، وشجعت تمويل وانشاء خطوط لنقل الطاقة لا تمر عبر روسيا، وتقود إلى استقلال الدول عن التبعية لروسيا في نقل الطاقة [١٦].

اما من جهة دول اوربا الغربية فألمانيا اليوم في موقف لا تُحسد عليه والأمر متروك لشولز لتقرير كيف ستكون التسوية هل سينفذ السياسة التي تخدم مصالح الشعب الألماني على أفضل وجه، أم أنه سيستسلم لبايدن؟ هل سيرسم مساراً جديداً يقوي التحالفات الجديدة في الممر الأوراسي المتوتر، أم أنه سيمنح دعمه لطموحات واشنطن الجيوسياسية؟ هل سيقبل الدور المحوري لألمانيا في نظام عالمي جديد؛ حيث تشارك العديد من مراكز القوة الناشئة بالتساوي في الحوكمة العالمية، وحيث تظل القيادة ملتزمة بلا تردد بالتعددية والتنمية السلمية والأمن للجميع؛ أم أنه سيحاول دعم نظام ما بعد الحرب الذي تجاوز عمره الافتراضي بوضوح؟ شيء واحد مؤكد؛ ألا وهو أن كل ما تقرره ألمانيا سيؤثر على الكل [١٧].

عليه يتضح على المدى المتوسط بأنه ستستمر الأزمة الأوكرانية وتتفاقم في ظل استمرار السياسات الطويلة الأمد الهادفة لتحقيق المكاسب من جانب واحد فقط، ستتشعب الأزمة أكثر وستصل إلى طريق مسدود وسيتم بلوغ نتائج صفرية من كلا الجانبين.

وفي حسابات الربح والخسارة يمكن توقع عدة سيناريوهات قد تؤل اليها الاحداث، يمكن القول إن الولايات المتحدة الأميركية وروسيا تحققان مكاسب من الأزمة الأوكرانية، وخلفهما تسعى دول العالم لتحقيق مكاسب خاصة بها من تفاعلات الأزمة الحالية، بينما تقف كل من أوكرانيا وأوروبا الغربية في موقع الخسارة التي قد تصل في سيناريوات تفكيك الدول واختفائها، سنتطرق لذلك وفق طرحين وهما المكاسب الاستراتيجية والخسائر المتولدة من الازمة الأوكرانية وفقا لما يلي [١٨]:

١- المكاسب الاستراتيجية : يمكننا تلخّيص مكاسب الولايات المتحدة فيما يلي :

أ. مع انطلاق الطلقة الأولى، تم تعطيل خط الغاز الروسي «نورد ستريم ٢» إلى ألمانيا، وهو كان هدفاً رئيساً لها في سياق سعيها الواضح لإشعال أزمة أوكرانيا في الأشهر القليلة الماضية، اذ لم يكن مجرد خط طاقة، بل يمكن وصفه بالمسار الذي تنامت ضمنه مصالح اقتصادية وعلاقات سياسية لتجمع أكبر قوتين في أوروبا، فاجتماع ألمانيا وروسيا في سياق استراتيجي تحالفي واحد سوف يعني إضعاف الهيمنة الأميركية على أوروبا.

ب. استعادت واشنطن وحدة الموقف الأطلسي، ومتانة «الناتو»، بعد أشهر قليلة من اهتزازه، بعد إفشالها صفقة الغواصات الفرنسية لأستراليا، وتشكيل تحالف «أوكوس» مع الأخيرة وبريطانيا، وفي هذا السياق لا يمكن نسيان تصريحات قادة فرنسا وألمانيا بشأن «الموت السريري للناتو» وضرورة تشكيل الجيش الأوروبي، وتحقيق مزيد من الاستقلال السياسي لأوروبا.

ج. حققت هدفاً آخر تمثّل بالحصول على حجج قوية من أجل فرض عقوبات على روسيا تعتقد أنها سوف تؤدي إلى إضعاف موسكو وبوتين شخصياً.

اما روسيا يمكن تلخيص أبرز مكاسبها في التالي :

أ. تعطيل انضمام أوكرانيا إلى حلف شمال الأطلسي إلى أَجَل غير محدد، لحماية الأمن القومي الروسي عند الواجهة الغربية، ومنع تحول أوكرانيا إلى قاعدة أطلسية.

ب. توجيه رسالة شديدة القوة إلى القوى الأوروبية (شرقي أوروبا وغربيها)، مفادها عدم سهولة الإضرار بالمصالح الاستراتيجية الروسية، إثبات موقعها قوةً عظمى كاملة المواصفات.

ج. تعزيز مكانة روسيا في سوق الطاقة لعدم وجود بدائل كافية عن الغاز الروسي، وتوقع ارتفاع أسعاره في حال طالت الأزمة.

د. رسالة قوية إلى الحلفاء والخصوم، مفادها أن روسيا تقف مع حلفائها وتدافع عنهم في مواجهة الولايات المتحدة، وتعزيز مكانة روسيا في أوساط القوى الصاعدة كحليف يمكن الاعتماد عليه استراتيجياً، وكقوة قادرة على تنفيذ رؤاها.

٢- **الخسائر المتوقعة**: في مقابل الرابحين، تبدو أوكرانيا أول الخاسرين وأبرزهم، جرّاء اشتعال الحرب. وبعدها تأتي دول أوروبا الغربية ويمكن توضيح ذلك بما يأتي:

أ. فبعد الطلقة الأولى وجد زيلينسكي نفسه وحيداً في الميدان واكتشف أن الغرب غير مستعد لإرسال الجنود إلى أوكرانيا، وأن الدعم لوجستياً وإعلامياً وسياسياً هو أقصى ما يمكن تقديمه إليه.

ب. ان دول أوروبا الغربية وتحديداً ألمانيا وفرنسا هي القوى الأكثر تضرراً من انفجار الأزمة الأوكرانية، ذلك بأن السياق السابق للأزمة كان يتضمن مصالح مفيدة لها مع الروس من ناحية، بينما ستشهد درجة الهيمنة الأميركية على أوروبا الغربية من ناحية ثانية ارتفاعاً نسبياً، فألمانيا خسرت فوائد «نورد ستريم ٢»، الذي أعلنت الشركة المشغلة له إفلاسَها.

وعليه يمكن استنتاج عدة انعكاسات لسيناريو لعبة القوة في أوكرانيا وهي:

١. من المحتمل ان تجبر الأزمة الغرب على تقديم ما لم يكن مسموح بمناقشته في التفاوض مع إيران، إذا أصبحت ركنا جيوبوليتيكا ثابتا في رؤية بكين وموسكو نحو مستقبل علاقات القوة في العالم فأنها سوف تبتز الغرب بحذق في جميع ملفات الشرق الأوسط لتبقى في القلب من أية ترتيبات لإعادة هندسة خارطته الصعبة.

٢. احتمال بتنفيذ سياسة الأرض المحروقة على كامل الأرض الأوكرانية، هناك سوابق عن هذه السياسة لنفس هذا الجيش في أفغانستان ١٩٧٩-١٩٨٩ ولنفس هذا الرئيس في الشيشان في ولايته الأولى، وقد أدت تلك السياسة في الحالتين إلى تسوية مدن وبلدات بأكملها مع الأرض.

٣. كما أن الخيار الآخر الذي يراهن عليه بوتين الآن؛ هو أن يحصل على تسوية جديدة من قبل الغرب، أحد أبرز أوجهها أن تتحول أوكرانيا إلى دولة فيدرالية، تمنح الأقاليم فيها «فيتو» لا يقل أهمية عن الفيتو الذي تتمتع به العاصمة كييف، في تقرير توجهات أوكرانيا الخارجية مستقبلا.

الخاتمة:

مما تقدم يمكننا استنتاج ان روسيا الاتحادية تضغط باتجاه إعادة سيطرتها على أوكرانيا كجزء من مناطق نفوذها، وكذلك استثمار وجود أسطولها العسكري في البحر الأسود والاستثمار في مجال الطاقة، وترى في الموالين لها في أوكرانيا الداعم لمشاريعها وخططها الإستراتيجية، أما دول أوروبا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية في اطار لعبة القوة هذه تسعى لتعزيز مصالحها ونفوذها في أوكرانيا وتستثمر الجوار الأوروبي الغربي لأوكرانيا بالحث على دخول دول الاتحاد الأوروبي مع أوكرانيا في شراكات اقتصادية، وبذلك اصبحت أوكرانيا نقطة تعارض إرادات ومصالح روسيا الاتحادية ودول أوروبا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية ولكن من الطبيعي أن لا تصل إلى مواجهة أو حرب باردة جديدة، وعلى أوكرانيا أن تفكر في الخروج من هذه الأزمة كدولة مستقلة بإتباع سياسة داخلية وخارجية ثابتة ومستقلة قائمة على وضع المصلحة القومية الأوكرانية اولى أولوياتها وباتفاق كل الأوكرانيين كدولة أوكرانيا الموحدة وشعب أوكرانيا الموحد ومغادرة حالة الانقسام التي ستفضي إلى القضاء على الأزمات التي تعيشها، وأن تكون علاقاتها الدولية بشكل متساوي ومتوازن مع أية جهة دولية وبما يحقق مصالحها القومية من خلال سياسة ثابتة وعلاقات دولية واقليمية تفضي الى وضع اوكرانيا في مكانتها الصحيحة في النظام الدولي.

قائمة المصادر:

1. Rokas Grajauskas, what is new in Russia's 2009 national security strategy? Centre for Eastern Geopolitical Studies, Eastern Pulse 6 (21) , 25June 2009, P. 2.

٢. احمد دهشان، ديسمبر المشؤوم. . كيف أراد بوتين أن يغير قدر روسيا عبر أوكرانيا، مجلةشؤونأوراسية، مركزالدراساتالعربيةالاوراسية، ٢/ ١/ ٢٠٢٢.

٣. اسماء الحداد، النموذج الروسي للحرب الهجينة في أوكرانيا: الخيارات والرهانات، ط١، مركز الكتاب الأكاديمي، الأردن- عمان، ٢٠٢٠.

٤ . ألكسندر دوغين يتحدث عن نظرية السياسة الرابعة ، على قناة الجزيرة ، برنامج المقابلة ، ٢٢/ ١١/ ٢٠٢١ ، على الموقع الالكتروني : https: //www. aljazeera. net

٥ . جورج فريدمان ، الاعوام المائة القادمة استشراف للقرن الحادي والعشرين ، ترجمة : منذر محمود محمد ، ط١ ، دار الفرقد ، دمشق- سوريا ، ٢٠١٩ .

٦ . زبيغنيو بريجنسكي ، الاختيار ، السيطرة على العالم ام قيادة العالم ، ترجمة : عمر الايوبي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ٢٠٠٤ ، ص٨٧ .

٧ . سعيد السعدي ، تداعيات الازمة الروسية - الجورجية على العلاقات الامريكية الروسية ، مجلة دراسات دولية ، جامعة بغداد ، مركز الدراسات الدولية ، العدد ٤٢ ، ٢٠٠٩ .

٨ . سكينة جعفر شهاب العبيدي ، مشاريع الطاقة الاوراسية واثارها الجيوسياسية ، ط١ ، دار الأكاديميون للنشر والتوزيع ، عمان- الأردن ، ٢٠٢٢ ، ص٢٢٣ .

٩ . سيرغي كاراغانوف ، عقيدة بوتين : المواجهة الروسية مع الناتو مجرد بداية السياسة الخارجية الجديدة لروسيا ، مجلة شؤون اوراسية ، مركز الدراسات العربية الاوراسية ، ٢٠٢١ ، ص٢ .

١٠ . كوثر عباس الربيعي ، الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد الروسي بين ارث الاحتواء والهيمنة والمستقبل ، دورية اوراق دولية ، بغداد ، مركز الدراسات الدولية ، العدد (١٧٥) ، اذار ٢٠٠٩ ، ص٣ .

١١ . لمى مضر الامارة ، الاستراتيجية الروسية بعد الحرب الباردة وانعكاساتها على المنطقة العربية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٩ .

١٢ . محمد سيف الدين ، ماذا حقّقت استراتيجية الأمن القومي الروسي ٢٠١٢-٢٠٢٠ ؟ ، الميادين نت ، ٢٢ تموز ٢٠٢١ ، على الموقع الالكتروني : https: //www. almayadeen. net/butterfly-effect

١٣ . محمد سيف الدين ، نظرية اللعبة في أوكرانيا : سيناريو لتسوية الأزمة ، الميدان في ٥/ ٣/ ٢٠٢٢ ، على الموقع الالكتروني : https: //www. almayadeen. net/

١٤ . منى فرح، إنها ألمانيا وليست أوكرانيا . . هل يقع بوتين وشولز في الفخ؟، في ٢١/ ٠٢/ ٢٠٢٢، على الموقع الالكتروني: https: //www. sahat-altahreer. com

الهوامش:

١ (*) مكان العمل: المفوضية العليا المستقلة للانتخابات.

٢ . جورج فريدمان، الاعوام المائة القادمة استشراف للقرن الحادي والعشرين، ترجمة: منذر محمود محمد، ط١، دار الفرقد، دمشق- سوريا، ٢٠١٩، ص ١٨٥.

٣ . محمد سيف الدين، نظرية اللعبة في أوكرانيا: سيناريو لتسوية الأزمة، الميدان في ٥/ ٣/ ٢٠٢٢، على الموقع الالكتروني: https: / /www. almayadeen. net/

٤ . ألكسندر دوغين يتحدث عن نظرية السياسة الرابعة، على قناة الجزيرة، برنامج المقابلة، ٢٢/ ١١/ ٢٠٢١، على الموقع الالكتروني: https: / /www. aljazeera. net

٥ . محمد سيف الدين، نظرية اللعبة في أوكرانيا، مصدر سبق ذكره.

٦ . اسماء الحداد، النموذج الروسي للحرب الهجينة في أوكرانيا: الخيارات والرهانات، ط١، مركز الكتاب الأكاديمي، الأردن- عمان، ٢٠٢٠، ص٢٦٣.

٧ . محمد سيف الدين، نظرية اللعبة في أوكرانيا، المصدر السابق.

٨ . محمد سيف الدين، ماذا حقّقت استراتيجية الأمن القومي الروسي ٢٠١٢-٢٠٢٠ ؟، الميادين نت، ٢٢ تموز ٢٠٢١، على الموقع الالكتروني: https: // www. almayadeen. net/butterfly-effect

٩ . أحمد دهشان، ديسمبر المشؤوم. كيف أراد بوتين أن يغير قدر روسيا عبر أوكرانيا، مجلة شؤون اوراسية، مركز الدراسات العربية الاوراسية، ٢/ ١/ ٢٠٢٢.

١٠ . سيرغي كاراغانوف، عقيدة بوتين: المواجهة الروسية مع الناتو مجرد بداية السياسة الخارجية الجديدة لروسيا، مجلة شؤون اوراسية، مركز الدراسات العربية الاوراسية، ٢٠٢١، ص٦-٧.

١١ . لمى مضر الامارة، الاستراتيجية الروسية بعد الحرب الباردة وانعكاساتها على المنطقة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٩، ص٢٨٢.

١٢ . سعيد السعدي، تداعيات الازمة الروسية - الجورجية على العلاقات الامريكية الروسية، مجلة دراسات دولية، جامعة بغداد، مركز الدراسات الدولية، العدد ٤٢، ٢٠٠٩، ص١١٢.

13. Rokas Grajauskas, what is new in Russia's 2009 national security strategy? Centre for Eastern Geopolitical Studies, Eastern Pulse 6 (21) , 25June 2009, P. 2.

١٤ . زبيغنيو بريجنسكي، الاختيار، السيطرة على العالم ام قيادة العالم، ترجمة: عمر الايوبي، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٤، ص٨٧.

١٥ . كوثر عباس الربيعي، الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد الروسي بين ارث الاحتواء والهيمنة والمستقبل، دورية اوراق دولية، بغداد، مركز الدراسات الدولية، العدد (١٧٥) ، اذار ٢٠٠٩، ص ٣.

١٦ . سكينة جعفر شهاب العبيدي، مشاريع الطاقة الاوراسية واثارها الجيوسياسية، ط١، دار الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ٢٠٢٢، ص٢٢٣.

١٧ . منى فرح، إنها ألمانيا وليست أوكرانيا . . هل يقع بوتين وشولز في الفخ؟، في ٢١/ ٠٢/ ٢٠٢٢، على الموقع الالكتروني: https: //www. sahat-altahreer. com/

١٨ . محمد سيف الدين، نظرية اللعبة في أوكرانيا، مصدر سبق ذكره.

الحرب الروسية على أوكرانيا: رؤية استراتيجية في الطبيعة والانعكاسات

الباحث كرار نوري حميد علي

كلية العلوم السياسية – جامعة النهرين

الملخص:

عدت أوكرانيا منطقة مصالح حيوية ضمن المدرك الاستراتيجي الروسي لذا فإن الحرب التي أقدمت روسيا على القيام بها ما هي إلا لتحقيق أمنها القومي بشتى مكنوناته إلا أن هذه الحرب بالرغم من سلسلة التقدم قد أوجدت انعكاسات كبرى يشهدها المجتمع الدولي والداخل الروسي قد تؤدي إلى انحسار أمد الحرب فطيف الاستراتيجيات، وإجماع الرؤى الأميركية والغربية، بصورة عامة بأن روسيا تشهد تعثّرًا في تقدمها، وتتكبّد خسائر بشرية عالية، ، فضلًا عن المعدات والقدرات العسكرية والاقتصادية على صعيد الحرب الميدانية و صعيد المجتمع الدولي مما شكل تباطؤًا في حركة التغلغل الروسي تجاه أوكرانيا.

الكلمات المفتاحية: الحرب الروسية– الأوكرانية، الأمن القومي الروسي، الاستنزاف، العقوبات الاقتصادية.

The Russian war on Ukraine: a Strategic View at the Nature and Repercussions

Abstract:

Ukraine is considered an area of vital interests within the Russian strategic realm. Therefore, the war that Russia has undertaken is nothing but to achieve its national security in its various components. However, this war, despite the series of progress, has created major repercussions in the international community and the Russian interior that may lead to a decline in the duration of the war. The consensus of American and Western visions, in general, is that Russia is witnessing a stumble in its progress and incurring high human losses, as well as military and economic equipment and capabilities at the level of field war and at the level of the international community, which constituted a slowdown in the movement of Russian penetration towards Ukraine.

Keywords: Russian-Ukrainian War, Russian National Security, Attrition, Economic Sanctions.

المقدمة:

إن فلسفة التفوق والإدراك لدى روسيا من قبل صانع القرار والتوجه نحو تحقيق الأوراسية الجديدة كما بينها (إلكسندر دوغين) هي غاية الاستراتيجية كمجمل عام، وعليه فإن منظومة التفكير الاستراتيجي الروسي لا تزال ضمن نطاق مدرك التفوق العسكري وسباق التسلح، ونتجت التدخلات تجاه شبه جزيرة القرم والأزمة مع جورجيا والحرب تجاه أوكرانيا يضمن تحقيق هدفين رئيسيين نادت بها روسيا منذ أمد بعيد، الأول: الوصول إلى المياه الدافئة، والثاني: إعادة إحياء أمجاد الاتحاد السوفيتي في التوسع ضمن المجال الحيوي الروسي، بالنظر إلى هذا التحول في الأولويّات الاستراتيجية، قدّمت روسيا مطالب ذات طبيعة جيواستراتيجية في (ديسمبر ٢٠٢١) في مسودة معاهدة سلِّمت إلى دبلوماسي أمريكي في موسكو. تضمن طلب الحكومة الروسية التزامًا بوقف توسع الناتو شرقًا ووقف تطوير بنيته التحتية، مثل أنظمة الأسلحة والقواعد العسكرية في

الاتحاد السوفيتي السابق، وتعليق توريد المعدات العسكرية الأوكرانية، ووقف التثبيت من المعدّات متوسطة الحجم صواريخ المدى في أوروبا، وكذلك الفرصة في تخفيض العقوبات الاقتصادية، بعد كل هذه العمليات دون رد حاسم من الغرب، ونظرًا لوجود حكومة أمريكية بموقف سلبي للغاية تجاه سياسات «بوتين»، وفي مواجهة احتمالية تصعيد هذا الوضع، قرر «بوتين» توقع التطورات بناءً على طلبه. كانت الالتزامات والضمانات الأمنية الواضحة من الولايات المتحدة دبلوماسية أولًا، ثم تحذيرًا من الاعتراف بجمهوريتي (دونيتسك ولوهانسك) الانفصاليتين في (٢١ فبراير) بتعبئة الجيش على الحدود الأوكرانية، تليها روسيا عام (٢٠٢٢)، ثم الحرب الحقيقية التي بدأت بغطاء جوي وصاروخي على الأرض للحركة الانفصالية لاحتلال منطقة (دونباس) بأكملها في شرق أوكرانيا، ثم هاجم الجيش الروسي مناطق أخرى في أوكرانيا، إلا أن هذه الحرب قد سببت لروسيا خسائر كبرى استراتيجيًا.

أهمية البحث:

تأتي أهمية الدراسة سواء في الإطار النظري أو التطبيقي التي تبحث في طبيعة الحرب الروسية تجاه أوكرانيا ومن طبيعة وانعكاسات استراتيجية من تحليل وتفسير آلية التطبيق لمنطلقات روسيا الاستراتيجية بشكل خاص، وبصدد بحثنا تفسير طبيعة الحرب وغايتها في تحقيق مشاريع السيطرة وفرض المكانة، مع التعرف على الفرص وأثر التغيير الذي يواجه هذه العملياتية كتطبيق فعلي.

ثانيًا: إشكاليّة البحث:

نحاول في هذا البحث وضع إطار تحليلي حول طبيعة الحرب الروسية على أوكرانيا ومعرفة العوامل والانعكاسات التي حققتها على هذه الحرب وهنالك مجموعة من الأسئلة التي يثيرها موضوع البحث أو نحاول الإجابة عنها:

١. ما هي طبيعة الملامح العامة للحرب الروسية على أوكرانيا ؟

٢. ما هي العوامل الداخلية والخارجية للأخذ بمبدأ الحرب ؟

٣. ما هي المخرجات التي انعكست على الحرب الروسية الأوكرانية ؟

ثالثًا: فرضية البحث:

البحث يقوم على فرضية مفادها أن الحرب الروسية تجاه أوكرانيا قد سببت انعكاسًا مؤثرًا على مكانتها الدولية والإقليميّة وحتى الداخلية عن طريق استنزاف قوتها العسكرية داخل أوكرانيا وكذلك ردود الفعل الدولية عن طريق فرض العقوبات الاقتصادية منع تصدير الغاز وقطع خطوط نورد ستريم العالمية.

رابعًا: منهجية البحث:

اعتمد البحث على أسلوب الاستقراء لتطور الحرب الروسية على أوكرانيا والمعطيات الدافعة للدور الروسي تجاه إعادة تنظيم المنظومة الإقليميّة للأوراسية الجديدة، وفي إطارها لتعزيز مكانتها في داخل المجتمع الدولي كأساس حركي لها، وتم اعتماد المنهج الوصفي لوصف طبيعة الحرب وصولًا إلى أسلوب التحليل والتفسير لتحولات الحرب الروسية تجاه أوكرانيا.

خامسًا: هيكلية البحث:

يتكون البحث من مقدمة وثلاثة مطالب وخاتمة واستنتاج، حيث يتناول المطلب الأول المظاهر العامة للحرب الروسية تجاه أوكرانيا، أما المطلب الثاني فيبين العوامل الداخلية والخارجية بما يخدم الأهداف الاستراتيجية الشاملة لروسيا الاتحادية، أما المطلب الثالث فيبحث في مخرجات الحرب الروسية من انعكاسات خارجية وداخلية.

المطلب الأول: المظاهر العامة عن الحرب الروسية تجاه أوكرانيا:

أوكرانيا في المدرك الروسي تمتاز بطبيعة وخصائص ساهمت في التوجه نحو الحرب وفرض السيطرة من خلال ما سنبينه في المبحث والمتكون من مطلبين هما الملامح العامة في مرحلة الأزمة الأوكرانية ما قبل الحرب، أما المطلب الثاني فسيتناول أهم العوامل التي ساهمت توجه روسيا للدخول في الحرب تجاه أوكرانيا.

أولًا: أهمية عامة لأوكرانيا في المدرك الاستراتيجي الروسي:

نظرًا لعناصرها، فإن أوكرانيا مهمة جدًا في تفكير الدول الكبيرة، وموقعها الجغرافي ومواردها الاقتصادية والبشرية جعلت من الممكن للولايات المتحدة أن تكون واحدة من القوى النشطة في التوازنات الإقليميّة لأوراسيا. أرادت الولايات المتحدة تعزيز قدراتها كقوة عالمية، لذلك كان من مصلحة الغرب حصار روسيا وحرمانها من مساحتها الحيوية وتوسيع نفوذها في أوروبا الشرقية؛ لأن استراتيجية روسيا كانت معارضة اندماج أوكرانيا مع روسيا. يلعب الغرب وحلف الناتو، اللذان تعمل الولايات المتحدة معه على استقطابها، دورًا رئيسيًا في مصالح الحكومة الروسية على جميع المستويات، بما في ذلك الاقتصادي والسياسي والجغرافي.

١- الأهمية السياسية

أوكرانيا لها أولويّة لسياسة روسيا الجديدة. لم تستطع روسيا تحقيق أهدافها دون بسط هيمنتها على الدول المستقلة في الاتحاد السوفيتي، والتي تعد جزءًا من القلب التأريخي لإمبراطوريتها. الحكومة العظمى لروسيا وأوكرانيا وجودها في صف روسيا يسهم في إيقاف تمدد الناتو، والحصول على موطئ قدم في البحر الأسود وتفادي المواجهة المباشرة مع الغرب وإبعادها عن المجال الحيوي، وتأمين الوصول إلى المضائق التركية، فقامت روسيا بتأجير المرفأ الاستراتيجي في البحر الأسود إلى عام (٢٠٤٥)، وتحريك السكان في الشرق الأوكراني من أجل السيطرة عليها؛ لأن هذه الدولة حديثة ومتعددة الإثنيات، ولا يعرف توجهها فخشيت روسيا من دخولها مع الغرب، وإن أغلب الغزوات التي هددت روسيا كانت عن طريق أوكرانيا، وتشترك أوكرانيا بحدود طويلة مع روسيا ومناطقها الشرقية والجنوبية المحاذية لروسيا يقطنها الغالبية الروسية بنحو (٦٠٪) من السكان، ومصانعها المتطورة التي بنيت في العهد السوفيتي تصدر مجمل الإنتاج إلى روسيا، وهناك أكثر من مليون أوكراني يعملون في روسيا، فهي في قلب أوراسيا ومن يسيطر على القلب الأوراسي يسيطر على الجزيرة العالمية لوجود مركز الطاقة والمواصلات البرية والبحرية بين آسيا وأوربا [١]

خسارة روسيا لأوكرانيا يعني حرمانها من البحر الأسود الذي يربطها بالمياه الدافئة للبحر الأبيض المتوسط عبر المضيق التركي في بحر إيجه (البوسفور والدردنيل) ودخولها

إلى روسيا. عودتها كلاعب دولي رئيسي مع انضمام أوكرانيا إلى المجموعة الأوراسية ومدينة (سيفاستوبول) مركز الأسطول البحري والتجاري والميناء الجنوبي في المياه الدافئة. يحمي الحدود الغربية لروسيا من توسع الناتو. إنها تضمنها بعمالة رخيصة وسوق استهلاكية كبيرة، فضلًا عن ضخ الغاز والنفط إلى الغرب بطرق آمنة، أدوات كهربائية ومنعهم من دخول الاتحاد الأوروبي. (٢)

ومن خلال أوكرانيا تصل روسيا إلى أوربا، فإذا خسرتها تفقد النقطة الجيوستراتيجية التي من خلالها تتحكم في البلقان والقوقاز والعمق الجغرافي للوصول إلى البحر الأسود، كما هو الحال لدى خسارة روسيا دول البلطيق (ليتوانيا، لاتيفيا، أستونيا) التي خرجت من دائرتها حين طلبت من حلف الناتو حمايتها من الانتهاكات الروسية لأجوائها، فهي الطريق الرئيس لمرور التجارة الروسية إلى أوربا، وروسيا تصدر (٤٠٪) من سلعها إلى الأسواق الأوربية عن طريق أوكرانيا، وإن (٩٤٪) من الغاز الروسي إلى أوربا يمرعن طريق خط دوشبا (خط الصداقة) وإن روسيا تنوي جعل أوكرانيا شريكًا مستقرًا حتى تصل بسهولة إلى مضيق البسفور الذي يشكل هو وميناء طرطوس السوري نقطة ارتكاز لروسيا على البحر الأبيض والبحر الأسود والطريق الوحيد إلى المياه الدافئة. (٣)

وعند فقدانها لأوكرانيا تصل حدود حلف الناتو إلى بوابتها الحيوية، وحدث ذلك حين نشر قواته في الخليج العربي وأفغانستان وجمهوريات آسيا الوسطى لتطويق روسيا، ونشر مفردات الدرع الصاروخي في أوربا الشرقية، وهذا تهديد للأمن القومي الروسي وإخلال في التوازن الاستراتيجي النووي (٤).

لذلك قامت روسيا بمعارضة توسيع الناتو باتجاه أوكرانيا الذي سوف يصبح منافسا لروسيا في عقر دارها، وتتخوف روسيا من انتشار الإنموذج الغربي في أوكرانيا، لأن ذلك سيؤدي إلى تمرد الرأي العام داخل روسيا للمطالبة بالتحول نحو الديمقراطية الغربية، وعليه ستقسم أوربا الشرقية إلى قسمين مما يهدد المصالح الحيوية لروسيا (٥)، والقضاء على أمل روسيا لتكوين اتحاد سلافي يتألف من (روسيا، بيلاروسيا، أوكرانيا)، وبسبب انتماء أغلب السكان في شرق أوكرانيا إلى العرق الروسي؛ فإن الأوكران يخشون من محاولة روسيا الضغط على أوكرانيا من أجل إيقاف عملية ارتباطها بالغرب (٦)، والتمسك

الروسي بأوكرانيا ومنعها من الانضمام إلى أي حلف أو تكتل خارج الإدارة الروسية، ذلك تحت مبررات [٧] :

١ـ حماية الأقليّات في المدن الأوكرانية.

٢ـ منع سيطرة المليشيات المتمردة في أوكرانيا على مصادر النفط والغاز في أوكرانيا.

٣ـ تامين الحدود بين الدولتين.

١ – تهدف روسيا من التقرب في أوربا الشرقية وبقاء القوات العسكرية فيها حتى تحقيق غايات منها [٨] :

أـ إيجاد صيغة للتعاون من أجل الحصول على الموارد الأوليّة الزراعية واحتكار الأسواق.

ب ـ المحافظة على النفوذ الروسي في أوربا الشرقية وتدعيمه من أجل مواجهة الدول الغربية.

ت ـ التحكم في المواقع الاستراتيجية و المضائق البحرية التي توصلها إلى المياه الدافئة.

ث ـ اعتماد دول الشرق الأوربي حلقة وصل بين روسيا والعالم وحزامًا يحيط بروسيا من الجنوب والغرب.

٢- الأهمية الاقتصادية

تعد أوكرانيا ذا أهمية لروسيا، لأن واردات النفط والغاز تشكل (٣٠٪) من الناتج المحلي الإجمالي الروسي، وإن (٦٠٪) من صادرات الغاز الطبيعي الروسي تمر من خلال أوكرانيا التي وفرت نصف عائدية ميزانية الدولة لعام (٢٠١٢)، فإن عدد من خطوط أنابيب النفط والغاز إلى أوربا عبر البحر الأسود تمر من خلال أوكرانيا، فإذا ما فقدت روسيا أوكرانيا فإنها ستفقد السيطرة على خطوط الأنابيب من أجل التأثير على السياسة الأوربية الغربية من خلال صادرات الطاقة، وإن أغلب المدن الأوكرانية المتاخمة لروسيا غنية بالمعادن والفحم، و منها: مدينة (لوغانسك)، فهي غنية بالموارد الأوليّة واحتواؤها على أطول واجهة بحرية على البحر الأسود توفر لها موانئ صالحة للملاحة طيلة العام، وتعارض روسيا استقلالها ومنعها من استثمار غالبية سواحل البحر الأسود خوفًا من عزل روسيا عن أوروبا، وتكريس طابعها الآسيوي

وتحاول روسيا من خلال المحافظة على النفوذ في أوكرانيا من أجل الوصول إلى منطقة آسيا الوسطى فأوكرانيا الإنموذج الذي يعكس وجه روسيا في أوربا، فهي البوابة التي يمر منها الغاز والنفط من روسيا إلى الغرب، فضلاً عن رغبة الغرب في تنويع مصادر الطاقة ورغبة أوكرانيا في إحياء الصناعة النووية، مما عزز من قدرة (أوربا وأوكرانيا) من الضغط على روسيا حين تريد رفع الأسعار أو تهدد بوقف الإمدادات، فأصبح لدى أوكرانيا جوانب جاذبية كبيرة على تهديد روسيا [٩]

نستنتج مما تقدم أن لأوكرانيا أهمية كبرى في المدرك الروسي من خلال الآتي [١٠] :

أ. روسيا تعد أوكرانيا جزءًا لا يتجزأ من الأراضي السوفيتية، ومنها: خرجت خبرة الجيش والقادة الروس، وهي المجال الحيوي لروسيا وترتبط بأمنها القومي، لذلك تحاول روسيا منع الغرب من السيطرة عليها.

ب. وجود صراع بين روسيا وأوكرانيا على شبه جزيرة القرم، فهي هامة للأمن في الوصول إلى البحر الأسود، من خلالها تصبح روسيا أكثر قوة، ولكن حين انضمت تركيا إلى حلف الناتو (١٩٥٢) فقدت القاعدة البحرية في البحر الأبيض أهميتها بسبب عدم قدرة روسيا من الوصول إلى المضايق التركية (الدردنيل والبسفور)، وقامت روسيا بتوقيع اتفاقيات مع الحكومة الأوكرانية من أجل بقاء الإسطول الروسي في البحر الأسود مقابل دفع روسيا مبلغ (١٠٠) مليون دولار سنويًا.

ج. أوكرانيا تجاور روسيا على طول حدود تبلغ (١٥٠٠) كلم، وإن الولايات المتحدة الأمريكية تنوي إقامة الدرع الصاروخي على أراضيها لمواجهة روسيا، والأخيرة تعارض هذا المشروع وتعده تهديدًا لأمنها القومي، وإن السيطرة الروسية على أوكرانيا هي تقويض للمشروع الأمريكي، وعليه فقد تبنى «بوتين» معارضة المحاولات الأوكرانية جميعها للانضمام إلى حلف الناتو، فقام بالتدخل عسكريًا لأول مرة بموجب التخويل من البرلمان الروسي في (٢٨/ ٢/ ٢٠١٤)، لحماية الأقليّات الروسية في أوكرانيا والحفاظ على النفوذ في سيفاستابول القاعدة الأخيرة للنفوذ الروسي، في حال خسرت القاعدة البحرية في سوريا [١١].

المطلب الثاني: عوامل توجه نحو الحرب على أوكرانيا:

هنالك عوامل دفعت روسيا الاتحادية إلى الأخذ بمبدأ الحرب تجاه أوكرانيا يمكن تقسيمها إلى عوامل داخلية وعوامل خارجية:

اولًا: العوامل الداخلية:

١- استراتيجيات الأمن القومي الروسي: بعد صعود «بوتين» إلى السلطة في الانتخابات الرئاسية في (مارس ٢٠٠٠)، دخلت روسيا مرحلة جديدة من المصداقية والتأثير بسبب تبني «بوتين» لعدد من سياسات الإصلاح على جميع المستويات لجلب روسيا إلى السلطة كقوة عظمى، فكانت استراتيجيات الأمن القومي الروسي دعت للتوجه للسيطرة على أوكرانيا وقد تضمنت استراتيجيات الأمن القومي الروسي مجموعة من الدعوات:

أ. استراتيجية «فلاديمير بوتين» في الولاية الأولى (٢٠٠٠-٢٠٠٤): أصدر «بوتين» وثيقة (الأمن القومي الروسي) الخاصة بالأمن القومي لروسيا، والتي تم تنفيذها عام (٢٠٠٠) تكشف الوثيقة عن عقيدة عسكرية جديدة تتميز بالتقشف في بعض بنودها، مثل إمكانية استخدام الأسلحة النووية والعودة إلى النفوذ والهيبة كما في حقبة ما قبل الاتحاد السوفيتي. نفوذها على المستوى الدولي وركزت من الناحية الاقتصادية، أصبحت موسكو اقتصادًا رئيسيًا. وقوة مالية، بفضل الحجم الهائل للإيرادات من موارد النفط والغاز الطبيعي، والسيطرة على خطوط الأنابيب التي تمتد من أراضيها وأراضي الدول المجاورة، بما في ذلك: شبكة خطوط الأنابيب (الغاز والنفط) التي تنطلق من الأراضي الروسية يزداد إلى الدول الأوروبية (أوكرانيا وبيلاروسيا وبولندا وألمانيا وليتوانيا وإستونيا وجمهورية التشيك والمجر والنمسا واليونان والمجر وبلغاريا) التي تهدد روسيا أحيانًا لتحويل الغاز إلى الصين واليابان في الشرق. أو وقف تدفق الغاز من أوروبا، ما يعني نوعًا من التأثير وإظهار أهميته العالمية، لذلك حارب «بوتين» الفساد والتدهور الاقتصادي. (١٢)

ب. استراتيجية الرئيس «فلاديمير بوتين» في الولاية الثانية (٢٠٠٤-٢٠٠٨): بالإضافة إلى اتخاذ موقف ضد القوة الأمريكية غير المبنية على الشرعية الدولية، قام «بوتين» بإصلاح الجيش، وإنشاء قيادة للقوات البرية. العراق وأفغانستان كحصار

لروسيا بالإضافة إلى معارضة عملية الناتو. التوسع في أوروبا الشرقية، بما في ذلك (أوكرانيا)، وفي عام (٢٠٠٧)، رفض بوتين نشر درع صاروخي في أوروبا الشرقية، متهمًا الولايات المتحدة بالمبالغة في استخدام القوة لما هو غير موجود، وحذر «بوتين» من حرب نووية على الرغم من اعتراف الولايات المتحدة. إنه ليس درعًا ضد روسيا [١٣].

ج. استراتيجية الرئيس «فلاديمير بوتين» في الولاية الثالثة (٢٠١٢ – ٢٠١٥): حاولت روسيا الرد على ما قامت به الولايات المتحدة الأمريكية بدعم المعارضة في أوكرانيا ضد الرئيس «فيكتور يانكوفيتش» الموالي لروسيا، استطاعت المعارضة الفوز، وظنت الولايات المتحدة الأمريكية أنها تقدمت على روسيا إلا أن «بوتين» كان موجودًا كعادته، ليضم إقليم شبه جزيرة القرم الهام جدًا لروسيا عبر استفتاء شعبي، ويعد هذا تقدمًا واضحًا في نجاح الاستراتيجية الروسية. [١٤].

د. استراتيجية الرئيس «فلاديمير بوتين» في الولاية الرابعة (٢٠٢١) حيث جاء إعلان هذه الاستراتيجية الجديدة، بعد ثلاثة أشهر من إعلان الرئيس الأمريكي «جو بايدن» استراتيجية الأمن القومي الأمريكي في (مارس ٢٠٢١)، والتي وضعت روسيا والصين كمنافسين استراتيجيين للولايات المتحدة عالميًا، مثلما فعل الرئيس السابق «ترمب»، وبهذا لم تختلف إدارة الديمقراطيين عن رؤية الجمهوريين لروسيا، وهنا رغم أن الاستراتيجية الروسية الجديدة العالم المعاصر يمر بمرحلة تحول مع زيادة خطر تحول نزاعات مسلحة إلى حروب إقليميّة ستشمل خاصة دولا ذات ترسانة نووية. و تدرب حلف الناتو على سيناريوهات استخدام السلاح النووي ضد روسيا يزيد من المخاطر العسكرية التي تواجهها البلاد ومن حق روسيا اتخاذ إجراءات مناسبة وغير مناسبة لمنع وإحباط أي أعمال غير عدائية تشكل خطرًا على سيادتها ووحدة أراضيها، وكل ذلك يدل على أن يتراجع حلف الناتو عن سعيه للتوسع والاقتراب من حدود روسيا، من خلال منع ضم أوكرانيا له وعدم نشر منظومة الدرع الصاروخية بالقرب منها، وبالتالي لا تتدخل روسيا عسكريًا بأوكرانيا. تدخل روسيا عسكريًا في مناطق إقليم الدونباس بأوكرانيا، لبسط سيطرتها الأمنية ومد نفوذها لحماية مواطنيها وحدودها وعمقها الجغرافي. [١٥]

٢- الجانب الأمني: تعد أوكرانيا أحد ثلاثة منافذ رئيسية لروسيا وللعالم حيث تمتد عضوية حلف الناتو في البحر الأسود إلى بلغاريا ورومانيا وتركيا، كما تمتد عضوية الاتحاد الأوربي وحلف الناتو إلى (أستونيا ولاتفيا وليتوانيا وبولندا) من الناحية الشمالية لروسيا، كل ذلك يمثل عاملاً فاعلاً وبنفس الوقت مهددًا للأمن القومي الروسي، فالأهمية الجغرافية لأوكرانيا بالنسبة لروسيا في كونها الرقعة الجغرافية التي تحول دون المحاولات الأوروأطلسية لتحوط أمني تجاه روسيا. (١٦)

٣- التركيبة الاجتماعية: هنالك حقيقة تأريخية هي أن التأريخ الروسي والأوكراني تربطهما جذور تأريخية واقتصادية وثقافية وعرقية ودينية عميقة ويمكن تقسيمها إلى: (١٧)

أ. من ناحية العرق: فهو ينتمي الجزء الشرقي والجنوبي من أوكرانيا إلى روسيا والكنيسة الآرثودكسية فيتحدث اللغة الروسية (١٣) محافظة من ضمن (٢٤) محافظة، بالإضافة إلى ذلك يشكل الروس حوالي (١٧٪) من سكان أوكرانيا.

ب. من ناحية الدين: تتخذ الكنائس مكانة محورية في تشكيل طبيعة الشعب الروسي والأوكراني، وقد ساهم هذا التواجد المركزي للكنيسة في زيادة الصراعات حول الهوية الدينية واللغوية، فقد كانت أوكرانيا تمثل انقسامات مذهبية متمثلة في الكنيسة الكاثوليكية التي تتبع روما والكنيسة الأرثودكسية تتبع روسيا وتميل أوكرانيا دائمًا للكنيسة الأرثودكسية في طبيعة الدين حتى بعد استقلال الكنيسة الأرثودكسية الأوكرانية عن كنيسة روسيا إلا أنها دائمًا تميل لها.

ج. من ناحية اللغة: كانت اللغة الروسية هي اللغة الرسمية والأولى في أوكرانيا خلال فترة الاتحاد السوفيتي، وفي عام (٢٠١٢) تبّنت الحكومة الأوكرانية مشروع قانون بمنح اللغة الروسية صفة لغة ثانية إلى جانب اللغة الأوكرانية في المناطق ذات الكثافة السكانية للناطقين باللغة الروسية في استخدامها بالمدارس والمحاكم والهيئات الحكومية الأخرى، وبذلك هذا التقارب فيما يتعلق باللغة شكل أحد الدوافع الاجتماعية التي تنظر لها روسيا بأن أوكرانيا جزء لا يتجزأ من الأمة الروسية.

ثانيًا: العامل الخارجي:

١- منع توسع حلف الناتو تجاه روسيا: إن حلف الناتو بنظر روسيا منظمة سياسية عسكرية دفاعية، وليست منظمة دولية، وتحركها شرقًا في أوروبا ليس محايدًا، بل ضد أحد. إن «بوتين» مسؤول عن التعامل مع الغرب، وبيّن الرئيس الروسي (فلاديمير بوتين) بقوله: «الغرب لا يريد صداقتنا وتحالفنا معنا، روسيا عدو من جانب واحد، والرئيس الروسي حاول أكثر من مرة التركيز على الحرب على الإرهاب». «لماذا يريد أن يكون عدونا؟» باعتبارها التحدي العالمي الرئيسي الذي يواجه البشرية، فإن محاولة الحلف في هذه الحرب، تحقيق مصالح استراتيجية وأن هذه الصياغة لأسباب التدخل هو ما يجب على الغرب أن يقبله ولا شكّ في أن نظرة بوتين للسياسة الدولية لا تتسامح مع فكرة أن الغرب يعامل روسيا وكأنها دولة من العالم الثالث، ويفرض عليها عقوبات كما حدث من قبل عندما ضمت شبه جزيرة القرم، لا تنطبق العقوبات على الدول العظمى، لم تعاقب الولايات المتحدة على الحرب في العراق أو على التدخل المباشر في تغيير النظام في بنما، أسلوب تفكير «بوتين» ليس أقل من التبادلية. أعتقد أن عدم الاعتراف بدور بلاده من خلال العقوبات وغيرها، يدفعه إلى اتخاذ المزيد من الإجراءات لإثبات هذا الدور بالقوة، مع الاعتراف أو بدونه. تمتلك الصين قوة اقتصادية ولا تحتاج إلى استخدام القوة العسكرية لإثبات وجودها بين القوى العظمى، بينما لا تملك روسيا سوى القوة العسكرية. [١٨]

واستنادًا لما تقدم على الرغم من توفر الأسباب التي دفعت روسيا إلى الدخول في حرب تجاه أوكرانيا إلا أنه لولا وجود الإرادات المتمثلة بإرادة السلطة الروسية من جهة وتحقيق مبدأ الأوراسية الجديدة من خلال توفر مقومات القوة والقدرة كعملية لإعادة التكوين لنظام دولي جديد.

المطلب الثالث: انعكاسات الحرب الروسية تجاه أوكرانيا:

عند حديثنا عن فلسفة الحرب بتوظيفها التكاملي للأدوات والعمليات من خلال تحديد بالهدف الأساس لتحقيق الاستراتيجية ولكن فإن الحروب قد تسبب في القريب العاجل انعكاسات سلبية تولد أخطارًا على صعيد البيئة العالمية فإن توالد الحرب الروسية تجاه أوكرانيا أفرز انعكاسات سلبية على المستوى الخارجي والداخلي وهذا ما سنبينه في هذا المطلب.

أولًا: الانعكاسات الخارجية:

١- التصاعد نحو حرب عالمية ثالثة:

إن دلالات حرب روسيا تجاه أوكرانيا اتجهت نحو التصاعد المستمر مع القوى الدولية وذلك بأن الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوربي بينت أن هذه الحرب ما هي إلا تحد للبيئة الدولية، فالروس يريدون احتلال البلاد بالكامل، والمقاومة الأوكرانية تحاول تأخيرها الفرق بين الجيش والمقاومة، إلى جانب الجيش الأوكراني، يقول إن روسيا تتجه نحو الاحتلال. الدعم العسكري الأطلسي غير قادر على الاستمرار في دعم المقاومة الأوكرانية. على الرغم من وجود عدد كبير من الحدود بين دول أوروبا الشرقية وأوكرانيا، فإن روسيا، إلى جانب بيلاروسيا، تصر على وقف هذا الدعم أو الحد من دخولها. حق الأوكرانيين في مقاومة الاحتلال يمكن فقط التمسك به. ورغم اختلاف استراتيجيات الروس والأمريكيين والأوروبيين فيما يتعلق بالضمانات الأمنية التي يطلبها الروس ورفض الدول السابقة التي قادت الروس إلى خيار الاحتلال والترهيب عن طريق التوجه نحو استخدام السلاح النووي، أم الموقف الغربي من الاحتلال يواجه وجهات نظر مثل أن روسيا ليست دولة عالمية ويجب أن تتراجع، تعمل الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا على تصعيد التوترات من خلال دعم أوروبا الشرقية بالأسلحة والمقاتلين، وتشديد العقوبات الاقتصادية، وربما التخلي تمامًا عن الطاقة الروسية وعزلها ماليًا، فضلًا عن تشديد العقوبات ضد حلفاء روسيا [١٩]

فهذا التصعيد الخطير يضع روسيا في مأزق، وبالتالي فإن الحرب والانتشار وخطر الأسلحة النووية هي اختيار القيادة الروسية التي لها دور رئيسي فيه، أما من جانب إقليميّ، فإن عدم تدخل الولايات المتحدة الأمريكية وإرسال قوات عسكرية لأوكرانيا فإن مناطق المصالح الجيوسياسية قد تأثرت بالتصعيد من خلال قيام الصين بمناورات عسكرية تجاه تايوان ومناورات عسكرية، [٢٠] أما بالنسبة لكوريا الشمالية فهي لا تقبل الإمساك بالعصا من المنتصف. فلا يمكنها أن تعترض على ما تقوم به روسيا، صراحةً أو ضمنًا، شكلًا أو موضوعًا. الموقف الكوري الشمالي هذا وإن كان يرضي روسيا، إلا أنه يتعارض مع بعض القضايا المبدئية مما هدد النظام الإقليميّ والدولي باحتمالية وقوع حرب عالمية ثالثة مما يسبب انعكاسًا على البيئة الاستراتيجية ككل. [٢١]

٢- التأثير على أمن الطاقة والغذاء:

أدّت إعادة فتح الاقتصادات العالمية خلال عام (٢٠٢٠) ونهاية عام (٢٠٢١)، إلى جانب حزم التحفيز الاقتصادي والدعم الحكومي غير المسبوق، إلى نمو سريع في الطلب العالمي، ولم يتمكن العرض من مواكبة معاناة عدد من القطاعات وقد أدى ذلك إلى أكبر تضخم عالمي وانعكس ذلك بشكل أساسي في أسعار السلع الأساسية. (٢٢)

كما أدّى الغزو الروسي لأوكرانيا إلى زيادة التضخم العالمي من خلال زيادة أسعار السلع الأساسية بسبب التأثير المباشر للحرب من جهة أو العقوبات الروسية من جهة أخرى. ويرجع ذلك إلى ثقل البلدين، ولا سيَّما روسيا في سوق التصدير لبعض من أهم السلع الأساسية، وخاصة مصادر الطاقة، فتعد روسيا أيضًا أكبر مصدر للغاز الطبيعي في العالم، متخلفة كثيرًا عن بقية العالم، حيث بلغت الصادرات ٢٦٠ مليار متر مكعب في عام (٢٠١٩)، أي أكثر من ربع صادرات الغاز الطبيعي العالمية. وبالمثل، فإن كل من روسيا و أوكرانيا يعدان خامس أكبر مصدرين للقمح في العالم. (٢٣)

فالانعكاس المباشر للحرب على تعطيل الصادرات الأوكرانية، وخاصة الحبوب، سيكون له تأثير على الصادرات الروسية، فقد أدّى الخوف من هذه الاضطرابات المختلفة إلى ارتفاع أسعار النفط وتجاوز حاجز (١٠٠) دولار لأول مرة منذ عام (٢٠١٤)، كما ارتفع سعر الغاز الطبيعي، ستتدفق هذه التأثيرات من خلال ثلاث قنوات رئيسية: أولًا: يؤدي ارتفاع أسعار السلع الأساسية، مثل الغذاء والطاقة، إلى زيادة التضخم، مما يقلل بدوره من قيمة الإيرادات ويضعف الطلب. ثانيًا: ستواجه الاقتصادات المجاورة على وجه الخصوص اضطرابات في التجارة وسلاسل التوريد والتحويلات، وستشهد موجة تأريخية في تدفق طالبي اللجوء ثالثًا: يؤدي تراجع الثقة التجارية وزيادة حالة عدم اليقين لدى المستثمرين إلى إضعاف أسعار الأصول، وتشديد الأوضاع المالية، وربما تحفيز تدفقات رأس المال الخارجة من الأسواق الناشئة. (٢٤)

نظرًا لأن روسيا وأوكرانيا منتجان رئيسيان للسلع، فقد أدت اضطرابات سلسلة التوريد إلى زيادة الأسعار العالمية بشكل كبير، وخاصة أسعار النفط والغاز الطبيعي، ارتفعت معها تكاليف الغذاء العالمي بسبب المستوى التأريخي لأسعار القمح، بحيث تمثل كل من أوكرانيا وروسيا (٣٠٪) من صادرات القمح العالمية. وهذا لديه علاقات تجارية وسياحية ومخاطر مالية مباشرة في الاقتصادات المعتمدة على النفط، ستسجل معدلات عجز أعلى

في التمويل والتجارة العامة وستشهد المزيد من الضغوط التضخمية وإنّ تدهور الأوضاع المعيشية في البلدان الديمقراطية، في أوروبا أو الولايات المتحدة، جراء العقوبات على روسي، من خلال قنوات كالتضخم ونقص السلع وتوقف إمدادات الطاقة وغيرها، يهدد الأمن العالمي أولًا في مواضيع الغذاء والطاقة كحاجات أساسية وضرورية للعالم. (٢٥)

ثانيًا: الانعكاسات الداخلية:

١- استنزاف قدرات روسيا العسكرية :

الروس يعلنون أن احتلال أوكرانيا ليس من أهدافهم وإنما نزع سلاحها وإقامة حكومة غير معادية لهم. وكذلك الاعتراف باستقلال منطقة دونباس، لكن هذه الجملة لا يمكن أن تؤخذ على محمل الجد، لا يندرج الغزو الروسي لمعظم المدن الأوكرانية الكبرى ضمن هذه الفئة، حاول الروس عدة مرات دخول المدن الكبرى، بما في ذلك العاصمة كييف، لكن تم إبعادهم بسبب القوة الدفاعية لأوكرانيا وبسبب قيام الولايات المتحدة الأمريكية بإرسال صواريخ (جافلين) الحرارية التي تستهدف المدرعات بين الإدراك العسكري الروسي أن هذه الخسائر هي التي سببتها حرب الشوارع وحصار الجيش الروسي في مدينة خيرسون جنوب أوكرانيا و في محاولة لإجلاء المدافعين عنها. لكن وقف حصار المدن مكلف جعل هذا القوات الروسية عرضة لهجمات مضادة قوية من قبل الجيش الأوكراني، بحسب أرقام وزارة الدفاع الأوكرانية، التي لا يصعب التحقق من دقتها، فإنه تم إسقاط (١٢٧) مروحية، و (١١٧) مقاتلة، و (٥٦) مسيّرة روسية. (٢٦)

وهذا الوضع العسكري من شأنه تحويل أوكرانيا إلى مستنقع لاستنزاف الجيش الروسي، لكنه سيتسبب في خسائر كبيرة بصفوف المدنيين، وقد يدفع موسكو إلى تسوية مدن بالأرض مثلما فعلت في العاصمة الشيشانية غروزني ومدينة حلب السورية، وقد تلجأ إلى استعمال أسلحة أكثر فتكًا، إذا شعرت بأنها تقترب من خسارة الحرب، ويعد حصار روسيا المطول للمدن الأوكرانية إجراءً ثنائيًا، يضاعف الرفض الدولي للعمل العسكري المنصوص عليه في قرار مجلس الأمن الدولي الذي يحظر الفيتو الروسي فصوت جميع الأعضاء لصالحه باستثناء ثلاثة، وكذلك قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة الذي يدين الغزو الروسي لأوكرانيا بأغلبية ساحقة. كما تجلى هذا الرفض بقوة في التظاهرات التي اندلعت في كبرى المدن الأمريكية والأوروبية، كرفض للعمل العسكري الروسي. لكنه

في الوقت نفسه يكشف عن إحباط حلفاء أوكرانيا، مثل الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي، الذين يرفضون ويهددون باتخاذ قرار بشأن منطقة حظر طيران بسبب المواجهة المباشرة بين الولايات المتحدة وروسيا. فوق أوكرانيا. احتمال نشوب حرب عالمية ثالثة ومواجهة نووية مدمرة. [٢٧]

٢- انهيار منظومة الاقتصاد الروسي :

بدأت المؤسسات المالية الأمريكية بفرض سلسلة من العقوبات الاقتصادية الدولية مباشرة نيابة عن وزارة الخزانة الأمريكية، والتي أثرت بشدة على الهياكل الاقتصادية لتلك البلدان المستهدفة وقدمت التمويل للجهات الفاعلة غير الحكومية وكذلك مجموعة من الأفراد. ولأسباب مالية تم استهداف هؤلاء الأفراد بالعقوبات الاقتصادية في مواجهة القضايا والمشاكل العالمية بما في ذلك روسيا الاتحادية ففُرضت العقوبات بعد الثورة الأوكرانية عام (٢٠١٤)، عندما اُتهمت روسيا بدعم الانفصاليين في شرق أوكرانيا ونشر قوات داخل البلاد، تلتها عقوبات اقتصادية – تطبقها الولايات المتحدة الأمريكية و الاتحاد الأوروبي – الذي كان له تأثير سلبي على الاقتصاد الروسي من حيث الاستثمار وخفض قيمة العملة [٢٨]، وبعد قيام روسيا باحتلال أوكرانيا بدأت آثار العقوبات الغربية الشديدة تظهر على الاقتصاد الروسي، وانخفض الروبل بنسبة (٣٠٪)، وغالبًا ما كانت الأسواق المالية الروسية مغلقة بسبب الخوف. على الرغم من أن البنك المركزي قد اتخذ إجراءات فورية، مثل رفع أسعار الفائدة من (٩. ٥٪) إلى (٢٠٪)، فقد لجأت الحكومة الروسية إلى مجموعة من الإجراءات التأديبية المالية. يتم تحويل (٨٠٪) من دخلها إلى «الروبل»، كفرض لرسوم تصل إلى (٣٠٪) على الشراء الفردي للعملات الأجنبية ومتطلبات الشركات العاملة في مجال التصدير وقطع خطوط الغاز (نورد ستريم ٢) [٢٩]، وتضمّنت العقوبات الغربية ضد روسيا حتى الآن قيودًا صارمة على التجارة والتمويل والسفر، فضلاً عن تجميد الأصول الأجنبية وحظر العديد من البنوك الروسية من استخدام نظام الرسائل بين البنوك (SWIFT) [٣٠*]، وسيعقد فقدان الوصول إلى نظام سويفت مدفوعات التصدير والاستيراد، بل قد يمنع تسديد قيمة كوبونات الأسهم، فالعقوبات تؤدي إلى عطل نمو الناتج المحلي الإجمالي في النصف الثاني من عام (٢٠٢٢) بمقدار (٣, ٥٪) وقد يؤدي التراجع بخطوات بطيئة في مستويات المعيشة بإثارة الاستياء العام، مما يهدد إدارة «بوتين» بسبب انهيار الاقتصاد الروسي. [٣١]

الخاتمة:

تأسيسًا لتلك المنطلقات التي تم التطرق لها في موضوع بحثنا (الحرب الروسية على أوكرانيا: رؤية استراتيجية في الطبيعة والانعكاسات) على المستوى النظري والعملي نستطيع القول بأن الحرب الروسية الأوكرانية بينت العديد من الملامح المتعارف عليها من الشأن الاستراتيجي وفق نظر ميدانية استقرائية بأن سعي روسيا هو تحقيق فلسفة المكان ضمن نطاق جيوبولتيكي رسمت من قبل منظومة التفكير الروسي وطبقت بيد متخذ القرار الاستراتيجي لمبدأ الأورواسية الجديدة وإعادة بناء نظام عالمي من خلال الوصول إلى مناطق المصالح الجيوسياسية ولكن انعكس هذا الأمر نحو التصعيد لحرب عالمية ثالثة وقد بين التأريخ السياسي أن نهاية فترة الحرب الباردة هو استخدام أسلوب الاستنزاف كـ (تكتيك وتكنيك) من أجل حسم الحرب، وهو ما بدأت به أوكرانيا بوضع روسيا بمستنقع استنزاف كالذي حدث لها في أفغانستان، وعليه يمكن وضع بعض الاستنتاجات، وهي كالآتي:

١- إن لأوكرانيا أهمية كبيرة في المدرك الاستراتيجي الروسي لما تحتويه هذه المنطقة من مصالح ومجال حيوي وتقارب جغرافي واجتماعي.

٢- سعت روسيا من خلال استراتيجيات الأمن القومي الروسي منذ وصول (فلاديمير بوتين) إلى السلطة إلى بيان أهمية أوكرانيا كعامل اقتصادي محقق لطموح ما ترنو إليه الاستراتيجيات الروسية.

٣- دعمت القوى الدولية من ضمنها الولايات المتحدة الأمريكية أوكرانيا بالأسلحة والعتاد لوضع روسيا في موقف استنزاف عسكري وتطور الحرب من صيغة متماثلة خاطفة إلى صيغة حرب استنزاف

٤- إن نتائج الحرب الروسية على أوكرانيا أوجدت انعكاسًا سلبيًا على المنظومة الدولية والإقليميّة وحتى في الداخل الروسي بالرغم من روسيا لا تزال تبين نفسها في موقف المنتصر إلا أنها تتعرض إلى تغيير انتكاسي في اقتصادها ومنظومة القوة الروسية فقد تؤدي هذه الانتكاسات إلى الانسحاب من أوكرانيا.

٥- التهديد الذي يواجه العالم اليوم من قبل الحرب الروسية الأوكرانية قد ينذر من جانب استراتيجي إلى احتمالية قيام الحروب في المنطقة خصوصًا من قبل الدول التي

تشهد صراعًا مع مناطق المصالح الأمريكية بين كل من (الصين- تايوان) و (كوريا الشمالية - كوريا الجنوبية) (الهند - باكستان) وهذا بسبب نتيجة عدم تدخل الناتو والولايات المتحدة الأمريكية في ترك أوكرانيا تواجه روسيا منفردة.

قائمة المصادر:

الكتب والدراسات:

١. أحمد دياب، النزاع في القوقاز. حسابات خاطئة وتداعيات إقليميّة خطيرة، مجلة السياسة الدولية، العدد (١٧٤)، القاهرة، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، ٢٠٠٨.

٢. أرشد مزاحم مجبل، الأزمة الأوكرانية وسمات التغيير في التوازن الدولي، مجلة حمورابي، العدد (١١)، بغداد، مركز حمورابي للبحوث والدراسات، ٢٠١٤.

٣. خالد إسماعيل سرحان، عقيدة بوتين في السياسة الخارجية الروسية: أوكرانيا وسوريا أنموذجًا، مجلة أبحاث استراتيجية، العدد (٥)، بغداد، مركز بلادي للدراسات والأبحاث الاستراتيجية، ٢٠١٤.

٤. خلود محمد خميس، الدور الروسي في الأزمة الأوكرانية والتداعيات الإقليميّة، نشرة الدراسات السياسية والدولية والإقليميّة، العدد (١)، جامعة بغداد، مركز الدراسات الدولية، ٢٠١٤.

٥. سيف نصرت توفيق وآخرون، دور المؤسسات المالية الأمريكية في آلية رسم العقوبات الاقتصادية الدولية، مجلة تكريت للعلوم السياسية، العدد (٢٦)، جامعة تكريت، العراق، ٢٠٢١، ص ١٣٦.

٦. عزمي بشارة، روسيا وأوكرانيا وحلف الناتو: تأملات في الإصرار العجيب على عدم تجنّب المسار المؤدي إلى الحرب، سلسلة دراسات، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، ٢٠٢٢.

٧. عصام عبد الفتاح، القيصر. التحدي. . الإرادة صناعة عالم جديد، ط١، القاهرة، مطبعة كنوز للنشر والتوزيع، ٢٠١٥

٨. عمار حميد ياسين، قراءة في المذهب العسكري الروسي بين الماضي والحاضر، مجلة دراسات دولية، العدد (٥٦)، جامعة بغداد، مركز الدراسات الدولية، ٢٠١٣.

٩. فيرونيكا حليم فرانسيس، جيوبوليتيك السياسة الخارجية الروسية دراسة في أثر الجيوبوليتيك في علاقة روسيا بدول الجوار، المجلة العلمية لكلية الدراسات الاقتصادية والعلوم السياسية، العدد ٨، المجلد ٤، جامعة الإسكندرية، ٢٠١٩.

١٠. محمد دياب، توسيع الناتو: حرب البلقان أهداف استراتيجية وجيوسياسية، مجلة شؤون الأوسط، العدد (٨٣)، بيروت، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، ١٩٩٩.

١١. معتز محمد سلامة، مستقبل الدور الروسي في الكومنولث الجديد، مجلة السياسة الدولية، العدد (١١٢)، القاهرة، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، ١٩٩٣.

١٢. نورهان الشيخ، العلاقات الروسية – الأورو اطلنطية بين المصالح الوطنية والشراكة الجيوستراتيجية، مجلة السياسة الدولية، العدد (١٧٠)، القاهرة، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، ٢٠٠٧.

١٣. وليم نصار، روسيا والنظام الدولي، المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد (٢٠)، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٨.

الإنترنت:

١. مأمون الحسيني، أزمة أوكرانيا – القرم. والعبور إلى فضاء العالم الجديد، مجلة الوحدة الإسلامية، العدد (١٤٨)، نيسان/ ٢٠١٤، ينظر الى الرابط:

https: //www. wahdaislamyia. org/issues/148/mhusseini. htm

٢. عبد الرحمن ناصر، روسيا. الصعود الجديد، موقع ساسة بوست، ٢٠١٤، ينظر إلى الرابط:

https: //www. sasapost. com/russias-new-boarding/

٣. أحمد الجعل، أوكرانيا في استراتيجية الأمن القومي الروسية، موقع فلسطين أونلاين، ٢٠٢٢، ينظر إلى الرابط:

https: //felesteen. news/post/102498/٪ D8٪ A3٪ A9

٤. عمار ديوب، احتلال أوكرانيا وإمكانية الحرب العالمية الثالثة، موقع العربي الجديد، ٢٠٢٢، ينظر إلى:

https: //www. alaraby. co. uk/opinion/٪ D8٪

٥. هل يشجع الغزو الروسي لأوكرانيا الصين على مهاجمة تايوان؟، موقع dw، ٢٠٢٢، ينظر إلى الرابط:

https: //www. dw. com/ar/٪ D9٪ 87٪ D9٪ 84-٪

٦. السيد صدقي عابدين، كوريا الشمالية والأزمة الأوكرانية. . التشخيص والتداعيات، مركز الأهرام للدراسات السياسية الاستراتيجية، ٢٠٢٢، ينظر إلى الرابط:

https: //acpss. ahram. org. eg/News/17422. aspx#

٧. حسين سليمان، التعقيدات الاقتصادية للأزمة الأوكرانية والعقوبات على روسيا، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، ٢٠٢٢، ينظر إلى الرابط:

https: //acpss. ahram. org. eg/News/17419. aspx

٨. الفريد كامر وآخرون، الحرب في أوكرانيا وأصداؤها عبر مختلف مناطق العالم، صندوق النقد الدولي، ينظر إلى الرابط:

https: //www. imf. org/ar/News/Articles/202215/03//blog-how-war-in-ukraine-is-reverberating-across-worlds-regions-031522

٩. روسيا تدخل حرب استنزاف طويلة الأمد في أوكرانيا، موقع العربي اليوم، ٢٠٢٢، ينظر إلى الرابط:

https: //alarab. co. uk/٪ D8٪ B1٪ D9٪

١٠. روسيا تدخل حرب استنزاف طويلة الأمد في أوكرانيا، مصدر سبق ذكره، وينظر الـ «تصويت تأريخي». . الأمم المتحدة تدين الغزو الروسي لأوكرانيا، موقع dw، ٢٠٢٢، الرابط:

https: //www. dw. com/ar/٪ D8٪ AA٪ D8٪ B5٪ D9٪ 88٪

١١. أحمد مصطفى، أي انهيار سيشهده الاقتصاد الروسي: سيناريو الإفلاس أم كارثة شاملة؟، موقع إندبندنت عربية، ٢٠٢٢، ينظر إلى الرابط:

https: //www. independentarabia. com/node/309426

١٢. الرابطة العالمية للاتصالات المالية بين البنوك (SWIFT)

https: //www. swift. com/about-us/discover-swift

English resources:

1. British Petroleum, “BP statistical review of world energy 2021. ” Statistical review of world energy 70th edition, London, 2021, p7.
2. Why is Ukraine so Important for Russia? ، 5/May/2015.

http: //foresightinvestor. com/articles/18361-why-is-ukraine-so-important-for-russia

الهوامش:

١. خلود محمد خميس، الدور الروسي في الأزمة الأوكرانية والتداعيات الإقليميّة، نشرة الدراسات السياسية والدولية والإقليميّة، العدد (١)، جامعة بغداد، مركز الدراسات الدولية، ٢٠١٤، ص ١٥-١٦.

٢. مأمون الحسيني، أزمة أوكرانيا - القرم. . والعبور إلى فضاء العالم الجديد، مجلة الوحدة الإسلامية، العدد (١٤٨)، نيسان/ ٢٠١٤، ينظر إلى الرابط:

https: //www. wahdaislamyia. org/issues/148/mhusseini. htm

تم الاطلاع بتأريخ ٥/ ٤/ ٢٠٢٢

٣. أرشد مزاحم مجبل، الأزمة الأوكرانية وسمات التغيير في التوازن الدولي، مجلة حمورابي، العدد (١١)، بغداد، مركز حمورابي للبحوث والدراسات، ٢٠١٤، ص ٧٥.

٤. عمار حميد ياسين، قراءة في المذهب العسكري الروسي بين الماضي والحاضر، مجلة دراسات دولية، العدد (٥٦)، جامعة بغداد، مركز الدراسات الدولية، ٢٠١٣. ص ٢٤.

٥. محمد دياب، توسيع الناتو: حرب البلقان أهداف استراتيجية وجيوسياسية، مجلة شؤون الأوسط، العدد (٨٣)، بيروت، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، ١٩٩٩، ص ٤٠-٤١.

٦. أحمد دياب، النزاع في القوقاز. . . حسابات خاطئة وتداعيات إقليميّة خطيرة، مجلة السياسة الدولية، العدد (١٧٤)، القاهرة، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، ٢٠٠٨، ص ٢١٥ - ٢١٦.

٧. عصام عبد الفتاح، القيصر. التحدي. . . الإرادة صناعة عالم جديد، ط١، القاهرة، مطبعة كنوز للنشر والتوزيع، ٢٠١٥. ص ٧٦.

٨. معتز محمد سلامة، مستقبل الدور الروسي في الكومنولث الجديد، مجلة السياسة الدولية، العدد (١١٢)، القاهرة، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، ١٩٩٣، ص ١٥٧.

9 . Why is Ukraine so Important for Russia? ، 5/May/2015. http: //foresightinvestor. com/articles/18361-why-is-ukraine-so-important-for-russia

تم الاطلاع بتأريخ ٦/ ٤/ ٢٠٢٢

١٠. خلود محمد خميس، مصدر سبق ذكره ص ١٧-١٨.

١١. خالد إسماعيل سرحان، عقيدة بوتين في السياسة الخارجية الروسية: أوكرانيا وسوريا أنموذجًا، مجلة أبحاث استراتيجية، العدد (٥)، بغداد، مركز بلادي للدراسات والأبحاث الاستراتيجية، ٢٠١٤، ص ١٢٢ - ١٢٣.

١٢ (١) وليم نصار، روسيا والنظام الدولي، المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد (٢٠)، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٨، ص ٣١.

١٣. نورهان الشيخ، العلاقات الروسية - الأورو أطلنطية بين المصالح الوطنية والشراكة الجيوستراتيجية، مجلة السياسة الدولية، العدد (١٧٠)، القاهرة، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، ٢٠٠٧، ص ٤٩.

١٤. عبد الرحمن ناصر، روسيا. الصعود الجديد، موقع ساسة بوست، ٢٠١٤، ينظر إلى الرابط:

https: //www. sasapost. com/russias-new-/boarding

تم الاطلاع بتأريخ ٧/ ٤/ ٢٠٢٢

١٥. أحمد الجعل، أوكرانيا في استراتيجية الأمن القومي الروسية، موقع فلسطين أونلاين، ٢٠٢٢، ينظر إلى الرابط:

https: //felesteen. news/post/102498/٪ D8٪ A3٪ A9

تم الاطلاع بتأريخ ٧/ ٤/ ٢٠٢٢

١٦ . فيرونيكا حليم فرانسيس، جيوبوليتيك السياسة الخارجية الروسية دراسة في أثر الجيوبوليتيك في علاقة روسيا بدول الجوار، المجلة العلمية لكلية الدراسات الاقتصادية والعلوم السياسية، العدد ٨، المجلد ٤، جامعة الإسكندرية، ٢٠١٩، ١٦٩.

١٧ . المصدر نفسه، ص ١٦٩ – ١٧٠

١٨ . عزمي بشارة، روسيا وأوكرانيا وحلف الناتو: تأملات في الإصرار العجيب على عدم تجنّب المسار المؤدي إلى الحرب، سلسلة دراسات، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، ٢٠٢٢، ص ١٥

١٩ . عمار ديوب، احتلال أوكرانيا وإمكانية الحرب العالمية الثالثة، موقع العربي الجديد، ٢٠٢٢، ينظر إلى:

https: //www. alaraby. co. uk/opinion/٪ D8٪

تم الاطلاع بتأريخ ١٠/ ٤/ ٢٠٢٢

٢٠ . هل يشجع الغزو الروسي لأوكرانيا الصين على مهاجمة تايوان؟، موقع dw، ٢٠٢٢، ينظر إلى الرابط:

https: //www. dw. com/ar/٪ D9٪ 87٪ D9٪ 84-٪

تم الاطلاع بتأريخ ١٠/ ٤/ ٢٠٢٢

٢١ . السيد صدقي عابدين، كوريا الشمالية والأزمة الأوكرانية. . التشخيص والتداعيات، مركز الأهرام للدراسات السياسية الاستراتيجية، ٢٠٢٢، ينظر إلى الرابط:

https: //acpss. ahram. org. eg/News/17422. aspx#

تم الاطلاع بتأريخ ١٠/ ٤/ ٢٠٢٢

٢٢ . حسين سليمان، التعقيدات الاقتصادية للأزمة الأوكرانية والعقوبات على روسيا، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، ٢٠٢٢، ينظر إلى الرابط:

https: //acpss. ahram. org. eg/News/17419. aspx

تم الاطلاع بتأريخ ١٣/ ٤/ ٢٠٢٢

23 . British Petroleum, "BP statistical review of world energy 2021. " Statistical review of world energy 70th edition, London, 2021, p7.

٢٤ . ألفريد كامر وآخرون، الحرب في أوكرانيا وأصداؤها عبر مختلف مناطق العالم، صندوق النقد الدولي، ينظر إلى الرابط:

https: //www. imf. org/ar/News/Articles/202215/03//blog-how-war-in-ukraine-is-reverberating-across-worlds-regions-031522

تم الاطلاع بتأريخ ١٣/ ٤/ ٢٠٢٢

٢٥ . ألفريد كامر وآخرون، مصدر سبق ذكره، وينظر إلى حسين سليمان مصدر سبق ذكره.

٢٦ . روسيا تدخل حرب استنزاف طويلة الأمد في أوكرانيا، موقع العربي اليوم، ٢٠٢٢، ينظر إلى الرابط:

https: //alarab. co. uk/٪ D8٪ B1٪ D9٪

تم الاطلاع بتأريخ ١٥/ ٤/ ٢٠٢٢

٢٧ . روسيا تدخل حرب استنزاف طويلة الأمد في أوكرانيا، مصدر سبق ذكره، وينظر الـ «تصويت تأريخي» . الأمم المتحدة تدين الغزو الروسي لأوكرانيا، موقع dw، ٢٠٢٢، الرابط:

https: //www. dw. com/ar/٪ D8٪ AA٪ D8٪ B5٪ D9٪ 88٪

تم الاطلاع بتأريخ ١٦/ ٤/ ٢٠٢٢

٢٨ . سيف نصرت توفيق وآخرون، دور المؤسسات المالية الأمريكية في آلية رسم العقوبات الاقتصادية الدولية، مجلة تكريت للعلوم السياسية، العدد ٢٦، جامعة تكريت، العراق، ٢٠٢١، ص ١٣٦ .

٢٩ . أحمد مصطفى، أي انهيار سيشهده الاقتصاد الروسي: سيناريو الإفلاس أم كارثة شاملة؟، موقع اندبندنت عربية، ٢٠٢٢، ينظر إلى الرابط:

https: //www. independentarabia. com/node/309426

تم الاطلاع بتأريخ ١٦/ ٤/ ٢٠٢٢

٣٠* الرابطة العالمية للاتصالات المالية بين البنوك (SWIFT) : هي جمعية تعاونية غير ربحية يملكها أعضاء وتقدم خدمات عالية الكفاءة وفعالة من حيث التكلفة. تم تقديم فكرة في أواخر الستينيات مع تطور التجارة العالمية، وأنشئت في عام (١٩٧٣) ومقرها في بلجيكا وبدأت أنشطتها في عام (١٩٧٧) ، وبلغ عدد الدول المشاركة أكثر من (٢٠٩) دولة تضم معظم الدول العربية، وعدد المؤسسات المالية المشتركة أكثر من (٩٠٠٠) مؤسسة و يوفر هذا النظام من خلال توفير أحدث الأدوات العلمية في مجال ربط وتبادل الرسائل والمعلومات بين جميع أسواق رأس المال من خلال البنوك المسؤولة عن تنفيذ ذلك في الدول المختلفة، كما يوفر إمكانية تلبية احتياجات العملاء الأجانب والمحليين من مشترك، للمزيد ينظر إلى:

https: //www. swift. com/about-us/discover-swift

تم الاطلاع بتأريخ ١٦/ ٤/ ٢٠٢٢

٣١ . أحمد مصطفى، مصدر سبق ذكره.

البناء المؤسسي وتأثيرهُ على الدولة الرخوة

الباحث

بهاء عبد الكريم طاهر

المستخلص

يعالج البحث مفهوم الدولة الرخوة والمفاهيم المقاربة وخصائصها وفقا لطروحات غونار ميردل في سبعينيات القرن الماضي، والدولة الرخوة هي الدولة التي لا تطبق القانون ليس لعجز القانون أو لوجود ثغرات فيه، وإنما لرغبة النخبة المسيطرة التي لا تبالي بالقانون لما لديها من أموال وحصانة تحميها، ولأن صغار الموظفين يتلقون الرشاوى للتغاضي عن تطبيق القانون، ويكون الفساد مستشريا في هذه الدولة و ظاهرة عامة، وهذا يؤدي إلى انهيار الاقتصاد الذي يكون معتمدا بشكل كلي على الخارج في تغطية احتياجات الدولة، فهناك علاقة تبادلية ما بين الفساد ورخاوة الدولة، إضافة إلى أنها تؤدي إلى الانقسام المجتمعي الحاد وبروز الهويات الفرعية على حساب الهوية الوطنية، وبالتالي ضعف الانتماء الوطني، وهذا ما يهدد الأمن والسلم الاجتماعي للدولة ويجعلها في خطر الانهيار أمام أي منزلق أو مطب تتعرض له.

Institutional Building and Its Effect on the Soft-State

Extract

The research deals with the concept of the soft state and the converging concepts and their properties according to the propositions of Gunnar Myrdal in the seventies of the last century. The soft state is the state that does not apply the law not because the law is impotent or the presence of gaps, but rather it is not applied due to the desire of the dominant elite that is indifferent to the law because of its money and immunity that protects it and the young or The employees receive bribes to overlook the application of the law, and corruption is rampant in this country and it is a good feature and a general phenomenon, and this leads to the collapse of the economy, which is completely dependent on the outside to cover the inability to cover its needs. There is a reciprocal relationship between corruption and the laxity of the state, in addition it leads to severe societal division and the emergence of sub-identities at the expense of national identity and thus weakening of national affiliation.

Keywords:

المقدمة:

إن المؤشرات الدالة على الدولة الرخوة تحتاج لفترات زمنية طويلة لكي تظهر وتعبر عن حالة فشل واضحة. إلا أنها في أطوار نموها، تعتبر أبرز المحفزات الكامنة للفشل والتي تعبر عن نفسها في النهاية في شكل تدهور الوضع الأمني. كما إن دمج المؤشرات الدالة على فشل الدولة مثل الفساد والصراعات وغياب الشفافية والتضخم ومعانات الأقليات، أدى إلى وجود حالة من التداخل بين المؤشرات، مما يزيد من احتمالات الاعتماد على قدر من الانتقائية عند تصنيف الدول. وتختلف حال فشل الدول بين دولة وأخرى وبين حالة وأخرى، إذ إنّ هناك دولًا ضعيفة إلى حد الفشل على شكل الصومال وأفغانستان، فيما هناك دولٌ أطلق عليها صفة الفشل وهي بعيدة منها كلّ البعد، وهذا

ما يشير إلى وجود مخطّطات معدّة سلفًا لتحويلها إلى دول فاشلة، وذلك عبر استخدام وسائل مختلفة، لتأليب الرأي العام المحلي والدولي ضدّها، منها الضخ الإعلامي المركّز بمختلف آلياته وأساليبه.

تغطي المؤشرات الموضوعية لقياس فشل الدول جوانب متعددة مما يضمن سهولة وصف أي دولة بالفاشلة مع اختلاف درجات الفشل. ذلك الأمر الذي أدى إلى تسييس المفهوم والحيادية عن معناه الأكاديمي أو التنموي، واعتبرته الدول ذات المصلحة مدخلًا للتدخل في الشؤون الداخلية للدول المهمشة والضعيفة بما يحقق مصالح القوى الكبرى بصرف النظر عن المصلحة الوطنية لشعوب الدول التي تصنف على أنها فاشلة.

فإن المعايير والأسباب لتصنيف الدول بالفشل تتفاوت من دولة إلى أخرى، فإن بعض المعايير تغيب في ديمقراطيات عريقة، أما في دول العالم الثالث فعدد كبير من معايير الفشل ينطبق عليها. يأتي فشل الدول على أصعدة متوازية، لا يمكن الإمساك بأيهما السبب وأيهما النتيجة، بمعنى أنه يمكن للفشل على الصعيد الاجتماعي أن يكون مسببًا لفشل على الصعيد الاقتصادي، وعليه تفشل المؤسسات السياسية في تدارك الفشل المترتب على الصعيدين السابقين، لتتصاعد احتمالات تدخل قوى خارجية في الدولة. وقد تبدأ دائرة الفشل بالعكس، بحيث تكون العوامل الخارجية هي نقطة البداية في حلقة الفشل، فإمّا أن تتسبب العوامل الخارجية فيه، أو أن تُعَزّز عوامل الفشل الكامنة داخل الدولة فتظهر أعراضها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والمؤسساتية، وتعد هذه النظرة نظرة واسعة فضفاضة تتضمن جوانب ومجالات متعددة ومتشابكة مما يضمن الحكم بالفشل على أي دولة، وهو بذلك يصبح لفظًا تحكميًّا غير موضوعي، مما دفع إلى تصميم مؤشرات قابلة للقياس تستطيع تقديم صورة أكثر تفصيلًا لحالة الفشل تسمح بالحكم على شكل ودرجة ونمط الفشل الذي تعاني منه كل دولة.

ويعتبر الاستقرار المؤسساتي والاقتصاد شرطًا ضروريًا من أجل التنمية والنمو، وهذا يعتمد بشكل كبير على طبيعة النظام السياسي؛ ففي النظم الديمقراطية تتمتع المؤسسات بالاستقرار وبعيدة عن مصالح الحكومة، وتعمل وفق ضوابط قانونية وتهدف إلى تحقيق أهداف الدولة ضامنة في ذلك استقرارها السياسي والاقتصادي ومحققة أمنها الاجتماعي والثقافي، أما في الدول ذات النظم الدكتاتورية فإن المؤسسات تكون خاضعة إلى السلطة

السياسية وتعمل على تحقيق أهدافها، وهذا ما يدفع إلى الحد من دورها في بناء المجتمع.

إشكاليّة البحث / سيعالج البحث إشكالية ومعضلة محددة، متعلقة بطبيعة العلاقة التأثيرية ما بين المؤسسات والاستقرار ونجاح الدولة وعدم تحولها إلى دولة رخوة

وهذه المعضلة تطرح عدة تساؤلات ، منها :

ما مفهموم الدولة الرخوة

وماهي سماتها

وما تأثير البناء المؤسسي في الدولة الرخوة

فرضية البحث / تدور الفرضية حول ((إن للمؤسسات دورا كبيرا في بناء الدولة والحفاظ على كيانها وأركانها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية وبالتالي تحقيق الدولة الناجحة))

اتبعت الدراسة منهج التحليل النظمي.

المطلب الأول. الإطار المفاهيمي

أولًا . مفهوم الدولة الرخوة

طرح عالم الاقتصاد والحقوق والاجتماع السياسي السويدي "غونار ميردل في سنة ١٩٧٠م"، نظرية الدولة الرخوة، وبحسب هذه النظرية يرى «ميردل» أن كثيرًا من بلاد العالم الثالث يعاني من خضوعه لما أسماه بالدولة الرخوة، وأن هذه الدول الرخوة تكاد تكون هي سر البلاء العظيم، وسببًا أساسيًا من أسباب استمرار الفقر والتخلف.

تعريف الدولة الرخوة: وبحسب هذه النظرية يرى "ميردال" أن كثيرًا من بلاد العالم الثالث يعاني من خضوعه لما أسماه بالدولة الرخوة، وأن هذه الدول الرخوة تكاد تكون هي سر البلاء العظم، وسببًا أساسيًا من أسباب استمرار الفقر والتخلف.

ويقصد بالدولة الرخوة، الدولة التي تصدر القوانين ولا تطبقها، ليس فقط لما فيها من ثغرات، ولكن لأن لا أحد يحترم القانون، الكبار لا يبالون به، لأن لديهم من المال

والسلطة ما يحميهم منه، والصغار يتلقون الرشاوي لغض البصر عنه"، أما الفقراء الذين لا مال لهم ولا رشاوى فيتم ضبطهم بواسطة أساليب جديدة/ قديمة من القمع والتهم. وأن الدولة الرخوة هي دولة عاجزة عن توفير المنافع الأساسية وعجزها عن ممارسة السلطات وتصبح غير قادرة عن توفير المنافع الإيجابية لشعبها

كما عرفت على أنها: الدولة التي تكون قوانينها معطلة ويتم تفعيل تلك القوانين من أجل تحقيق مصلحة جهة سياسية معينة على حساب مصلحة المجتمع، أو هي الدولة التي يتم وضع قوانينها على وفق مصلحة الدول الاستعمارية وبما يتنافى ومصلحة المجتمع، أو هي الدول التي تكون قوانينها معطلة وتصبح نافذة المفعول في وقت تحقيق مصلحة الجهات العليا فقط[١]

كما أن رخاوة الدولة تشجع على الفساد، وانتشار الفساد يزيدها رخاوة، والفساد ينتشر من السلطتين التنفيذية والسياسية إلى التشريعية، حتى يصل إلى القضاء والجامعات، صحيح أن الفساد والرشوة موجودان بدرجة أو أخرى في جميع البلاد، ولكنهما في ظل الدولة الرخوة يصبحان نمط حياة.

ويقدم "ميردال" وصفا للطبقة الحاكمة التي تتكون في هذه الدولة، فهي تجمع من أسباب القوة ما تستطيع بها فرض إرادتها على سائر فئات المجتمع، وهي وإن كانت تصدر قوانين وتشريعات تبدو كأنها ديمقراطية في ظاهرها، فإن لهذه الطبقة من القوة ما يجعلها مطلقة التصرف في تطبيق ما في صالحها وتجاهل ما يضر بها، وأفراد هذه الطبقة لا يشعرون بالولاء لوطنهم بقدر ما يدينون بالولاء لعائلاتهم أو أقاربهم، أو عشائرهم ومحاسبيهم[٢]، وتجدر الإشارة إلى أن هذه النظرية يمكن تطبيقها بنسبة كبيرة على العديد من الدول الآسيوية والدول الإفريقية (العربية)، لأنها تجمع بين ترسانة قانونية متقدمة من جهة، ومن جهة أخرى تحتض في أركانها ما أصبح يسمى بـ (الفساد الكبير).

ثانيًا. المفاهيم المقاربة للدولة لمفوهم الدولة الرخوة

عند دراسة أي ظاهرة من ظواهر الأنظمة السياسية أو أي مفهوم من المفاهيم السياسية لا بُدَّ من دراسة مفاهيم أخرى من الممكن أن تلتقي معها في المعنى ومن هذه المفاهيم هي:

١ . الدولـة المنهـارة : وهـي صـورة مـن الدولـة الفاشـلة ، إذ تنهـار بنيـة الدولـة وسـلطتها وقوانينهـا ونظامهـا السياسـي ، وينبغـي إعـادة تركيبهـا إذ إن انهيـار هيـاكل الدولـة سـواء مـن خـلال الهزيمـة علـى يـد قـوة خارجيـة أو نتيجـة الفوضـى الداخليـة ممـا يـؤدي إلـى فـراغ السـلطة السياسـية[٣] .

٢ . الدولـة المارقـة : وهـي أخطـر مـن الدولـة الفاشـلة كـون الدولـة الفاشـلة تظـر بشـعبها فقـط و لا تسـعى إلـى الإضـرار بالمجتمـع الدولـي ، أمـا الدولـة المارقـة فهـي تظـر شـعبها وبشـعوب المجتمـع الدولـي وتولـد وتدعـم الإرهـاب .

٣ . الدولـة الفاشـلة : وهـي الدولـة العاجـزة عـن تقديـم الخدمـات المجتمعيـة فـي الداخـل وفـي الخـارج فهـي مقيـدة فـي سياسـتها أثـر تعرضهـا لعقوبـات سياسـية أو اقتصاديـة أو عسـكرية .

٤ . الدولـة المتعثـرة : الدولـة التـي تعانـي مـن عجـز فـي أداء وظائفهـا الأمنيـة والإنمائيـة ولا تمتلـك رقابـة فاعلـة فـي الحفـاظ علـى أمـن حدودهـا وأراضيهـا .

٥ . الدولـة العميقـة : تعبـر عـن التحالـف الـذي يجمـع بيـن بنيـات الدولـة المختلفـة مركـب سياسـي واقتصـادي وإعلامـي وأصحـاب الأمـوال يجمعهـم هـدف واحـد هـو الإبقـاء علـى مصالحهـم وامتيازاتهـم الخاصـة وابعادهـم عـن أي محاسـبة قانونيـة وسياسـية[٤] .

ثالثا . خصائص الدولة الرخوة

تتميـز الدولـة الرخـوة أو الفاشـلة بالعديـد مـن الخصائـص ، وعليـه سـنحاول توضيـح بعضهـا فـي سـياق موضوعنـا محـل الدراسـة ، ومـن بيـن هـذه الخصائـص نذكـر :

١ . ارتباط مصالح النخب السياسية فيها بالمؤسسات الدولية .

٢ . الاستبداد السياسي و عدم احترام حقوق الإنسان .

٣ . وجـود نخبـة فاسـدة تسـعى لتحقيـق مصالحهـا الشـخصية أولًا واستشـراء الفسـاد بكافـة أشـكاله ، ونهـب المـال العـام ، والتهـرب الضريبـي .

٤ . تفشـي الفقـر والتخلـف لغيـاب العدالـة الاقتصاديـة والاجتماعيـة ، وضعـف التنميـة أو غيابهـا .

٥ . عدم احترام القانون، وضعف ثقة المواطنين بالقوانين، فمع وجود منظومة قانونية متقدمة إلا أنها تبقى من دون تطبيق، إلا في حالات محددة حيث يمكن استخدامها لمعاقبة مناهضي الفساد، أو المطالبين بحقوقهم، أو المجرمين و اللصوص من الطبقات المسحوقة وحسب .

٦ . انهيار البنية التعليمية .

٧ . تراجع مكانة وهيبة الدولة داخليًا وخارجيًا .

المطلب الثاني: المراحل التي تمر بها الدولة ومؤشرات تصنيف الدول الرخوة

أولًا . المراحل التي تمر فيها الدول في طريقها للانهيار

حدد «روبرت روتبرج عام ٢٠٠٢»، المراحل التي تمر فيها الدول في طريقها إلى الانهيار بثلاث مراحل: الدولة الضعيفة، الدولة الفاشلة أو الهشة، والدولة المنهارة. لكن الفرق بينهما التراتب الزمني، إذ الدولة الضعيفة في حال تنامي التدهور والضعف يمكن أن تتحول بمرور الزمن إلى دولة فاشلة، والأخيرة في حالة ديمومة الفشل يمكن أن تتجه نحو الانهيار. لكن يبقى الفرق بين الدولة الفاشلة والدولة المنهارة، هو أن الأولى تعني وجود سلطة سياسية لكنها تعاني من أزمات سياسية وأمنية واجتماعية واقتصادية، أما الثانية فتعني انهيار السلطة السياسية[٥]. وباختصار، فالمراحل هي: المرحلة الأولى: الدولة الضعيفة. المرحلة الثانية: الدولة الفاشلة. المرحلة الثالثة: الدولة المنهارة.

١- الدولة الضعيفة

تعرف الدولة الضعيفة بأنها الدولة التي تقوم بوظائفها بشكل أقل فاعلية على المستوى العادي لنشاط مؤسسات الدولة، وتواجه مشاكل سياسية واقتصادية واجتماعية، وتتلقى مساعدات دولية، وتتحقق فيها بعض ملامح الدولة الفاشلة، لكن الدولة لم تفقد السيطرة على حدودها، وتكون فيها الحكومة المركزية ضعيفة القدرة على التحكم في النظام العام داخل أراضيها، ضعف مزمن في بنية الدولة لأسباب جغرافية أو اقتصادية، أو دولة قوية تمر بمرحلة ضعف بسبب أخطاء إدارية، أو استبداد، أو فساد وطمع من النخب الحاكمة، أو عدوان خارجي، تشهد الدول الضعيفة توترات طائفية، أو عرقية، سياسية عميقة لم

تتحول بعد إلى حرب أهلية، البنية التحتية ضعيفة ومتدهورة. ويضرب الإهمال والفساد المرافق الحيوية، مثل: التعليم، والصحة، والكهرباء والطاقة، والمواصلات العامة، والاتصالات. قد تكون هذه الخدمات جيدة في المدن الكبرى، لكن الأقاليم البعيدة عن المركز والمناطق الريفية لا تتمتع بخدمات ملائمة، حكم القانون يكون شكليا فقط، حكم الفرد، تقع العديد من الدول ذات المظهر القوي في تصنيف الدول الضعيفة بسبب حكم الفرد، وغياب الفرص السياسية المتاحة للمواطنين. وقمعها المستمر للمعارضة، وإغلاق المجال السياسي، تتمتع الدولة بسيادة على أراضيها، قد تكون الأوضاع الاقتصادية فيها جيدة لفئة من المواطنين، لكن هناك إهمال لفئات واسعة من المواطنين في الاحتياجات الأساسية مثل الطعام، والماء، والصحة[٦].

٢- الدولة الفاشلة

هناك سمات (صفات) عامة للدولة الفاشلة أو توصف بها ويمكن إيجازها بما يلي:

وجود سلطة سياسية تعاني من مشكلات أمنية واقتصادية واجتماعية مع احتفاظها بالصفة القانونية ككيان سيادي، لكنها فقدت القدرة على ممارسة وظائفها الداخلية والخارجية، كما أنها عاجزة عن تطبيق القوانين الداخلية وتنفيذ قواعد القانون الدولي، ومؤسسات الدولة ضعيفة ومعطوبة، فقدان السلطة القائمة قدرتها في السيطرة الفعلية على جزء كبير من أراضيها، فقدان السلطة احتكارها لحق الاستخدام المشروع للقوة على أراضيها، فقدان السلطة لشرعية اتخاذ القرارات العامة وتنفيذها، غير قادرة على حماية مواطنيها، وتستخدم القوة لقمع مواطنيها وإرهابهم، قدرة ضعيفة أو متلاشية على تلبية حاجات المواطنين ورغباتهم، وتوفير الخدمات العامة الأساسية، عجز الدولة على التفاعل مع الدول الأخرى على المستوى الدولي، تأكل شرعية النظام الحاكم وشرعية الدولة، ويصبح المواطنون أقل ولاء للدولة وأكثر ولاء للجماعات العرقية أو العشائر التي ينتمون إليها، تواجه قوات الدولة من الجيش والشرطة انتفاضات مسلحة تقودها حركة معارضة أو أكثر. وحروب أهلية لأسباب عرقية، أو دينية، مذهبية، أو اجتماعية، تعادي الدولة الفاشلة جزءًا من أقاليمها وتفرض قمعًا شديدًا على أقاليم بعينها بدوافع عرقية أو اجتماعية، ازدياد العنف الجنائي المرتبط بالجريمة، إذ تمارس الدولة الفاشلة ذاتها جريمة منظمة ضد مواطنيها، بنية تحتية مدمرة، لا تقدم خدمات الطرق والمواصلات،

والاتصالات، والصرف الصحي، والكهرباء، والمياه بشكل ملائم أو حتى منتظم. وكذلك تدهور الخدمات التعليمية والصحية، انتشار الفساد بصورة كبيرة، عجز الدولة عن تقديم فرص اقتصادية للمواطنين ومؤشرات ضعيفة للناتج المحلي ونصيب الفرد منه، وارتفاع التضخم بشكل صارخ، وفقدان السيطرة على العملة المحلية والقطاع المالي.

٣- الدولة المفككة أو المنهارة

حدد «روبرت روتبرج» سمات وخصائص الدولة المنهارة:

- أنها شكل متطرف للدولة الفاشلة، وتتميز بغياب تام للسلطة وتصبح الدولة مجرد تعبير عن كيان جغرافي بدون شرعية داخلية أو خارجية، يسود فيها انعدام الأمن وتنتشر تجارة الأسلحة والمخدرات، وتظهر ميليشيات مسلحة تسيطر على مناطق داخل الدولة. وانهيار السلطة السياسية والمؤسسة العسكرية والأمنية. والدولة غير قادرة على إدارة الصراع وفرض الأمن، وغير قادرة على تقديم الخدمات الاجتماعية وتوفير البنى التحتية الأساسية، وعاجزة عن السيطرة على جزء كبير من إقليمها.

ثانيًا . مؤشرات تصنيف الدولة الرخوة

أ. المؤشرات السياسية والأمنية:

١. افتقاد نظام الحكم لشرعيته ومصداقيته ويدلل على ذلك العديد من المظاهر، كتزايد اتهام النخبة الحاكمة بالفساد والتربح، وارتفاع نسبة مقاطعة الانتخابات والتشكيك في نتائجها، والقيام بالتظاهرات وكثرة الاعتصامات المدنية. بالإضافة إلى ارتفاع معدلات الهروب من الخدمة العسكرية، وتزايد الهجمات المسلحة، وتنامي أشكال تضييق النخبة على النقابات والمؤسسات الأهلية.

٢. زيادة حدة تدهور قدرة الدولة على تقديم الخدمات العامة بما يعني تراجع دورها الأساسي في خدمة الشعب. واقتصار النخبة الحاكمة على تقديم الخدمات بما يصب في مصلحة جماعة بعينها والنخبة الحاكمة والمؤسسة العسكرية والمؤسسات السيادية ذات المصلحة.

٣. تعطيل أو تعليق تطبيق حكم القانون وانتشار ممارسات انتهاك حقوق الإنسان.

٤. ظهور حالة من الازدواجية الأمنية، وتتمثل في وجود نخبة من رجال الأمن غير خاضعين للمحاسبة، أو ميليشيات تدعم النظام الحاكم، أو ميليشيات للمعارض. وهو ما يشار إليه بوجود دولة داخل دولة.
٥. تصاعد الانشقاقات داخل النخب السياسية (الحكومة، الأحزاب، المجتمع المدني، الحركات الاجتماعية).
٦. تزايد حدة التدخل الخارجي من جانب دول أو فاعلين من غير الدول. وقد يكون التدخل من قبل المانحين خاصة إذا كان هناك جماعة مستفيدة من الدعم والمساعدات الخارجية.

ب. المؤشرات الاقتصادية:

١. عدم انتظام معدل التنمية الاقتصادية، وعدم المساواة في توزيع فرص التعليم والعمل، مما ينتج عنه تصاعد النزاعات والانقسامات.
٢. استمرار تدهور الوضع الاقتصادي وذلك وفقًا للمؤشرات الدالة عليه والمتمثلة في معدلات الدخل القومي، وحجم الدين العام، ومعدلات وفيات الأطفال، وارتفاع نسبة الفقر، وانخفاض معدلات الاستثمار، وارتفاع معدلات البطالة. إلى جانب الارتفاع المفاجئ للأسعار وانهيار وتدهور العملة الوطنية مع نمو وانتشار تجارة السوق السوداء.
٣. ازدياد معدلات الفساد والمعاملات غير الشرعية بين عامة الناس دون وجود قواعد لهذا النمط من التعاملات التجارية، بالتواري مع عدم قدرة الدولة على الوفاء بالتزاماتها المادية لمواطنيها مثل برامج الضمان الاجتماعي والمعاشات.

ج. المؤشرات الدستورية

يتناول هذا الجانب محورين اهتم الأول منها بضعف الدساتير، وتناول العوامل المؤثرة في عملية وضع الدستور.

١- ضعف الدساتير

إن كثيرًا من القوانين في تلك الدساتير هي مجرد نصوص وأحكام منقولة عن أحكام غربية لا تتلاءم مع أوضاع وظروف المجتمعات التي نقلت إليها ، إذ تم إيقاف العديد من تلك القوانين أو تم استبدالها ، و نجد أن السمة الظاهرة في دساتير الدول العربية هي المباعدة بين النصوص الدستورية والواقع المجتمعي .

وإن ما مرت به الدول العربية بعد أحداث عام (٢٠١١) هو في حقيقة الأمر محنة الدستور أو المحنة السياسية ، التي تعود إلى الجهات الحاكمة التي هي في حقيقة الأمر غير مقتنعة في داخلها بأن الحكومات يجب أن تخضع للرقابة ، وأن الحكام يجب أن يخضعوا للمساءلة ، وأن الشعب هو مصدر السلطات ، وأنه لا بُدَّ من وجود صيغة تعاقدية بين الحاكم والمحكومين لتحديد الحقوق والواجبات ، وبذلك فإن الظروف التي مرت بها الدول العربية أضعفت الدستور والحكم الدستوري ومن ثم إضعاف حكم القانون وإشاعة الحكم المطلق .

٢- لعوامل المؤثرة في عملية وضع الدستور

تعتمد آليات وضع الدساتير على العوامل الآتية : -

أ . مدى مشاركة القوى السياسية والاجتماعية في العملية التاسيسية واندماج أكبر عدد ممكن من القوى الفاعلة فيها .

ب . إقرار وتشريع ترسانة من القوانين المتعارضة مع بعضها البعض أو القوانين التي لا تتناسب مع النبية الإدارية لأجهزة الدولة ، و القوانين التي تحمل في طياتها تفسيرات مختلفة وبالتالي تصبح محل خلاف وجدل بين القوى السياسية . وهذا ما يدلل عل وجود ترسانة من القوانين ولكنها غير مطبقة .

ت . وجود التوافق على النخب الحاكمة كهوية الدولة والمجتمع وشكل النظام السياسي والحريات العامة .

د. المؤشرات أو الأسباب الاجتماعية

يأتي فشل الدول على أصعدة متوازية، لا يمكن الإمساك بأيهما السبب وأيهما النتيجة، بمعنى أنه يمكن للفشل على الصعيد الاجتماعي أن يكون مسببًا لفشل على الصعيد الاقتصادي، وعليه تفشل المؤسسات السياسية في تدارك الفشل المترتب على الصعيدين السابقين، لتتصاعد احتمالات تدخل قوى خارجية في الدولة. وقد تبدأ دائرة الفشل بالعكس، بحيث تكون العوامل الخارجية هي نقطة البداية في حلقة الفشل، فإمّا أن تتسبب العوامل الخارجية فيه، أو أن تُعَزّز عوامل الفشل الكامنة داخل الدولة فتظهر أعراضها الاجتماعية والسياسية والاقتصاديةَ والمؤسساتية، وتعد هذه النظرة نظرة واسعة فضفاضة تتضمن جوانب ومجالات متعددة ومتشابكة مما يضمن الحكم بالفشل على أي دولة، وهو بذلك يصبح لفظًا تحكميًا غير موضوعي، مما دفع إلى تصميم مؤشرات قابلة للقياس تستطيع تقديم صورة أكثر تفصيلا لحالة الفشل تسمح بالحكم على شكل ودرجة ونمط الفشل وفق المؤشرات الاجتماعية[٧]، ومن المؤشرات الاجتماعية:

١- تصاعد الضغوط الديمغرافية

ويعد واحدة من المؤشرات التي تدلل على فشل الدولة ويأتي الضغط الديمغرافي نتيجة سوء السياسة المتبعة من قبل الدولة، والتي تقوم على زيادة السكان ذلك لعدم اتباع سياسة ضبط النسل وعدم توعية السكان بمخاطر الزيادة السكانية غير المنظمة، إضافة إلى سوء التوزيع وتكون على مستويين سوء التوزيع السكاني حيث نرى مناطق تعاني من الانفجار السكاني ومناطق أخرى تفتقر إلى النسب السكانية وهذا مايجعلها تعيش حالة من عدم الاتزان ما بين عدد السكان وحجم الموارد المتوفرة في المنطقة ومساحتها، وهذا ما يدفع ويشجع على ظهور المناطق العشوائية التي تفتقر إلى أبسط مقومات الحياة الطبيعية من خدمات صحية وخدمات اجتماعية، ويجعل منها مناطق خارج سيطرة الدولة من ناحية السياسات المتبعة من قبل الدولة لشمولها بالخدمات، وثم تكون بيئة مناسبة للجريمة المنظمة وتوفر ملجأ آمنا للعناصر الخارجة على القانون ومن هذا الجانب أيضًا تكون خارج سيطرة الدولة.

أما المستوى الثاني لسوء التوزيع فهو التوزيع العمري حيث نرى الدول وفق هذا المؤشر ثمة ترابط ما بين وضع السكان العددي والنوعي والتوزيعي والتغيرات الاجتماعية[٨] التي يشهدها المجتمع، فالارتباط مثلاً بين عدد السكان ومستوى معيشة الفرد، أو بين

تركيبة الهرم العمري للسكان وعملية النمو الاقتصادي والاجتماعي يبدو واضحًا للعيان، وله الكثير من الآثار التي يمكن أن تؤثر في حياة أي شريحة من الجماعات الإنسانية بالإيجاب أو بالسلب بحسب طبيعة هذه الآثار واتجاهها. ويقصد بالعامل السكاني تلك التغّيرات التي تطرأ على وضع السكان من ناحية الكثافة العددية أو التركيب العمري أو التوزيع النوعي لهؤلاء السكان.

وهكذا يعتبر حجم السكان وتوزيعهم وتركيبهم النوعي والعمري من العوامل المهمة في إحداث التغير الاجتماعي؛ فأي تعديل في هذه العوامل بأي جماعة إنسانية يترتب عليه حدوث تغير ما في الوضع الاجتماعي داخل هذه الجماعة. فقد يزداد السكان أو يقلون لظروف اجتماعية خاصة، وقد تتغير تركيبة السكان، تبعا للعامل الاقتصادي والثقافي.

وهذه العوامل بالنتيجة تؤدي إلى إحداث نزاعات مجمعية داخلية ومن ثم أن الدولة التي تعاني من هذه المشاكل تؤشر على أنها تنصف ضمن الدول الفاشلة.

٢- الحركة السلبية والعشوائية للاجئين[٩] أو الحركة غير النظامية للأفراد التي تخلق معها حالة طوارئ معقدة تنتج عنها اختلالات بيئية ووظيفية في بينة المجتمع ونتيجة لذلك تتنتج الأمراض، ونقص الغذاء والمياه الصالحة، والتنافس على الأرض ومشكلات أمنية للدولة، وتحدث هذه الحركة السلبية بسبب النزاعات الاجتماعية أو المذهبية والعرقية أو سوء توزيع الثروة أو نتيجة اختلال البيئة كنقص الماء في المناطق الزراعية والذي يؤدي إلى الهجرة من الريف إلى المدينة أو حدوث أمر طارئ يجبر السكان إلى الحركة السريعة والعشوائية - سقوط بعض المناطق بأيدي عصابات داعش الإرهابية- كل هذا الأسباب وغيرها تؤدي إلى الحركة السلبية والعشوائية للسكان الذين يصبحون فيما بعد لاجئين.

٣- الميراث العدائي

ويعد واحدا من مهدادات الأمن الاجتماعي كونه مغروسا في المجتمع ويقسم أبناء البلد الواحد إلى عدة فئات متصارعة وإن لم يكن هذا الصراع ظاهرا للعلن، لكنه يكون أشبه بنار تحت الرماد، التي تشتعل بتوفر الظروف المناسبة أو بإزالة أسباب إخمادها وليس إطفائها بشكل تام، وهذه ما يحدث خللا في بنية المجتمع وبالتالي يجعله منقسما إلى فئات ترى نفسها مظلومة وتحمل في داخلها الحقد على الفئات التي تعتبرها مقربة من السلطة، وهنا تؤشر الدولة من ضمن الدولة الفاشلة كونها لم تسطع من القضاء على هذا

الميراث، والأمثلة كثيرة في الوطن العربي، وهذه تحدث في الغالب نتيجة عدم عدالة السلطة في التعامل مع كافة أفراد المجتمع وفق نسق واحد.

٤- الفرار الدائم والعشوائي

يحدث هذا نتيجة لما ذكر سابقًا في النقاط أعلاه وغيرها من الأسباب كحدوث حالة الحرب أو قيام النزاعات الطائفية والعرقية أو سياسة الدولة الدكتاتورية ويقصد به هجرة العقول، ورأس المال وهجرة الطبقة المنتجة ويؤدي هذا بالتالي إلى اختلال في بنية المجتمع داخل الدولة فإن هجرة المفكرين والأطباء وأساتذة الجامعات نتجية الظروف غير المستقرة تؤدي إلى خلل في بنية المجتمع وبالتالي هذا يوقف عجلة النمو والتطور بشكل وآخر، إضافة إلى أن نهضة المجتمعات تعتمد على الطبقة الوسط كونها هي الطبقة المثقفة التي تسعى إلى مواصلة نجاحها والمساعدة في تنمية الطبقة الفقيرة وتطويرها. وهناك نوع آخر من الهجرة وهو الاغتراب داخل المجتمع، بحيث يشعر الفرد المتعلم بالضياع في داخل مجتمعه نتيجة إلى اختلال موازين التفكير ورجحان للعادات والتقاليد المتخلفة ذات الصبغة القبلية.

هـ. المؤشرات أو الأسباب الاقتصادية

١. عدم انتظام معدل التنمية الاقتصادية أو غيابه، وعدم المساواة في توزيع فرص التعليم والعمل، وغياب المساواة بين الجماعات، يعتبر متغير التنمية أهم مؤشر لقياس درجة فشل الدول، وهذا راجع لارتباطه بالعديد من العوامل، فالتنمية الاقتصادية لها بعد مهم يتمثل في الأمن الاقتصادي وفقدان هذا الأخير يمكن أن يرتبط أساسًا بافتقاد الحقوق والحريات الديمقراطية، وعلى هذا الأساس نجد بأن التنمية الاقتصادية هي مفهوم معياري بالشعور الأخلاقي للناس (الحق والباطل)[١٠]، مما ينتج عن هذه تصاعد النزاعات والانقسامات المجتمعية.

٢. استمرار تدهور الوضع الاقتصادي وذلك وفقًا للمؤشرات الدالة عليه والمتمثلة في معدلات الدخل القومي، وحجم الدين العام، ومعدلات وفيات الأطفال، وارتفاع نسبة الفقر، وانخفاض معدلات الاستثمار، وارتفاع معدلات البطالة. إلى جانب الارتفاع المفاجئ للأسعار وانهيار وتدهور العملة الوطنية مع نمو وانتشار تجارة السوق السوداء، وهذا ما يدفع لزيادة معدلات الفقر.

٣ . ارتفاع نسب ومؤشرات الفساد والمعاملات غير الشرعية بين عامة الناس دون وجود قواعد لهذا النمط من التعاملات التجارية ، بالتوازي مع عدم قدرة الدولة على الوفاء بالتزاماتها المادية لمواطنيها مثل برامج الضمان الاجتماعي والمعاشات .

٤ . مشكلة المديونية الخارجية ، تعتبر مشكلة المديونية الخارجية أحد أكثر القضايا تعقيدًا التي تواجه الاقتصاد العالمي ، نظرا لتداعياتها السلبية على الدول النامية بصفة عامة حيث تتمثل آخر الآثار السلبية الخارجية بالنسبة للدول النامية للمديونية الخارجية بالنسبة لبلدان العالم الثالث في شل جهود التنمية مع ارتفاع معدلات البطالة التي أصبحت تشكل تهديدًا للاستقرار الاجتماعي . وبالتالي تكون الدول النامية رهينة لسياسيات البنك المركزي والتي تتدخل في الشؤون الداخلية لتلك الدول ورسم سياستها العامة .

و . المؤشرات الفكرية

١- انهيار البنية التعليمية

يعد التعليم أحد أهم الآليات في تكوين وتنشئة الأفراد على الحياة ، والقدرة على التفكير والإبداع والنقد ، لكي يُكّون ويَعدَّ مواطنًا قادرًا على إعمال العقل إلى أقصى درجاته في التعاطي مع الحياة والواقع المعاش . وهذا ما يجب أن يكون ، إما ما هو كائن فيتضح لنا من خلال غياب الإستراتيجية الوطنية الحاكمة لعملية التعليم ، إضافة إلى إخضاع التعليم لرؤية الحكومة[١١] ، وليس لرؤية الدولة ، فمن المفترض أن الحكومة متغيرة ، بينما الدولة ثابتة . ومن جانب آخر نرى انهيار وتهدم البنية التحتية للمؤسسات التعليمية بدءًا من التعليم الأولي وحتى التعليم الجامعي ، وقدم الأبنية ، هذه الأسباب إضافة إلى أسباب أخرى تؤدي إلى انهيار البنية التعليمة وعلى عدة مستويات منها الفكرية حيث يقوم التعليم على الطرق التقليدية التحفيظية وليس الطرق الحديثة التحفيزية في التعليم التي تؤدي إلى نتائج إبداعية . وفي النهاية انهيار المؤسسة التعليمية يؤدي إلى انهيار الدولة في المستقبل وفق هذه المؤشر .

٢- ضعف الناتج الفكري

إن النتاج الفكري يكون معدوما أو شبه معدوم، ذلك لعدم اهتمام الحكومات بهِ، وقلة عدد مراكز الدارسات الفكرية والتأريخية والسياسية بالإضافة إلى أن ما موجود من مراكز دراسات خاضع لسيطرة الدولة وعددها قليل لا يرتقي لحجم متطلبات الحركة العلمية، إضافة إلى غياب أو ضعف حركة الترجمة للكتب العلمية والثقافية فمثلاً: إن سُكان الدول العربية الذين يتجاوز عددهم (٢٧٠) مليون نسمة لا يترجمون سنويًا سوى (٤٧٥) كتابًا، في حين تترجم إسبانيا التي لا يتجاوز تعداد سكانها (٣٨) مليون نسمة أكثر من (١٠) آلاف عنوان سنويًا[١٢]. والعكس صحيح فلا يوجد اهتمام عالمي بترجمة النتاج الفكري العربي كونه لا يرتقي إلى مستوى النتاجات العلمية في دول العالم المتقدم، حيث إن أعداد الكتب العربية التي تترجم إلى لغات أخرى ضئيلة للغاية تعجز عن أن تتحول إلى ظاهرة ثقافة صحية؛ وعن تقرير التنمية الإنسانية العربية فإن متوسط عدد الكتب المترجمة في العالم العربي هو (٤ . ٤) كتب لكل مليون مواطن سنويًا، بينما يحظى نصيب كل مليون مواطن في المجر بنحو (٥١٩) كتابًا سنويًا، كما يبلغ نصيب كل مليوني إسباني في العام (٩٢٠) كتابًا. وهذا واحد من أهم مؤشرات ضعف الدول كون أن بناء بنية ثقافية قوية ومستقرة يؤدي إلى بناء شعب مثقف و مستقر، بالتالي يؤدي إلى بناء دولة حديثة تواكب الحياة العصرية.

ز. المؤشرات الثقافية

١- انتشار الأمية (الإلكترونية)

مصطلح محو الأمية من المصطلحات المألوفة لدى جميع الناس تقريبًا، حيث تكاد لا تخلو بلد من وضع دورات وبرامج متخصصة لمحو الأمية، ولكن أصبح لهذا المصطلح مؤخرًا مؤشرات عدة تطورت مع تطور العالم على مختلف الأصعدة[١٣]، ونتعرف في هذه الورقة على كل من المعنيين التقليدي والحديث لمفهوم هذا المصطلح ومن هنا ينقسم مفهوم الأمية إلى نوعين

أ. أمية الأبجدية: وتعني عدم معرفة القراءة والكتابة والإلمام بمبادئ الحساب الأساسية ويعرف الإنسان الأمي بانه كل فرد بلغ الثانية عشرة من عمره ولا يلم إلمامًا كاملاً بمبادئ القراءة والكتابة والحساب بلغة ما، ولم يكن منتسبًا إلى مدرسة أو مؤسسة تربوية وتعليمية.

ب. الأمية الحضارية (الإلكترونية) : وتعني عدم مقدرة الأشخاص المتعلمين على مواكبة معطيات العصر العلمية والتكنولوجية والفكرية والثقافية والفلسفية الإيديولوجية والتفاعل معها بعقلية دينامية قادرة على فهم المتغيرات الجديدة وتوظيفها بشكل إبداعي فعال يحقق الانسجام والتلاؤم مابين ذواتهم والعصرالذي ينتمون إليه مؤمنين في ذات الوقت بمجموعة من العادات والتقاليد والمعتقدات الفكرية والممارسات السلوكية والمبادئ والمثل الاستاتيكية الجامدة التي تتعارض وطبيعة الحياة المتجددة على الدوام والتوافق. وأن انتشار الأمية بنوعيها واحد من المؤشرات التي تدل على ضعف الدولة والعكس صحيح.

٢- تراجع أو انهيار الثقافة

إنّ المرءَ يقف اليوم مشدوهًا أمام مقولة "ابن خلدون" في مقدمته الشهيرة، التي رأى فيها: «أنّ الثقافة تزدهر في عهد انهيار الدولة»[١٤]، وهي لم تتطابق مع حال زماننا. حيث شهدنا ونشهد انهيار العديد من الدول، ولم نشهد ازدهارًا للثقافة في هذه الدول. وهذه الدول ليست قليلة، ويأتي هذا نتيجة أن المؤسسات الثقافية هي تحت سلطة الحكومات فهي تعمل لصالح السلطة وليس مبينة على أسس صحيحة لتعزيز الأُطر الثقافية لصالح الدولة لذلك لم نشهد في الدول الضعيفة نتاجا ثقافيا ونرى أن ما هو أُنتج هو ثقافة هشة تمجّد السلطة، وليست ثقافة تقود إلى التنوير كما هو في الدول الحديثة. وبالتالي نشهد ارتفاع أو طغيان العادات والتقاليد القبلية (الفكر القبلي) لسود وتراجع الثقافات الحضارية المدنية ومن ثم انتشار الثقافات الفرعية على الثقافة والهوية الوطنية، وتحل القبيلة محل الدولة في حل الخلافات وتسوية المنازعات بين الأفراد.

المطلب الثالث: تأثير المؤسسات السياسية الرسمية على الدولة الرخوة

إن عناصر المؤسسة السياسية مترابطة ومتكاملة على المستوى الداخلي، إذ يوجد داخلها مجموعة كبيرة من الأعضاء، ولكل منهم دور يؤديه، وتكون هذه الأدوار مكملة لبعضها، ويكون استمرار هذه المؤسسات ونموها مرهونًا بأداء تلك الأدوار.

وتكون عملية التكامل والتأثير في أعضاء المؤسسة الواحدة - والأهمية الكبيرة المسلطة على أي جزء — واضحة في حالة إخفاق أي عضو من الأعضاء في أداء واجباته،

وابتعاده عن تحقيق هدف المؤسسة السياسية العام – لا سيَّما إذا كان عضوًا يشغل مركزًا مؤثرًا وكبيرًا – وسواء أكان بطريقة قصدية أو غير قصدية فإنه يؤثر في المؤسسة، وهيكلها وبنائها العام، وممكن أن يؤدي إلى ضعف هذه المؤسسة وتدهورها، وعدم قدرتها على مجابهة أي حدث طارئ، أو أي عدوان يريد إخفاقها لمصالح معينة.

وبحكم طبيعة البشر التي تجعل وجودهم في تنافس وتصارع مستمر سواء أ كان ذلك مع الطبيعة أم مع البيئة الاجتماعية، فإن هذا التجمع يحتاج إلى نوع من التنظيم على سلوك الأفراد والجماعات[١٥].

أولا : - المؤسسات السياسية الرسمية

يعد مونتيسيكيو من الكتاب السياسيين البارزين في فرنسا، واشتهر بكتابه (روح القوانين) الذي جمع فيه تأريخ أنظمة الحكومات وأنواعها ومساوىء كل منها ومحاسنه، وقد ميز مونتيسيكيو ثلاثة أنواع من الحكومات هي: (الجمهورية والملكية والاستبدادية)، وذكر في كتابه أيضًا نظريته الشهيرة في وجوب انفصال سلطات الحكومة الثلاث: (التشريعية والتنفيذية والقضائية) عن بعض انفصالًا تامًا لضمان الحرية والعدل[١٦].

وكان تأثير كتاب روح القوانين عظيمًا على أوروبا، إذ إنه أول من استخدم طريقة المقارنة لهذه المؤسسات، ولاحظ تأثير العوامل الطبيعية في علاقتها مع قوانين البلاد، وأول من نظر إلى الحقائق الاجتماعية في أنحاء العالم جميعها، متمثلة في الطبقات والجماعات، ثم بحث بشكل واضح وقطعي كيفية الكشف عن أسباب وجود مجموعة من الحوادث التأريخية المعقدة، والمؤسسات الاجتماعية والسياسية وتوضيحها[١٧].

ويتوقف نشاط هذه المؤسسات ـ الذي يدور جميعه حول هدف واحد هو تنظيم المجتمع ـ وعملها على وجود سلطة، وهذه السلطة هي التي تصنع القانون وتنفذه بوساطة المؤسسات أو السلطات الثلاث:

(التشريعية التنفيذية القضائية)[١٨].

فالسلطة التشريعية لها أدوار مهمة في الدول جميعها، مع وجود اختلافات من حيث: التفصيل ونطاق السلطة، وتختلف باختلاف النظم السياسية[١٩]، إذ تقوم بتشريع قوانين الدولة وإلغاء ما هو غير متجاوب مع الزمن والعمل على جعل القوانين تتناسب

مع الظروف الحديثة المتغيرة، كما تمتلك هذه السلطة ـ في كثير من الدول ـ صلاحية كاملة أو جزئية لتعديل دستور الدولة، كما تمارس سلطات مختلفة ليس من الضروري أن تكون أعمالا تشريعية صرفة[٢٠]، ويتاح للسلطة بهذه الوظيفة تكوين قواعد الحق الموضوعية وإيجادها إذ إن قواعد القانون هي مكرسة لمتابعة سلوك الأفراد في المجتمع لضمان المصلحة العامة التي يتوخاها النظام السياسي[٢١]. وتقوم السلطة التشريعية أيضا بمراقبة مالية الدولة بوساطة إقرار الميزانية التي تعدها السلطة التنفيذية والحكم في نظام الضرائب، وفي النفقات العامة العسكرية والمدنية، وتملك حق استدعاء سكان الدولة جميعهم ومواطنيها المدنيين والعسكريين واستجوابهم في التهم الموجهة إليهم[٢٢].

وتعد المؤسسة التنفيذية ذات أهمية كبيرة وموضع نظر في أغلب دول العالم الثالث، إذ إن رئيس السلطة التنفيذية هو حاكم الدولة والمهيمن على سياستها العامة وممثلها في الخارج، وتأتي أهميتها أيضًا من سيطرتها المباشرة على الأجهزة العسكرية والدبلوماسية والأمنية والمالية، وعلى الأجهزة الإدارية كافة التي تضخمت كثيرًا في الآونة الأخيرة بسبب توسيع برامج الدولة الاقتصادية والاجتماعية والأمنية والمالية التي أمّنتها ظروف الحياة الحديثة[٢٣]، مع العلم أن السلطة التنفيذية تختلف من حيث: التشكيل والممارسة من دولة إلى أخرى، فرئيس السلطة التنفيذية قد يكون ملكًا أو رئيس جمهورية أو رئيس وزراء أو قائدًا عسكريًا أو أميرًا.

إن حاجة المجتمع البشري إلى قواعد لا تتأتى بمجرد وضعها بل بتنفيذها[٢٤]، ويعتمد عليها المجتمع من أجل استقراره، إذ تقوم هذه السلطة بفرض النظام العام والأمن في الدولة ومعاقبة مخالفي القوانين الذين امتنعوا عن الامتثال لهذه القوانين، ومن أجل منع انتشار الفوضى وانتشار الجرائم والانحرافات بكثرة مما قد يعرض المجتمع إلى وضع غير مستقر.

وتحتاج هذه السلطة للقيام بوظائفها إلى وكلاء ومدراء ينوبون عن الرئيس في القيام بهذه الوظائف، وتمتلك هذه السلطة الحق لرئيسها أن يعين القضاة، وتمتلك المرونة في إطلاق الحكم أو العفو عنه، أو تخفيف الحكم بما تراه مناسبًا لحرية الفرد، وخدمة المجتمع.

أما السلطة القضائية فتعد صاحبة أسلوب الثواب والعقاب، ومن وظائف الدولة تحقيق العدالة التي تسعى كل الأنظمة السياسية لتحقيقها، وإن تحقيق العدالة في الدولة يعتمد

أساسًا على وجود سلطة قضائية مستقلة، تمارس أعمالها بعيدا عن السلطة التنفيذية والتشريعية[٢٥].

وتقوم هذه السلطة بمهمة تطبيق القوانين والدساتير المكتوبة لقضايا معينة، وهي تقرر الحقائق في كل قضية، والقوانين التي يجب تطبيقها عليها[٢٦]، ومن خلال الواجبات والأدوار التي لها، نجد التفاعل واضحًا بين كل من السلطة القضائية والتنفيذية والتشريعية على الرغم من استقلال كل واحدة عن الأخرى، لأنّ هذه القوانين تحتاج إلى مكان أو جهة تباشر عملية التطبيق، لأنّ من مهامها فصل المنازعات بين أفراد المجتمع، إذ إن استمرار هذه المنازعات داخل المجتمع، وعدم وجود قوانين وجهة مسؤولة تطبق هذه القوانين والعقوبات، سيكلف المجتمع كثيرًا من الخسائر المادية والاجتماعية والنفسية، من هنا كان هدف هذه السلطة (المحاكم) هو حل الصراع، وما يوضح هذا التفاعل بين هذه السلطات ـ المتفقة على هدف واحد هو: خدمة المجتمع والمحافظة على الأمن والاستقرار، هو عند وقوع جريمة ما يتم الحد منها بمساعدة هذه السلطات جميعها، فالتشريعية تسن قوانين خاصة بهذه الجريمة وأنواعها ويتم مراقبة هذه الجرائم وتنفيذها من قبل المؤسسة التنفيذية، وبعد التأكد من وقوع هذه الجرائم يتم تطبيق العقوبة على المجرم في المحاكم الخاصة بذلك وهذا من وظيفة السلطة القضائية.

ثانيا . تأثير الموسسات على الدولة الرخوة

تتفتت مؤسسات الدولة الوطنية أو تتراجع قدراتها لتعجز عن فرض حكم القانون وتعميم مبدأ مواطنة الحقوق المتساوية وتهميش الكيانات الأولية المذهبية والعرقية والقبلية والطائفية كمهمات تحديثية مركزية لا وجود للدولة دونها. وتهيمن قيادات ونخب حاكمة توظف المتبقي من أدوات الدولة إما للتوزيع غير العادل للموارد العامة على المواطنين أو للسيطرة الأمنية على المجتمع وتهديد المواطنين بالقمع حال الامتناع عن تقديم فروض الولاء والطاعة للحكام.

فقوة الدولة نابعة من قوة مؤسساتها والعكس صحيح، وقوة المؤسسات نابع من طبيعة النظام السياسي القائم. فإذا كان ديمقراطيا فإن قوة الموسسة تكمن في مدى استقلاليتها وفصل صلاحياتها ومهامها عن المؤسسات الأخرى سواء أكانت تشريعية أم تنفيذية أم قضائية.

أما في النظم غير الديمقراطية فإن قوة المؤسسة تنبع فيها من عدة عوامل وأهمها مدى استقلالية السلطة وآلية تولي المناصب فيها أن تكون على وفق آلية إدارية بعيدًا عن ولاء الشخص إلى السلطة السياسية وقربه أو بعده عنها .

ومن جانب آخر إن قوة المؤسسة تكمن في مدى احتكارها إلى القوة المشروعة وفق الدستور والتزامها بالقوانين وعدم خروجها عن السياقات القانونية واللوائح الإدارية .

تسعى الحكومة من خلال الأهداف إلى تحقيق رفع الكفاءة أداء المؤسسات ووضع الأنظمة الكفيلة بتخفيف أو تقليل الغش وتضارب المصالح والتصرفات غير المقبولة ووضع أنظمة للرقابة على أداء تلك المؤسسات ووضع هيكل يحدد توزيع كافة الحقوق والمسؤوليات وتحديد القواعد والإجراءات والمخططات المتعلقة بسير العمل داخل المؤسسة[٢٧] ويمكن إجمال الأهداف التي يمكن تحقيقها نتيجة تطبيق نظم الحكومة بما يأتي :

١ . تحقيق الشفافية والعدالة ومنح الحق في مساءلة إدارة المؤسسة للجهات المعنية .

٢ . تحقيق الحماية اللازمة للملكية العامة مع مراعاة مصالح المتعاملين مع مؤسسات الدولة المختلفة والحد من استغلال السلطة في تفضيل المصلحة العامة .

٣ . تحقيق فرصة مراجعة الأداء من خارج أعضاء الإدارة التنفيذية تكون لها مهام واختصاصات وصلاحيات لتحقيق رقابة فعالة ومستقلة .

٤ . زيادة الثقة في إدارة الاقتصاد القومي بما يساهم في رفع معدلات الاستثمار وتحقيق معدلات نمو مرتفعة في الدخل القومي .

أما الدول الضعيفة أو الفاشلة فتتسم بانهيار القانون والنظام العام حيث تفقد مؤسسات الدولة احتكارها لشرعية استخدام العنف وتكون غير قادرة على حماية مواطنيها أو تستخدم أدوات العنف الشرعي لقمع المواطنين وإرهابهم . تتسم الدول الضعيفة والفاشلة أيضًا بقدرة ضعيفة أو متلاشية على تلبية حاجات المواطنين ورغباتهم والعجز عن توفير الخدمات العامة الأساسية وضمان رفاه المواطنين والإخفاق في دعم النشاط الاقتصادي ، كما أنها وعلى المستوى الدولي تفقد المصداقية وينظر إليها كمصدر تهديد للأمن أولاستقرار العالميين . أما الدولة المنهارة فهي صيغة متطرفة من صيغ الدول الضعيفة والفاشلة وتتميّز بوجود فراغ في السلطة حيث تصبح الدولة مجرد بقايا وجود جغرافي

ويحصل المواطنون على السلع السياسية والعامة من خلال وسائط خاصة ويصير الأمن موازيًا للقوة.[٢٨]

تتفتت مؤسسات الدولة الوطنية أو تتراجع قدراتها لتعجز عن فرض حكم القانون وتعميم مبدأ مواطنة الحقوق المتساوية وتهميش الكيانات الأولية المذهبية والعرقية والقبلية والطائفية كمهمات تحديثية مركزية لا وجود للدولة دونها. وتهيمن قيادات ونخب حاكمة توظف المتبقي من أدوات الدولة إما للتوزيع غير العادل للموارد العامة على المواطنين أو للسيطرة الأمنية على المجتمع وتهديد المواطنين بالقمع حال الامتناع عن تقديم فروض الولاء والطاعة للحكام[٢٩].

الخاتمة

أصبحت المؤسسة أداة مفيدة لممارسة السلطة والحفاظ على الوضع العام للدولة خاصة في ظل النظم الديمقراطية حيث إن السلطة تكون موزعة بين عدة مؤسسات وليست محتكرة بيد الرئيس، كما أن السلطات التي تمتع بها تلك المؤسسات تمكنها من الحفاظ على النظام العام والحيلولة دون انهيار الدولة، وهذا ما يعطيها من القوة في ممارسة صلاحيتها في التنفيذ والتشريع والرقابة والفصل في منازعات السلطات والشواهد على ذلك كثيرة.

كما أن بعض الدولة التي لا تمتلك نظاما ديمقراطيا عريقا لكنها تمتلك بناء مؤسسيا قويا مبنيا على عقيدة الإخلاص للدولة فقط ومثال ذلك دور المؤسسة العسكرية المصرية عندما أطاحت بحكومة مرسي حينما شعرت أن بقاءه في السلطة سوف يهدد الأمن والسلم المجتمعي. كذلك دور المؤسسة العسكرية الجزائرية التي لعبت في الحفاظ على النظام العام والأمن الوطني بعد وفاة الرئيس «عبد العزيز بو تفليقة» وتصاعد وتيرة الاحتجاجات. حيث أجرت الانتخابات ومن ثم سملت رئاسة الدولة إلى السلطات المدنية المنتخبة بشكل سلمي وسلس.

الهوامش:

١. سلمى عبد الرحيم عبد الحسن الشمري: الدولة الرخوة وفراغ السلطة في الدول العربية بعد عام ٢٠١٠ (سوريا وليبيا أنموذجًا)، أطوحة دكتوراه غير منشورة، جامعة النهرين، كلية العلوم السياسية، بغداد، ٢٠٢٠، ص٩.

٢. أحمد فهمي، مصر ٢٠١٣ دراسة تحليلية لعملية التحول السياسي في مصر مراحلها، سيناريوهات المستقبل، ط١، مصر: مكتبة طريق العلم، ٢٠١٢، ص٢٧.

٣. محمد نسيب أوجونومراد اصلان، نظرية وممارسة بناء الدولة في الشرق الأوسط منظور دستوري حول العراق وأفغانستان، ط١، دراسات عالمية، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، العدد ١٣٢، ٢٠١٤، ص١٣-١٤.

٤. للمزيد من التفاصيل انظر: سلمى عبد الرحيم، مصدر سبق ذكره، ص١٢.

٥. روبرت روتبرج (٢٠٠٢)، الطبيعة الجديدة لفشل الدولة القومية، فصلية واشنطن، ترجمة أشرف راضي، صحيفة البيان الإماراتية، بتأريخ ١١/ ٩/ ٢٠٠٢، متاح على الرابط:

https: //muse jhu. edu/login? auth=0&type summary&url=/journals/washington_ 3rotberg. htm .25/quarterly/v025

٦. رنا أبوعمرة: تعثر انتقالي: أوضاع دول الربيع العربي في ضوء مقياس الدول الفاشلة، مجلة السياسة الدولية، بتأريخ (٤-٨-٢٠١٣), تم الزيارة بتأريخ ١٧/ ٦/ ٢٠٢١، متاجة على الرابط: http: .//www. siyassa. org. eg/News/3220. aspx

٧. الموسوعة السياسية، الدولة الفاشلة، دراسة متاحة على الرابط:

https: //political-encyclopedia. org/ dictionary/% D8% A7% D9% 84% D8% AF% D9% 88% D9% 84% D8% A9% 20% D8% A7% D9% 84% D9% 81% D8% A7% D8% B4% D9% 84% D8% A9

، الزيارة بتأريخ: ٢٢/ ٥/ ٢٠٢١.

٨. عبد الله العوضي: التغيّر السكاني والعامل الاجتماعي، مركز الإمارات للبحوث والدراسات الإستراتيجية، بتأريخ: ٤ديسمبر٢٠٠٧، متاح على الرابط

https: //www. ecssr. ae/reports_analysis/% : D8% A7% D9% 84% D8% AA% D8% BA% D9% 8A% D9% 91% D8% B1-% D8% A7% D9% 84% D8% B3% D9% 83% D8% A7% D9% 86% D9% 8A-% D9% 88% D8% A7% D9% 84% D8% B9% D8% A7% D9% 85% D9% 84-% D8% A7% D9% 84% D8% A7% D8% AC% D8% AA% D9% 85% D8% A7% D8% B9% D9% 8A/، الزيارة بتأريخ: 2021/5/22.

٩. الموسوعة السياسية، الدولة الفاشلة، مصدر سبق ذكره.

١٠. أمارتياصن، (ترجمة: شوقي جلال)، التنمية حرية: مؤسسات حرة وإنسان متحرر من الجهل والمرض والفقر. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، . ٢٠٠٤، ط١، ص٠٨.

١١. للمزيد أنظر: د. فيصل الغويين: في أسباب انهيار التعليم في الأردن، مقال منشور بتأريخ ٢٦/ ٤/ ٢٠١٥، متاح على الرابط:

https: //www. ammonnews. net/article/228023

، الزيارة بتأريخ: ٢٧/ ٥/ ٢٠٢١.

١٢. محمود سلامة محمود الهايشة: هل ضعف الثقافة وقلة الإنتاج الفكري العربي: سبب ضعف الترجمة من العربية للغات الأجنبية الأخرى ؟! !، الحوار المتمدن العدد: ٦٤٠٨ في ١٤/ ١١/ ٢٠١٩، الزيارة بتأريخ: ٢٧/ ٥/ ٢٠٢١.

١٣. للمزيد انظر: منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم

والثقافة (اليونسكو) ، متاح على الرابط :

https: //ar. unesco. org/themes/literacy

، تأريخ الزيارة: ٢٧/ ٥/ ٢٠٢١ .

١٤ . سعيد الشيخ: انهارت الدولة . . لماذا لم تزدهر الثقافة، القدس العربي، ١٨ أكتوبر ٢٠٢٠، متاح على الرابط :

https: //www. alquds. co. uk/% D8% A7% D9% 86% D9% 87% D8% A7% D8% B1% D8% AA-% D8% A7% D9% 84% D8% AF% D9% 88% D9% 84% D8% A9-% D9% 84% D9% 85% D8% A7% D8% B0% D8% A7-% D9% 84% D9% 85-% D8% AA% D8% B2% D8% AF% D9% 87% D8% B1-% D8% A7% D9% 84% D8% AB% D9% 82% D8% A7% D9% 81% D8% A9% D8% 9F/

، تأريخ الزيارة: ٢٧/ ٥/ ٢٠٢١ .

١٥ . مليحة عوني القصير و د. معن خليل عمر: المدخل إلى علم الاجتماع، مطبعة جامعة بغداد، سنة ١٩٨١، ص ٣٤٥.

١٦ . محمد محمد صالح: تأريخ أوربا من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية، مطبعة الجاحظ للطباعة والنشر، ١٩٨٢، ص ٥٩٤ .

١٧ . محمد طه بدوي: تنظير السياسة، المكتب المصري الحديث، ١٩٦٨، ص ٤٩ .

١٨ . صادق الأسود، علم الاجتماع السياسي . أسسه، أبعاده: مطبعة دار الحكمة – بغداد، ١٩٩٠، ص ٢٠١ .

١٩ . محمد عبد المعز نصر: في النظريات والنظم السياسية، دار النهضة الاجتماعية، بيروت، ١٩٧٣، ص ٥٣٦ .

٢٠ . رايموند كارفيلد كيتيل: العلوم السياسية، ج ثاني / ترجمة د. فاضل محمد زكي وآخرون، مكتبة النهضة – بغداد، ص ١٤٤ .

٢١ . حسان شفيق العاني: الأنظمة السياسية المقارنة، مطبعة المعارف – بغداد، ١٩٨٠، ص ٢٥ .

٢٢ . نظام بركات وآخرون: مبادئ علم السياسة، مكتبة العبيكان، ط ثانية، ٢٠٠١، ص ٢١٣ .

٢٣ . نظام بركات وآخرون، مصدر سابق، ص ٢١٤ .

٢٤ . كمال المنوفي: أصول النظم السياسية المقارنة، شركة الربيعان، ١٩٨٧، ص ٢٤٥ .

٢٥ . نظام بركات وآخرون، مصدر سابق، ص ٢١٨ .

٢٦ . كمال المنوفي، مصدر سابق، ص ٢٦٠ .

٢٧ . مناور حداد: دور حكومة الشركات في التنمية الاقتصادية، المؤتمر العلمي الأول حول حكومة الشركات ودورها في الإصلاح الاقتصادي، كلية الاقتصاد، جامعة دمشق، دمشق، سوريا، ٢٠٠٨، ص ١٠ .

٢٨ . عمرو حمزاوي: الدولة الضعيفة، مقال تحليلي، مركز مالكوم كير- كارنغي للشرق الأوسط، بتأريخ ٧ آب ٢٠١٨، متاح على الرابط : https: ar-/07/08///carnegie-mec. org/2018 .pub-76991

٢٩ . عمرو حمزاوي، مصدر سبق ذكره .

آثار شخصنة السلطة على النظام السياسي في العراق بعد عام (2003)

م. م. هند أحمد عبد عليوي[1] (*)

المستخلص

إن ظاهرة شخصنة السلطة تقوم بتدعيم السلطة التنفيذية، وتهدد هذه الظاهرة البنية التحتية للديمقراطية، ويمكن أن ينتج عنها تصدع للوحدة الوطنية، إذا لم تتم معالجتها بشكل مناسب، وإن أغلب دول العالم لم تنجح في أن تجد حدودًا فاصلة بين المؤسسة السياسية و الأشخاص الذين تتكون منهم تلك المؤسسة، حيث يوجد خلط بين شخص الحاكم و المؤسسة التي يتولاها، بل إن المؤسسة في كثير من الأحيان تختفي تحت شخصية الحاكم الفرد وآرائه ونهجة الخاص في الحكم، وهذه الحالة تعرف بشخصنة السلطة التي تقف وراءها عوامل ومسببات مختلفة.

الكلمات المفتاحية : النظام السياسي – شخصنة السلطة

The effects of Personalizing Power on the Political Regime in Iraq after 2003

Abstract:

The phenomenon of the personalization of power strengthens the executive branch and this phenomenon threatens the infrastructure of democracy, and can result in a rift of national unity, if it is not addressed

appropriately, and most countries of the world have not succeeded in finding dividing boundaries between the political institution and the people who make up that institution, where there is a confusion between the person of the ruler and the institution that takes over, but the institution often disappears Under the personality of the individual ruler and its opinions and its own approach to government, this situation is known as the personality of the authority behind which different factors and causes stand.

Keyword: Political System - Personalization of Power

المقدمة

كل سلطة تقوم على أساس نفسي وعقلي وتمارس فعلها انطلاقًا من دوافع وتجارب وخبرات نفسية عقلية ظاهرة أو باطنة اكتسبتها عبرة وعيها التأريخي لمفهوم السلطة ومن خلال وعيها لما في الواقع من أحداث وإشكالات وعلاقات للسلطة وتختار الكيفية المناسبة لممارسة السلطة والدرجة التي تعمل فيها، لكسب أكبر قدر من الخضوع والطاعة، كما تختار تبعًا لذلك الوسائل التي تراها أنسب من غيرها لتحقيق ذلك حسب ما يسمح به الوضع الدستوري والبناء الثقافي والاجتماعي السائد في المجتمع. فإن شخصنة السلطة تشير إلى المظاهر التي تعزز ظاهريًا أو فعليًا سلطة شخص على نحو تندمج فيه السلطة بشخص من يمارسها بحيث يصعب التمييز بينما هو مركز قانوني ووضعي وبين ما هو طبائع شخصية للزعيم أو القائد.

وفي العراق تفرض الشخصنة المفرطة نفسها كعامل إضافي للفشل والانسدادات التي تواجه إعادة بناء الدولة ومؤسساتها، وكانت الاستقطابات الطائفية والقومية غير كافية ويبدو أحيانًا أن من العسير التجرد من الأجندة الشخصيّة عند الخوض في معترك الحياة السياسية، ونشاطات الدولة المختلفة، وإن لظاهرة شخصنة السلطة آثارًا على مختلف جوانب الحياة وذلك عندما يستبد الحكام في حكمهم ويمارسون الحكم على أساس القوة والعنف ولا يكون مستندًا إلى شرعية شعبية ويكون الحكم ذات نزعة فردية تسلطية فسوف تتولد آثار هذه الظاهرة لتشمل كافة المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

أهمية البحث

يعد موضوع البحث من الموضوعات البالغة الأهمية كونه يتعلق بآلية ممارسة السلطة وفق معطيات النظام البرلماني الديمقراطي الذي أخذ به العراق بعد عام (٢٠٠٣) .

إشكاليّة البحث

إن موضوع البحث يتناول مدى تأثير هذه الظاهرة على كافة مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

فرضيّة البحث

تنطلق فرضيّة البحث من نقطة جوهرية مفادها أن مسار بناء الدولة في العراق في ظل الظروف الراهنة يصطدم بمدى القدرة على التحول من شخصنة السلطة إلى مأسستها وبناء دولة المؤسسات والانتهاء بدولة سيادة القانون ، من خلال معالجة الآثار الناجمة عن هذه الظاهرة .

المطلب الأول: الآثار السياسية

تتسم أغلب النظم السياسية في دول عالم الجنوب بأنها ذات صبغة فردية قائمة على سلطة الحكم المطلق ، على الرغم من وجود مؤسسات سياسية رسمية قائمة مثل المجالس النيابية والأحزاب السياسية والاتحادات ، حيث تمثل هذه الشبكات مصادر نفوذ لها ، وتمتاز هذه الأنظمة بدرجة عالية من الهيمنة على السلطة السياسية ، وإن من الآثار السياسية لظاهرة شخصنة السلطة تكون عدّة منها تنافس قطاعات النخبة على مراكز النفوذ السياسي ، والموارد ، وجمع السلطات ومحاولة احتكارها بيد فئة قليلة ، إضافة إلى ممارسة القمع والاضطهاد والفساد المالي والإداريّ .

أولًا : الانفراد بالحكم

إن الانفراد بالسلطة أسهم بدور رئيسي في تعطيل العقل العراقي وعرقلة نموه لاختيار أهل الثقة دون أهل الخبرة والكفاءة لإدارة مرافق الدولة وتسيير شؤونها ، حيث سادت طرق الوساطة والمحسوبية مما فرض على الكثير من الكفاءات العراقية الهجرة إلى خارج

البلاد، وإن الانفراد بالسلطة هو الذي مكنها من إهدار القوانين والمبادئ الإنسانية العامة، فلا يراعى في تنفيذ القوانين وتشريعاتها مصلحة الدولة العليا، بقدر ما يراعى فيها الأمن الشخصي للحاكم وحاشيته، فيتعطل سير القضاء في مجالات كثيرة من مجالات العدالة الإنسانية ولا يجد المظلوم العاجز نصيرًا ينصره، أو يحمي من الظلم والجور، وإن ظاهرة الانفراد بالحكم في العراق تنسجم وتتناسب مع رغبات أمريكا فإن التعامل مع فرد في يده كل شيء يوفر عليها الكثير من الجهود وفي الوقت نفسه يمكن تغييره بسهولة عند الحاجة، من أجل تحقيق المصالح الخاصة بها [٢].

إضافة إلى ذلك فإن الدستور العراقي منح صلاحيات واسعة لمجلس الوزراء، بما تخوله من ممارسة الحكم بصورة واسعة، بيد أن رئيس الوزراء عمل على توسيع هذه الصلاحيات في ظل غياب نظام داخلي لعمل مجلس الوزراء، فإنه بذلك عمل على تعزيز سلطته [٣].

ثانيًا: جمع السلطات وتداخلها

عمل رئيس الوزراء على تفسير الدستور العراقي بما يضمن تعزيز صلاحياته، وبدأت الخطوة الأولى بالسيطرة على المؤسسة الأمنية والعسكرية إذ شكّل عام (٢٠٠٧) مكتب القائد العام للقوات المسلحة في محاولة لربط قادة الجيش والوحدات شبه العسكرية وأجهزة الاستخبارات، وقام بإصدار الأوامر مباشرة إلى قادة الوحدات، متجاوزًا سلسلة القيادة العسكرية الرسمية، ومهمشًا لها [٤]. فضلًا عن قيامه بتعين قادة الفرق والوحدات العسكرية بأوامر منه بالوكالة بصفته القائد العام للقوات المسلحة ودون الرجوع إلى البرلمان في تعيين هؤلاء القادة كما نصّ الدستور العراقي على ذلك [٥].

واعتمد في تعزيز سلطته على توسيع عسكرة المجتمع فانتشرت التشكيلات المسلحة على نطاق واسع ومن أبرزها (الجيش النظامي، قوات الشرطة، قوات مكافحة الإرهاب، أجهزة الاستخبارات، حمايات المناطق الرئاسية. . . وغيرها).

ولم يقتصر الأمر على المؤسسة الأمنية فقط، كما عمل على الالتفاف حول الهيئات المستقلة وربطها بمجلس الوزراء لا سيَّما الهيئة المستقلة للانتخابات والبنك المركزي وغيرها من الهيئات واعتبرها مستقلة ماليًا وإداريًا لكنها تخضع إلى أوامر مجلس الوزراء [٦].

ثالثًا : الإقصاء والانتقام

استخدمت السلطة عدة وسائل قانونية لإقصاء الآخرين لا سيَّما قانون اجتثاث البعث، واتهام خصومها بأنهم بعثيون على الرغم من أنها تركن في كثير من مفاصل الدولة على بعثيين أصدرت لهم قانون عفو خاص من الاجتثاث، كذلك القيام بإعطاء إجازات للوزراء المحتجين على سياسات الحكومة مثل إجازات التيار الصدري، وإجازات للقائمة العراقية، وإجازات مفتوحة للتحالف الكُردستاني وبالتالي انفرد بالحكم فرد واحد [٧] .

رابعًا : غياب المساءلة

أتاح النظام البرلماني للسلطة التشريعية دورًا مهمًا في مراقبة ومحاسبة الحكومة بيد أن الأمر في العراق طال السلطة التشريعية إذ أضحت عاجزة عن ممارسة مهامها الموكلة لها بموجب الدستور، وبالمقابل تحاول الحكومة تجريد البرلمان من سلطته الرقابية حيث إنّ البرلمان العراقي تميز بضعف أدائه في محاسبة الوزراء على الرغم من الوظيفة الرئيسية الثانية له بعد التشريع هي المراقبة والمحاسبة فإنه لم يتمكن من محاسبة أو إقالة أي وزير من الوزراء على الرغم من ثبات جرائم فساد عليهم [٨] . كما امتنع الكثير من الوزراء من الحضور إلى البرلمان للاستجواب كما حدث لوزير الشباب [٩] .

خامسًا : تسيس القضاء

يعود تسيس القضاء في العراق إلى دخول قضاة عدة إلى المعترك السياسي والبعض الآخر يمثل جهة سياسية أو دينية أو طائفية أو من خلال إصدار أحكام لخدمة أغراض السلطة التنفيذية أو جهة سياسية متنفذة بالتعرض لضغوط منها إغراءات للقاضي وتحفز قدرته على تحدي العدالة بتحريف نصوص التشريعات والتلاعب بمقاصدها ومعانيها [١٠] .

وقد شهدت السنوات الماضية تدخلات سياسية في سلطة القضاء وجنوح بعض القضاة نحوًا انتماءات سياسية ذات نزعة طائفية وعرقية ما يخل بصورة القضاء المستقل، وأن الفصل بين السلطات إنما هو مجرد نوع من توزيع الوظائف بين مؤسسات الدولة وأن القضاء العراقي محنته تتجسد في كثرة التدخلات وفي ممارسة سياسة الطعن والتشهير ضده من خلال وسائل الإعلام [١١] .

إن تدخل الحكومة في القضاء لا يقف عند التأثير على القضاء فحسب بل يتعدى إلى التأثير سلبيًا في العمل القضائي من خلال التدخل في القضايا المعروضة على القضاء وخاصة أن القضاء العراقي يقف عاجزًا في معالجة ملفات الفساد الإداريّ والمالي لكبار المسؤولين في الحكومة العراقية، كما شجع تراخي مجلس القضاء الأعلى في اتخاذ الإجراءات القانونية في قضايا امتناع السلطات العسكرية في تنفيذ قرارات الإفراج الصادرة من القضاة وهذا دليل على مدى انعدام استقلال القضاء [١٢] .

الوقت الذي يفترض أن تنأى السلطة القضائية بنفسها عن التدخل بالسياسة من أجل المحافظة على استقلالها [١٣] .

فإن وجود سلطة قضائية مستقلة وقوية سوف تحقق التزامًا بالقواعد العامة من قبل المجتمع وبدورها تكون ضامنة لسيادة القانون وأداة للرقابة والمساءلة فلا بُدَّ من توفير نظام قضائي قادر على تحقيق العدالة والمساواة وسيادة حكم القانون.

سادسًا : الفساد المالي والإداريّ

يعد الفساد المالي والإداريّ من المشكلات الأساسية التي أصبحت تواجه الحكومات في مختلف الدول وهي تحدٍ واضح للتنمية الاقتصادية والاجتماعية إذ إنّ فقدان آليات ضبط المنظمات الحكومية وفقدان آليات المحاسبة والعقاب بما ينسجم مع قانون يؤدي إلى استفحال ظاهرة الفساد الإداريّ، وهذا ما حصل في الدول التي تعرضت للحروب والحصار [١٤] ، ولا تقتصر هذه الظاهرة على دول عالم الجنوب بل تتعدى حتى إلى الدول المتقدمة إذ إنّه لا علاقة لهذه الظاهرة بالتطور والتخلف بقدر ما لها علاقة بأخلاقيات الوظيفة العامة المستمدة من قواعد السلوك الأخلاقي في المجتمع المعني [١٥] .

فإن العراق من الدول التي تعرضت لهذه الظاهرة حيث تعتبر ظاهرة قديمة أصابت الجهاز الإداريّ ولو بشكل محدود منذ نشوء الحكومة العراقية في العشرينات من القرن الماضي، لكنها استفحلت بشكل خاص في عام (١٩٨٠) ، ثم زاد انتشارها خاصة بعد غزو الكويت في (١٩٩٠-١٩٩١) وفرض الحصار الاقتصادي على العراق من قبل الأمم المتحدة، والذي صعّد وتيرة الصراع الداخلي على الموارد ورافق ذلك انتشار ثقافة السرقة والرشوة كوباء اجتماعي استمر بالانتشار حتى بعد الاحتلال الأمريكي للعراق عام (٢٠٠٣) [١٦] .

إن العجز المؤسساتي الذي ساد في العراق بعد عام (٢٠٠٣) أدّى إلى فقدان قوة التأثير للقوانين والتشريعات بوصفها ضابطة للسلوك فالأطر المؤسسية في العراق باتت غير قادرة على تقييد أو الحد من السلوكيات الشاذة الفاسدة التي يتصف بها بعض السياسيين ونخب السلطة والجماعات التي فرضت هيمنتها على المراكز السياسية [١٧] .

فقد أصبح الفساد فسادًا مؤسساتيًا وذلك من خلال استشرائه في بعض دوائر الدولة والشخصيات السياسية والأحزاب ومؤسسات المجتمع المدني والأجهزة الأمنية، فضلاً عن الوحدات الاقتصادية في القطاعين العام الخاص، بالإضافة إلى استشرائه في القيم المجتمعية وذلك بسبب اختلال منظومة القيم المجتمعية [١٨] مما أدّى ذلك إلى تحول الفساد إلى فساد شبكي ومافيا منظمة ومتداخلة في جميع مؤسسات الدولة سواء كانت (رسمية) أو (غير رسمية) وبذلك تحول الفساد في العراق إلى فساد مؤسسي شامل في ظل تلك المنظومة الشبكية [١٩] .

وقبل تشكيل أول حكومة عراقية انتقلت مظاهر الفساد المالي الإداريّ إلى جميع مفاصل الدولة الجديدة ومنها المؤسسات الحكومية حيث اتسمت هذه المرحلة التي شهدها العراق بأوضاع اجتماعية وسياسية واقتصادية غير مستقرة وبتزايد حالات الفساد التي لم يعتد عليها المجتمع العراقي وغياب المساءلة والشفافية وضعف تطبيق القوانين إضافة إلى ضعف دور الجهاز الرقابي وعدم توحيد المهام الأساسية له تسبب في ازدياد نسبة الفساد [٢٠] .

وإن الفساد ليس فقط سرقة المال أو تبديده، بل إن تصرفات من يقبضون على السلطة حيث يمارسون الكذب والدجل ولا يراعون مصالح المواطنين فعلى مستوى مجلس النواب كما هو متعارف عليه يكون منتخبًا لكن في الواقع أنه معين من قبل قادة الكتل السياسية الذين حصلوا على الكثير من الأصوات، وعليه فإن ولاء النواب سيكون إلى قادتهم وليس إلى الشعب ولهذا السبب نلاحظ كيف أن النواب يسارعون إلى إصدار التشريعات التي تهم مصالحهم الشخصية في حين نجدهم يتباطؤون ويختلفون في إصدار التشريعات التي تهم الشعب ومثال على ذلك ما يخص رواتب النواب وامتيازاتهم [٢١] .

ومن الآثار السياسية لهذه الظاهرة تشجيع السياسات التي تعيق التنمية كما تعيق التغيرات السياسية وبالتالي تكون آثاره ظاهرة عدم الاستقرار السياسي والذي ألقى بضلاله على الحياة العامة للمواطن والتأثير في الموارد العامة على الصعيد الداخلي وضعف في

فاعلية الدولة على الصعيد الخارجي لتنمية العلاقات الدولية، ومن الآثار الاقتصادية لها استشراء ظاهرة البطالة بين أفراد المجتمع، والذي ينتج عنه استفحال الجريمة وعدم الاستقرار الأمني ناهيك عن اتساع حالة تفشي الأمية والتسرب الدراسي [٢٢].

إن من أكثر الأسباب لتفشي ظاهرة الفساد المالي والإداريّ في العراق بعد (٢٠٠٣) بهذا الحجم الكبير هو عدم ممارسة القضاء لدوره ومسؤولياته، فقد أثّرَ الفساد في تراجع واضح في جميع مفاصل الحياة، فأدّى إلى تفاقم مشكلة البطالة وزيادة حدة الفقر الأمر الذي ينجم عن ضعف الأداء الحكومي، وأيضًا تراجع مؤشرات التنمية البشرية حيث قدرت كلفة تأهيل المدارس القائمة وبناء المدراس الجديدة نحو (٢، ١٦٥) مليار دولار خلال المدة (٢٠٠٤- ٢٠٠٧)، إلا أن هذا القطاع لم يشهد تطورًا يذكر فضلًا عن انخفاض نوعية التعليم نتيجة لاعتماد المحاصصة في اختيار القيادات التي تشغل المراكز التعليمية [٢٣].

وقد امتد الفساد الإداريّ في العراق ليطول قسمًا من أعضاء البرلمان والوزراء والمدراء العامين إلى أصغر موظف، فقد انعدمت المقاييس الموضوعية والشروط القانونية والضوابط الإداريّة في تبوّء أغلب المناصب التي شغلوها، أو الفساد المالي فقد وصل إلى مراحل متقدمة حيث احتل العراق رأس قائمة الدول الأكثر فسادًا في العالم كما أسهم الفساد المالي والإداريّ في إعاقة المشروع الديمقراطي في العراق [٢٤].

المطلب الثاني: الآثار الاقتصادية والاجتماعية

تعّد الأسباب الاقتصادية والاجتماعية من الأسباب المهمة في بروز ظاهرة (شخصنة السلطة) فقد أرجع مجموعة من المفكرين والكتاب التغيرات السياسية إلى أسباب اقتصادية واجتماعية، وذلك عندما أكدوا أن التأريخ الإنساني هو تعبير عن تطور في العلاقات الاقتصادية الاجتماعية وأشاروا إلى أن التطورات السياسية التي مر بها العالم ما هي إلا انعكاس لتلك العلاقات [٢٥]، وأشاروا إلى أن الانتقال من مرحلة تنظيمية إلى أخرى تكون تبعًا لتطور علاقات الإنتاج واختراع الآلة وانعكاساتها الاقتصادية والاجتماعية [٢٦].

إن حالات التخلف الاقتصادي والاجتماعي في دول عالم الجنوب أثرَ بشكل واضح على التطورات السياسية في هذه الدول وبروز عدة ظواهر من أهمها شخصنة السلطة حيث إنّ أغلب شعوب هذه الدول تعاني من تخلف اقتصادي متفاوت بين دولة وأخرى

متمثل بوجود أغلبيّة تعاني من الفقر ومن انخفاض دخل الفرد مع وجود أقليّة مترفة تتمتع بالرفاه والامتيازات [٢٧] .

فإن ذلك سيوّلد بالتأكيد عدّة مظاهر تفضي إلى عملية شخصنة السلطة، حيث إنّ وجود هذه الأغلبية المسحوقة التي تعمل بكل جهدها على تحسين أوضاعها المعيشية فإنها بذلك لن تكون مستعدة للمشاركة في الشؤون السياسية [٢٨] .

كلما تقدمت الدولة اقتصاديًا زاد إسهام أفراد الشعب في الحياة السياسية حيث تنتعش الحياة الديمقراطية، وهذا ما نراه في الدول الغربية وكلما تخلفت الدولة انحصر الدور السياسي بيد فرد واحد أو أقليّة مسيطرة [٢٩] ، ثم إن التفاوت بين أبناء المجتمع الواحد يولد نوعًا من التفاوت في السيطرة السياسية حيث يشير الدكتور «صادق الأسود» إلى أن (من يتحكم في القوى الاقتصادية يستطيع أن يتحكم أيضًا بمن يتعرض لها . . . لأن من يحرم إنسانًا من المحافظة على بقائه على قيد الحياة يجبره على طاعته) [٣٠] .

ويلاحظ أنه في الدول الغنية تكون الحياة الديمقراطية قائمة على أساس الكفاءة السياسية، لذلك فإن الحكام المنتخبين يستلمون السلطة بسهولة، وان الحكام السابقين لا يصرون على البقاء في السلطة لأن انتقال السلطة منهم إلى الحكام الجدد سوف لا يؤثر على وضعهم الاقتصادي أو امتيازاتهم التي تجعلهم يعيشون في مستوى رفيع من الحياة [٣١] ، لكن السلطة في دول عالم الجنوب تعني للعديد من الحكام بأنها مجموعة من الامتيازات الاقتصادية والمعيشية تجعلهم يعيشون في حياة مرفهه وراقية، وإن فقدانهم للسلطة يعني فقدانهم لهذه الامتيازات وللمستوى الاقتصادي الذي يتمتعون به مما تجعلهم يتمسكون بالسلطة ويركزوها في أيديهم خشية فقدها [٣٢] .

أما بالنسبة للعراق فقد ورث بعد الاحتلال الأمريكي تركة ثقيلة تمثلت بأوضاع اقتصادية واجتماعية وبيئية متردية، ذات كلف باهظة ولقد تجسدت هذه التركة بشكل خاص في الخدمات الأساسية التي عانى منها الشعب العراقي لعقود طويلة، وتمثلت بسوء في جميع مرافق هذه الخدمات من كهرباء ونقص في المياه الصالحة للشرب وأيضًا من الصرف الصحي، مما سبب انتشار الكثير من الأمراض [٣٣] ، يعد الفقر أحد مؤشرات الفشل الاقتصادي في العراق، وهو يمثل عجزًا للتنمية الاقتصادية والاجتماعية وإن الفقر يؤشر إلى إخفاقات واضحة ويفصح عن مكون العلاقة بين الحاكم والمحكوم وإلى تدني متطلبات الحياة، التي لا تحقق الكرامة والثقة بالنفس واحترام الذات [٣٤] .

إن العوامل المحددة والمسببة للفقر لا تنحصر في العوامل الاقتصادية بقدر ما هي تتشابك مع العوامل الأخرى مما يعني أن ظاهرة الفقر هي محصلة لعوامل عدة، اقتصادية واجتماعية وسياسية، وفي حالة العراق كذلك دوليّة وإقليميّة لا ينكر تأثيراتها السلبية، فقد ينتج عن الاحتلال الأمريكي حدوث كوارث إنسانية بشعب العراق وكرامة مواطنيه منذ عام (٢٠٠٣) وما بعدها [٣٥]، وتشير الدراسات إلى أن نسبة الفقر المطلق في العراق كانت في الأعوام (١٩٨٨، ١٩٩٣، ٢٠٠٧)، تشكل نسبًا (٢٧٪) (٣١٪) (٣٦، ٥٩٪) على التوالي ويعود هذا إلى أسباب مختلفة خاصة بعد عام (٢٠٠٣) مما أدّى إلى أضرار كبيرة خاصة للفئات الفقيرة، والى ازدياد التفاوت في توزيع الدخل القومي، مما قلل من فرص تحسين مستويات المعيشة وزاد من تهميشهم واستبعادهم اجتماعيًا [٣٦].

وفيما يخص البطالة فإنها تعد من ضمن مؤشرات الفشل الاقتصادي فقد تصاعدت أهمية معالجة البطالة بعد عام (٢٠٠٣)، ضمن ما يسمى باللعبة السياسية والبرامج الانتخابية، وبدلًا من أن يكون العلاج الاقتصادي لها بتخفيض معدلات البطالة، أخذ بعدًا سياسيًا لاكتساب أصوات الفئات العاطلة عن العمل، مما يعني أن مسألة التشغيل وخفض معدلات البطالة سوف تكون محدودة جدًا ولا يعول عليها في أغلب الأحيان [٣٧].

وفي ظل الضعف في الفرص الاستثمارية الجديدة بعد عام (٢٠٠٣)، فإن توليد فرص العمل تظل ضيقة ومحدودة ولا تتناسب مع حجم البطالة في المجتمع؛ لأن حجم التشغيل ومستواه متغير تابع لحجم النشاط الاقتصادي ومستواه، وإن حجم البطالة يكون مرتبطًا ببنية الاقتصاد، وإنّ البنية الاقتصادية الضعيفة في العراق، تعجز عن توليد فرص عمل ذاتية متناسبة مع أعداد السكان الداخلين إلى سوق العمل وهذا ما يؤدي إلى زيادة نسب البطالة في العراق [٣٨].

إن اتساع هامش الفقر في العراق يعود إلى عدّة عوامل منها اتساع نطاق البطالة، وضعف القدرة الشرائية للمواطن العراقي جراء تزايد معدلات التضخم وبقاء مستوى الدخول ثابتة، إضافة إلى ذلك تزايد أعداد الأسر التي فقدت معيلها وقوة العمل داخلها جراء قتل الشباب أو اعتقالهم، والسرقة المنظمة لأموال العراق، وسوء توزيع الدخول لأسباب سياسية وتسبب ذلك برفع معدلات التذمر من السياسات الحكومية عامة [٣٩].

وقد شهدت معدلات الفقر في العراق ارتفاعًا ملحوظًا، إذ ارتفعت وفقًا لوزارة التخطيط من (٢٠٪) إلى (٣٥٪) بين العامين (٢٠٠٥-٢٠٠٩)، كما شهدت المنشآت والمؤسسات

الخدمية والإنتاجية أقل التخصيصات، ومنها قطاع الصحة والمياه والكهرباء والطاقة التكريرية والنقل والقطاعات الصناعية المختلفة، قياسًا بمرتبات وامتيازات السياسيين [٤٠]. وإضافة إلى ذلك لم يتم استبعاد اعتماد المعايير السياسية في إعادة توزيع الدخل، ويلاحظ ارتفاع مرتبات ومكافآت وتقاعد السياسيين على نحو جعل العمل السياسي في العراق مغريًا [٤١].

أما عامل الفساد بنوعيه المالي والإداريّ فقد انتشر بنسب عالية في المشاريع والعقود والمناقصات وجميع مفاصل الاستثمار وأجهزة الدولة حتى باتت تستنزف نحو (٧٠٪) من الموازنة الاستثمارية التي أقرت، وبتواطؤ سياسي وإداريّ ملحوظ، إضافة إلى هدر غير مقدر في الموازنة التشغيلية، حيث أصبح العراق من بين أكبر ساحات الفساد في تأريخ الإنسانية، وقد وضعته منظمة الشفافية العالمية بين أدنى تصنيف دول العالم طوال المدة بين (٢٠٠٥- ٢٠١٠) [٤٢].

ومن جانب آخر فإن ما أنجز في العراق من بنى خدمية وإنتاجية طيلة المدة بين (٢٠٠٦- ٢٠١٠) تأريخ ظهور حكومة دائمة وفقًا لنظام سياسي وافق عليه العراقيون في استفتاء عام، يصعب الحديث عنه والأكثر منه انفتاح سوق العراق أمام المنتجات الأجنبية والعربية، بمعنى تحويل العراق نحو الاستهلاك التام وغياب الإنتاج، بل أصبح العراق طاردًا للكفاءات المنتجة، وبتواطؤ سياسي يسهل ملاحظته جراء غياب الحماية لتلك الكفاءات [٤٣].

أما من الناحية الاجتماعية فيجب أن ندرك (استحالة فهم النظام السياسي وتفسيره خارج الواقع الاجتماعي الشامل، وذلك لأن النظام السياسي هو إلى حد بعيد نتيجة للنظام الاجتماعي لأن هذا الأخير سوف يهيئ القاعدة والمحتوى للنظام السياسي) [٤٤].

انطلاقًا من أهمية الواقع الاجتماعي للدولة فقد أخذ هذا الواقع في دول عالم الجنوب أبعادًا عديدة أدّت إلى مجموعة من المظاهر في تلك الدول أبرزها ظاهرة شخصنة السلطة، فهذه الدول العديد منها يمتاز بتنوع عرقي وطائفي واسع إذ لا توجد دولة في العالم تتماثل عرقيًا أو دينيًا، لكن مع وجود التخلف وضعف الوعي والعوز الاقتصادي يصبح ذلك التنوع (العرقي والديني) سببًا لعدم الاستقرار، ما يفقد المجتمع الاندماج الاجتماعي والتقاليد السياسية السليمة والسلمية، حتى أن المنظمات السياسية والحزبية غالبًا ما تقوم على أساس عرقي وطائفي [٤٥].

إضافة إلى ذلك فإن ضعف الوعي وانتشار الأمية نتيجة للأوضاع الاجتماعية المتردية والثقافات المختلفة، يشجع على ظهور الحكومات المركزية ذات النزعات الشخصية، وذلك لأن قلة الوعي الثقافي يؤدي إلى أن ينجذب أعضاء للمجتمع إلى الأشخاص وخاصة الذين يثيرون في نفوسهم الوعود والآمال وليس إلى المبادئ والتنظيمات السياسية وذلك يؤدي إلى بروز ظاهرة شخصنة السلطة [٤٦]، ومن جانب آخر فقد ذهب العديد من الكتاب والباحثين إلى القول بأن ظاهرة شخصنة السلطة تتوافق مع تقاليد ومعتقدات أصلية توارثها أبناء مجتمعاتهم منذ القدم، فمثلاً النظام القبلي السائد في السابق والقائم على احترام زعيم القبيلة [٤٧].

وفي العراق تسبب الاحتلال والتغيرات السياسية- الأمنية في توسع الشرخ الاجتماعي بين المكونات العراقية، بمعنى أن الانقسام السياسي تسبب بتداعيات اجتماعية عدة لم يستطع المجتمع التخلص منها.

الخاتمة

إن ما تقّدم من أثار سياسية واقتصادية واجتماعية تسببت بحدوث اختناق وانغلاق سياسي واقتصادي واجتماعي بات يشكل إعاقة واضحة أمام تحول العراق إلى دولة مدينة الأمر الذي تسبب بوصول موجة الاحتجاج والتظاهر إلى العراقيين وقبلوها وقد أصبحت التظاهرات تعم مختلف مدن العراق نتيجة تذمر الشعب من سياسات الحكومة، إضافة إلى أن انعدام القانون ويقابله انعدام المؤسسات المنظمة للسلوك وهذا ما يؤدي إلى استشراء الفساد في جميع أجهزة الدولة، ومن أجل الحد من شخصنة السلطة في النظام السياسي العراقي لا بُدَّ من اتباع أدوات وآليات رسمية وغير رسمية، إذ تجعل النظام السياسي يكتسب شرعية ذاتية وهذا ما يمثل جوهر ومضمون عملية تحقيق مأسسة السلطة وقيام دولة المؤسسات.

الهوامش:

١ (*) باحثة في برنامج الدكتوراه، كلية العلوم السياسية -جامعة النهرين

٢. ليث شبر، مظاهر الانفراد بالسلطة، صحيفة كتابات، ٢٠١٤، ص٢- ٣

٣. أوميد رفيق فتاح، إشكالية السلطة والتسلط (دراسة في النظام السياسي العراقي بعد عام (٢٠٠٣))، أعمال المؤتمر العلمي السنوي الرابع لكلية العلوم السياسية، ص ٢٧- ٢٨.

٤. توبي دودج، العراق على طريق الرجوع إلى الدكتاتورية، مجلة المستقبل العربي، العدد ٤٠٣، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، أيلول ٢٠١٢، ص١١١- ١١٢.

٥. انظر: نص المادة (٦١-خامساً)، فق (ج)، الدستور العراقي الدائم لعام ٢٠٠٥.

٦. أوميد رفيق فتاح، مصدر سبق ذكره، ص٢٩- ٣٠.

٧. المصدر نفسه، ص٣٠-٣١.

٨. خضير عباس عطوان، النظام السياسي في العراق بين الإصلاح والشرعية، دراسات سياسية، قسم الدراسات السياسية في بيت الحكمة، بغداد، العدد (٢)، ٢٠١٢، ص١٠٢-١٠٣.

٩. أوميد رفيق فتاح، مصدر سبق ذكره، ص٣٢.

١٠. مدحت المحمود، القضاء في العراق (دراسة استعراضية)، مكتبة عدنان، بغداد، ط١، ٢٠٠٥، ص١٢- ١٣.

١١. أثير إدريس عبد الزهرة، واقع بناء الدولة الديمقراطية المدنية في العراق بعد عام (٢٠٠٣)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ص١٢٠-١٢١.

١٢. مدحت المحمود، المصدر السابق، ص٣٩-٤٠.

١٣. أثير إدريس عبد الزهرة، مستقل التجربة الدستورية في العراق، دار ومكتبة البصائر للنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ٢٠١١، ص١٢١.

١٤. بشرى محمد سامي حسن الأسدي وحاكم محسن الربيعي، الفساد الإداري والمالي وأثاره الاقتصادية والاجتماعية في العراق، المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد (٤٠٩)، آذار ٢٠١٣، ص٧٧-٧٨.

١٥. المصدر نفسه، ص٧٨.

١٦. علاء حافظ عبد الكاظم، جريدة النهار، العدد (٢٢)، كانون الثاني، ٢٠١١، ص٩.

١٧. مهدي زاير جاسم، البيئة الحاضنة للفساد، الحوار المتمدن، العدد (٢٧٣٣)، في ٩/ ٨/ ٢٠٠٩، ص ٢٠٥.

١٨. يوسف مصطفى، المؤسساتية، ثقافة المؤسسة (إضاءة في الدلالات)، مجلة الثورة، مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر، سوريا - دمشق، ٢٠/ ١/ ٢٠١١، ص٢-٣.

١٩. هيثم كريم صيوان البدري، الفساد وأثره في التنمية والسيادة الوطنية العراقية، وقائع وبحوث المؤتمر العلمي السنوي لهيئة النزاهة، لهيئة النزاهة، بغداد، ٢٠٠٨، ص٤١٥.

٢٠. نادر فرجاني، الحكم الصالح: رقعة العرب في إصلاح الحكم في البلدان العربية، المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد (٢٥٦)، حزيران ٢٠٠٠، ص٥.

٢١. علاء حافظ عبد الكاظم، مصدر سبق ذكره، ص٨- ٩.

٢٢. حامد عبيد حداد، التداعيات الاقتصادية للاستراتيجية الأمريكية في العراق، مجلة دراسات دولية، مركز الدراسات الدولية، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، العدد (٤٣)، ٢٠١٠، ص ٥٣.

٢٣. نبيل جعفر عبد الرضا، الاحتلال الأمريكي وإشاعة الفساد في العراق، بحث منشور في كتاب

بصمات الفوضى، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية، بغداد، ٢٠١٣، ص ١٣٠- ١٣١ .

٢٤ . جمال عزيز العاني، ثلاثية الفشل الاقتصادي في العراق (الفقر، البطالة، الفساد) ، مجلة حمورابي للدراسات، دار المحجة البيضاء للنشر والتوزيع، بيروت، العدد (٩) ، السنة الثالثة، آذار ٢٠١٤، ص٤٦-٤٧ .

٢٥ . عبد الرضا الطعان، التنمية الاقتصادية وتركز السلطة في البلدان النامية، مجلة الاقتصادي، العدد (٣) ، بغداد، ١٩٦٦، ص٥ .

٢٦ . أليـاس فرح، تطور الفكر الماركسي (عرض ونقد) ، دار الطليعة، بيروت، ط٥، ١٩٩٧، ص٤٩-٥٢ .

٢٧ . المصدر نفسه، ص٥٢-٥٤ .

٢٨ . انظر: بوتمور، النخبة والمجتمع، ترجمة جورج جحا، بيروت، ١٩٧٢، ص١٢٧ .

٢٩ . نخبة من رجال الفكر، النظام السياسي الأفضل في العالم الثالث، منشورات عويدات، بيروت، ط١، ١٩٧١، ص١٥ .

٣٠ . صادق الأسود، علم الاجتماع السياسي، أسسه وأبعاده، مطبع دار الحكمة، بغداد، ١٩٩٠، ص١٠٢ .

٣١ ((المصدر نفسه، ص١٧٣-١٧٤ .

٣٢ . المصدر نفسه، ص١٧٤ .

٣٣ . كمال ديب، زلزال في أرض الشقاق العراق (١٩١٥-٢٠١٥) ، تقديم جورج قرم، دار الفارابي للنشر، بيروت، ط١، (٢٠٠٣) ، ص١٢-١٣ .

٣٤ . المصدر نفسه، ص١٣ .

٣٥ . جمال عزيز العاني، مصدر سبق ذكره، ص٤٣ .

٣٦ . راجي محيل هليل الخفاجي، قياس وتحليل ظاهرة الفقر وعلاقته بالتفاوض في توزيع الدخل في الاقتصاد العراقي للمدة (١٩٨٧-٢٠٠٧) رسالة ماجستير، (غير منشورة) ، كلية الإدارة والاقتصاد، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٩، ص١٥٠ .

٣٧ . طارق عبدالحسين العكيلي، البطالة والتشغيل في اقتصاد ريعي معوق، المجلة العراقية للعلوم الاقتصادية، العدد (١١) ، عدد خاص، بغداد ٢٠٠٦، ص٥-٩ .

٣٨ . المصدر نفسه، مصدر سبق ذكره، ص٦ .

٣٩ . انظر: كمال البصري، الفساد يبدد إيرادات الدولة والفقر يفتك بنصف العراقيين، جريدة الزمان، العدد (٣٣٦٠) ، (٣٠ تموز ٢٠٠٩) ، ص١٥ .

٤٠ . المصدر نفسه، ص١٥-١٦ .

٤١ . خضر عباس عطوان، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٤ .

٤٢ . وسام الشالجي، ما الذي يعوق الاقتصاد الحر في العراق؟ جريدة الزمان، العدد (٣٣٤٩) ، ١٨ تموز ٢٠٠٩، ص١٥ .

٤٣ . انظر: فراس نعيم عمارة، مواقف الصحافة العراقية من ظاهرة هجرة الكفاءات العلمية الوطنية بعد٩/ ٤/ (٢٠٠٣) ، (دراسة تحليلية) ، رسالة ماجستير، (غير منشورة) ، كلية الإعلام، جامعة بغداد، ٢٠٠٩، ص٤٦-٤٧ .

٤٤ . نخبة من المؤلفين، النظام السياسي الأفضل في العالم الثالث، مصدر سبق ذكره، ص٨١ .

٤٥ . نديم البيطار، من التجزئة إلى الوحدة، دار الطليعة، بيروت، ط٥، ١٩٨٦، ص٣٠٥.

٤٦ . رياض عزيز هادي، المشكلات السياسية في العالم الثالث، مطابع التعليم العالي، الموصل، ط٢، ١٩٨٩، ص١٣٤-١٣٥ .

٤٧ . خليل أحمد خليل، العرب والقيادة، دار الحداثة، بيروت، ١٩٨٥، ص١١٢ .

مناهج البحث العلمي
في الدراسات الإنسانية

للدكتور كامل القيم

إن قضية استخدام المنهج العلمي في حل المشكلات الإنسانية قد ألقى بظلاله على معظم مناشط الحياة الإنسانية بوصفه أداة لتوليد الأفكار والحقائق الجديدة لاكتشاف القوانين والنظريات والظواهر، وبالشكل الذي جعله منطلقاً للوثوب إلى سلم الحضارة والبناء الاجتماعي والتنمية. وحقيقة القول أن الأنشطة العلمية بأشكالها المتعددة لا تنبع من عقول الأفراد باعتبارها مخرجات وميولاً تلقائية أو اعتباطية، إنما هي حتماً ترتبط بوظيفة مؤسسية وأخلاقية علمية تقود وتحرّض وتشيع طرق التفكير وثمراته، صحيح أن عناصر المعرفة تأتينا عبر الحواس والتجربة والاستطلاع المتعدد، لكن عملية استخدام

هـذه العناصـر وتفاعلهـا وتوظيفهـا فـي الميـدان العلمـي – وصـولاً إلـى تكويـن حقائـق – لا يخلـو مـن الجـزم بهشاشـةٍ أو ضعـف، إن لـم يُسـتند إلـى منهـج علمـي فـي ذلـك التوليـد. فالعديـد مـن العلمـاء والمبدعيـن والفنانيـن لـم يظهـروا إلـى دائـرة الضـوء باعتبارهـم أفـراداً طبقـاً لسـلالتهم أو لزمانهـم أو لسـماتهم الشـخصية، إنمـا عبـروا عـن حقيقـة أو نشـاط موضوعـي اُكتشـف عـن طريـق غيرهـم بمقيـاس علمـي، جعـل مـن أعمالهـم ومخلفاتهـم الإبداعيـة تربـو إلـى السّـمو والتّفـرد والأهميـة، لـذا لـم يعـد مـن المفيـد والمجـدي، وفـق منظـور العلـم وانتشـار وتوّسـع تخصصاتـه أن نصبـح – محطـة اسـتقبال سـلبية – أن نجّتـر مجهـودات الآخريـن وننعـمُ ونفخـر بهـا كأنهـا أملاكنـا الخاصـة، فـي الوقـت الـذي تمطرنـا الإلكترونيـات بالمعلومـات التـي لا حصـر لهـا، مـن قبيـل (العلـوم، والاكتشـافات، والإحصـاءات، والنظريـات، والقوانيـن، والنتاجـات الإنسـانية الأخـرى)

إن جـلّ مـا نملـك ومـا نختـزن مـن معـارف منظمـة مـا هـي إلا جهـود أُضنـي بهـا الآخـرون (أفـراد، مجتمعـات، حضـارات) نحـن نختـزل سـنين المعرفـة الإنسـانية بمـا وهبـه الله لنـا مـن قـدرة علـى التمييـز وحفـظ المعـارف والعلـوم واسـتخدامها عبـر أثـرى تكويـن بشـري وهبـه الخالـق عـز وجـل ألا وهـو الدمـاغ البشـري.

هـذا المنجـز البسـيط ماهـو إلا مدخـل لأسـاليب ومناهـج البحـث العلمـي فـي حقـل العلـوم الإنسـانية، والـذي حـرص المؤلـف أن يكـون مختـزلاً فـي كلماتـه ومعالجتـه، بالشـكل الـذي يلبـي الحاجـة إلـى التعّـرف علـى المبـادئ الأساسـية لإنجـاز البحـوث التـي تتطلبهـا المرحلـة الجامعيـة الأوليـة، وقـد جهـد الباحـث أن يكـون دقيقـاً فـي العـرض والمعالجـة، برغـم مـا يعتـري المـادة مـن تشـعّب وتماثـل مـن ناحيـة، ومـن عـدم اتفـاق أو تحديـد لبعـض الإجـراءات الميدانيـة والنظريـة مـن ناحيـة أخـرى، اسـتناداً إلـى المصـادر والمراجـع المهمـة والحديثـة فـي هـذا المضمـار، بالإضافـة إلـى التسـاؤل العلمـي مـن المختصيـن، ومـن التجربـة فـي تدريـس المـادة لطلبـة الدراسـات الأوليـة والعليـا، إذ إن المثيـر الأخيـر أكثـر مـا حفـز الباحـث – بحسـب قولـه– علـى المضـي فـي هـذا المنجـز، مـن خـلال تسـاؤلات الطلبـة وحواراتهـم ومخاضهـم فـي عمليـة الدخـول إلـى معتـرك التعلّـم والإنتـاج العلمـي مـع رغبتهـم الصادقـة وحبهـم الجـارف لهـذا الميـدان.

إن هـذا النتـاج مـا هـو إلا جهـد بسـيط مـن الإعـداد يضعـه الباحـث للطلبـة والباحثيـن، كأحـد ميادينـ عـرض المـادة وليـس إتقانهـا بالضـرورة، لأن الإتقـان يتطلـب منـا جميعـاً الممارسـة

والتعلـم والتسـاؤل المتواتـر، كمـا يتيـح التعّـرف علـى المبـادىء العامـة والأساسـية لخطـوات البحـث العلمـي.

تألـف الكتـاب، مـن خمسـة أبـواب، ضـمّ الأول مفاهيـم البحـث العلمـي الأساسـية، بواقـع سـتة فصـول، تناولـت فـي محتواهـا التطـور التاريخـي للمعرفـة العلميـة، وبعـض المفاهيـم المرتبطـة بالتفكيـر والعلـم وشـروطه. أمـا البـاب الثانـي فقـد سـلط الضـوء علـى مناهـج البحـث العلمـي الأساسـية، والبـاب الثالـث بفصولـه الخمسـة تنـاول الأدوات الأساسـية فـي عمليـة جمع المعلومـات لبنـاء وتشـكيل الإطـار النظـري والميدانـي، أمـا البـاب الرابـع فقـد سـلط الضـوء علـى أنـواع العينـات وطـرق اسـتخراجها، فيمـا جـاء البـاب الخامـس متنـاولاً مراحـل للبحـث العلمـي (خطواتـه الأساسـية)، اعتبـاراً مـن الإحسـاس بالمشـكلة، حتـى الوصـول إلـى النتائـج وصياغتهـا، متنـاولاً فـي ذلـك التفصيـلات الدقيقـة لعمليـة معالجـة مشـكلة علميـة ومـا يترتـب عليهـا مـن نشـاطات متسلسـة، منتظمـة، تتيـح للقـارىء تبسـيطاً وتوضيحـاً يتبايـن عمـا تتناولـه المراجـع فـي هـذا الميـدان، والتـي يـرى الطلبـة فيهـا مـن الغمـوض، وعـدم الوضـوح، فضـلاً عـن افتقارهـا إلـى الأمثلـة الميدانيـة التفصيلـة، مايجعلهـم عرضـة عنهـا. وبذلـك فقـد أخـذ المؤلـف بعيـن الاعتبـار، هـذه الملاحظـة، جعلـت هـذا المنجـز إلـى حـد كبيـر غنـي التفاصيـل، والأمثلـة، والأشـكال، والملاحـق، ذلـك أن لهـذا الكتـاب وظيفـة محـددة (دون الاسـتعراض العلمـي) تنـدرج لفائـدة الطالـب الجامعـي والباحـث، فـي حقـول المعرفـة الإنسـانية بشـكل عـام. . والأخـص العلـوم المتعلقـة بالمجتمـع والنفـس والإعـلام والسياسـة.

وقـد حرصـت دار إنكـي للطباعـة علـى تقديمـه بطباعـة مميـزة وعـرض شـكلي برّاق يتماشـى مـع مضمونـه المهـم وحاجـات الطلبـة والباحثيـن إليـه بشـكل عـام.

المعارضة السياسية

الأحزاب، الرأي العام، المؤسسة الدينية

عمار جبار الكعبي

يتناول كتاب المعارضة السياسية (الأحزاب، الرأي العام، المؤسسة الدينية) دور المؤسسات غير الحكومية في تشكيل المعارضة في النظم البرلمانية، وما لها من تأثير مهم وكبير على المواقف والخطوات والسياسات التي تنتهجها الحكومة، لتجعلها إمّا تعيد النظر بها وتتراجع عنها، أو تبادر لاتخاذ مجموعة من الخطوات الضرورية التي تطالب بها هذه المؤسسات.

تعمل المؤسسات غير الحكومية عبر العديد من الأدوات لتكون الموازن الاجتماعي للسلطات السياسية، وبالتالي هي مكملة لعمل الحكومات وتتعاون معها لتقديم المصالح المجتمعية والأخذ بنظر الاعتبار أن المجتمع يملك من الأدوات الكثير، الأمر الذي يجعله

يعمل باستقلالية عن السلطات الحكومية، مما يجعله متفاعلًا ومشاركًا في الحياة السياسية بكل تفصيلها.

وتنبع أهمية هذا الكتاب من الدور الحيوي والمهم الذي تؤديه المؤسسات غير الحكومية في النظم البرلمانية على مستوى ممارسة دور المعارضة السياسية والأدوات التي تستخدمها في أداء هذا الدور، وكذلك طبيعة العلاقة الوثيقة بين المؤسسات غير الحكومية والمعارضة في النظم البرلمانية.

إذ تمتلك المؤسسات غير الحكومية مجموعة من الأدوات السياسية والقانونية والإعلامية والمجتمعية سواء الرسمية منها وغير الرسمية، التي تمكنها من أداء دور المعارضة في النظم السياسية البرلمانية لتكون مؤثرة في الأداء الحكومي سواء على مستوى المواقف والسياسات الحكومية أو على مستوى السلوكيات التي تمارسها الحكومات داخليًا وخارجيًا

وتتعدد المؤسسات غير الحكومية بتعدد الأنظمة والمساحات والمجتمعات، وقد تم التركيز في هذه الدراسة على ثلاث مؤسسات غير حكومية مهمة يأتي في مقدمتها الأحزاب السياسية وهي تمارس دورها حينما تكون خارج السلطة، وكذلك الرأي العام، والمؤسسة الدينية بما تملكه من أدوات معلنة وغير معلنة تستطيع أن تؤثر بها في المسارات الحكومية بكل أشكالها، فضلًا عن النظر إلى نماذج دراسية تمثلها أكثر من دولة لتسليط الأضواء على هذه الأدوار بشكل عملي وواضح، من دون الاكتفاء بالجانب النظري الذي قد لا يعكس حقيقة الأدوار التي تمارسها هذه المؤسسات المهمة.

مبادرات الحكيم. . وقفة تأمل

د. علاء مصطفى

أكاديمي وباحث سياسي

يستحق كلام رئيس تيار الحكمة السيد (عمار الحكيم) صبيحة عيد الفطر المبارك، حول الوضع السياسي المعقَّد بتناقضاته الحادَّة، ومسارات التعاطي معه بغية إيجاد منافذ حلحلة تُبدل التشنج بمرونة منتجة، وقفة تأمل وتمحيص تمكّننا من فرز الممكنات من باقة الأمنيات لرجل لم يبتعد عن المشهد السياسي يومًا ما، فقبل زعامته للعنوان السياسي كان قريبًا جدًا من مصنع القرار ولعب دورًا خلف الكواليس التي أكسبته الكثير من المهارات الناعمة الممكّنة من بلوغ الهدف دون ضجيج، وهي صفة يصعب الحصول عليها.

انطلق خطابه بوثبة قوية، صريحة ومباشرة، خالية من تزويق الجمل وتلوين المفردات، غير قابلة للتأويل، ليدعم رسالته بعنصر ثبات يرفعها إلى مرتبة المسلمات التي لا رجوع عنها، جدد فيها دعوته لعدم تجاوز حقوق المكونات وهي حقوق يرى فيها ثوابت تعزز الاستقرار وتديم السلم المجتمعي، وأن لا مكان ولا زمان يسمح بتجريب مشاريع بديلة قد تدخل البلد المضطرب أصلاً في متاهات غير مأمونة « نُجدد دعوتنا بضرورة تشكيل حكومة منبثقة من الكتلة الأكبر والتي يشكلها المكون الاجتماعي الأكبر في البلاد، لكي ننتج معادلة سياسية مستقرة توفر بيئة متوازنة ومطمئنة لحكومة قوية تستطيع تحقيق رغبات شعبنا في حياة حرة كريمة» وهي دعوة غير طارئة على خطابه، بل وردت بحدة أكثر في خطابه بالنجف الأشرف في ذكرى استشهاد شهيد المحراب، والتي كشفت حينها عن مرحلة سياسية تتطلب ممارسات واقعية ومباشرة، تتجنب المجاملات وتدخل في صلب القضية، ثم عززها في مبادرته ذات التسع نقاط التي أطلقها في شهر رمضان في ذات

الموقع «النجف» التي أخذ يحرص على الاستناد إليها ليعزز قاعدة الفرع «هو» الذي لا ينفصل عن الأصل «المرجعيّة» وبالتالي استلهام طاقة روحية تكسر أطواق أفرزتها نتائج الانتخابات البرلمانية المبكرة التي تقبّلها على مضض بعد رفض معزز بأدلة وإثباتات تكشف عدم نزاهة الممارسة.

إنّ إبدال العموميات بالخصوصيات عبر تبني قضايا المكون الاجتماعي وتناولها من باب مكانته ورمزيته الأسرية، وليس عنوانه السياسي، ليس بمحض صدفة وإنما هدف مقصود يُثبته في مساحة لا تراجع عنها، مستمدة للونها من جذوره الأسرية الساعي إلى إدامتها وجعلها آصرة لا مناص عنها تربطه بالجمهور، فهي تقيه آثار دوران دولاب السياسة وتكسبه قوة تعزز الأثر لدى الجمهور، وهذا ما نجده دون عناء في مطلع مبادرته الداعية إلى حوار بلا شروط وإلى «حسم موضوع الرئاسات الثلاث عبر تفاهم أبناء كل مكون فيما بينهم، والجميع يتعامل مع مرشح الأغلبية السُنيّة والأغلبيّة الكُرديّة والأغلبية الشيعية لتمرير مفهوم الأغلبية المطمئنة للجميع» وهي وصفة تتكرر في مبادرة الإطار التنسيقي التي استنسخت هذا المحور المتميز بتوصيفه لواقع الحال وسبل معالجته.

إنّ اجتياز أزمة وطنية شاملة لا يسلم من لظاها الجميع، يشترط إيجاد صيغة صريحة تضع النقاط على الحروف وتزيل الضباب عن المشهد، فلا مكان بعد اليوم لمن يريد تقاسم المنفعة دون تحمل وزر العثرة، وهي قاعدة بتحققها يتحمل كل فريق مسؤوليته بشكل سليم وصادق يجنبه فقدان ثقة الجمهور، فلا مناص عن ثقافة المكاشفة الغائبة عن الدورات النيابية السابقة بنسخها الأربع وليس من بديل عن عقد صراحة حدده الحكيم بـ «فمن يرغب بالمشاركة في الحكومة ينضم إلى فريق الأغلبيّة ويلتزم بدعم الحكومة بالبرنامج المتفق عليه ويعلن تحمل المسؤولية الكاملة عن مشاركته وقراره، ومن لا يرغب بالمشاركة يتخذ من مجلس النواب منطلقًا لمعارضته البنّاءة ويعلن ذلك رسميًا ليحظى بالغطاء المطلوب» وبذلك تتولد خطوط ثقة وعلامات أمان تزيل المخاوف وتخلق أجواء اطمئنان، تزيل أدران الماضي، وتؤسس لمرحلة جديدة مغايرة تستند إلى «تعهد الأغلبيّة بتوفير الغطاء الآمن للمعارضة مع تمكينها في اللجان البرلمانية والهيئات الرقابية المستقلة لأداء مهامها كما تتعهد المعارضة بعدم تعطيل جلسات مجلس النواب» وهو حال أن تحقق سيغير شكل المرحلة جملةً وتفصيلًا.

إنّ المعالجات أعلاه تشترط أجواء سليمة مخالفة لواقع الحال الملتهب الذي نعيشه،

وهـو التهـاب لا يطـوق إلا بخطـوات حددهـا سـماحته بـ «نبـذ المسـاجلات الإعلاميـة السـلبية ولغـة التسـقيط والتخويـن والاتهـام، وأدعـو مـن هـذا المقـام جميـع المؤسسـات الإعلاميـة الحكوميـة وغيرهـا إلـى تبنـي ميثـاق وطنـي ملـزم للجميـع لمواجهـة لغـة الكراهيـة والاتهـام وتنقيـة الخطـاب الموجـه للجمهـور بمعلومـات دقيقـة غيـر مضللـة، فـلا يمكـن بنـاء الدولـة مـن دون إعـلام وطنـي حريـص ومسـؤول عـن وحـدة البلـد واحتـرام القيـم الأصيلـة» فالمعالجـة تقتضـي إيقـاف مغذيـات الاحتقـان وصـد ريـاح التصعيـد، وبالتالـي الوصـول إلـى تهدئـة تمكّـن مـن اقتـلاع العلـل وزرع الثقـة.

وعنـد بلـوغ هـذه المرحلـة المتقدمـة يمكـن تتويجهـا بمشـروع متكامـل يصفّـر مشـاكل الحاضـر ويهنـدس شـكل المسـتقبل ومضمونـه، ويسـهم فـي حـل المشـاكل العالقـة ومواجهـة سلسـلة التحديـات التـي يتصدرهـا خطـر التصحـر و تعطـل ماكينـة الصناعـة وازديـاد حجـم البطالـة، ناهيـك عـن مخاطـر أمنيـة يحيـط بهـا توتـر إقليمـيّ متصاعـد، وذلـك مـا يمكـن أن تتضمنـه «مبـادرة البنـاء الاسـتراتيجي للبلـد» التـي أطلقهـا فـي خطبـة صـلاة العيـد، محـاولًا فيهـا إلـزام الكتـل السياسـية والمؤسسـات الحكوميـة بمسـؤولياتها، مـع فتـح الأبـواب للمجتمـع المدنـي بمختلـف عناوينـه للاشـتراك فـي إعدادهـا، وهكـذا لا يُغيـب أي طـرف فاعـل مـن المشـهد إن أُحسـن تدبيـر المبـادرة وإتقـان تفاصيلهـا، وهـو تدبيـر بحاجـة إلـى نقـاش واسـع تشـترك فيـه عناويـن كثيـرة أوسـع مـن العنـوان السياسـي، وأكبـر مـن حـدود المكـون، فالبلـد خيمـة الجميـع وتشـييده يشـترط تحمـل الـكل لمسـؤولياته.

ماذا تعني الحرب الروسية في أوكرانيا بالنسبة للعراق؟

مدل ايست انستتيوت، صمويل راماني ٤ نيسان ٢٠٢٢

منذ أن غزت روسيا أوكرانيا في ٢٣ شباط امتنع العراق عن اتخاذ موقف حازم بشأن الحرب. في ٢٨ شباط صوت العراق لصالح بيان للجامعة العربية بشأن أوكرانيا الذي لم يُسند المسؤولية لروسيا. امتنع العراق عن التصويت في ٢ آذار في الجمعية العامة للأمم المتحدة بخصوص القرار الذي أدان العدوان الروسي على أوكرانيا، واكتفى بالإعراب عن «الأسف» إزاء «تدهور الوضع وتصاعد التوترات بين روسيا الاتحادية وأوكرانيا». وبرر العراق امتناعه عن التصويت بتسليط الضوء على خطورة استغلال الإرهابيين للاستقطابات داخل المجتمع الدولي مشيراً إلى خلفيتها التاريخية التي تضمنت «المعاناة الناجمة عن الحروب المستمرة ضد الشعب العراقي».

وبغض النظر عن هذه التصريحات الرسمية، فإن الرأي السياسي في العراق بشأن السلوك الروسي منقسم على أسس حزبية وفئوية. فقد أدى فرض العقوبات على روسيا إلى تعقيد استثماراتها في الطاقة في العراق ومشتريات الأسلحة المحتملة من موسكو ويمكن أن يكون لها تأثير سلبي طويل الأمد على الاقتصاد العراقي. وتمشيا مع الانقسامات السياسية القائمة، كان رد فعل العراق على حرب أوكرانيا مستقطبا. فقوات الحشد الشعبي، هي الكتلة الأكثر تعاطفاً مع سياسات روسيا في أوكرانيا، حيث تتواصل بانتظام مع موسكو بشأن سوريا ومكافحة الإرهاب.

كان مقتدى الصدر، زعيم التيار الصدري أكثر انتقادًا للحرب في البداية. وصرح الصدر بأن الحرب بين روسيا وأوكرانيا «غير مجدية إطلاقا» وأضاف «ما زلت أتطلع إلى مبدأ الحوار بين بلدين مسيحيين». لكن بحلول الرابع من آذار عكس الصدر موقفًا آخر، حيث زعم أن الحرب اندلعت في أوكرانيا «بسبب السياسة الأمريكية هناك».

اما رئيس إقليم كردستان العراق، نيجيرفان بارزاني، فيدعم بقوة جهود تركيا للوساطة بين روسيا وأوكرانيا. على الرغم من أن رئيس جمهورية دونيتسك الشعبية الموالية لروسيا، دينيس بوشلين، تحدث مع روداو وأيد موقف بارزاني بأن تقرير المصير أكثر أهمية من الحفاظ على وحدة أراضي الدول، إلا أن إقليم كوردستان لم يتخذ خطوات لتعزيز العلاقات مع روسيا. بينما يميل أنصار رئيس الوزراء العراقي السابق نوري المالكي، المتحالف مع طهران، إلى التعاطف مع روسيا بسبب عداوتهم المستمرة تجاه الولايات المتحدة خلال شن الحرب على العراق عام ٢٠٠٣، بينما كان أنصار الصدر يميلون إلى تبني الحياد الصارم.

وكان للحرب الجارية في أوكرانيا بالفعل آثار اقتصادية سلبية خطيرة على العراق، وحتى لو أدى ارتفاع أسعار النفط إلى تحسين هذا الوضع. يستورد العراق ٥٠٪ من إمداداته الغذائية من العالم، وعلى الرغم من أنه لا يعتمد على القمح من روسيا أو أوكرانيا، إلا أن ارتفاع الأسعار العالمية له تأثير غير مباشر. عزت وزارة التجارة العراقية ارتفاع أسعار زيت الطهي إلى اضطرابات الإمدادات الناجمة عن الحرب في أوكرانيا، ولوقف الاحتجاجات الناتجة في جنوب العراق، قدمت الحكومة بدلًا شهريًا قدره ٧٠ دولارًا للمواطنين الفقراء او الضعفاء اقتصاديًا. كما دعمت السلطات العراقية مادتي القمح وزيت الطهي، حيث تضاعفت أسعار المواد الغذائية في أواخر آذار نتيجة لارتفاع أسعار زيت.

إذا استمر وقف إطلاق النار في أوكرانيا، فمن المرجح أن يهدأ الارتفاع الحالي في أسعار المواد الغذائية، لكن التأثير طويل المدى للعقوبات ضد روسيا لا يزال غير واضح. في ١ آذار أكد السفير الروسي لدى العراق إلبروس كوتراشيف رغبة موسكو في الحفاظ على محفظة استثماراتها المقدرة بـ ١٤ مليار دولار وتوسيعها في العراق، والتي يتركز معظمها في قطاع النفط والغاز. كما شدد كوتراشيف على الصعوبات التي قد يواجهها العراق في إيجاد مستثمرين بدلاء، حيث ستحتاج الشركات إلى تخصيص ٢٠-٢٥٪ من ميزانياتها للأمن عند الاستثمار في البلاد، وسلط الضوء على عقود من الخبرة لدى الشركات الروسية في العراق.

على الرغم من خطاب الكرملين المتفائل، يتوخى المسؤولون العراقيون الحذر بشأن تعميق العلاقات الاقتصادية مع روسيا. ففي ٣ اذار تلقى العراق طلبات من مشتري النفط

الأوروبيين والأمريكيين، مما قد يسمح له بالتخلي عن الاستثمارات الروسية، ودعا البنك المركزي العراقي والبنك التجاري العراقي الشركات إلى تجنب تحويل الأموال إلى روسيا من أجل عزل الاقتصاد عن العقوبات الغربية. . نظرًا لاحتمال فرض عقوبات طويلة الأمد على موسكو وزيادة الطلب الغربي على موردين بدلاء، حث اقتصاديون عراقيون الحكومة العراقية على استثمار ١٠ مليارات دولار في قطاعها النفطي لزيادة إنتاجها إلى ٨ ملايين برميل يوميًا.

وبالنظر إلى هذه السياسات والتوصيات، فمن المرجح أن يتبنى العراق جهودًا لتنويع الروابط التجارية لقطاع الطاقة لديه وتقليل اعتماده بشكل تدريجي على الاستثمار الروسي في السنوات المقبلة. اذ سيؤثر سحب الاستثمارات بشكل عميق على كوردستان العراق، حيث حصلت شركة روسنفت على حصة مسيطرة بنسبة ٦٠٪ في خط أنابيب النفط الرئيس الخاص بها مقابل ١ . ٨ مليار دولار في تشرين الاول ٢٠١٧. نظرًا لأن روسنفت الروسية قد فشلت في تحقيق أرباح من استثماراتها في الطاقة البالغة ٤ مليارات دولار في إقليم كوردستان العراق في الفترة من ٢٠١٧ إلى ٢٠١٩ وكذلك خططها لبيع الغاز من كوردستان العراق عبر تركيا إلى أوروبا بسبب تشديد العقوبات، ولذلك تتراجع بسرعة آفاق موسكو لصفقات مربحة في إقليم كوردستان.

يمكن أن يكون التأثير الرادع للعقوبات على شراء العراق للأسلحة الروسية أكثر وضوحًا. اذ طلب العراق شراء دبابات روسية بقيمة مليار دولار في عام ٢٠١٧، مما عزز مخزونه الهائل من المركبات المدرعة روسية الصنع. وقد أعلن العراق أيضًا في آيار ٢٠١٩ أنه اتخذ قرارًا ملموسًا لشراء نظام الدفاع الجوي الروسي S-٤٠٠. وألمح مسؤول أمريكي إلى أنه يمكن منح العراق إعفاء في هذه الصفقة. على الرغم من أن روسيا عرضت بيع العراق صواريخ S -٤٠٠ لحماية مجاله الجوي بعد اغتيال قائد فيلق القدس بالحرس الثوري الإيراني قاسم سليماني في كانون الثاني ٢٠٢٠، إلا أنها امتنعت بسبب معارضة محتملة من شركاء آخرين مثل إسرائيل والمملكة السعودية والإمارات.

على الرغم من أن العراق تجنب الانحياز إلى أي جانب في حرب روسيا مع أوكرانيا، إلا أن الصراع قد يؤدي إلى تفاقم الانقسامات بين الفصائل العراقية والتأثير بعمق على مسار الاقتصاد العراقي على المدى القريب. في حين أنه من غير المرجح أن تدمر الحرب خطوات التعاون الروسي العراقي على مدى العقد الماضي، ولكن من المرجح أن تقتصر

بغـداد فـي تعاونهـا مـع موسـكو علـى المجـالات الأساسـية وتتغلـب علـى تأثيـر العقوبـات مـن خـلال تبنـي سياسـة خارجيـة متعـددة الأقطـاب.

https: //www. mei. edu/publications/what-does-russias-war-ukraine-mean-iraq

لعبة الشطرنج

ميسوب/ ديلاور علاء الدين ٢٩ كانون الثاني ٢٠٢٢

مقتدى الصدر، رجل الدين الشيعي يلعب من أجل الفوز مهما كانت التكلفة. في الفترة التي تسبق المباراة، تضافرت جهود السنة واغتنموا الفرصة ليصبحوا الفائزين الرئيسيين في الجولة الأولى. ومع ذلك، دخل الأكراد القتال فيما بينهم على ساق واحدة، وفقدوا رؤية الصورة الأكبر وزاد من حدة التنافس على السلطة الداخلية في إقليم كوردستان. وقد ثبت بالفعل أن هذا الأمر مكلف بالنسبة لإقليم كردستان العراق، وإذا استمروا في العمل كما بدأوا، فستكون الجولة الثانية أغلى. لحسن الحظ، لم يفت الأوان بعد من أجل تقليل خسائرهم أو حتى الفوز بجولات مستقبلية. وللقيام بذلك من قبل الأكراد فإن عليهم أن يأخذوا في الحسبان ديناميكيات القوة المعقدة ليس فقط داخل المكون الشيعي للعراق (البيت الشيعي) ، ولكن أيضًا داخل «العالم» الشيعي في داخل العراق وخارجه.

إن تشكيل الحكومة في بغداد يتبع مساراً معقداً من داخل العالم الشيعي. إذ ستتولى مجموعة برلمانية فائزة من الكتل الشيعية في العراق زمام المبادرة، ولكن مجلس الوزراء واتجاهه العام يتم تحديدهما في نهاية المطاف من قبل عدد من المؤسسات غير المرئية داخل العالم الشيعي. إذ إن الشيعة مجتمعين يملكون القضية الشيعية ولهم القول الفصل في مسألة تشكيل الحكومة. وإن مؤسسات العالم الشيعي بصورة عامة تشتمل على ما يلي:

- مرجعية النجف والمؤسسات الدينية الأخرى (مثل الحوزة) والنخبة الفكرية وقادة المجتمع ككل.
- القوى السياسية، مثل التيار الصدري والإطار التنسيقي والنخبة السياسية.
- المؤسسات السياسية والأمنية والاستخبارية في إيران ومرشدها الأعلى وحوزة قم وحزب الله اللبناني وغيرها.

فبعد قرون من الحكم السني، تولى الشيعة السلطة في العراق لأول مرة بعد ٢٠٠٣. وإن مؤسسات العالم الشيعي، التي تعتبر العراق مركزية في كفاحهم الوجودي، قد تولت في الواقع ملكية البلاد. على الرغم من تنوع مصالحها وخصوماتها الداخلية، ظلت مؤسسات العالم الشيعي متحدة في اتباع استراتيجيات كبرى ومواجهة التهديدات المشتركة. لقد ثبت أن نفوذهم الجماعي أكبر من أي عدد من المقاعد التي يمكن أن تؤمنها التحالفات السياسية العراقية. إن العالم الشيعي لا يتسامح مع الرضا عن النفس. إذ ليس لدى مؤسسات العالم الشيعي أي نية للسماح لمجموعة سياسية داخلية (مثل الصدريين) بالانحراف وتشكيل تحالفات مع غير الشيعة وتخفيف قبضتهم على السلطة. ولن يسمحوا للجماعات السنية أو الكردية، التي يحتمل أن تتأثر أو يتم تمكينها من قبل المنافسين الدوليين أو الإقليميين (مثل الولايات المتحدة أو تركيا أو دول الخليج العربية)، بإبعاد العراق عن إيران، والعودة إلى عمق الكون السني. بالتالي، إذا كانت مؤسسات العالم الشيعي، لا سيما في إيران والنجف، تعمل حاليًا كمتابع او مراقب فقد لا تظل كذلك. حتى أنهم قد يسمحون للتيار الصدري بتشكيل حكومة بالشراكة مع السنة والحزب الديمقراطي الكردستاني. ومع ذلك، لديهم الوقت والأدوات والأساليب لجعل هذه الحكومة تفشل. تشير المؤشرات المبكرة والتهديدات المستمرة إلى أنهم مستعدون للعمل بشكل منهجي لتقويض احتكار التيار الصدري للسلطة. سوف يبطئون تقدم حكومتهم ويمنعون الإصلاح ويسهلون انهيارها ويمهدون الطريق لتشكيل حكومة ائتلافية جديدة أو انتخابات مبكرة.

منهج الصدريين

الصدريون يدركون هذه العوامل وهم يعرفون أن العالم الشيعي يعتبر الصعود والوحدة بين المكون السني في العراق يعد إحياءً محتملاً للهيمنة السنية، وتهديدًا وجوديًا محتملاً للحكم الشيعي. ولأسباب مختلفة، فإنهم يعتبرون الهيمنة الكردية على بغداد مخاطرة أيضًا. يشك كثير من الوطنيين العراقيين في مصداقية الأكراد، ولا سيما الحزب الديمقراطي الكردستاني، في التخلي عن حلمهم بالاستقلال والعمل من أجل عراق أقوى وموحد. والصدريون لا يخفون عدم ثقتهم بأجندة الأكراد ولا يرغبون في الدخول في شراكة تجبرهم على قبول المطالب الكردية لما يعتبرونه حقهم. خوفًا من ضغوط دوائرهم الانتخابية ومنافسيهم الشعبويين، فقد يترددون في تنفيذ المادة ١٤٠ من

الدستور، أو تقييد قوات الحشد الشعبي الشيعية المسلحة في المناطق المتنازع عليها، أو حتى تسهيل دفع حصة إقليم كوردستان من الميزانية. وباختصار، لن يرغب الصدريون في التهور في مواجهة مؤسسات العالم الشيعي والمجازفة بمستقبلهم السياسي. ومن ثم، فهم يصرون على جذب بعض القادة داخل التحالف. وهذا من شأنه أن يمنحهم الشرعية من قبل الشيعة وبالتحديد من الأغلبية الشيعية (في الحكومة) التي هم في أمس الحاجة إليها.

حزمة التسوية

خلال المفاوضات بين الصدريين والإطار التنسيقي تمت مناقشة ثلاثة حزم. حزمة الإطار التنسيقي، حيث تنضم جميع الأحزاب الأعضاء في الإطار التنسيقي، بما في ذلك حزب الدعوة التابع إلى نوري المالكي. يأخذ الإطار التنسيقي ست وزارات، ويحتفظون بحق النقض على اختيار رئيس الوزراء. والمالكي يصبح أحد نائبي الرئيس. حتى الآن، رفض التيار الصدري هذه الحزمة. فيما تتألف حزمة الصدريين من دعوة جميع الأحزاب الأعضاء في الإطار التنسيقي، باستثناء حزب نوري المالكي. اذ يأخذون أربع وزارات دون أن يكون لهم حق النقض على اختيار رئيس الوزراء. تم رفض هذا حتى الآن من قبل الإطار التنسيقي. وتقدم حزمة التسوية التي تقبل المالكي كنائب للرئيس، من أربع إلى ست وزارات للإطار التنسيقي، مع أو بدون حق النقض على اختيار رئيس الوزراء. وقد يتم قبول هذه الحزمة بشكل متبادل في النهاية.

هناك خيار رابع لم تتم مناقشته. ويتكون من تشكيل حكومة أقلية شيعية بالشراكة مع غير الشيعة، أي الحزب الديمقراطي الكوردستاني والجماعات السنية الرئيسية. هذا الخيار مهم بالنسبة للأكراد لأنه الخيار الوحيد الذي من شأنه أن يسمح للحزب الديمقراطي الكردستاني بالانضمام إلى التيار الصدري بمفرده وحرمان الاتحاد الوطني الكردستاني من رئاسة أو نصيب من أي الوزارات. وبخلاف ذلك، فإن الحزم الثلاث السابقة (١-٣) ستمكّن كلاً من أعضاء الإطار التنسيقي والاتحاد الوطني الكردستاني من دخول الحكومة بمطالبهم أو توقعاتهم الخاصة، والتي لن تتماشى بالضرورة مع مطالب الحزب الديمقراطي الكردستاني.

الشراكة بين الحزب الديمقراطي الكوردستاني والصدر

على ما يبدو ترك الصدريون الأمر للحزب الديمقراطي الكردستاني لإقناع الاتحاد الوطني الكردستاني بالانضمام إلى ائتلافهم. خلال الزيارة المشتركة بين الحزب الديمقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني الكردستاني إلى بغداد، توقع الصدريون أن يوقع الاتحاد الوطني الكردستاني على إعلان سابق (الصدر – الحزب الديمقراطي الكردستاني). ويبدو أن الصدريين (والشركاء السنة) قلقون بشأن الانقسام بين الحزبين الكرديين، لكنهم على استعداد لفعل ما يلزم لحماية مصالحهم. واتضح أن الهدف الأساسي للتيار الصدري في الشراكة السابقة مع غير الشيعة كان التغلب على منافسيهم في التحالف في تأمين مكانة «كأكبر فصيل»، وأخذ زمام القيادة الشيعية في تشكيل الحكومة. لهذا، كانوا يعتمدون فقط على قائمة التقدم (بقيادة الحلبوسي)، وبالتالي لم يكونوا بحاجة إلى دعم أي مجموعات أخرى.

الآن ضمن الصدريون والسنة أهدافهم فقد يبدؤون في التفكير في التحركات المستقبلية وعواقبها السياسية. فإذا انتهى الأمر بالإطار التنسيقي والاتحاد الوطني الكردستاني إلى تشكيل الحكومة، فقد يضطر الصدريون إلى السعي للتوصل إلى حل وسط بين الحزب الديمقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني الكردستاني؛ خاصة على رئاسة الجمهورية. إذا فشل كل شيء وانتهى الأمر بالحزب الديمقراطي الكردستاني بالانسحاب من الشراكة، فقد يستمر الصدريون في المضي قدمًا لأنهم لن يتأثروا من ذلك.

الصورة الأكبر مقابل النفق الضيق

من الواضح أن أيا من شركاء التحالف بقيادة الصدريين، كانوا يركزون على الصورة الأكبر. ومع ذلك، فإن الوحدة السنية ستخدم حتمًا قضيتهم المشتركة، وقد تتنازل الجماعات الشيعية أخيرًا فيما بينها لتجنب إضعاف حكمها.

إن التنافس بين الأكراد كارثي حتى الآن، وإذا استمر ذلك، يمكن أن يشكل تهديدًا وجوديًا لإقليم كردستان العراق ككيان. في السابق، أي قبل الانتخابات وبعدها، كان الحزب الديمقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني الكردستاني يتبادلان رسائل مطمئنة للغاية، تؤكد على الوحدة في الداخل وفي بغداد. لسوء الحظ، حدث العكس تمامًا الآن. يبدو أن الحزبين قد فقدا الصورة الأكبر ويسيران عبر نفق ضيق نحو تنافس

داخلي أكثر ضررًا. يخشى البعض أن يؤدي هذا في النهاية إلى انقسام كامل في إدارة إقليم كوردستان. ومع ذلك، لم نفقد كل شيء وهذه السيناريوهات ليست حتمية. اعتاد الحزب الديمقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني الكردستاني على ديناميكية معقدة ومتعددة المستويات بينهما، وغالبًا ما تفصل بينهما مستويات مختلفة من الارتباطات. منها التعاون حيث يتم خدمة مصالحهم المشتركة على أفضل وجه، مع الانخراط في تنافس شرس في مكان آخر.

من المهم إعادة التأكيد على أن الانتخابات العراقية أتاحت فرصة جديدة لإقليم كردستان العراق لتحويل العلاقات بين بغداد وأربيل. إذا عالجوا الأسباب الجذرية للقضايا التي تكمن في بغداد، وقد يقدمون الحلول لها في المستقبل. وبشكل حاسم يحرص الشركاء الدوليون على تسهيل المفاوضات والتأكيد على رغبتهم في دعم كردستان موحدة وأكثر استقرارًا يمكن أن تكون بمثابة شريك فعال في بغداد. في حقيقة الأمر لم يفت الأوان بعد على الحزب الديمقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني الكردستاني لتهدئة هذا التنافس الشديد في بغداد والدخول في مفاوضات جادة وبنّاءة لتحقيق نتيجة مربحة للجانبين. يجب عليهم إعادة التركيز على الصورة الأكبر، والتوصل إلى اتفاق استراتيجي جديد وتوحيد الجهود لتحقيق أهدافهم المشتركة في بغداد.

http: //www. mesop. de/mesop-mideast-watch-kdp-puk-in-sadirs-chess-game-kurdistan/

ENKI for the Humanities and Social Sciences

Issued by Strategic Research & Studies Center in Iraq with Enkl Scientific Association

Chief Editor

Prof. Dr. Amer Hassan Fayyadh

Managing Editor

Dr. Noor Ali Al-Kinani

Editorial Board:

Prof. Dr. Kamil H. Alqayim, College of Literature- Babylon University

Prof. Dr. Qasim Mohammed Abd, College of Political Science – Al-Nahrain University

Prof. Dr. Shirzad Ahmed Al-Najjar, Professor of Political Science in Salahaddin University- Erbil

Prof. Dr. Jamal Abdulmanuiam Al- Zawi- prof of Media and International Relations, Libya

Prof. Dr. Mahmood Haider, Reasercher and Thinker in Political Philosophy and Theology of Religious – Lebanon

Prof. Dr. Sabreen Zaghloul Elsayd - Ain-Shams University- Faculty of Wome-Egypt

Prof. Dr. thouraya Ben mesmia-Institut supérieur de théologie - elzitouna University-tunis

Prof. Dr.Zuhair Mohammed Ali, Ibn Rushed College - University of Baghdad

Assist. Prof. Dr. Adel AlBedwai, College of Political Science- University of Baghdad

Assist. Prof. Dr. Ali Faris Hameed, College of Political Science – Al-Nahrain University

Assist. Prof. Dr. Musadeq Adel Talib, College of Law- University of Baghdad

Assist. Prof. Dr. Suhad Ismael Khaleel, College of Political Science – Al-Nahrain University

Assist. Prof. Dr. Muntasser Majeed Hameed, College of Political Science- University of Baghdad

Assist. Dr. Firas Abdulkareem Mohammed AlBayati, College of Political Science – Al-Nahrain University

Assist. Prof. Dr. Salam Jabbar Shahab, Applied Sciences Department – University of Technology

Dr. Ahmed Kareem Alwan AL Aliwai, Director of Iraqi Manuscripts Department

Dr. Ali AlYaqoobi, Al Mansour University College, Law Department

Proofreading:

Prof. Dr.Zuhair Mohammed Ali, Ibn Rushed College - University of Baghdad

Assist. Prof. Dr. Salam Jabbar Shahab, Applied Sciences Department – University of Technology

Administration Director:

Kawther Hameed Lttayef AlGhourabi

Financial and Administrational Supervision:

Dhurgham Mohammed AlJubouri

Maria Baligh Abu Galal

Cover Design:

Noor Faiz Al- Araji